

(١٥٣٤)

الغربة والاغتراب

في مصنفات الأدب التراثية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"مما يعتبر به صلاح الصالح وحسن نظره للناس أن يكون إذا استعتب المذنب ستورا لا يشيع ولا يذيع، وإذا استشير سمحا بالنصيحة مجتهدا للرأي، وإذا استشار مطرحا للحياء منفذا للحزم معترفا للحق.

القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحوان: فمنه حارس، ومنه محروس.

فالحارس العقل، والمحروس المال (١).

والعقل – بإذن الله – هو الذي يحرز الحظ، ويؤنس **الغربة**، وينفي الفاقة، ويعرف النكرة، ويثمر المكسبة، ويطيب الثمرة، ويوجه السوقة (٢)

---

(١) روى الحافظ أبو نعيم في كتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" [(ج١/ص٧٧٥ - ٦/ رقم٢٤٣) ط/ مكتبة الإيمان بالمنصورة] وصية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لكميل بن زياد، وفيها: ((العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل (وفي رواية: الإنفاق)، والمال تنقصه النفقة .. العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته ..)). ورواها أيضا ابن عبد ربه في "العقد الفريد" [كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك – باب فضيلة العلم]، وإسناده فيه نظر؛ فإن فيه أبا مخنف واسمه لوط بن يحيى شيعي متهم فيما يرويه. راجع تخريجي لأحاديث لـ"مقدمة ابن خلدون" حاشية ص٢٢٧ ط/ دار العقيدة بالإسكندرية. وانظر أيضا المجلد الأول من "مفتاح دار السعادة" للإمام ابن قيم الجوزية (قدس الله روحه ونور ضريحه)، فقد ذكر ما يزيد على أربعين وجها لتفضيل العلم على المال.

(٢) السوقة من الناس: الرعية، ومن دون الملك ممن ليس ذا سلطان، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وربما جمع على سوق بفتح الواو.." [1]

"وإن كان جوادا سمي مفسدا.

وإن كان حليما سمي ضعيفا.

وإن كان وقورا سمي بليدا.

وإن كان لسنا (١) سمي مهذارا (٢).

---

(١) الأدب الصغير ت خلف، ابن المقفع ص/٣٩

وإن كان صموتا سمي عييا (٣).

وكان يقال: من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه، أو بفراق الأحبة والأخوان، أو **بالغربة** حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا (٤) ولا يرجو إيابا (٥)، أو بفاقة (٦) تضطره إلى المسألة: فالحياة له موت، والموت له راحة.

---

(١) رجل لسن: أي: ذو بيان وفصاحة.

(٢) رجل مهذار وهذرة وهيذار وهذار: كثير الكلام في غير فائدة. والأنثى: هذرة ومهذار. والجمع: المهاذير. قال ابن سيده في "المحكم": ((ولا يجمع مهذار بالواو والنون؛ لأن مؤنثه لا يدخله الهاء)).

(٣) العي: ضد البيان، فهو على ما في "الوجيز": ((العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود)). قال سيبويه: جمع: العيي: أعيياء وأعياء. وانظر "الصحاح"، و"لسان العرب".

(٤) المقيل: المنزل والمأوى.

(٥) أي: رجوعا وعودة.

(٦) الفاقة: الفقر والحاجة.." [١]

"ألازمها، الخفض والدعة، والسكون والرفاهية، ومضاجعة الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف بما هن عليه من الحسن والبهجة، ويتمكن الفلوات بما يبدين من الشباب والنعمة.

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئا يتيمه عين ولا جيد

يا ساقيي أخمر في كؤوسكما ... أم في كؤوسكما هم وتسهيد؟

أصخرة أنا؟ ما لي لا تغيرني ... هذي المدام ولا هذي الأغاريد!

يتيمه: يستعبده، والتسهيد: ذهاب النوم، والأغاريد: الأصوات المطربة.

فيقول: أن الدهر بكثرة نوائبه، وما طرقه به من مؤلم حوادثه، أعدمه قلبه وكبده، بتأثير أوجد فيهما، فلم يترك له منهما ما تتيمه العيون الفاترة، وتروق الأجياد الناعمة.

ثم قال: يا ساقيي أهذا الذي تدايرانه في كؤوسكما خمر يلتذ بطعمها، ويستفاد السرور بشربها، أم ذلك هم

---

(١) الأدب الصغير ت خلف، ابن المقفع ص/٧١

وسقم، وتسهيد وألم؟ يشير إلى أن الخمر كانت تثير كوامن وجده، وتجدد أسباب حوبه.

ثم قال معجبا بما هو عليه من تعذر السلـوة، وقلة الجلد على **الغربة**: أصخرة أنا فلا تغيرني المدام بما تبعثه من الفرح، والأصوات الغردة بما تثيره من الطرب! فقد خرجت في ذلك عن المعهود، واقتصرت على الأسف الشديد.

إذا أردت كميت اللون صافية ... وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا أبقيت من الدنيا؟ وأعجبها ... إني بما أنا باك منه محسود!

أمسيت أروح مثر خازنا ويدا ... أنا الغني وأقوالي المواعيد

الكميت من الخمر وغيرها: ما كان فيه حمرة وسواد، والمثري: الكثير المال.

فيقول: إذا أردت الخمر الكميت الصافية ألفيتها قريبة ممكنة، كثيرة متأتية، إلا أن أحبه وأمقه، وأسكن إليه وأتعشقه، بعيد متعذر القرب، معدوم غير متمكن الوصل؛." (١)

"يتمناه لقاء عضد الدولة، ولي نعمتك، ومعلي منزلتك لقلت: ولا صاحبت مناك، مدفوعا عن جملتها، ممنوعا من الاغتباط بمسرتها.

ثم أخبر أن قلبه قال له: قد استشفيت من البعد عن أهلك بمفارقتك لأرفع الناس في نفسك، فصار أشد ما تشكوه من عللك ما قدرت أن فيه الشفاء من ألمك.

فأستر منك نجوانا وأخفي ... هموما قد أطلت لها العراكا

إذا عاصيتها كانت شدادا ... وإن طاوعتها كانت ركاكا

وكم دون الثوية من حزين ... يقول له قدومي ذا بذاكا

ومن عذب الرضاب إذا أنخنا ... يقبل رحل تروك والوراكا

النجوى: (ما) يستتر به من الكلام، والعراك: المحاكة والمزاحمة، والركاك: جمع ركيك، وهو الضعيف المنحل، والثوية: موضع فيما يقرب من الكوفة، والكوفة وطن أبي الطيب، والرضاب: ريق الفم، وتروك: أسم الناقة، والوراك: جلد يكون على مقدم الرحل يثني الراكب عليه رجله.

فيقول مخاطبا لعضد الدولة، ومشيرا إلى منازعة قلبه: وأستر منك أيها الملك ما يقصد بي قلبي إلبه، وما أنطوي من الأسف عليه، وأخفي من ذلك هموما، أعاركها مدافعا لها، وأتحملها وأنا مستحكم الألم.

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي – السفر الثاني، ابن الإفليلي ٣٧/٢

ثم قال مشيرا إلى الهموم التي قدم ذكرها: إذا عاصيتها بإجرائها على الحقيقة، والنظر إليها بالعين البصيرة، كانت شدادا مؤلمة، وإذا طاوعتها باطراح الفكر فيملا يبعثها، كانت ركاكا هينة.

ثم قال: وكم دون الثوية التي أقصدها، والكوفة التي أريدها وأعتمدها، من حزين من أهل قد أخل به اغترابي عنه، وبلغ الأسف لذلك كل غاية منه، يقول له قدومي سرورك مني بهذه الأوبة بما كان يحزنك مني من طول **الغربة**.

ثم قال مشيرا إلى ما قدمه من ذكر أهله: وكم في تلك الحلة من عذب الرضاب،." (١)

"ثابت الجنان صفوح عن الجاني ... قد حمى عرينه=بالزرق المسنونه

أظهر المقام ... في **الغربة** حرمانا

فأنا ألام ... إسرارا وإعلانا

قلت والكلام ... يصرح أحيانا

فزت بالماني لو كان من أخواني ... صاحب المدينة=أعلى الله تمكينه

جيش الظلام بالصبح مهزوم ... فقم يا نديم

لابد لي على الورد من وردي ... فهاتها معصفرة البدر

نارا من الزجاجة في زند ... كلما لثمتها لطمت خدي

ولا كمثل خد ملطوم ... من بنت الكروم

أركب على اسم ربك في الفلك ... إلى الخليج ناهيك من ملك

والوشي صفا في الحبك ... والورق في مأتمها تبكي

والروض سره غير مكتوم ... في صدر النسيم

قل للأمير عين الحسن والحمد ... صافحت باليمن من الرفد

فأسلم فأنت واسطة العقد ... السادة الكرام بني العبد

مدائح تجيز التحكيم ... في مال الكريم

وردت من المكارم في بحر ... أحلى من الوصل على الهجر." (٢)

---

(١) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الثاني، ابن الإفليلي ١٨٢/٢

(٢) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/٢٨

"إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

مشتكى: مصدر اشتكى يشتكي، والحزن: خلاف السرور، والأنيس: فعيل من الأنس، ومنتهى: مصدر انتهى الشيء إذا بلغ الغاية، قال تعالى: [وأن إلى ربك المنتهى] (١)، وقال ابن دريد: وكل شيء بلغ الحد انتهى، الجذل، بالذال المعجمة: ضد الحزن.

الإعراب: فلا صديق: هذه لا التي لنفي الجنس، إليه: جار ومجرور، مشتكى: مصدرية موضع رفع على الابتداء، ولم يظهر الإعراب/ لأنه مقصور، حزني: مضاف والياء [١٣ ب] التي هي الضمير للمتكلم في موضع جر، ومشتكى مضاف إلى الحزن، والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب على أنه صفة لاسم لا، كان التقدير: فلا صديق سامعا شكوى حزني إليه موجود، والنصف الثاني إعرابه إعراب الأول.

المعنى: ما أجد صديقا يكون مشتكى حزني، ولا أرى أنيسا يكون منتهى فرحي، وهذه حالة تشق على من تلبس به، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة، ما خرج منها إلا وأبو بكر رضي الله عنه معه؛ ليكون له أنيسا من الوحدة، ورفيقا في **الغربة**، يركن إليه في المشورة، ويركن به إذا خلا، وكذلك كان معه في الغار، وموسى عليه السلام لما أمره الله تعالى بالرسالة إلى فرعون سأل ربه أن يكون معه أخوه، قال: [واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي] (٢) الآية، وقال عليه السلام: إذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا، إن نسي ذكره، وإن نوى خيرا أعانه، وإن أراد شرا كفه عنه، وكان أنو شروان يقول: لا يستغني أجود السيوف عن الصقل، ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعلم الملوك عن الوزير، ولو لم يكن في الصاحب والوزير إلا المشورة؛ لكان كافيا، قال تعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: [وشاورهم في الأمر] (٣)، قال الشاعر (٤): (من الطويل)

إذا عن أمر فاستشر لك صاحبا ... وإن كنت ذا رأي تشير على الصحب

فإني رأيت العين تجهل نفسها ... وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال الأرجاني (٥): (من البسيط)

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما نأى ودنا ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

---

(١) النجم ٤٢

(٢) طه ٢٩، ٣٠

(٣) آل عمران ١٠٩

(٤) لم أتمكن من معرفة قائله، والبيتان في الغيث المسجم ١/ ١٥٣.

(٥) ديوانه ١/ ٢٤٦ - ٢٤٧." [(١)]

"وقوله: ولا بد من شكوى، اعلم أن العاقل من كتم أمره، ولم يشك لأحد، عملا بقول الأول (١): (من الكامل)

لا تظهرن لعاذل أو عاذر ... حاليك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة ... في القلب مثل شماتة الأعداء

وقال أبو الطيب (٢): (من البسيط)

ولا تشك إلى خلق فتشمته ... شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

عاد الكلام إلى بيت الناظم، ولعمري في بلد بهذه المثابة، لا المثوبة، فحقه أن يفارقها، ولهذا قال أبو الطيب (٣): (من البسيط)

شر البلاد بلاد لا أنيس بها ... وشر ما يكسب الإنسان ما يصم

وأين هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري (٤): (من الطويل)

وجدت بها ما يملأ العين قرة ... ويسلي عن الأوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائي، وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (٥): (من الطويل)

نزلت على آل المهلب شاتيا ... غريبا عن الأوطان في زمن المحل

فما زال بي إحسانهم وجميلهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وزاد القاضي الرشيد بن الزبير (٦)، فقال: (من الطويل)

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم ... أمنا ونلنا الخصب في زمن محل

ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم ... على البر من أهلي حسبتهم أهلي

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/٢٥

/طال اغترابي حتى حن راحلتي ... ورحلها وقرى العسالة الذبل ... [١٥ أ]

اللغة: **الاغتراب**: افتعال، من **الغربة**، تغرب واغترب بمعنى، فهو غريب، يقال: اغترب فلان إذا تزوج غير أقاربه، وفي الحديث: اغتربوا لا تضووا، معناه تزوجوا الأباعد، دون الأقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة، فيجيء الولد ضئيلا نحيفا؛ لعدم التمكن من الزوجة.

قلت: واستشهد له السهيلي في الروضة بقول الشاعر (٧): (من الرجز)

---

(١) تسب البيتان في الوافي بالوفيات، ص ١٦٤٦/ (م) لأبي علي بن الشبل، وكذا في فوات الوفيات ٣/ ٣٤٠

(٢) ديوانه ٢ ٢٦٢

(٣) ديوانه ٢/ ٨٤

(٤) البيت في مقامات الحريري، المقامة الحرامية، ص ٤٢٤، وفيها: رأيت بها ،

(٥) لأبي الهندي، ديوانه / (م).

(٦) البيتان في الوافي بالوفيات، ص ٥٣٢٤/ (م)

(٧) لجرير، ديوانه، ص ٤٠٣.." (١)

"قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع إلى أهله، ومما يؤكد مشقة **الغربة** قوله عليه السلام: موت **الغربة** شهادة، لأنه حصل له ما حصل للقتيل في سبيل الله عز وجل، والمبطون والمطعون، والغريق والميت عشقا، والميتة في الطلق.

قلت: ثم اعلم أن الميت على أربعة أقسام: شهيد الدنيا والآخرة، وليس شهيد فيهما، وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وعكسه، فالأول من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، والثاني من مات حتف أنفه، وشهيد في الدنيا دون الآخرة من قتل رياء وسمعة؛ فيجري عليه في الدنيا أحكام الشهداء من عدم غسله، والصلاة عليه، وفي الآخرة لا يكون مع المخلصين، وعكسه المبطون، والغريق، والغريب، ومن ذكر / آنفا، ففي الدنيا لا نعطيه حكم [١٦ أ] الشهداء، بل هو في الآخرة مع الشهداء، واعلم أن الميت عشقا ليس للفقهاء دليل على أنه شهيد إلا حديث: من عشق فعف (١)، وقد رواه الدارمي في جزئه. وفي طريقه سويد بن سعيد

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/٢٧

الحدثاني، وهو من شيوخ مسلم، إلا أن يحيى بن معين ضعفه، وقال فيه: لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث.

قال الشارح: ورأيت بعض الناس إنما سمي نور الدين الشهيد؛ لأنه أحب مملوكا، وعف عنه؛ فأكمده الحب؛ فقتله: (من الطويل)

خليلي هل خبرتما أو سمعتما ... بأن قتيل الغانيات شهيد (٢)

وقد استعار الناظم الحنين للرحل، كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح؛ طلبا للمبالغة، لأنه إذا كانت الأشياء التي لا تعقل، ولا تدرك، حصل منها الحنين، فالعاقل المدرك بطريق أولى، كما قال أبو الطيب (٣): (من الطويل)

يخيل لي أن البلاد مسامعي ... وأني فيها ما تقول العواذل

معناه أن العاذل ما له كلمة مستقرة في أذن المحب، قد كان الناظم من كثرة الأسفار كما قال الشاعر (٤): (من البسيط)

كريشة بمهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

وقال ابن اللبانة (٥): (من البسيط)

كأنما الأرض عني غير راضية ... فليس لي وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين المناوي في قوله (٦): (من البسيط)

---

(١) وتمامه: من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد

(٢) ذكر ابن أبي حجلة هذا البيت في ديوان الصبابة، ص ٥٦٤/ (م)، بلا عزو، وكذا السيوطي في كتابه الأزهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، ص ٧٢/ (م).

(٣) ديوانه ١/ ٧٨

(٤) للمتنبي، ديوانه ١/ ٢٧٥

(٥) ديوانه / (م)

(٦) البيتان في الغيث المسجم ١/ ١٧٠." [1]

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/٢٩

"إن عشت عشت بلا أهل ولا وطن وإن قضيت فلا قبر ولا كفن

أظن قبري بطون الوحش ترحلبي بعد الممات ففي الحالين لي ظعن

قال الحافظ أبو عبد الله محمد الحميدي (١): من تختم بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، استكمل الظرف.

قال الشارح: وبعضهم قال: ولبس البياض.

فائدة: / طال اغترابي، أذكرني سؤالا في قول الحريري في أول المقامة الأولى: [١٦ ب] لما قعدت غارب **الاغتراب**، وهو أن قعد قاصر، لا يتعدى، فكيف أعاد بالتاء والجواب (٢).

وضج من لغب نضوي وعج لما ... يلقى ركابي ولج الركب في عذلي

اللغة: الضجيج: الصياح، واللغب، بالغين المعجمة: وهو اللغوب، وهو الإعياء والتعب، قال تعالى: [وما مسنا من لغوب] (٣) أي تعب، ولا إعياء، وهو رد على اليهود، لأنهم قالوا: إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في يوم السبت، فكذبهم الله تعالى بذلك، والنضو: البعير المهزول، والناقة نضوة، والعجيج: رفع الصوت، وفي الحديث: "أفضل الحج العج والثج" (٤)، والركاب: الإبل التي يسار عليها، واللجاج مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح، فهي لجوج، والركب: أصحاب الإبل في السفر، دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والجمع أركب، قاله الجوهري، والعذل: بالتحريك الاسم، وبالسكون المصدر، وهو الملامة.

الإعراب: ضج: فعل ماض، أصله ضجج، فاجتمع المثلان، فسكن أحدهما، وأدغم في الثاني، من لغب: جار ومجرور في موضع النصب مع أنه مفعول لأجله، والمفعول لأجله هو الباعث على إيجاد الفعل، فاللغب هنا هو الباعث على الضجيج، نضوي: فاعل ضج، وقد تقدم المفعول له عليه، وهو جائز، ولم يظهر الرفع في الفاعل لإضافته إلى ضمير المتكلم، وعج: مثل ضج، ولما: جار ومجرور، وما اسم ناقص في موضع جر، يلقى: فعل مضارع في موضع نصب (٥)، عار عن الناصب والجازم، ولم يظهر الرفع فيه؛ لأنه معتل الطرف بالألف، فالضمة مقدرة في آخره، وهذه الجملة من الجار والمجرور، والصلة / والعائد في موضع النصب على أنه مفعول لأجله، ولج: فعل ماض كما تقدم في [١٧ أ]

---

(١) كتب اسم هذا العلم في المخطوطة: أبو محمد عبد الله الحميدي، والصحيح ما أثبتناه، فهو: المحدث

الإمام أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، صاحب كتاب: جذوة المقتبس في علماء الأندلس، وقد ترجم له ابن سعيد في المغرب في حلى المغرب

(٢) كتب في الهامش: الحريري إنما قال: لما اقتعدت غارب **الاغتراب**، أي اتخذه قعيدة، والغارب الكاهل، وهو مقدم ظهر الدابة، استعاره للاغتراب، وهو التغرب عن الوطن.

(٣) ق ٣٨

(٤) كتب في الهامش: العج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: اهراق دم الهدي.

(٥) كتبت: في موضع رفع لا.، وما أثبتناه من الغيث المسجم ١/ ١٨٣." (١)

"طردت من مصر أيديها بأرجلها ... حتى مرقن بنا من جوش والعلم

تبري لهن نعام الدو مسرجة ... تعارض الجدل المرخاة باللجم

وما أحسن قول أبي الطيب (١): (من الطويل)

وجردا مددنا بين آذانها القنا ... فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة ... كأن على الأعناق منها أفاعيا

وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبي الطيب في تشبيه العنان بالأفاعي، وزاد عليه زيادة حسنة / فقال في زمام الناقة: (من الكامل) ... [٥٥ أ]

ولقد أتيت إليك تحمل بزتي ... حرف يسكن طيشها الدألان (٢)

ينفي الزفير خطامها فكأنما ... غار يحاول نقبه ثعبان

وقال آخر (٣): (من الطويل)

رجيعة أسفار كأن زمامها ... شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

إن العلى حدثتني وهي صادقة ... في ما تحدث أن العز في النقل

اللغة: النقل: جمع نقلة.

الإعراب: إن العلى: إن واسمها، حدثتني: في موضع رفع خبر إن، وهي: الواو واو الابتداء، صادقة: خبره، وما: اسم ناقص لا يتم إلا بصلة وعائد، تحدث: فعل مضارع، وهو صلة ما التي تقدمت، والعائد محذوف

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/٣٠

لأنه فضلة، تقديره فيما تحدثه، إن العز: إن واسمها، وهي مكسورة؛ لأنها محكية بالقول، والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو خبر إن، تقديره إن العز يستقر في النقل، وقوله: إن العز وما بعده في موضع نصب على أنه على أنه مفعول ثان، وقوله: وهي صادقة جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب.

المعنى: إن العلى حدثتني فيما حدثت من الأخبار إت العز موجود في النقل من مكان إلى مكان، **والاغتراب** من مكان مبا بساكنه إلى مكان يلائمه ويوافقه، وينال فيه المعالي، وقد أكثر الشعراء من الحث على الانتقال والحركة، قال أبو تمام (٤): (من الطويل)

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ومن كلام الحكماء: إن الله لم يجمع منافع الدنيا في مكان من الأرض، بل فرقها، وأحوج بعضها إلى بعض، وقيل: إن المسافر يجمع العجائب، ويجلب المكاسب، وقيل: الأسفار مما

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٤.

(٢) البيتان في الغيث المسجم ٢/ ٨٤، الدألان: الخادع

(٣) لذي الرمة، ديوانه (م).

(٤) ديوانه، ص ٩٨." (١)

"إذا لم يكن للفضل ثم مزية ... على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله: كان شوطهم وراء خطوي ... البيت يشبه قول هشام الرقاشي (١): (من البسيط)

تقدمتني أناس ما يكون لهم ... في الحق أن يلجوا الأبواب من دوني

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل

اللغة: الجزاء: معروف، والقرين: الصاحب، [الأجل] مدة الأجل، وغاية العمر.

الإعراب: هذا: اسم إشارة في موضع رفع بالابتداء، والإشارة إلى ما قدنه من تقدم غيره عليه، أقرانه درجوا: مبتدأ وخبر، من قبله: يحتمل من هذه أن تكون زائدة، وأن تكون ظرفية، فتمنى: الفاء للتعقيب، فسحة:

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/٩٥

مفعول به، والأجل: مضاف إليه.

المعنى: هذا الذي أنا فيه من **الغربة**، والفقر، والعطلة، والانفراد، وتقدم الأراذل جزاء رجل درجت أقرانه قبله، وإخوانه، وتمنى الحياة بعدهم: (من الكامل)

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب (٢)

حكي أن بعض الأرقاء كان عند سيد يأكل الخاص، ويطعمه الخشكار، فطلب البيع [فباعه] لرجل يأكل الخشكار، ويطعمه النخالة، [فطلب البيع] فباعه واشتراه من يأكل النخالة، ولا يطعمه شيئا، فطلب البيع، فباعه واشتراه من لا يأكل شيئا، وحلق رأسه، وكان في الليل يجلسه، ويضع السراج على رأسه بدلا من المنارة، فأقام عنده، ولم يطلب البيع، فقال له النخاس: لأي شيء رضيت بهذه الحالة عند المالك، فقال: [أخاف] أن يشتريني في هذه / المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضا عن السراج، ولله در القائل (٣): (من السريع) [٦٣ أ]

كنا إذا جئنا لمن قبلكم ... أنصف في الترحيب بعد القيام

والآن صرنا حين نأتيكم ... نقنع منكم بلطيف الكلام

لا غير الله بكم خشية ... من أن يجي من لا يرد السلام

وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

اللغة: علا: ارتفع، دوني: أي أنقص منه رتبة، والعجب: استغراب النفس الشيء، والأسوة: ما يتأسى به الحزين، انحطاط: النقص، والشمس: معروفة، وزحل: كذلك.

---

(١) البيت في الغيث المسجم ٢/ ٢١٠

(٢) للبيد، ديوانه، ص ٢٦.

(٣) لبدر الدين يوسف مهمندار العرب، كذا في الغيث المسجم ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، ولكنه قال مهندار، وهو خطأ، والتصويب من معاهد التنصيص، ص ١٩٢٥/ (م)، أعيان العصر، ص ٦٣٣٤/ (م)، فوات الوفيات، ٤/ ٣٤٩، الدرر الكامنة، ص ٣٥٣٢/ (م) النجوم الزاهرة، ص ٧٧٣٠ (م)

مهمندار العرب: يوسف بن سيف الدولة بن زماخ بالزاي والميم المشددة والخاء المعجمة بعد الألف الحمداني المهمندار؛ شيخ متجند، توفي بعد الثمانين والستمائة.." (١)

"الدين القفطي في تاريخ النحاة له إنه كتب إليه رسالة من الموصل شرحا لما تم على خراسان، ومنها (كان المملوك لما فارق مولاه أراد استعتاب الدهر الجامع واستدرارا حلب الزمان الجامح اغترارا بأن الحركة بركة **والاغتراب** داعية الاكتساب فامتطى غارب الأمل إلى الغرابة وركب ركوب التطواف مع كل صحبة، فلم يرث له دهره الخؤون ولا رق له زمانه المفتون).

إن الليالي والأيام لو سئلت ... عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

وهيهات مع حرفة الأدب بلوغ وطر أو إدراك أرب، ومع عبوس الحظ ابتسام

الدهر الكظ، ولم أزل مع الدهر في تفنيد وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالإياب، وهي طويلة. توفي ٦٢٦.

ابن معطي

يحيى بن عبد النور الشيخ زين الدين أبو الحسين الزواوي المغربي النحوي الحنفي، صنف في الأدب والنحو والعروض وحمل الناس عنه، وكان إماما مبرزا في علم اللسان شاعرا محسنا، وكان أحد الشهود بدمشق وليس له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته كما قال الحافظ الذهبي، فحضر مع العلماء عند الملك الكامل، وكان له طرف من النحو، فسألهم فقال (زيد ذهب به) هل يجوز في زيد النصب؟ فقالوا: لا فقال ابن معطي يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذي دل عليه ذهب وهو الذهاب، وعلى هذا فموضع الجار والمجرور الذي هو به النصب، فيجيء من باب مررت به، إذ يجوز في زيد النصب فكذلك هاهنا. فاستحسن السلطان جوابه وأمره بالسفر معه إلى مصر، فسافر وقرر له معلوما. قال الذهبي: فلم تطل مدة حياته فتوفي سنة ٦٢٨.

أبو حامد الاسفراييني

احمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني الشيخ أبو حامد بن أبي طاهر، شيخ طريقة العراق بل إمام المذهب

---

(١) شرح لامية العجم للدميري، الدميري ص/١٠٩

على الإطلاق، شيخ الإسلام والمسلمين قاطبة ورحلة الطلاب، طبق الشيخ أبو حامد الأرض بالأصحاب وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه،." (١)

"الشيخ زين الدين بن الوردي من تضمينه لأبيات:

يا قابلا كان ملتجأ وانفصل ... كان وما انفك الفتى ولم يزل

بدت لهم وجنتيه ضراما ... حتى تلوا يا حسرتي على ما

أبو بكر بن حجة قال:

وقد فرطت في نفيري ... وما شفي بقربه سقاما

أصبر عسى يشفى بما ريقه ... قلت لهم يا حسرتي على ما

وقال المعز المرحوم الأميني الحمصي صاحب الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة عند هوده من **الغربة** فكان صحبته المقراليفي نجا كافل المملكة الشامية وقد ضل غالب العسكر في بعض الليالي عن الماء واهتدى هو الطريق وصلته إليه:

ضلوا عن الماء إن سروا سحرا ... قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمني بالورد دونهم ... فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

الصاحب فخر الدين بن مكانس:

من شرطنا إن أسكرتنا الطلاصرفا تداوينا بشرب اللما

لعاف مزج الماء في كأسها ... لا وأخذ الله السكارى بما

وقلت متضمنا مكتفيا:

شكوت لمثلي ال‍سقاء ما بي من الجوى ... وقلت عسى يشفي فؤادي من الظما

فحتى لا أحظى بها وإلى متى ... أقضي زماني في عسى ولعل ما." (٢)

"ولبعضهم في الورد والزئبق

قد نشر زئبق أعلامه ... وقال كل الزهر في خدمتي

فأقبل الورد به هاربا ... وقال ما تحذر من سطوتي

---

(١) الفلاكة والمفلوكون، الدلجي، أحمد بن علي ص/٩٣

(٢) الشفاء في بديع الاكتفاء، النواجي، شمس الدين ص/٧٦

وقال للأزهار ماذا الذي ... يقوله الأشيب في حضرتي

فامتعظ الزئبق من قوله ... وقال للأزهار يا عصبتي

يكون هذا الجيش بي محدقا ... ويضحك الورد على شبيتي

ولبعضهم

إن تلقك الغربة في معشر ... قد أجمعوا على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولله در من قال

تطلبت من يوفي العهود فلم أجد ... وما أحد غيري لذلك واجد

فكم مضمر بغضا يريك محبة ... وفي الزند نار وهو في اللمس بارد

وما أحسن قول القائل

قاسيت في هذه الدنيا شدائدها ... ما مر مثل الهوى على راسي

عذاب هاروت في الدنيا وصاحبه ... ألذ من حب بعض الناس للناس

الحب كأس من الروعات مترعة ... وكل من كان ذا طرف به حاسي

ولله در القائل

دع السحر من تيم الحب قلبه ... فما السحر إلا في نقوش الدراهم

إذا ما دعوت الطير لباك مسرعا ... بدرهمك المنقوش لا بالعزائم

ولآخر

فصاحة حسان وخط ابن مقلة ... وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم

إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ... ونودي عليه لا يباع بدرهم

وما أحسن قول القائل

لا تعجبنك أثواب على رجل ... دع عنك ملبسه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تفح منه روائحه ... لم يحصل الفرق بين العود والحطب

ولله در من قال." (١)

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٢٥

"عليك ثوب الوقار، الزمان لا يبقى على حال والدنيا طبعها الغدر والملال تفتن بزهرتها الداوية وتخدع بزينتها المتلاشية، لا تفن عمرك في المعاصي وخذ حذرك من مالك النواصي، إياك وكثرة الكلام فإنه ينفر عنك الكرام، لا تودع سرك غير صدرك ولا تتكلم بما يحوجك إلى إقامة عذرك، من بسط يده بالجود خرج من العدم إلى الوجود، لا تعج عن سبيل الصواب ولذ بجناب رب الأرباب واسع إلى باب من بيده الملك وهو على كل شيء قدير، واخش من يعلم السر واخفى – إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير –.

ومن أمثال العرب:

إياك أعني فاسمعي يا جارة ... إن البلاء موكل بالمنطق

إن الجواد قد يكبو والزناد قد يخبو، عن لم يكن وفاق ففراق، إياك أن يضرب لسانك عنقك، أجع كلبك ينفعك، رب أخ لك لم تلده أمك، رب طمع أدى إلى عطب، ربما كان السكوت جوابا، طاعة النساء ندامة، عند الصباح يحمد القوم السرى، الحر تكفيه ال إشارة، عند الرهان تعرف السوابق، عند النازلة تعرف أخاك، كاد العتاب يوجب البغضاء، الكلام أنثى والجواب ذكر، كل إناء ينضح بما فيه، لكل صارم نبوة ولكل فارس كبوة، لكل قادم دهشة، لكل ساقطة لاقطة، لكل مقام مقال، لكل دهر رجال، لا يلدغ المرء من جحر مرتين، ما حك جسمك مثل ظفرك، النفس مولعة بحب العاجل، هذه بتلك والبادي أظلم، يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة، لا عطر بعد عروس.

ومن الأمثال السائرة من كلام العامة

العادة طبع خامس، الغائب حجته معه، الحر حر وإن مسه الضر، والعبد عبد وإن مشى على الدر، تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب، ثمرة العجلة الندامة، جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة، سلطان غشوم خير من قتنة تدوم، غش القلوب يظهر فلتات الألسن، غنى المرء في الغربة وطن، فر من الموت وفي الموت وقع، فم يسبح وقلب يذبح، لو كان في البوم خير ما فات الصياد، لكل جديد لذة، إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله، إذا غاب عنك اصله كانت دلائله فعله، إذا وصلنا وسلم الله نبع بما قسم الله، إذا وقعت يا فصيح لا تصيح، تراب العمل ولا زعفران البطالة، جور الترك ولا عدل العرب، جور القط ولا عدل الفار،

حط فليساتك في كمك واشتر أباك وأمك، عند الخبز آكل مائة وعند الشغل ما لي نية، دار الظالم خراب ولو." (١)

"استبان ما تخفيه مني. فأما إذ قد أظهرت ذلك، وأفصحت به وبالكلام فيه، فإني مخبرك عن نفسك، ومظهر لك سريرتك، ومعلمك بحالك التي قدمت لها؛ فإنك قدمت بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة، فتذهب بها إلى بلادك، وتسربها ملكك. وكان قدومك بالمكر والخديعة. ولكني لما رأيت صبرك، ومواظبتك على طلب حاجتك، والتحفظ من أن يسقط منك الكلام، مع طول مكثك عندنا، بشيء يستدل به على سريرتك وأمورك، ازددت رغبة في إخائك، وثقة بعقلك، فأحببت مودتك. فإني لم أر في الرجال رجلا هو أرصن منك عقلا، ولا أحسن أدبا، ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك؛ ولا سيما في بلاد **الغربة**، ومملكة غير مملكتك، عند قوم لا تعرف سنتهم. وإن عقل الرجل ليبين في ثماني خصال: الأولى الرفق، والثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها، والثالثة طاعة الملوك، والتحري لما يرضيهم. والرابعة معرفة." (٢)

"الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم أيريد صلحنا أم يريد حربنا أم يريد الفدية؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في مال، لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه كل سنة، ندفع به عن أنفسنا ونطمئن في أوطاننا: فغن من أراء الملوك إذا أشتدت شوكة عدوهم، فخافوه على أنفسهم وبلادهم، أن يجعلوا الأموال جنة البلاد والملك والرعية. قال الملك للرابع: فما رأيك في هذا الصلح؟ قال لا أراه رأيا بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على **الغربة** وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا إلا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب عدوك بعض المقاربة: لتنال حاجتك.
ولا تقاربه كل المقاربة: فيتجرىء عليك ويضعف جندك وتذل نفسك. ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس: إذا." (٣)

"استشيروا، وأقلوا الخلاف على أمرائكم، وإياكم وكثرة الصياح في الحرب، فإن كثرة الصياح من الفشل، وكونوا جميعا فإن الجميع غالب، والمرء يجز لا محالة، تثبتوا ولا تسارعوا، فإن أحزم الفريقين أركنهما، ورب عجلة تهب ريثا، وتنمروا للحرب، وارعوا الليل، واتخذوه جملا، فإن الليل أخفى للويل، ولا جماعة لمن

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٧٤
(٢) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٤٧
(٣) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/٢٠٣

اختلف.

قال: وغزا أكثم، فأسر الأقياس ونهيكا، وأخذ أهليهم وأموالهم، فقال لبني أخيه، وهم ثلاثة، الكلب، والذئب، والسبع بنو بني عامر، وعامر أخو أكثم؛ وكان أكبرهم الكلب وكان شرهم، فدفع الأقياس ونهيكا وأهليهم إلى الكلب. ووضع الأموال على يدي الذئب، وقال: إذا أطلقتهم فادفع إليهم أموالهم وردوها عليهم.

فانطلق الكلب إلى الذئب فأخبره أنه قد أطلقهم، فأكل منا، فبلغ أكثم، فقال: نعم كلب في بؤس أهله، ومن استرعى الذئب ظلم، لا ترجعن عن خير هممت به، إنك لن تخبأ للهر إلا سالكه.

قال، وقال أبو زيد: ما تخبأ للدهر يسلكه وربما أعلم فأدع.

تشج بيد وتأسو بأخرى، ودك من أعتبك، وحسبتك من شر سماعه، لا تكلف الهول فإن العاشية تهيج الآبية ولا فقر منا يهدي غمام أرضنا، ليس الحلم عن قدم، وكن كالسمن لا يخم.

قال الكلب: وما أنا برادها حتى يمدحوني.

فقال قيس بن نوفل:

أنت السدى وابن الندى إن رددتها ... وجدك صيفى وخالك أكثم

فقال: كفى بهذا عارا ينسب الرجل إلى أمه، فرجع إلى فخده قالوا: وجمع أكثم قومه، وسار حتى انتهى إليهم، فقال: يا حامل، اذكر حلا.

فقال أبو حاتم: ألمثلك يا عاقد أذكر حلا؟ حسبك ما بلغك المحلا، رب أكلة تمنع أكلات، وربما ضام قبل أن يسام، وإنما اتخذت الغم من حذر العارية، ولو لذا عويت لم أعو.

قال: فحلف عليه السبع، ليردنها، وليطلقنها، ثم لا يقيم ببلد عليه فيها.

فشخصا، وأتى الذئب أ، يتبعهما.

وقال أكثم: يا بني، لا حكمة، ولا تكونوا كالكلب، أحب أهله إليه الظاعن، أرى الكيس نصف العيش، ولا تعنفوا طلبا لرزقة، ولا دواء لمن لا حياء له، وفي كل صباح صبوح، واذلل للحق تعزز، ولا تجر فيما لا تدري، وفي الاختبار، وكل ما يذل يحمد، وإنما يمسك من استمسك، وكاد ذو **الغربة** يكون في كربة، والمنية تأتي على البقية، واستر سوءة لما تعرف فيك، والذئب مغبوط بذي بطنه.

قالوا: وكتبت جهينة ومزينة وأسلم وخزاعة إلى أكثم، أن أحدث إلينا أمرا نأخذ به، فكتب إليهم: لا تفرقوا في القبائل فإن الغريب بكل مكان مظلوم، عاقدوا الثروة، وإياكم والوشائظ " قال أبو حاتم، وهم الحشو من

الناس " فإن الذلة مع القلة، جازوا أخلاقكم بالبذل والنجدة، إن العارية لو سئلت، أين تذهبين؟ لقالت، أبغي أهلي ذما، مت يتبع كل عورة يجدها، والرسول مبلغ غير ملوم، من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء، ولو بغيره غص أجارته غصته، أشراف القوم كالمخ من الدابة فإنما تنوء الدابة بمخها، وأشد القوم مئونة أشرافهم، وهم كحاقن الإهالة، من أساء سمعا أساء إجابه، والدال على الخير كفاعله، والجزاء بالجزاء والبادئ أظلم، والشر يبدوه صغاه، وأهون السقي التشريع.

قالوا: والشر يبدوه صغاره، وأهون السقي التشريع.

قالوا: تنافر القعقاع، وخالد بن مالك بن سلم النهشلي إلى أكثم بن صيفى، أيهما أقرب إلى المجد والسؤدد، فقال: سفيهان يريدان الشر، ارجعا فإن أبيتم فإني لست مفضلا أحدا من قومي على أحد، كلهم إلى الشرع سواء.

وخلا بكل واحد منهما يسأله الرجوع عما جاء له.

فلما أبيا بعث معهما رجلا إلى ربيعة بن حذار الأسدي، وحبس عنده إبلهما، وكان تنافرا مائة لمائة، فقال: انطلقا مع رسولي هذا، فإنه قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضا عالمها، الرفق حسن الأناة ومواتاة الأولياء، واللوم منع السداد وذم الجواد، والدقة منع السير، وطلب الحقير، والخرق طلب القليل وإضاعة الكثير، صادق صديقك هونا ما عسى أن يكون عدوك يوما ما، وعاد عدوك هونا ما عسى أن يكون صديقك يوما.

قال: فنفر ربيعة القعقاع على خالد، وقال: ما جعل العبد كربه.

فرجع خالد مغضبا، فإذا هو براع لبني أسد، فسأله، فأخبره الخبر، فقال الراعي: الحق بأكثم فإن أخذت الإبل وإلا فقد هلكت.." (١)

"أكلت شبابي فأفنيته ... وأمضيت بعد دهور دهورا

ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا

قليل الطعام، عسير القيا ... م، قد ترك الدهر قيدي قصيرا

أبيت أراعي نجوم السما ... ء، أقلب أمري، بطونا ظهورا

قالوا: وأوصي عمرو بن الغوث بن طيء ولده، وهم: ثعل، ونبهان، وبنوهم؛ وكان عمرو قد عاش حتى كبر

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٥

ولده، فقال: " يا بني، إنكم قد حللتم محلا تخرجون منه ولا يدخل عليكم فيه، فارعوا مرعى الضب الأعور، يرى جحره، ويعرف قدره، ولا تكونوا كالجراد، يأكل ما وجد ويأكله ما وجده؛ وإياكم والبغي، فإن الله إذا أراد هلاك النملة جعل لها جناحين؛ يا بني، لا تستحيوا من منع من لا يستحي من المسألة، وكلوا من الكعام وأطعموه، ولا يستحي أحدكم أن يفعل شيئا ينتفع به إذا لم يعرف، فإنه إنما يستحي حينئذ لغيره، وابدءوا الناس بالشر فإنه أشكر لخيركم وإن كان قليلا، ولا تمنعكم الكثرة أن تربعوا على أقداركم. والله يحوطكم ".

قالوا: وأوصي قيس بن معد يكرب ولده، فقال: " باسمك اللهم، احفظوا أدبي يكفكم، واتبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعل أمركم، إني أكلكم إلى أدبي، وإن المعني بكم لغائب " يعني نفسه "، الزموا ما يجمل، واقنوا حياءكم، وأطيعوا ذوي رأيكم، وأجلوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنية، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقي لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محلتكم واحدة، واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس، وعفوا عن الدناءة وأكرموا أهل الكفاءة، ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحل عطبكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابا، ولا تدبروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره، ولا تقيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، والزموا الأناة يفز قدحكم، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم، ولا تأخذوا ختلا، وخذوا صراحا، فهناك عز القرار، ومنعة الجار، واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم، ولا تعرضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر فإنه أحلني دار الغربة، واعتبروا ".

قالوا: وجمع أود بن صعب بن سعد بنيه، فقال: " يا بني، أخيفوا الناس ولا تخافوهم، واستخبروهم، ولا تخبروهم، وبئس موضع السر المرأة، وكونوا من الموتورين على حذر، وإذا دفعتم عن حقكم فاطلبوا أكثر منه، وإذا بخع لكم فاقتصروا عليه ".

قالوا: وأوصى عبقر بن أنمار البجلي فقال: " يا بني، إذا غدوتم فبكروا، وإذا رحتم فهجروا، وإذا أكلتم فأوتروا، وإذا شربتم فأنبروا، وأبيحوا ما يؤكل فإن منعه ألأم اللؤم ".

" قال أبو حاتم: النبز الهمز، وإنما شبهه بالصوت الذي تسمعه من الحلق إذا جرى الماء فيه ".

قالوا: وجمع صعب بن سعد بنيه عند موته، فقال: " يا بني، أوسعوا الحبا، وحلوا الربا، وكونوا أسى تكونوا حمى ".

" قال أبو حاتم، يقول، إذا احتبى أحدكم فليوسع الحبوة ولا ينقبض، أراد لتعظم همة أحدكم ولا تصغر؛

وقوله، وحلوا الربا، يعني، انزلوا المرتفعات من الأرض لترى نيرانكم فتقصدكم الأضياف، وقوله، وكونوا أسى، أي لتكن كلمتكم واحدة، وهو من الأسوة، أي لا تختلفوا، فيطمع فيكم أعداؤكم، ولكن، كونوا أسوة، بعضكم بعضا، تكونوا حمى، أي حرزا، لا يطمع فيكم ".

قالوا: وأوصى مالك بن عمرو الكلبي فقال: " يا بني، عليكم بتقوى الله، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، ورعاية الحق، والوفاء بالعهد، وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم، فإنه لا يسلم على الضغائن الكبير، ولا يصلح عليها الصغير، وصونوا أنفسكم بالدعة وبذل المعروف، وكفوها عن سوء الرعة في الأمور، وإن أقبح ذلك ما كان في المطمع؛ واهجروا البغي فإنه مثبور، وتجنبوا العجب فإنه ممقتة، ولا تقصروا عن طاعة أمرائكم، ولا توجهوا الأمور دونهم، فإنهم إن يشاركوكم فيها يكمل رأيكم، والتمسوا المحامد في مظانها، ولا يمنعكم من طلب المعاش اليأس، فإن أبوابه أكثر من أن يبلغها الظان، استكثروا من الإبل يكثر تبعكم، ولا تضيعوا رباطكم فيهدم حصنكم، وإذا لقيتم العدو فاصبروا، فإن في الصبر النجاة والدرك للتراث، وألزموا النساء البيوت، وخافوهن على أسراركم، واجتمعوا ولا تفرقوا، واحذروا الغدر فإنه نقمة، وليحيكم ربكم ".." (١)

"الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا؛ إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه. ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وبناطق أخرس، وببارد حار. وفي البارد الحار يقول الحسن بن هانئ: [من المنسرح]

قل لزهير إذا انتحى وشدا ... أقلل أو أكثر فأنت مهذار «١»

سخنت من شدة البرودة ح ... تى صرت عندي كأنك النار

لا يعجب السامعون من صفتي ... كذلك الثلج بارد حار

ومن لك بطبيب أعرابي، ومن لك برومي هندي، وبفارسي يوناني، وبقديم مولد، وبميت ممتع، ومن لك بشيء يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والخفي والظاهر، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغث وال سمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده.

وبعد: فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن «٢» ، وروضة تقل في حجر، وناطقا ينطق عن الموتى، ويترجم

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٣٩

عن الأحياء!! ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى؛ آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما استحفظ من الآدميين، ومن الأعراب المعربين، بل من الصبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن العميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص، حين العناية تامة لم تنقص، والأذهان فارغة لم تنقسم، والإرادة وافرة لم تتشعب، والطينة لينة، فهي أقبل ما تكون للطبائع، والقضيب رطب، فهو أقرب ما يكون من العلوق، حين هذه الخصال لم يخلق جديدها، ولم يوهن غربها، ولم تتفرق قواها، وكانت كما قال الشاعر: [من الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا «٣»." (١)

"بالضعف واللؤم والآخر: [كل غراب يتشاءم به. و] «١» إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة، وقع في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقمم، فيتشاءمون به ويتطيرون منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين. ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزجر والطيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين- حتى قالوا: «أصفى من عين الغراب» «٢» . كما قالوا: «أصفى من عين الديك» «٣» - فسموه الأعور كناية، كما كنوا طيرة عن الأعمى فكنوه أبا بصير. وبها اكتنى الأعشى بعد أن عمي. ولذلك سموا الملدوغ والمنهوش سليما، وقالوا للمهالك من الفيافي:

المفاوز. وهذا كثير.

والغدقان «٤» جنس من الغربان، وهي لئام جدا.

٤٨٩-[التشاؤم بالغراب]

ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه **الغربة**، **والاغتراب**، والغريب.

وليس في الأرض بارح ولا نطيح «٥» ، ولا قعيد، ولا أعضب «٦» ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه، يرون أنه صياحه أكثر أخبارا، وأن الزجر فيه أعم. وقال عنترة: [من الكامل]

حرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان، بالأخبار هش مولع «٧»

٤٩٠-[التعاير بأكل لحم الغراب]

وهو عندهم عار، وهم يتعايرون بأكل لحمه. ولو كان ذلك منهم لأنه يأكل." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢/١

(٢) الحيوان الجاحظ ٤١٨/٢

"الإجابة والإبطاء. فلا تبعدن غاية الضعيف والذهول والقليل الصبر على العطش، ولا تزجلن ما كان منشؤه في بلا الحر في بلاد البرد، ولا ما كان منشؤه في بلاد البرد في بلاد الحر؛ إلا ما كان بعد الاعتياد. ولا يصبر على طول الطيران في غير هوائه وأجوائه طائر إلا بطول الإقامة في ذلك المكان، ولا تستوي حاله وحال من لا يعدو هواءه والهواء الذي يقرب من طباع هوائه.

٧٣٨-[تعليم الحمام ورود الماء]

قال: ولا بد أن يعلم الورود، فإذا أردت به ذلك فأورده العيون والغدران والأنهار، ثم حل بينه وبين النظر إلى الماء، حتى تكف بصره بأصابعك عن جهة الماء واتساع المورد، إلا بقدر ما كان يشرب فيه من المساقي، ثم أوسع له إذا عب قليلا بقدر ما لا يروعه ذلك المنظر وليكن معطشا؛ فإنه أجدر أن يشرب. تفعل به ذلك مرارا، ثم تفسح له المنظر أولا أولا، حتى لا ينكر ما هو فيه. فلا تزال به حتى يعتاد الشرب بغير سترة.

٩٣٧-[استئناس الحمام واستيحاشه]

قال: واعلم أن الحمام الأهلي الذي عايش الناس، وشرب من المساقي ولقط في البيوت يختل بالوحدة، ويستوحش **بالغربة**.

قال: واعلم أن الوحشي يستأنس، والأهلي يستوحش.

قال: واعلم أنه ينسى التأديب إذا أهمل، كما يتأدب بعد الإهمال.

٧٤٠-[ترتيب الزجل]

وإذا زجلت فلا تخطرف به من نصف الغاية إلى الغاية، ولكن رتب ذلك؛ فإنه ربما اعتاد المجيء من ذلك البعد، فمتى أرسلته من أقرب منه تحير، وأراد أن يبتدئ أمره ابتداء. وهم اليوم لا يفعلون ذلك؛ لأنه إذا بلغ الرقة أو فوق ذلك شيئا فقد صار عقدة، وصار له ثمن وغلة. فهو لا يرى أن يخاطر بشيء له قدر. ولكنه إن جاء من هيت [١] أدرب [٢] به؛ لأنه إن ذهب لم يذهب شيء له ثمن، ولا طائر له رياسة؛ وليس له اسم ولا ذكر؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير، وإن جاء من الغاية فقد حوى به ملكا. على هذا هم اليوم.

---

[١] هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار معجم البلدان ٥/٤٢١.

[٢] الدرب: كل مدخل إلى الروم أو النافذ منه، ودرب: عود المشي في الدروب «القاموس: درب» .." (١)

"فإذا الأشائم كالأيا ... من والأيامن كالأشائم

وكذاك لا خير ولا ... شر على أحد بدائم

وأنشد لخثيم بن عدي [١] : [من الطويل]

وليس بهياب إذا شد رحله ... يقول عداني اليوم واق وحاتم

ولكنه يمضي على ذاك مقدما ... إذا صد عن تلك الهنات الخثارم

والخثارم: هو المتطير من الرجال. وأما قوله: «واق وحاتم» فحاتم هو الغراب، والواقي هو الصرد، كأنه يرى أن الزجر بالغراب إذا اشتق من اسمه **الغربة**، **والاغتراب**، والغريب، فإن ذلك حتم. ويشتق من الصرد التصريد، والصرد وهو البرد. ويدلك على ذلك قوله [٢] : [من الطويل]

دعا صرد يوما على غصن شوحط ... وصاح بذات البين منها غرابها [٣]

فقلت: أتصريد وشحط وغربة ... فهذا لعمري نأيها واغترابها

فاشتق التصريد من الصرد، **والغربة** من الغراب، والشحط من الشوحط.

ويقال أغرب الرجل: إذا اشتد مرضه، فهو مغرب.

قال: والعنقاء المغرب، العقاب، لأنها تجيء من مكان بعيد.

٨٥٧-[أصل التطير في اللغة]

قال: وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير، إذا مر بارحا [٤] أو سانحا [٥] ، أو رآه يتفلى وينتتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم، أو الأعضب أو الأبتر، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال. فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء.

---

[١] البيتان للرقاص الكلبي أو لخثيم بن عدي في اللسان والتاج (حتم، خثرم، وقي) ، ولخثيم بن عدي في التهذيب ٦٩٠/٧، وبلا نسبة في المخصص ١٥٢/٨، ٢٥/١٣، والعين ٢٣٩/٥.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٥/٣

[٢] البيتان بلا نسبة في زهر الآداب ٥٢٤.

[٣] الشوحط: شجر تتخذ منه القسي. «القاموس: شحط» .

[٤] البارح: من الصيد؛ ما مر من ميامنك إلى مياسرك. «القاموس: برح» .

[٥] السانح: ضد البارح، ومنه «من لي بالسانح بعد البارح» أي بالمبارك بعد الشؤم. «القاموس: سنح» .." (١)

"فكان البان أن بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غير دان

فاشتق كما ترى **الاغتراب** من الغرب، والبينونة من البان.

وقال جران العود [١] : [من الطويل]

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها ... عقاب وشحاج من البين يبرح

فأما العقاب فهي منها عقوبة ... وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد في العقاب إلا العقوبة. وجعل الشحاج هو الغراب البارح وصاحب البين، واشتق منه الغريب المطوح.

ورأى السمهري غرابا على بانة ينتف ريشه، فلم يجد في البان إلا البينونة، ووجد في الغراب جميع معاني المكروه، فقال [٢] : [من الطويل]

رأيت غرابا واقعا فوق بانة ... ينتف أعلى ريشه ويطايره

فقلت، ولو أني أشاء زجرته ... بنفسي، للنهدي: هل أنت زاجره

فقال: غراب باغتراب من النوى ... وبالبان بين من حبيب تعاشره

فذكر الغراب بأكثر مما ذكر به غيره، ثم ذكر بعد شأن الريش وتطايره. وقال الأعشى [٣] : [من الرمل]

ما تعيف اليوم في الطير الروح ... من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير، إذ تقدم ذكر الطير، وجعله من الطير في معنى التطير.

وقال النابغة [٤] : [من الكامل]

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ... وبذاك خبرنا الغراب الأسود

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٠٨/٣

[١] ديوان جران العود ٣، والشعر والشعراء ٤٥١.
[٢] الأبيات للسمهري في الأغاني ٢٣٩/٢١، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢١١/١، وأشعار اللصوص ٣٩/١، ولكثير في عيون الأخبار ١٤٨/١، وزهر الآداب ٥٢٥، والبيت الأول بلا نسبة في اللسان والتاج (نشش)، والمخصص ١٣١/٨.
[٣] ديوان الأعشى ٢٨٧، واللسان والتاج (روح، عيف)، وأساس البلاغة (عيف)، والعين ٢٩٢/٣، والجمهرة ٩٣٩، ١٠٨٠، والمقاييس ٤٥٥/٢، ١٩٧/٤، والمجمل ٤٣٢/٢، والمخصص ٥٧/٩، والتهذيب ٢٣١/٣، ٢٢٢/٥، والتنبيه والإيضاح ٢٤٣/٢.
[٤] ديوان النابغة الذبياني ٨٩، والخصائص ٢٤٠/١، والأغاني ٨/١١، وبلا نسبة في اللسان (وجه) .." (١)

"وتعليم وتثقيف، وأنه بلغ من حذقه ورفقه أنه ضرى ذئبا وعلمه، حتى اصطاد له الظباء والثعالب وغير ذلك من الوحوش، وأن هذا الذئب بعينه سرحه فرجع إليه من ثلاثين فرسخا، وذكر أن هذا الذئب اليوم بالعسكر، وحدثني بهذا الحديث في الأيام التي قام بها أمير المؤمنين المتوكل على الله، وذكر أنه ضرى أسدا حتى ألف وصار أهليا صيودا، حتى اصطاد الحمير والبقر وعظام الوحش صيدا ذريعا، إلا أن الأسد بعد هذا كله وثب على ولد له فأكله، فقتله السوداني.
والذي عندنا في الذئب أنه يألف. ولو أخذ إنسان جروا صغيرا من جرائه ثم رباه، لما نزع إلا وحشيا غدورا مفسدا. ولذلك قال الأعرابي «١» : [من الوافر]
أكلت شويهتي ونشأت فينا ... فمن أنباك أن أباك ذيب
فالذي حكى عبويه من شأن هذا الذئب والأسد من غريب الغريب.
٢٢٢٦-[مصارعة كلبة لثعلب]
وأخبرني عبويه صاحب ياسر الخادم قال: أرسلت كلبة لي فحاصرت ثعلبا، فو الله إن زالا كذلك حتى خرا ميتين، قال: فقلت: أكرم بهما صيدا ومصيدا، وطالبا ومطلوبا.
٢٢٢٧-[من خصائص الكبار والفلاسفة]
قال: وإذا أسن القرشي رحل إلى الحجاز.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢١٠/٣

وقال: ما احتنك رجل قط إلا أحب الخلوة، وقالوا: ما فكر فيلسوف قط إلا رأى **الغربة** أجمع لهمه وأجود لخواطره.

٢٢٢٨-[قول بكر المزني في الأرضة]

قال «٢» : وشتم رجل الأرضة فقال بكر بن عبد الله المزني: «مه، فهي التي أكلت جميع الصحيفة التي تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا ذكر رسول الله، وبها تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، وبها تكشف أمرها عند العوام بعد الفتنة العظيمة عندهم، وكان على الخاصة من ذلك أعظم المحن» .." (١)

"شبهه بالناس ٣/٨٣، ١٠٣

جماله ٥/٨٤

لإناثه جمال ٥/٢٥١

طوقه ٢/٤٢١؛ ٣/٩٧، ٩٩

فراخه ٢/٤٢٨

تشابه الذكر والأنثى ٢/٣٧٦

كثرة ما يعتريه من الأوضاح والشيات ٣/١١٩

الشيات والأوضاح ضعف ٣/١٢٢

إذا بلغ لم يقبل السمن ٢/٣٤١

فراخه أسمن شيء ٢/٣٤١

عجز فراخه ٢/٣٩٦

لا يأكل إلا الحب والنبات ٧/٨٥

جمال حسوه ٣/٧٦

استخدام جناحه في الدفاع ٥/١٢٢

إحكامه صنعة عشه ٣/٩٤

تدبيره لمواضع بيضه ٣/٩٤

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١٤٩

معرفته لقيمه ١٧/١

لا يتخذ رئيسا ٥/٢٢٦

لؤمه وقسوته ٣/١٢٤، ١٢٥

حاجته إلى الشمس والماء ٢/٤٢٩." (١)

"وأهدى بعض الكتاب إلى صديق له دفترا وكتب معه: «هديتي هذه، أعزك الله، تزكو على الإنفاق، وتربو على الكد، لا تفسدها العواري، ولا تخلقها كثرة التقليب، وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة، مسامر مساعد، ومحدث مطواع، ونديم صدق.

وقال بعض الحكماء: «الكتب بساتين العلماء» وقال آخر: «ذهبت المكارم إلا من الكتب» .

قال الجاحظ: وأنا أحفظ وأقول: «الكتاب نعم الذخر والعقدة، والجليس والعمدة، ونعم النشرة ونعم النزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد **الغربة**، ونعم القرين والدخيل والزميل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب وعاء مليء علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا، إن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت سرتك نوادره، وشجتك مواعظه، ومن لك بواعظ مله، وبناسك فاتك، وناطق أخرس؛ ومن لك بطبيب أعرابي، ورومي هندي، وفارسي يوناني، ونديم مولد، ونجيب ممتع؛ ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب، والرفيع والوضيع، والغص والسمين، والشكل وخلافه، والجنس وضده؛ وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة؛ ولا أعلم جارا آمن، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية، ولا أقل املالا ولا إبراما، ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف في قتال من كتاب، ولا أعم بيانا، ولا أحسن مؤاتاة، ولا اعجل مكافأة، ولا شجرة أطول عمرا، ولا أطيب ثمرا، ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكا، ولا أوجد في كل إبان من كتاب. ولا أأعلم نتاجا في حداثة سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه وإمكان وجوده، يجمع من السير العجيبة، والعلوم." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١٧٧

(٢) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٢١

"فيضرك» . وقيل: «أمران لا ينفكان من كذب: كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار» . وقيل: «كفاك موبخا على الكذب، علمك بأنك كاذب» .

وقال رجل لأبي حنيفة: «ما كذبت قط» ، قال: «أما هذه فواحدة» .

وفي المثل: «هو أكذب من أخيذ السند» ، وذلك أنه يؤخذ الخسيس منهم، فيزعهم أنه ابن الملك. وكذلك يقال: «أكذب من سياح خراسان» ، لأنهم يجتازون في كل بلد، ويكذبون للسؤال والمنسألة.

ويقال: «هو أكذب من الشيخ الغريب» ، وذلك أنه يتزوج في **الغربة**، وهو ابن سبعين سنة، فيزعم أنه ابن أربعين، ويقال: «هو أكذب من مسيلمة» وبه يضرب المثل. ومما قيل في ذلك من الشعر:

حس الكذوب من البلية ... بعض ما يحكى عليه

ما إن سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

وقال آخر:

لقد أخلفتني وحلفت حتى ... إخالك قد كذبت وإن صدقتا

ألا لا تحلفن على كلام ... فأكذب ما تكون إذا حلفتا

وقال آخر:

قد كنت أنجز دهرا ما وعدت إلى ... أن أتلف الوعد ما جمعت من نشب

فإن أك صرت في وعدي أخا كذب ... فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

قال الأصمعي: قال الخليل بن سهل: «يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت، في غلظ الراقود» «١» ، فقلت: «ههنا إعرابي له معرفة، فاذهب بنا إليه فحدثه بهذا» . فذهبت به إلى الأعرابي فحدثه، فقال الأعرابي: «قد سمعت بذلك، وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية، فوجداه نائما، ورأسه في حجر أمه، فقالت لهما: ما شأنكما، فقال: «بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه»." (١)

"وقيل لإعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٦١

وقال بعض الحكما: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك. وقيل لإعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان، وقيل: فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان. وقال بعض الأدباء: **الغربة** ذلة والذلة قلة، وقال الآخر: لا تنهض عن وطنك ووكرك فتنقصك **الغربة** وتصمتك الوحدة. وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه. وكان يقال:

الغريب عن وطنه ومحل رضاعه الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر. وكان يقال: الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشر عن موضعه الذي هو لكل رام رمية، وأحسن من ذلك وأصدق قول الله عز وجل:

«ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء» . وقال تعالى: «ولو أنما كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم» فقرن جل ذكره للجلاء عن الوطن بالقتل، وقال تقدست أسماؤه: «وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا» ، فجعل القتال بازاء الجلاء، قال صلى الله عليه وسلم:

«الخروج عن الوطن عقوبة» ومما قيل في ذلك من الشعر:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبة للهماهم

حنينا إلى أرض بها اخضر شاربي ... وحلت بها عني عقود التمائم

والطف قوم بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وما نظري من نحو نجد بنافعي ... أجل لا ولكني على ذاك أنظر

ففي كل يوم قطرة ثم عبرة ... لعيشك يجري ماؤها يتحدر." (١)

"وضده، قال بعض حكماء الفلاسفة: اطلبوا الرزق في البعد فإنكم إن لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيرا، وقال آخر: لا يألف الوطن إلا ضيق العطن. وقيل: لا توحشنك **الغربة** إذا آنستك النعمة. وقيل: الفقير في الأهل مصروم والغني في **الغربة** موصول. وقال: لا تستوحش من **الغربة** إذا أنست مصورما. وقيل:

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/١١٨

أوحش قومك ما كان في إيحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك. وأنشد:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال آخر:

نبت بك الدار فسر آمنا ... فللفتى حيث انتهى دار

وفي معناه (الدعاء إلى المسافر) بالبارح الأشأم والسائح الأعضب والصرد الأنكد والسفر الأبعد. لا استمرت به مطيته ولا استتبت به أنيته ولا تراخت منيته. بنحس مستمر وعيش مر. لا قرى إذا استضاف ولا أمن إذا خاف. ويقال إن عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال: ﻻا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار إلا ريثا ولا رافق إلا ليثا أبعده الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله، لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما، فلا فرج الله غمه ولا سرى همه، لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا أروى زنده، جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق وأنشد:

بأنكد طائر وبشر فال ... لأبعد غاية وأخس حال

بحد السد حيث يكون مني ... كما بين الجنوب إلى الشمال

غريبا تمتطي قدميك دهرا ... على خوف تحن إلى العيال

وقال آخر:

إذا استقلت بك الركاب ... فحيث لا درت السحاب." (١)

"ومن المنازل والديارات، من غير أن يكونوا خدعوا أو استكرهوا.

ولو اجتمعوا على اختيار ما هو أرفع، ورفض ما هو أوضع من اسم أو كنية، وفي تجارة وصناعة، ومن شهوة وهمة، لذهبت المعاملات، وبطل التمييز، ولوقع التجاذب والتغالب، ثم التحارب، ولصاروا غرضا للتفاني، وأكلة للبوار.

فالحمد لله أكثر الحمد وأطيبه على نعمه، ما ظهر منها وما بطن، وما جهل منها وما علم! ذكر الله تعالى الديار فخبر عن موقعها من قلوب عباده، فقال: ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم.

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/١٢٢

فسوى بين موقع قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم. وقال: وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

. فسوى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك أبنائهم.

فصل منه:- فقسم الله تعالى المصالح بين المقام والظعن، وبين **الغربة** وإلف الوطن، وبين ما هو أربح وأرفع، حين جعل مجاري الأرزاق مع الحركة والطلب. وأكثر ذلك ما كان مع طول **الاغتراب**، والبعد في المسافة، ليفيدك الأمور، فيمكن الاختبار ويحسن الاختيار.

والعقل المولود متناهي الحدود، وعقل التجارب لا يوقف منه على حد.

ألا ترى أن الله لم يجعل إلف الوطن عليهم مفترضا، وقيدا مصمتا، ولم يجعل كفاياتهم مقصورة عليهم، محتسبة لهم في أوطانهم؟ ألا تراه يقول: فاقرؤا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله

. فقسم الحاجات فجعل أكثرها في البعد. وقال عز ذكره: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله

فأخرج الكلام والإطلاق على مخرج العموم، فلم يخص أرضا دون أرض، ولا قربا دون بعد.." (١)

"تقديم الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب «البرصان والعرجان» لشيخنا أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وكان من المأمول في الطبعة الأولى أن أراقب طبعها وإخراجها وصنع فهارسها. ولكن شاء القدر ألا أراها إلا بعد أن ظهرت لى من وراء الغيب مطبوعة مفهرسة بيد غيرى في سلسلة منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية. وهو أمر لم أصنعه ولم أعهده من قبل في جميع ما ظهر من كتبي المؤلفة أو المحققة. وقد ترتب على هذه **الغربة** التى طوح فيها الكتاب أن تكثر أخطاء الطبع ويسوء الإخراج، ويشيع الخطأ والنقص كذلك في الفهارس التى أعدها من صميم الأمانة في التحقيق.

ومع إيماني بأن الذين قاموا بإخراج الطبعة الأولى قد بذلوا كثيرا من الجهد في تصحيح تجارب الطبع وأنا لم آذن لهم به، إنى أرانى قد طويت النفس على أسى عميق وأسف بالغ، وانتظرت على مضض منى حتى تتاح لي فرصة إعادة الطبع.

---

(١) الرسائل السياسية الجاحظ ص/١٠١

وإني لسعيد اليوم إذ أتيح لي أن أخرج الطبعة الثانية التي باشرتها بنفسي كلمة كلمة وحرفا بحرف، وقمت بصنع فهارسها على الوجه الذي أرتضيه.

وعسى أن أكون قد وفقت فيما صنعت، وأنقذت هذا الكتاب الذي أعتز به وبإخراجه ليكون في ثوبه المرتضى، ونصابه الموثق المحقق.." (١)

"وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان. ولذلك قال الأول:

«سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟

فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا» .

وقال بعض الخطباء: «أشهد أن السموات والأرض آيات وآلات وشواهد قائمات، كل يؤدي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجليت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر، ورجم الظنون. فهي على اعترافها لك، وافتقارها إليك شاهدة بأنك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الأوهام، وإن حظ الفكر فيك، الاعتراف لك» .

وقال خطيب من الخطباء، حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت:

«الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس» .

ومتى دل الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكتا. وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات.

وقال عنترة بن شداد العبسي جعل نعيب الغراب خبرا للزاجر:

حرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان بالأخبار هش مولع

الحرق: الأسود. شبه لحييه بالجلمين، لأن الغراب يخبر بالفرقة **والغربة** ويقطع كما يقطع الجلمان. وأنشدني

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٥

أبو الرديني العكلي، في تنسم الذئب الريح واستنشائه واسترواحه:

يستخبر الريح إذا لم يسمع ... بمثل مقراع الصفا الموقع." (١)

"[شبيب بن شيبة]

ومن الخطباء العلماء الأبيناء، الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة: شبيب بن شيبة، وهو الذي يقول في صالح بن أبي جعفر المنصور وقد كان المنصور أقام صالحا فتكلم، فقال شبيب: «ما رأيت كاليوم أبين بيانا، ولا أجود لسانا، ولا أربط جنانا، ولا أبل ريقا، ولا أحسن طريقا، ولا أغمض عروقا من صالح. وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاه، أن يكون كما قال زهير:

يطلب شأو أمرين قدما حسنا ... نالا الملوك وبذا هذه السوقا «١»

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدما من صالح سبقا «٢»

قال: وخرج شبيب من دار الخليفة يوما فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ قال: رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا.

قال: وقال خالد بن صفوان: «اتقوا مجانيق البغضاء» ، يريد الدعاء.

قال: وقال شبيب بن شيبة: «أطلب فإنه دليل على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحب في الغربة، وصلة في المجلس» .

وقال شبيب للمهدي يوما: «أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك، وأرى الله بنيك فيك ما أراك في أبيك» .

وقال أبو الحسن: قال زيد بن علي بن الحسين: «أطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك، فإن في ترك ما لا يعنيك دركا لما يعنيك، وإنما تقدم على ما قدمت، ولست تقدم على ما أخرت. فآثر ما تلقاه غدا، على ما لا تراه أبدا» .." (٢)

"سابور داعية إلى أهل خراسان، وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين، ويخلون بالدين استكانة لقوت الدنيا، وذلا لجبابرتها، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا، واغتر بقتل

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٨٦/١

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٢٨٤/١

ملوكهم لهم وتخولهم إياهم– وكان يقال: «لكل ضعيف صولة، ولكل ذليل دولة» – فلما تلاحمت أعضاء الأمور التي لقح، استحالت حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها، فانتقل العز إلى أرذلهم، والنباهة إلى أخملهم، فأشربوا له حبا مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين، فلما استوسقت له البلاد بلغ سابور أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم، ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء، فاحتال في قطع رجائه عن قلوبهم، وكان يقال:

وما قطع الرجاء بمثل يأس ... تبادهه القلوب على اغترار

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم، فقتله، فبغتهم بحدث، فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم، فوقف بهم بين **الغربة** ونأي الرجعة، وتخطف الأعداء، وتفرق الجماعة، واليأس من صاحبهم، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور، ويتعوضوه من الفرقة، فأذعنوا له بالملك والطاعة، وتبادروه بمواضع النصيحة، فملكهم حتى مات حتف أنفه.

فأطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الإنسان إلا ليعلما

وأمر اسحاق بالخروج ودعا بأبي مسلم، فلما نظر إليه داخلا قال:

قد اكتنفتك خلات ثلاث ... جلبن عليك محذور الحمام

خلافك وامتنانك ترتميني ... وقودك للجماهير العظام." (١)

"واعتل أعرابي في أرض غربة، فقيل له: ما تشتهي؟ فقال: حسل فلاة، وحسو قلات.

وسئل آخر فقال: محضا رويا، وضبا مشويا.

وسئل آخر فقال: ضبا عنينا أعور.

وقالت العرب: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.

وقيل: **الغربة** كربة، والقلة ذلة. وقال:

لا ترغبوا اخوتي في غربة أبدا ... إن الغريب ذليل حيثما كانا

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٣/٢٣٩

وقال آخر: لا تنهض من وكرك فتنقصك **الغربة**، وتضيمك الوحدة.

وقال آخر: لا تجف أرضا بها قوا بلك، ولا تشك بلدا فيه قبائلك.." (١)

"وهل أردن الدهر حسي مزاحم ... وقد ضربته نفحة من صبا نجد

وقال آخر:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله

فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ولو كنت في قومي وجل عشيرتي ... لألفيت فيهم كل خرق أواصله

وأنشد لذي الرمة:

إذا هبت الأرواح من نحو جانب ... به أهل مي هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه، وإنما ... هوى كل أرض حيث حل حبيبها

وقال أبو عثمان: رأيت عبدا أسود حبشيا لبني أسيد قدم من شق اليمامة فصار ناورا، وكان وحشيا مجنونا لطول **الغربة** مع الإبل، وكان لا يلقى." (٢)

"ذكر الله تعالى الديار فخبر عن موقعها من قلوب عباده، فقال: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ". فسوى بين موقع قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم. وقال: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ". فسوى بين موقع الخروج من ديارهم وبين موقع هلاك أبنائهم.

فصل منه

فقسم الله تعالى المصالح بين المقام والظعن، وبين **الغربة** وإلف الوطن، وبين ما هو أربح وأرفع، حين جعل مجاري الأرزاق مع الحركة والطلب. وأكثر ذلك ما كان مع طول **الاغتراب**، والبعد في المسافة، ليفيدك الأمور، فيمكن الاختبار ويحسن الاختيار.

والعقل المولود متناهي الحدود، وعقل التجارب لا يوقف منه على حد. ألا ترى أن الله لم يجعل إلف

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢/٣٩٠

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢/٤٠٥

الوطن عليهم مفترضا، وقيدا مصمتا، ولم يجعل كفاياتهم مقصورة عليهم، محتسبة لهم في أوطانهم؟ ألا تراه يقول: " فاقرءوا ما تيسر من القرآن، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ". فقسم الحاجات فجعل أكثرها في البعد. وقال عز ذكره: " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من." (١)

"الخوف، وبخسوا نصيب الرجاء، مع طول السلامة، وشمول العافية؟

والمعافى أكثر من المبتلى؛ وليست الفوائد أقل من الحوائج «١» .

بل كيف يدعو الى السعادة من خص نفسه بالشقوة، فكيف ينتحل نصيحة العامة، من بدأ بغش الخاصة؟ ولم احتجوا، مع شدة عقولهم، لما أجمعت الأمة على تقبيحه؟ ولم فخروا، مع اتساع معرفتهم، بما أطبقوا على تهجينه «٢» ؟ وكيف يفطن عند الاعتلال له، ويتغلغل «٣» عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات عنه، الى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة، ولا يفطن لظاهر قبحه، وشناعة اسمه، وخمول ذكره وسوء أثره على أهله.

وكيف، وهو الذي يجمع له بين الكد، وقلة المرزئة «٤» ، وبين السهر، وخشونة المضجع، وبين طول **الاغتراب**، وطول قلة الانتفاع، ومع علمه بأن وارثه أعدى له من عدوه، وأنه أحق بماله من وليه، أوليس هو أظهر الجهل والغباوة، وانتحل الغفلة والحماقة، ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد، وبالألفاظ الحسان، وجودة الإختصار، وبتقريب المعنى، وبسهولة المخرج، وإصابة الموضع، فكان ما ظهر من معانيه وبيانه مكذبا لما ظهر من جهله ونقصانه. ولم جاز أن يبصر بعقله البعيد الغامض، ويغبى عن القريب الجليل؟!.

وقلت: فبين لي ما الشيء الذي خبل «٥» عقولهم، وأفسد أذهانهم، وأغشى تلك الأبصار، ونقض ذلك الإعتدال؟ وما الشيء الذي له." (٢)

"مسألة، فأجبتنا عن مسألتين.

قصة العراقي مع المروزي:

ومن أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدهر، وذلك: إن رجلا من أهل مرو كان ولا يزال يحج ويتجر، وينزل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته. ثم كان كثيرا ما يقول لذلك

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ١١٢/٤

(٢) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/١٧

العراقي: «ليت إني قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجدد لي من البر في كل مرة. فأما ههنا فقد أغناك الله عني» .

قال: فعرضت لذلك العراقي، بعد دهر طويل، حاجة في تلك الناحية؛ فكان مما هون عليه مكابدة السفر، ووحشة **الاغتراب**، مكان المروزي هناك. فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره، وفي عمامته وقلنسوته «١» وكسائه، ليحط رحله عنده، كما يصنع الرجل بثقته، وموضع أنسه. فلما وجده قاعدا في أصحابه، أكب عليه وعانقه، فلم يره أثبته، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط. قال العراقي في نفسه: «لعل إنكاره إياي لمكان القناع» ؛ فرمى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فـكان له أنكر.

فقال: «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فنزعها ثم إنتسب، وجدد مساءلته، فوجده أشد ما كان له إنكارا. قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: «لو خرجت من جلدك لم أعرفك» : ترجمة هذا الكلام بالفارسية: «اكرازبوست بارون بيائي نشناستم» «٢» .." (١)

"أي من صميمهم، وإنما قيل غراب البين لأنه إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا إذا كان يعتري منازلهم إذا بانوا، ويقال إنما سمي غراب البين لأنه بان عن نوح عليه السلام واغترب، وليس شيء مما يزجرونه من الطير والظباء وغيرها أنكد منه ولست تراه محمودا في شيء من الأحوال ويشتقون من اسمه **الغربة**.

قال الشاعر:

دعى صرد يوما على غصن شوحط ... وصاح بذات البين منها غرابها

فقلت أتصريد وشحط وغربة ... فهذا لعمري نأيها واغترابها

وقال سوار بن المضرب:

تغنى الطائران بنأي سلمى ... على غضنين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى ... وبالغرب اغتراب غير دان

فزجر في الغرب **الغربة** كما زجر الآخر في الغراب **الاغتراب**.

وقال الآخر، وهو جران العود:

---

(١) البخلاء للجاحظ الجاحظ ص/٤٣

جرى يوم جئنا بالركاب نزفها ... عقاب وشحاج من الطير متيح

شحاج غراب، متيح يأتي من كل وجه.." (١)

"أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما دون أربعة آلاف درهم نفقة، وما فوقها كنز. ويقال: القبر ولا الفقر. ويقال: ما سبق عيال مالا قط إلا كان صاحبه فقيرا. وقيل لرجل من البصريين: مالك لا ينمي مالك؟ قال: لأني اتخذت العيال قبل المال واتخذ الناس المال قبل العيال. ويقال: العيال سوس المال.

وقيل لمديني: كيف حالك؟ قال: كيف يكون حال من ذهب ماله وبقيت عادته. ويقال: الغني في **الغربة** وطن والفقر في الوطن غربة.

حدثني محمد بن يحيى بإسناد ذكره قال: شكا نبي من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى الله إليه: هكذا جرى أمرك عندي أفتريد من أجلك أن أعيد الدنيا.

قال أبو حاتم: حدثنا العتبي قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما أجدب أهل البادية قط حتى تسويهم السنة ثم جاءهم الخصب إلا عاد الغنى إلى أهل الغنى.

قال الأصمعي: رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بمنى فقلت: يا أمة الله، تسألين ولك هذا الجمال! قالت: قدر الله فما أصنع؟ قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت: هذا الحاج نتقممهم ونغسل ثيابهم. فقلت: فإذا ذهب الحاج فمن أين؟ فنظرت إلي وقالت: يا صلب الجبين! لو كنا إنما نعيش من حيث نعلم لما عشنا. وقال الشاعر «١» : [خفيف]

أتراني أرى من الدهر يوما ... لي فيه مطية غير رجلي

وإذا كنت في جميع فقالوا ... قربوا للرحيل قدمت نعلي

حيثما كنت لا أخلف رحلا ... من رآني فقد رآني ورحلي." (٢)

"ما أستعظم أن تسبق إلى حسن بل أستعظم أن تسبق إليه وتغلب عليه.

لئن كنت جاوزت بي قدري عندك لما بلغت بك أملي فيك.

لا يقبضك عن الأنس بي تقصيرك في البر.

بلغتني علتك فنالني من ألمها، وغالني مما مسك فيها حسب حقك وما يخصني من كل حال تصرفت

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٢٦٤/١

(٢) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٣٥٢/١

بك.

أعتذر إليك من تأخر كتبي عنك بترامي النقلة وتقاذف **الغربة** وعدم الطمأنينة، فإني منذ فارقتك كما قال القائل: [طويل]

وكنت قذاة الأرض والأرض عينها ... تلجلج شخصي جانبا بعد جانب «١»

إني- أعزك الله- على تشوقك متزيد، فما أحاشي بك أحدا، ولا أقف لك على حسنة يوما إلا أنستنيها لك فضلة غده.

الحمد لله الذي جعل الأمير معقود النية بطاعته، مطوي القلب على مناصحته، مشحوذ السيف على عدوه؛ ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد، وشرد به العدو، وخصه بشرف الفتوح العظام شرقا وغربا، وبرا وبحرا.

إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك، وفرط الجزع من فراقك، وظلمة الأيام بعدك؛ وأقول كما قال حبيب بن أوس «٢» : [خفيف]

بين البين فقدها، قلما تع ... رف فقدا للشمس حتى تغيبا

ورد كتابك، فيا له واردا بالري على ذي ظمأ! ما أنقعه للغليل، وأعدل." [١]

"قوله: "أتيت حريثا" يريد الحارث، تصغيره على لفظه١: حويرث.

وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم، وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الأصلية، فتقول في تصغير أحمد: حميد لأنه من الحمد، وفي الحارث: حريث، لأنه من الحرث، وفي غضبان: غضيب، لأنه من الغضب، لأن الألف والنون زائدتان. وكذلك ذوات الأربعة، تقول في تصغير قنديل على لفظه قنيديل، فإن صغرته مرخما حذفت الياء فقلت: قنيدل، فعلى هذا مجرى الباب.

وقوله: عن جنابة، يقول: عن غربة وبعد. يقال: هم نغم الحي لجارهم جار الجنابة، أي **الغربة**. يقال: رجل جنب، ورجل جانب، أي غريب، قال الله جل وعز: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾ ٢. وقال الحطيئة:

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا ... في آل لأي بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة:

فلا تحرمني نائلا عن جنابة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٢/٢٤١

فمن قال للواحد: جنب قال للجميع: أجناب، كقولك: عنق وأعناق، وطنب وأطناب، ومن قال للواحد: جانب، قال للجميع: جناب، كقوله: راكب وركاب، وضارب وضراب. قالت الخنساء:

إبكي أخالك لأيتام وأرملة ... وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا

وإن كان من الجنابة التي تصيب الرجل قلت: رجل جنب، ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع، وقد يجوز، وليس بالوجه، رجلان جنبان، وامرأة جنبة، وقوم أجناب.

وقوله:

يرى أسدا في بيته وأساودا

---

١ س: "على اللفظ".

٢ سورة النساء: آية ٣٦.." (١)

"من خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن آمنك حتى تبلغ الخوف١. ولما حضر بشر بن منصور٢ الموت فرح، فقيل له: أتفرح بالموت؟ فقال: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه. وقال عمر: إذا أنا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت. وقال مسلمة٣ بن عبد الملك: ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم. وقال٤: الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة.

وقال ابن عباس: كم من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي، وكم من أذنب وهو يبكي دخل الجنة وهو يضحك. وقال أعرابي لرجل: إن فلانا وإن ضحك لك فإنه يضحك منك، فإن لم تتخذه عدوا في علانيتك فلا تجعله صديقا في سريرتك. وقال علي رضي الله عنه: إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه. وقال الحسن: كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب.

وشتم رجل الشعبي٥ فقال له: إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا فغفر الله لي٦. وأوصى يزيد بن معاوية٧ غلاما فقال: اعلم أن الظن إذا أخلف فيك

---

١ في البيان ٩٧/ ٣: وقال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمي ... إلخ، ومن جيد الطباق قول أبي بكر

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٣/٣

لخالد: احرص على الموت توهب لك الحياة.

٢ ناسك صالح ورع من جلة رجال العصر الإسلامي الأول.

٣ أمير قائد أموي له فتوحات مشهورة، وكان شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ولم يكن في ولد عبد الملك مثله "١١٤/ ٣ بيان".

٤ وتنسب هذه الحكمة لأرسطو، ولبعض الشعراء:

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في **الغربة** أوطان

"٢٠٣ رسالة الغفران، طبعة ١٩٠٣ بمصر".

٥ راوية يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات بالكوفة سنة ١٠٣، وكان نديم عبد الملك بن مروان، وتقدمت له ترجمة.

٦ راجع هذه الرواية في البيان ٦٩/ ٢، والكامل ١٩٠ الطبعة القديمة.

٧ الخليفة الأموي الثاني، توفي سنة ٦٤ بعد أن مكث في الخلافة ثلاث سنين ونصف. وفي البيان ١١٩، ١٢٠/ ٢ نسبته لمعاوية، وفي رواية الجاحظ: إذا أخلف منك أخلف مني فيك.." [١]

"وقال الجاحظ: الكتاب نعم الذخر والعقدة ونعم الجليس والقعدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد **الغربة**، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، الكتاب وعاء مليء علما وظرف حشي ظرفا، إن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت بكيت من مواعظه، ومن لك بواعظ مله وبناسك فاتك وناطق أخرس، ومن لك بطبيب أعرابي ورومي وهندي وفارسي ويوناني ونديم مولد ووصيف ممتع، ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافي والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده، وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء غيره، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جارا أبر ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية ولا عناية ولا أقل إملالا وإبراما ولا أبعد عن مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب، ولا أعم بيانا ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/١٢٦

مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبان من كتاب، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخيةو السائرة والأمم البائدة ما يجمع من كتاب ولولا الحكم المخطوطة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسلن سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار، ولو لم يتم ذلك ،حرمنا أكثر النفع، ومن لك لا يبتدئك في حال شغلك ولا في أوقات عدم نشاطك ولا يحوجك إلى التجمل والتذمم، ومن لك بزائر إن شئت جعلت زيارته غبا ووروده خمسا وإن شئت لزمك لزوم ظلك.." (١)

"أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها

أخزى الله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات، فلما أصبح إذا الحمر مطرحة حوله واسهمه مضرجة بالدم، فندم على كسر قوسه وشد على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وقال الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الضرار

ومنه ما قيل في خفي حنين وكان حنين إسكافا من الحيرة فساومه أعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته. ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول. وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢

قومه: ما الذي أتيت به؟ قال: أتيت بخفي حنين، فضربته العرب مثلا. وقال الشاعر في مثله:

لتقرعن علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

محاسن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم "، فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جل وتعالى: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا "، فجعل القتال ثأرا للجلاء. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الخروج عن الوطن عقوبة. وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر.

وقال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قول أعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل: ما تشتهي؟ قال: محضا رويا وضبا مشويا.

وحدث عن بعض بني هاشم قال: قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية! قلت: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى حمى ضرية لعمر الله ما نريد بها بدلا ولا نبغي عنها حولا نفحتها العذاوات وحفتها الفلوات فلا يعلولج ترابها ولا يتمعر جنابها ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذى ولا قذى ولا موم، فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة. قلت: فما طعامكم؟ قال: بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه الفث والهبيد والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والينمة والعراجين والحسلة والضباب واليرابيع والقنافذ والحيات وربتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فما نعلم أحدا أخصب منا عيشا ولا أرخى بالا ولا أعمر حالا، أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيرا برقيق العيش ولذيذه؟ قلت: وما قال؟ قال قوله:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعه ورزق من السعة وإياه نسأل تمام النعمة.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟

يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

ذكر من اختار الوطن على الثروة – قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك.

وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: **الغربة** ذلة فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة.

وقالت العرب: **الغربة** ذلة والذلة قلة.." (١)

"وقال آخر: لا تنهض عن وكرك فتنقصك **الغربة** وتضيمك الوحدة.

وشبهت العرب والحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأم له ولا أب يحدب عليه.

وكان يقال: الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذي هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رمية.

وكان يقال: الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر، وأنشد:

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه ... وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه ... تنفس يستشفي برائحة الركب

ولآخر:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبة للهماهم

حنينا إلى أرض بها اخضر شاربي ... وحلت بها عني عقود التمائم

وألطف قوم بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حق التقادم

ولآخر:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وما نظري من نحو نجد بنافعي ... أجل لا ولكني على ذاك أنظر

أفي كل يوم نظرة ثم عبرة ... لعينيك يجري ماؤها يتحدر

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٨

متى يستريح القلب؟ إما مجاور ... حزين وإما نازح يتذكر

الطائي:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

مساوئ من كره الوطن

قال بعض الفلاسفة: اطلبوا الرزق في البعد فإنكم إن لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيرا.

وقال آخر: لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقيل لآخر: ما أصبرك على الغربة! فقال: انست بالنوائب حتى ما أعرف غيرها وغذيت بالمكاره فما أجد ضيرها.

ومدح أعرابي رجلا فقال: خرجته الغربة ودربته التجربة وضرسته النوائب.

وقال آخر: ما حن أحد إلى بلد لا جمع فيه شمله إلا لوصمة في عقله ولا تنزع نفسه إلى بلد قل به رفده إلا لاستيلاء الموق عليه.

وقيل لآخر: ما العيش؟ فقال: دوران البلدان ولقاء الإخوان ومغازلة القيان واستماع الأغاني والنغمات من الزير و المثاني.

وقد قيل: من صبر على الغربة أمن من الكربة، وأفضل العدة الصبر على الشدة. وقالوا: لا توحشنك الغربة إذا أنست بالكفاية، ولا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار.

وقيل الفقير في الأهل مصروم والغني في الغربة موصول.

وقيل: أوحش قومك ما كان في إيحاشهم انسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك.

وقريء على باب خان بطرسوس:

ما من غريب وإن أبدى تجلده ... إلا تذكر عند الغربة الوطنا

الطائي:

لا يمنعنك خفض العيش تطلبه ... نزاع شوق إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

ولآخر:

نبت بك الدار فسر آمنا ... فللفتى حيث انتهى دار

وروي عن كعب بن مالك أنه وصف وحشة المدينة لغيبة النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: تنكرت البلاد فما هي بالبلاد التي نعرف، وتنكر الناس فما هم بالناس الذين نعرف. وفي معناه قال الشاعر:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت أعرف

وأنشد:

لا تقنعن ومطلب لك ممكن ... فإذا تضايقت المطالب فاقنع

وقال آخر:

كم المقام وكم تعتادك العلل ... ما ضاقت الأرض في الدنيا ولا السبل

إن كنت تعلم أن الأرض واسعة ... فيها لغيرك مرتاد ومرتحل

فارحل فإن بلاد الله ما خلقت ... إلا ليسلك منها السهل والجبل

الله قد عود الحسنى فما برحت ... عندي له نعم تثري وتتصل

إن صاق بي بلد هيا له عوضا ... وإن نأى منزل بي كان لي بدل

وإن تغير لي عن وده رجل ... أصفى المودة لي من بعده رجل

لم يقطع الله لي من صاحب أملا ... إلا تجدد لي من بعده أمل

لا تمتهن أبدا خديك من طمع ... فما لوجهك نور حين يبتذل." (١)

"فقال له الحسن: سل ما شئت وتمن ما أحببت، فلو خرجت إليك من ملكي كله ما كافأتك. فقال: تشتري لي غنيمات وتردني إلى البادية. فقال: نحن إلى مكان تصفه بهذه الصفة. قال: الوطن الوطن. فاشترى له ألف شاة وأعطاه عشرين ألف درهم ورده إلى وطنه.

ومما قيل فيمن كره **الغربة** قال ابن أبي السرج: قرأت على حائط خان بالأهواز:

إن الغريب ولو يكون ببلدة ... يجبى إليه خراجها لغريب

وأقل ما يلقى الغريب من الأذى ... أن يستذل وقوله مكذوب

قال: وقرأت على حائط خان بعسكر مكرم من الأهواز:

إن الغريب إذا ينادي موجعا ... عند الشدائد كان غير مجاب

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٩

فإذا نظرت إلى الغريب فكن به ... متراحما لتباعد الأحباب

قال: وقرأت على حائط خان ببغداد في الجانب الغربي:

غريب الدار ليس له صديق ... جميع سؤاله كيف الطريق

تعلق بالسؤال بكل شيء ... كما يتعلق الرجل الغريق

فلا تجزع فكل فتى ستأتي ... على حالاته سعة وضيق

قال: ووجدت على باب مكتوبا:

عليك سلام الله يا خير منزل ... رحلنا وخلفناك غير ذميم

فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فما أحد من ريبها بسليم

وأنشد:

أقمنا مكرهين بها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن ... أمر العيش فرقة من هوينا

ولآخر:

أقمت بأرضكم بالكره مني ... فلما طاب لي فيها المقيل

وأوطنت البلاد وحن قلبي ... بغزلان بها أزف الرحيل

ولآخر:

وإن اغتراب المرء من غير فاقة ... ولا حاجة يسمو لها لعجيب

فحسب الفتى بخسا وإن أدرك الغنى ... ونال ثراء أن يقال غريب

ولآخر:

أي سرور لعيش مغترب ... فرد وحيد نأى عن الوطن

لا تطمع النفس في هواه ولا ... يكحل عينا بمنظر حسن

ولآخر:

سل الله الإياب من المغيب ... فكم قد رد مثلك من غريب

وسل الحزن عنك بحسن ظن ... ولا تيأس من الفرج القريب

ولآخر:

تصبر ولا تعجل وقيت من الردى ... لعل إياب الظاعنين قريب

فقلت وفي قلبي جوى لفراقها ... ألا ل؛ تعزيني فلست أجيب

أعاذل حبي للغريب سجية ... وكل غريب للغريب حبيب

لئن قلت لم أجزع من البين إن مضوا ... لطيتهم إني إذا لكذوب

بلى غبرات الشوق أضرمت الحشا ... ففاضت لها من مقلتي غروب

ولآخر:

إذا اغترب الكريم رأى أمورا ... محجلة يشيب لها الوليد

قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل: أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

ما كنت أحسب أن يكو ... ن كذا تفرقنا سريعا

بخل الزمان علي أن ... نبقى كما كنا جميعا

فأحلني في بلدة ... وأحلك البلد الشسيعا

قد كنت أنتظر الوصا ... ل فصرت أنتظر الرجوعا

ولآخر:

إلفان كانا لهذا الحب قد خلقا ... داما عليه فتم الوصل واتفقا

كنا كغصنين في عود فغالهما ... ريب الزمان وصرف الدهر فافترقا

فاصفر عودهما من بعد خضرته ... وأسقط البين من عوديهما الورقا

ولآخر:

أتظعن والذي تهوى مقيم ... لعمرك إن ذا خطب عظيم

إذا ما كنت للحدثان عونا ... عليك وللفراق فمن تلوم

ولآخر:

لقد شفني أني أدور ببلدة ... أخلاي منها نازحون بعيد

أقلب طرفي في البلاد فلا أرى ... وجوه أخلاي الذين أريد

ولآخر:

قف بالمنازل وقفة المشتاق ... واسفح بها من دمعك المهراق

لا تبخلن على الديار بأدمع ... يجرين بين محاجر ومآقي

تلك الديار كما عهدت عميرة ... لكنها صفر من الطراق." (١)

"قال الأصمعي: قال الخليل بن سهل: يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت في غلظ الراقود؟ قال: فقلت ها هنا أعرابي له معرفة فاذهب بنا إليه نحدثه بهذا. فذهبت به إلى الأعرابي فقال له ذلك فقال الأعرابي: قد سمعنا بهذا وقد بلغنا أن رستم هذا واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه في حجر أمه فقالت لهما: ما شأنكما؟ فقالا: بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه، فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فألقاهما إلى أصفهان فقبورهما اليوم بها. فقال الخليل: قبحك الله ما أكذبك! فقال: يا ابن أخي ما بيننا شيء إلا وهو دون الراقود.

قيل: وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما إلى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل: سماعون للكذب أكالون للسحت.

وممن ذم الكذب

قيل: إنه وجد في كتب الهند: ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق.

وقال قتيبة بن مسلم لبنيه: لا تطلبوا الحوائج من كذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة، ولا من رجل قد جعل المسألة مأكلة فإنه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها، ولا من أحمق فإنه يريد نفعك فيضرك.

وقيل: أمران لا ينفكان من كذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.

وقال: كفاك موبخا على الكذب علمك بأنك كاذب.

وقال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت قط. فقال: أما هذه فواحدة.

وفي المثل: هو أكذب من أسير السند، وذلك أنه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم أنه ابن الملك. ويقال: هو أكذب من الشيخ الغريب، وذلك أنه يتزوج في **الغربة** وهو ابن سبعين سنة فيظن أنه ابن أربعين سنة. وقيل: هو أكذب من مسيلمة.

ومما قيل في ذلك من الشعر:

حسب الكذوب من البل ... ية بعض ما يحكى عليه

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٤٢

ما إن سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

ولآخر:

لقد أخلفتني وحلفت حتى ... إخالك قد كذبت وإن صدقتا

ألا لا تحلفن على يمين ... فأكذب ما تكون إذا حلفتا

ولآخر:

كلام أبي خلف كله ... نداء الفواخت جاء الرطب

وليس وإن كن يشبهنه ... يقاربنه أبدا في الكذب

ولآخر:

قد كنت أنجز دهرا ما وعدت إلى ... أن أتلف الوعد ما جمعت من نشب

فإن أكن صرت في وعدي أخا كذب ... فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

محاسن فضل المنطق

سئل بعض الحكماء عن المنطق والصمت فقال: إنك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عبر عن شيء فهو أفضل منه.

وسئل آخر عنها فقال: أخزى الله المساكنة فما أفسدها للسان وأجلبها للعي والحصر، والله للمماراة في استخراج حق أسرع في هدم العي من النار في يابس العرفج. فقيل له: قد عرفت ما في المماراة من الذم. فقال: إن ما فيها أقل ضررا من السكتة التي تورث عللا وتولد أدواء أيسرها العي.

وقال بعض الحكماء: اللسان عضو فإن مرنته مرن وإن تركته حزن.

محاسن الصمت

الهيثم بن عدي قال بعض الحكماء: تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات رميت عن قوس واحدة فقال كسرى: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قد قلت. وقال ملك الهند: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني وإن كنت أملكها. وقال قيصر: لا أندم على ما لم أقل وقد أندم على ما قد قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول.

وقال بعضهم: من حصافة الإنسان أن يكون الاستماع أحب إليه من المنطق إذا وجد من يكفيه، فإنه لن يعدم في الاستماع والصمت سلامة وزيادة في العلم.

وقال بعض الحكماء: من قدر أن يقول فيحسن قادر أن يصمت فيحسن، وليس كل من صمت فأحسن قادر أن يقول فيحسن.

وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي: كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام.

وكان يقال: من سكت فسلم كان كمن قال فغنم.

وقال علي بن عبيدة: الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول.

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم. إن الله جل وعز يكره الانبعاق في الكلام، فرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته.." (١)

"عثمان بن عفان أختك، فزوجه. فلما أراد حملها قال لها أبوها: أي بنية! إنك ستقدمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني اثنتين: تكحلي وتطيبي بالماء، حتى تكون ريحك كريح الشباب التطهرين. فلما حملت شق عليها **الغربة** واشتاقت إلى أهلها، فقالت:

ألست ترى، يا ضب بالله، أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا خرقا تخب ركابها، ... كما زعزعت ريح يراعا مقصبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم، ... لك الويل، ما يغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان بن عفان قعد على سرير، وألقى لها سريرا حياله، فجلست عليه، ورفع العمامة عن رأسه، فبدا الصلع فقال: يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من الصلع، فإن من ورائه ما تحبين. قالت: إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض، السادة. فقال: إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك. فقالت: ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك. ثم قامت إليه، فجلست إلى جانبه، فمسح رأسها، ودعا بالبركة، وقال: اطرحي عنك خمارك، فطرحته، ثم قال: اخلعي درعك، فخلعته، ثم قال: حلي إزارك، فقالت: ذاك إليك، فحله، فكانت من أحظى نسائه عنده. فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف، فألقت نفسها عليه، فضرب عجيزتها، وكانت من أعظم النساء عجيزة، فقالت: أشهد أنك فاسق لم تأت غضبا لله ولرسوله! فأهوى إليها بالسيف ليضربها، فاتقته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها،

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٧٣

فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... قتيل التجوبي الذي جاء من مصر." (١)

"ولغيره:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ... حمل فأبصر أي شيء تحمل

وإذا علمت بأنه متفاضل ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

الأصمعي قال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل، والخامس نشره.

ويقال: العالم والمتعلم شريكان، والباقي همج.

وأنشد:

لا ينفع العلم قلبا قاسيا أبدا ... ولا يلين لفك الماضغ الحجر

وقال معاذ بن جبل: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، وبذله لأهله قربة. والعلم منار سبيل أهل الجنة، والأنيس في الوحشة، والصاحب في **الغربة**، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء. يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بفعالهم.

والعلم حياة القلب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف؛ يبلغ بالعبد منازل الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة؛ الفكر فيه يعدل الصيام، ومذاكرته القيام، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام.

ولابن طباطبا العلوي:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحي كئيب البال عندي حزينه

يلوم على أن رحت في العلم طالبا ... أجمع من عند الرجال فنونه

فأملك أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه «١»

ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه." (٢)

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٠٨

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٨٤/٢

"ومن أبصر عيب نفسه عمي عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسي زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بينه، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه. ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشي الله فاز؛ ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله، ثم أنشأ يقول:

إلبس أخاك على عيوبه ... واستر وغط على ذنوبه

واصبر على بهت السفي ... هـ وللزمان على خطوبه «١»

ودع الجواب تفضلا ... وكل الظلوم إلى حسيبه «٢»

وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل على المروءة، وصاحب في **الغربة**، ومؤنس في الوحشة، وحلية في المجلس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا.

وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاها بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وجاها بالأدب غير زائل عنك.

وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك: فإن الكرامة تزول بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.." (١)

"فذهبت مثلا. فقال عتبة: لن يفرس الليث الطلا «١» وهو رابض. فذهبت مثلا.

أخذه حبيب فقال:

أراد بأن يحوي الغنى وهو وادع ... ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

وقيل لأعشى بكر: إلى كم هذه النجعة **والاغتراب؟** أما ترضى بالخفض والدعة؟

فقال: لو دامت الشمس عليكم لمللتموها: أخذه حبيب فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد «٢»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٢٥٩

قال أبو سعيد أحمد بن عبد الله المكي: سمعت الشافعي يقول: قلت بيتين من الشعر. وأنشدنا:

إني أرى نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها خوض المهامه والقفر

فو الله ما أدري إلى الخفض والغنى ... أقاد إليها أم أقاد إلى قبري «٣»

فدخل مصر فمات.

وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تذموا السفر، فإني أدركت فيه ما لم يدركه أحد. يريد أن الله عز وجل كلمه فيه تكليما.

وقال المأمون: لا شيء ألذ من سفر في كفاية، لأنك في كل يوم تحل محلة لم تحلها، وتعاشر قوما لم تعاشرهم.

وقال الشاعر:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... من أن تبدل أوطانا بأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أهلا بأهل وإخوانا بإخوان." (١)

"سعد القصير قال: ولأني عتبة أمواله بالحجاز، فلما ودعته قال لي: يا سعد، تعاهد صغير مالي فيكثر، ولا تضيع كثيره فيصغر، فإنه ليس يشغلني كثير مالي عن إصلاح قليله، ولا يمنعني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني. قال: فقدمت المدينة، فحدثت بها رجالات قريش ففرقوا بها الكتب على الوكلاء.

الإقلال

قال أرسطاطاليس: الغنى في **الغربة** وطن والمقل في أهله غريب.

أخذه الشاعر فقال:

لعمرك ما الغريب بذي التنائي ... ولكن المقل هو الغريب

إذا ما المرء أعوز ضاق ذرعا ... بحاجته وأبعده القريب

وقال إبراهيم الشيباني: رأيت في جدار من جدر بيت المقدس بيتين مكتوبين بالذهب:

فكل مقل حين يغدو لحاجة ... إلى كل من يلقى من الناس مذنب

وكان بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني مقترا مات مرحب

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٣٣٨

ومن قولنا في هذا المعنى:

أعاذل قد المت ويك فلومي ... وما بلغ الإشراك ذنب عديم

لقد أسقطت حقي عليك صبابتي ... كما أسقط الإفلاس حق غريم «١»

وأعذر ما أدمى الجفون من البكا ... كريم رأى الدنيا بكف لئيم

أرى كل فدم قد تبجح في الغنى ... وذو الطرف لا تلقاه غير عديم «٢»

وقال الحسن بن هانيء:

الحمد لله ليس لي نشب ... فخف ظهري وملني ولدي «٣»." (١)

"على العقوبة. خير العلم ما نفع. خير القول ما اتبع. البطنة «١» تذهب الفطنة. شر العمى عمى القلب. أوثق العرى كلمة التقوى. النساء حبائل الشيطان. الشباب شعبة من الجنون، الشقي من شقي في بطن أمه. السعيد من وعظ بغيره. لكل امرىء في بدنه شغل. من يعرف البلاء يصبر عليه. المقادير تريك ما لا يخطر ببالك. أفضل الزاد ما تزود للمعاد. الفحل أحمى للشول «٢» . صاحب الحظوة غدا من بلغ المدى.

عواقب الصبر محمودة. لا تبلغ الغايات بالأماني. الصريمة على قدر العزيمة. الضعيف يثني أو يذم. من تفكر اعتبر. كم شاهد لك لا ينطق، ليس منك من غشك. ما نظر لآمرىء مثل نفسه. ما سد فقرك إلا ملك يمينك. ما على عاقل ضيعة. الغنى في الغربة وطن. والمقل في أهله غريب. أول المعرفة الاختبار. يدك منك وإن كانت شلاء. أنفك منك وإن كان أجدع. من عرف بالكذب لم يحز صدقه، ومن عرف بالصدق جاز كذبه. الصحة داعية السقم. الشباب داعية الهرم. كثرة الصياح من الفشل. إذا قدمت المصيبة تركت التعزية. إذا قدم الإخاء سمج الثناء. العادة أملك من الأدب. الرفق يمن والخرق شؤم. المرأة ريحانة وليست بقهرمانة «٣» . الدال على الخير كفاعله. المحاجزة قبل المناجزة. قبل الرماية تملأ الكنائن. لكل ساقطة لاقطة.

مقتل الرجل بين فكيه. ترك الحركة غفلة. الصمت حبسة. من خير خبر أن يسمع بمطر. كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة. قيدوا النعم بالشكر. من يزرع المعروف يحصد الشكر. لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير. أعظم من المصيبة سوء الخلف منها. من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب. لقاء الأحبة

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٣٥١

مسلاة للهم. قطيعة الجاهل كصلة العاقل. من رضي على نفسه كثر الساخط عليه. قتلت أرض جاهلها، وقتل أرضا عارفها. أدوأ الداء الخلق الدني واللسان البذي. إذا جعلك السلطان أخا فاجعله ربا. احذر الأمين ولا تأمن الخائن. عند الغاية يعرف السبق. عند الرهان يحمد المضمار. السؤال وإن قل أكثر من النوال وإن جل. كافيء المعروف." (١)

"عمارة قلبك، وجلاء بصرك. فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خلق له.

من علي إلى ابنه حسن:

وكتب علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام: من علي أمير المؤمنين الوالد الفان، المقر للزمان، المستسلم للحدثان «١» ، المدبر العمر، المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام «٢» ، ورهينة الأيام، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وأسير المنايا، وقرين الرزايا، وصريع الشهوات، ونصب الآفات، وخليفة الأموات. أما بعد؛ يا بني، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عني، وإقبال الآخرة علي. وجموح الدهر علي ما يرغبني عن ذكر سوائي، والاهتمام بما ورائي، غير أنه حيث تفرد بي هم نفسي دون هم الناس، فصدقني رأيي، وصرفني عن هواي، وصرح بي محض أمري، فأفضى بي إلى جد لا يزرى به لعب، وصدق لا يشوبه كذب «٣» ، ووجدتك يا بني بعضي، بل وجدتك كلي، حتى كأن شيئا لو أص ابك لأصابني، وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني. فعند ذلك عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي. كتبت إليك كتابي هذا يا بني مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت، فإني موصيك بتقوى الله، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا

«٤» . وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به، أحي قلبك بالموعظة، ونوره بالحكمة وأمته بالزهد، وذلله بالموت وقوه بالغنى عن الناس، وحذره صولة الدهر؛ وتقلب الأيام والليالي، واعرض عليه أخبار الماضين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا، وأين حلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار **الغربة**. وكأنك عن." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٥/٣

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٠٠/٣

"بدنه ضعيف، ومنته عاجزة؛ قد انتهت عدته، وخلقت جدته، وتم ظمؤه؛ لا تخيبني وأنا أرجوك، ولا تعذبني وأنا أدعوك، والحمد لله على طول النسيئة، وحسن التباعة، وتشنج العروق، وإساغة الريق، وتأخر الشدائد؛ والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته؛ والحمد لله الذي لا يودى قتيله، ولا يخيب سوله، ولا يرد رسوله. اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك؛ وأعوذ بك أن أقول زورا، أو أغشى فجورا، أو أكون بك مغرورا؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وعضال «١» الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، وفجاءة النقمة.

دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال: إلهي، من أولى بالتقصير والزلل مني وأنت خلقتني، ومن أولى بالعفو منك عني وعلمك بي ماض، وقضاؤك بي محيط؛ أطعتك بقوتك والمنة لك، وعصيتك بعلمك، فأسألك يا إلهي بوجوب رحمتك، وانقطاع حجتي، وافتقاري إليك، وغناك عني- أن تغفر لي وترحمني، إلهي لم أحسن حتى أعطيتني. فتجاوز عن الذنوب التي كتبت علي، اللهم إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك بك؛ فاغفر لي ما بين ذلك؛ اللهم إنك آنس المؤنسين لأوليائك، وأحضرهم للمتوكلين عليك. إلهي أنت شاهدهم وغائبهم، والمطلع على ضمائرهم، وسري لك مكشوف، وأنا إليك ملهوف؛ إذا أوحشتني **الغربة**، آنسني ذكرك؛ وإذا أكبت علي الغموم، لجأت إلى الاستجارة بك؛ علما بأن أزمة «٢» الأمور كلها بيدك، ومصدرها عن قضائك، فأقللني إليك مغفورا لي، معصوما بطاعتك باقي عمري، يا أرحم الراحمين.

الأصمعي قال: حججت فرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة ويقول: يا خير موفود سعى إليه الوفد، قد ضعفت قوتي، وذهبت منتي، وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار؛ أستجير برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، ثم." (١)

"فوصف نفسه بالصبر والجلد والقوة على التهالك، ثم أدركته الرقة والاشتياق في البيت الذي بعده:

أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل

مستدركا قوله في البيت الأول:

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ولم يزل من تقدم من الشعراء وغيرهم مجمعين على ذم الغراب والتشاؤم به، وكان اسمه مشتقا من **الغربة**،

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٥

فسموه غراب البين، وزعموا أنه إذا صاح في الديار أقوت «١» من أهلها، وخالفهم أبو الشيص فقال ما هو أحسن من هذا وأصدق من ذلك كله، قوله:

ما فرق الأحباب بع ... د الله إلا الإبل

والناس يلحون غرا ... ب البين لما جهلوا «٢»

وما إذا صباح غراب ... ب في الديار احتملوا

وما على ظهر غرا ... ب البين تطوى الرحل

وما غراب البين إلا ... ناقة أو جمل

وقال آخر في هذا المعنى وذكر الإبل:

لهن الوجى إذ كن عونا على النوى ... ولا زال منها ظالع وكسير «٣»

وما الشؤم في نعب الغراب ونعقه ... وما الشؤم إلا ناقة وبعير

ومن قولنا في هذا المعنى:

نعب الغراب فقلت أكذب طائر ... إن لم يصدقه رغاء بعير

رد الجمال هو المحقق للنوى ... بل شر أخلاس لهن وكور «٤»." (١)

"الدندن من النبات: ما قد بليت. لا طباخ لا فائدة. وله أيضا:

أطعت العرس في الشهوات حتى ... أصارتني عسيفا عند عبدي

اذا ما جئتها قد بعت عذقا ... تقبل أو تعانق أو تفدي

والسائر في هذا المعنى قول أوس بن حجر:

وإني رأيت الناس إلا أقلهم ... خفاف العهود يكثرون التنقلا

بني أم ذي المال الكثير يرونه ... وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا

وهم لمقل المال أولاد علة ... وإن كان محضا في العشيرة مخولا

آخر:

إذا قل مال الرجل قل صديقه ... وأومت إليه بالعيوب الأصابع

آخر:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٩٥/٦

إذا قل مال المرء قل حياؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أم وراؤه

وقال بعض الفرس: الموت شديد وأشد منه **الغربة**، وأشد الشدة الفقر، فإن الرجل إذا افتقر كان ضرع اللسان لا يزال يضرع فلا يقبل منه.

باب مدح الفقر

قال عبيد الله: قد قال الناس في ذم الفقر فأكثروا. وغنما ذمه من ذم لن الفقر بلوى والغنى عافية. والناس يختارون العافية وإن لم يقوموا بشكرها ويتبرأون من البلوى، وإن أسوأ جزاء الصبر عليها. وليس من ابتلي فصبر كمن عوفي فشكر، وإن كان كلتا المنزلتين عند الله وجيهتين معظمتين، لأن المبتلى الصابر يكاد يبلغ درجة النبياء صلى الله عليهم. وينبغي للعاقل أم يسأل الله عز وجل العافية على كل حال، ولا يتعرض للبلاء على حال، غير أن محمل العافية خفيف ومحمل البلاء ثقيل. فعلى قدر ثقل البلاء وشدته يرى للصابر عليه الثواب من ربه. وقد قال الله تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) . وقال: (وإذا أنعمنا على الإنسان اعرض ونآى بجانبه) . وقال: (إنما أولادكم فتنة) . فمن وفق رأى في أضعاف البلاء جلائل من نعم الله عز وجل وحسن اختياره وجميل نظره فعلم أن منع عبده ما منعه خير له وأعطاه ما ينبغي أن يفوز به من ان يكون حجة عليه واستدراجا له. فقد بلغنا في تفسير قوله: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. قأل: ما جددوا معصية الا جدد الله لهم نعمة يستدرجهم بها. وقال في آل فرعون: كم تركوا من جنات وعيون. وزرع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين.

كذلك وأورثناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين.

وفي الحديث إن اليهود عيروا عيسى عليه السلام بالفقر. فقال: من الغنى أو تيتم البلاء. إنا لم نر أحدا يعصي الله ليفتقر إنما يعصي الله ليستغني. وإنما كان يقول: شعاري الفقر ولباسي الشعر، وطعامي ما أنبتت الأرض، ودابتي رجلاي، وصلائي في الشتاء مشارق الشمس، أصبح ولا شيء لي، وليس على وجه الأرض أحد هو أغنى مني.

وبلغني أن الفقير الصبور يدخل الجنة قبل الغني الشكور بأربعين عاما. قال: وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.

وروي عن أبي الدرداء أنه قال: لن أموت وعلي أربعة آلاف أنوي قضاءها أحب إلي من أن أترك مثلها

حلالا.

وقرأت أن سلمان قال: خشيت أن أكون تركت عهد النبي صلى الله عليه. قالوا: ولم؟ قال: لأنه عليه السلام قال: من أراد أن يدخل الجنة فلا يكونن زاده من الدنيا إلا كزاد الراكب. قال سلمان: وأنا قد جمعت ما ترون. قال: فقوموا ما عنده فبلغ ثمانية عشر درهما. ويروى عن النبي صلى الله عليه أنه كان من دعائه: اللهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين. وروي أنه كان يقول: اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا. فسئل بعضهم ما الكفاف؟ فقال: جوع يوم وشبع يوم. ولبعض المعمرين:

أأخي إن الجائحات ... عركنني عرك الأديم

وتركنني متخرق الأطمار في ثوبي عديم

إن كن أثوابي بلين ... فإنهن علي كريم

ويروى أن الفقر شعار الصالحين. ويروى عن عيسى عليه السلام أنه كان لا يأوي تحت سقف بيت، فألجأه المطر ذات ليلة الى غار فدخله فإذا سبع قد سبقه اليه. وكان صدره قد ضاق قليلا فأوحى الله اليه: يا عيسى أضاق صدرك؟ فوعزتي لأزوجنك أربعة آلاف حوراء ولأولمن عليك ولأولمن عليك ألف عام.

للعتابي ويقال لابن الجهم:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عارا أن يزول التجمل

ابن الأعرابي:." (١)

"رسالة الصولي إلى مزاحم بن فاتك

ما جاء في تفضيل أبي تمام

وهو

نسبه

حبيب بن أوس الطائي صليبة، ومولده بقرية يقال لها جاسم، سيمر ذكرها في أخباره إن شاء الله.

فضله

حدثني محمد بن يزيد بن عبد الأكبر النحوي. قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، وكتبوا شعره، وسمعوا منه، وعرضوا عليه الأشعار، فقال له بعضهم: هاهنا شاعر يزعم قوم أنه أشعر الناس طرا،

(١) الآمل والمأمول ابن المرزبان الباحث ص/٩

ويزعم غيرهم ضد ذلك، فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الإشفاق دمعا موردا ... من الدم يجري فوق خد مورد

هي البدر يغنيها تودد وجهها ... إلى كل من لاقت وإن لم تودد

ثم قطع المنشد، فقال عمارة: زدنا من هذا، فوصل وقال:

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ... ألذ به بنوم مشرد

فقال عمارة: لله دره، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه، حتى لحبب الاغتراب، هيه! فأنشده:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة: كمل والله، إن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واستواء الكلام، فصاحبكم هذا أشعر الناس، وإن كان بغيره فلا أدري!.

حدثني محمد بن موسى قال: سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلا فكفره ولعنه، وطعن على أشياء من شعره، وقال: كان يكذب على أبي تمام، ويضع عليه الأخبار، ووالله ما كان إليه ولا مقاربا له، وأخذ في وصف أبي تمام، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك ما زاد على مدحك له، فقال: إلا يكن أخا بالنسب، فإنه أخ بالأدب والدين والمودة، أما سمعت ما خاطبني به:

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

سمعت أبا إسحاق الحري - رحمه الله - يذكر علي بن الجهم، وخبرا له مع أبي تمام، أظنه هذا أو ما يصححه، ولست أحفظه جيدا ولم أجده، لأني كتبته فيما أظن في كتب الحديث وسمعته يقول: كان علي بن الجهم من كملة الرجال. وكان يقال: علمه بالشعر أكثر من شعره، فانظر إلى تفضيل هذا الرجل لأبي

تمام، مع تقدمه في الشعر والعلم به، وتفضيل عمارة بن عقيل له، والعلماء يقولون: جاء عمارة بن عقيل على ساقة الشعراء.

ويصحح علم علي بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال، قال لي البحتري: دعاني علي ابن الجهم فمضيت إليه، فأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السلمي، فقال لي: إنه يخلي، وأعادها مرات ولم أفهمها، وأنفت أن أسأله عن معناها، فلما انصرفت فكرت في الكلمة، ونظرت في شعر أشجع السلمي، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع، فإذا هو يريد هذا بعينه، أنه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها ببيت نادر، كما أن الرامي إذا رمى برشقه فلم يصب فيه بشيء قيل أخلى.

قال: وكان علي بن الجهم عالما بالشعر.

حدثني أبو بكر هرون بن عبد الله المهلبي قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معاني فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: ما من ذاك أعزك الله؟ قال، قلت:

إن أمرأ أسدي إلى بشافع ... إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه ... يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال، قال:." (١)

"فلما تمادى رماني الفرا ... ق وطالت بنا مدة **الاغتراب**

أقمت الكتاب مقام اللسا ... ن مني فاسمع لقول الكتاب

كأني أناجيك إن جاءني ... ورود البشير برد الجواب

ويقال: أجاب عن الكتاب يجيب إجابة، وقالوا: جابة، وفي المثل: " أساء سمعا فأساء جابة "، ثم استعمل في غير المثل، فقال الشاعر:

أصم الصدى لم يدر ما جابة الرقى ... ولم يمس في ضحك الندى يتبلبل

وقالوا: أحببته جيبة. وليست بجودة مما تقدم.

حدثنا أشعث الضبي قال: كتب رجل إلى صديق له يستبطئ جوابه: "كتبت فما أجبت، وواصلت فما واترت، وأضبرت فما وحدت ". قال: فكتب إليه صاحبه كتابا عنونه فلما فتحه إذا فيه:

الجفاء القبيح أحسن عندي ... من بغيض الخطاب للإخوان

---

(١) أخبار أبي تمام الصولي ص/١

قال الصولي: قوله: واصلت كتبي: جعلت واحدا في أثر الآخر، لا زمان بينهما ولا تمكث. فما واترت: أي كتبت كتابا بعد كتاب. وأكثر الكتاب يساوون بين واصلت الكتب وواترتها، وذلك جائز على القريب، فأما اللغة فإنها توجب أن المواصلة لا انقطاع بينها، وأن المواترة لابد من انقطاع قليل بينها.
قال الأصمعي:." (١)

"عندنا فيحصل فيه فائدتان القيام بحق الضيف ويطيب خاطره والثانية يخف الحمل فقال الرئيس: نعم الكلام وأظهر البشاشة وصنع الأطعمة المفتخرة وقدمها للضيف فأكل ثم شرع في تجهيز الشراب والنشاط وأخذ في أسباب المعاطاة والمنادمة فلما أخذ الشراب ما أخذ من بهرام ارتفعت أسباب الحشمة وتاقت نفسه إلى ما كانت معتادة من مغازلة الغزلان وسماع القينات، فقال للرئيس: هل عندك من يطربنا بصوته أو يعجبنا بصورته من وصيفة أو صورة لطيفة ولا نطلب زيادة على النظر وحسن المنادمة إلى السحر لتزول عنا وحشة **الاغتراب** ودهشة الاضطراب وقد قيل الشرب بغير نغم غم وبدون طرب هم، ثم نهض الرئيس إلى حريمه وقال لابنته ما جرى بينه وبين ضيفه وقال: يا بنيه أظن ضيفنا من الأكابر والأعيان وقد التمس منا شيئا يلهيه بمنادمته وليس عندنا من يليق لذلك سواك وأنا أعرف عفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومحاورتك فإن رأيت أن تمتعيه بالنظر إلى حسن صورتك وجمالك ثم تعودي إلى مكانك مفتخرة بين أهلك وناسك فلا عار عليك والأمر مفوض إليك، فأجابت أباها وأقبلت إلى الضيف وهي من قدها." (٢)

"هذا فطريق المعاشرة وسبيل المباشرة مع العقلاء وذوي الآراء الزكية في العداوة والبغضا والصداقة والكدورة والرياقه واللطافة والكثافة والخوف والرجا والانتهاء والابتداء إنما هو من باب واحد لا من طرق متعددة. ولأجل هذا ملوك هذا الطريق الأمر معهم متيسر لا متعذر ولا متعسر وإن خيط هذه السموط بالاستقامة مضبوط وبالصلاح مربوط بخلاف الجهال والخلعا والحمقى والسفها فإن أمورهم متفرطة وأفكارهم وآراؤهم غير منضبطة فتكد خواطر العقلاء في تعليمهم وتعيى طبيب الفكر في معالجة أخفهم وإصلاح سعيهم كما قيل:
إني لآمن من عدو عاقل ... وأخاف خل يعتريه جنون

---

(١) أدب الكتاب للصولي الصولي ص/١٦٧

(٢) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/٢٥

والعقل زين للفتى وطريقه ... نجح وخير والجنون فنون

ولهذا قيل: معادات العاقل خير من مصادقة الجاهل، ثم قالت الأنثى: أما سمعت حديث أشرف الإنسان سيد ولد عدنان الذي خلقت من أجل الأكوان "حب الوطن من الإيمان" وقد ألفنا وطننا وحبه وقطع أصول محبتنا ص‍عبة خصوصا وهو في معزل عن طرق الجوارح ومكن عن طوارق السوانح والبوارح، وإنما تعرض لأولادنا تلك الآفات والعاضة من تراكم العساكر وما يحصل من إقدامها من الكثافة وأخاف إن انتقلنا من هذا الوطن يخرج من أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق ولا توافقنا **الغربة** أو يمنع مانع في الطريق فنقصد الربح فيذهب راس المال فنخسر ما في أيدينا في الحال ولا يحصل المأوى في الاستقبال كيف وهو مسقط رأسنا ومحل أنسنا وإيناسنا؟ فالأولى لنا الرضى والانقياد لأوامر القضا وملازمة الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم، وقد قيل إنما يشفى العليل إذا ترك مشتهيات نفسه وقيد متمنياته في حبسه." (١)

" سمعت أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلم ولده لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها

(دعيني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير)

ويقول إن هذا يدعوهم إلى **الاغتراب** عن أوطانهم

خبر عروة مع سبيته سلمى

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران الزهري عن عامر بن جابر قال

أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة من كنانة ناكحا فاستاقها ورجع وهو يقول

(تبغ عديا حيث حلت ديارها ... وأبناء عوف في القرون الأوائل)

(فإلا أنل أوسا فإني حسبها ... بمنبطح الأدغال من ذي السلائل)

ثم أقبل سائرا حتى نزل ببني النضير فلما رأوها أعجبتهم فسقوه الخمر ثم استوهبوها منه فوهبها لهم وكان لا يمس النساء فلما أصبح وصحا ندم فقال

(سقوني الخمر ثم تكنفوني ...)

---

(١) مرزبان نامه اسبهبد مرزبان ص/١٧٨

الأبيات قال وجلاها النبي مع من جلا من بني النضير

سلمى تثني عليه بعد رفضها العودة معه

وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة ." (١)

" حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال

قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر فقال شبة أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام ما فسرت لنا شيئا نحصله فقال ما عندي غير ما قلت فقال لخالد بن صفوان صفهم لنا يأبن الأهتم فقال أما أعظمهم فخرا وابعدهم ذكرا وأحسنهم عذرا وأسيرهم مثلا وأقلهم غزلا وأحلاهم عللا الطامي إذا زخر والحامي إذا زأر والسامي إذا خطر الذي إن هدر قال وإن خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق وأما أحسنهم نعتا وامدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذي إن هجا وضع وإن مدح رفع فالأخطل وأما أغزرهم بحرا وارقهم شعرا وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق وإن طلب لم يلحق فجرير وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العماد واري الزناد فقال له مسلمة بن عبد الملك ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفا وألينهم عطفا وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا فقال خالد أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم **الغربة** وفرج بكم الكربة وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الغراس عالم بالناس جواد في المحل بسام عند البذل حليم عند الطيش في ذروة قريش ولباب عبد شمس ويومك خير من أمس فضحك هشام وقال ما رأيت كتخلصك يابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسلمت منهم ." (٢)

" الفرافصة ابنه ضبا فزوجها إياه وكان ضب مسلما وكان الفرافصة نصرانيا فلما أرادوا حملها إليه قال لها أبوها يا بنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر

فلما حملت كرهت **الغربة** وحزنت لفراق أهلها فأنشأت تقول

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٧٤/٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٦/٨

(ألست ترى يا ضب بالله أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا)

(إذا قطعوا حزنا تخب ركابهم ... كما حركت ريح يراعا مثقبا)

(لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم ... لك الويل ما يغني الخباء المطنبا)

فلما قدمت على عثمان رضي الله عنه قعد على سريره ووضع لها سريرا حياله فجلست عليه فوضع عثمان قلنسيته فبدا الصلع فقال يا بنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من صلعي فإن وراءه ما تحبين فسكتت فقال إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك فقالت أما ما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع وأما قولك إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك بل أقوم إليك فقامت فجلست إلى جنبه فمسح رأسها ودعا لها بالبركة ثم قال لها اطرحي عنك رداءك فطرحته ثم قال لها اطرحي خمارك فطرحته ثم قال لها انزعي درعك فنزعته ثم قال حلي إزارك فقالت ذاك إليك فحل إزارها فكانت من أحظى نساءه عنده

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال ." (١)

" ثم قطع المنشد فقال له عمارة زدنا من هذا فوصل نشيده وقال

(ولكنني لم أحو وفرا مجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد)

(ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ... ألذ به إلا بنوم مشرد)

فقال عمارة لله دره لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب إلي الاغتراب هيه فأنشده

(وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد)

(فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس أن ليست عليهم بسرمد)

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله فقال له رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا فقال إن لم يكن أخا بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٤٩/١٦

(إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نغدو ونسري في إخاء تالد)

(أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد)

(أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد) ." (١)

" أخبار المخبل القيسي ونسبه

قال عبد الله بن أبي سعد الوراق فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلبي إجازة عنه حدثني علي بن الصباح بن الفرات قال أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل عن رباح بن قطيب بن زيد الأسدي قال كانت عند رجل من قيس يقال له كعب بنت عم له وكانت أحب الناس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها فقال يا أم عمرو هل ترين أن الله خلق أحسن منك قالت نعم أختي ميلاء هي أحسن مني

قال فإني أحب أن أنظر إليها فقالت إن علمت بك لم تخرج إليك ولكن كن من وراء الستر ففعل وأرسلت إليها فجاءتها فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها فاعترضها فشكا إليها حبها فقالت والله يا ابن عم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه وواعدته مرة أخرى فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان فرأتهما جالسين فمضت إلى إخوتها وكانوا سبعة فقالت إما أن تزوجوا ميلاء كعبا وإما أن تكفوني أمرها وبلغهما الخبر ووقف إخوتها على ذلك فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم وكان منزله ومنزل أهله الحجاز فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب فقال كعب

شعره في أرض **الغربة**

(أفي كل يوم أنت من لاعج الهوى ... إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر) ." (٢)

"من بني الصيداء من أهل القصيم، وكان، والله، واسع الرحل، كريم المحل، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق، فأتيت أبا مثواى، فقلت: إنى قد هلعت من **الغربة** واشتقت أهلي، ولم أفد في قدمتي هذه إليكم كبير علم، وإنما كنت أغتفر وحشة **الغربة** وجفاء البادية للفائدة، فأظهر توجعا، ثم أبرز غداء له فتغديت معه، وأمر بناقة له مهرية كأنها سبيكة لجين فارتحلها واكتفلها، ثم ركب وأردفنى وأقبلها مطلع الشمس، فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار له جمة قد ثمغها كالورس فكأنها قنبيطة،

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤١٧/١٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٨١/٢٠

وهو يترنم، فسلم عليه صاحبى وسأله عن نسبه، فاعتزى أسديا من بنى ثعلبة، فقال: أتنشد أم تقول؟ فقال: كلا، فقال: أين تؤم؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه، فأناخ الشيخ وقال لي: خذ بيد عمك فأنزله عن حماره، ففعلت، فألقي له كيسا قد كان اكتفل به، ثم قال: أنشدنا، رحمك الله، وتصدق على هذا الغريب بأبيات يءيهن عنك ويذكرك بهن، فقال: إى ها الله إذا! ثم أنشدنى:

لقد طال يا سوداء منك المواعد ... ودون الجدا المأمول منك الفراقد

إذا أنت أعطيت الغني ثم لم تجد ... بفضل الغنى ألفيت مالك حامد

تمنيننا غدا وغيمكم غدا ... ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد

وقل غناء عنك مال جمعته ... إذا ثار ميراثا وواراك لا حد

إذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما ... يريب من الأدنى رماك الأباعد

إذا الحلم لم يغلب لك الجهل ... لم تزل عليك بروق جمة ورواعد

إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل ... جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد

إذا أنت لم تترك طعاما تحبه ... ولا مقعدا تدعوا إليه الولائد

تجللت عارا لا يزال يشبه ... سباب الرجال نقرهم والقصائد

وأنشدنى أيضا:

تعز فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعا ... لنازلة أو كان يغنى التذلل

لكان التعزى عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجمل." (١)

"فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضى الله مزحل

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤس ونعمى والحوادث تفعل

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل

ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقنا بعزم الصبر منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

قال أبو بكر، قال عبد الرحمن، قال عمي: فقمت والله وقد أنسيت أهلي، وهان على طول **الغربة** وشظف

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١/١٧٠

العيش سرورا بما سمعت، ثم قال لي: يا بني، من لم تكن استفادة الأدب أحب إليه من الأهل والمال لم ينجب

وأنشدنى أبو بكر قال: أنشدنى أبو عثمان:

إذا ما فقدتم أسود العين كنتم ... كراما وأنتم ما أقام ألائم

أسود العين: جبل، والجبل لا يغيب، يقول: فأنتم لئام أبدا.

وقرأت عليه لعدى بن زيد يصف فرسا:

أحال عليه بالقناة غلامنا ... فأذرع به لخلة الشاة راقعا

أذرع به، أي ما أذرعه، أي ما أسرعه! وقوله: لخلة الشاة راقعا، أى يلحقها فيرقع ما بينه وبينها من الفرجة حتى لا يكون بينهما فرجة، وحكى عن خلف الأحمر، أنه قال: يعدو الفرس وبين الشاتين خلة، أى فرجة فيدخل بينهما فكأنه رقع الخلة بنفسه لما سار فيها.

مطلب وصف بعض الأعراب للمطر وشرح غريبه

وحدثنا أبو بكر

، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: سئل أعرابى عن مطر، فقال: استقل سد مع انتشار الطفل، فشصا واحزال، ثم اكفهرت أرجاؤه، واحمومت أرحاؤها، وابذعرت فوارقه، وتضاحكت بوارقه، واستطار وادقه، وارتتقت جوبه، وارتعن هيدبه، وحشكت أخلافه، واستقلت أردافه، وانتشرت أكنافه، فالرعد مرتجس، والبرق مختلس، والماء منبجس، فأترع الغدر، وانتبث الوجر، وخلط الأوعال بالآجال، وقرن الصيران بالرئال، فللأودية هدير، وللشراج خرير، وللتلاع زفير، وحط النبع والعتم، من القلل الشم، إلى القيعان الصحم، فلم يبق في القلل إلا معصم مجرنثم، أو داحص مجرجم، وذلك من فضل رب العالمين، على عباده المذنبين." (١)

"الشعاع: المتفرق المنتشر، قال قيس بن الخطيم:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٧١/١

الكلام على مادة جنب

قال الأصمعي يقال: جنب بنو فلان فهم مجنبون إذا لم يكن في إبلهم لبن، وأهدوا إلى بني فلان من لبنكم فإنهم مجنبون، قال الجميح بن منقذ:

لما رأت إبلي قلت حلوبتها ... وكل عام عليها عام تجنيب

ويقال: إن عنده لخيرا مجنبا وشرا مجنبا أي كثيرا، والمجنب: الترس، قال الهذلي:

صب اللهيف لها السبوب بطغية ... تنبي العقاب كما يلط المجنب

اللهيف: الملهوف وهو المكروب، والسبوب: الحبال، واحدها سب، قال أبو ذؤيب.

:

تدلى عليها بين سب وخيطة ... شديد الوصاة نابل وابن نابل

والنابل: الحاذق.

والطغية ناحية من الجبل يزلق منها، وقال غيره، الطغية: الشمراخ من شماريخ الجبل.

ويلط: يكب، ويقال: جنبت الريح تجنب جنوبا إذا هبت جنوبا، وجنبنا منذ أيام أي أصابتنا الجنوب، وأجنبنا منذ أيام دخلنا في الجنوب، وسحابة مجنوبة: جاءت بها الجنوب.

وجنب فلان في بني فلان إذا نزل فيهم غريبا، ومنه قيل: جانب للغريب، وجمعه جناب، أنشدني أبو الياس للقطامي:

فسلمت والتسليم ليس يضرها ... ولكنه حتم على كل جانب

أي على كل غريب، ورجل جنب: غريب وجمعه أجناب، قال الله عز وجل: ﴿والجار الجنب﴾ [النساء: ٣٦] ، أي الجار الغريب وقال: نعم القوم هم لجار الجنابة أي **الغربة**، ويقال: جنبت فلانا الخير أي نحيته عنه وجنبته أيضا بالتثقيل، قال أبو نصر والتخفيف أجود، قال الله عز وجل: ﴿واجنبني أن نعبد الأصنام﴾ ، وجلس فلان جنبة أي ناحية، قال الراعي:

أخليد إن أباك ضاف وساده ... همان باتا جنبة ودخيلا." (١)

"وقال:

لما مشين بذي الأراك تشابهت ... أعطاف قضبان به وقدود (١)

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/٢٥٩

في حلتي حبر وروض فالتقى ... وشيان: وشي ربي ووشي برود

وسفرن فمتلأت عيون راقها ... وردان: ورد جنى، وورد خدود (٢)

وضحكن فاغترب الأقاحي من ند ... غض وسلسال الرضاب برود (٣)

وهذا أيضا من إحسانه المعروف.

وقوله «فاغترب» يريد الضحك، والمستعمل استغرب في الضحك إذا اشتد فيه، وأغرب أيضا، قال ذو الرمة:

فما يغربون الضحك إلا تبسما ... ولا ينسبون القول إلا تناجيا (٤)

ولم أسمع في الضحك اغترب، إنما ذلك من **الغربة** والبعد، فقوله: «اغترب الأقاحي من ند غض» يريد النور نفسه، «وسلسال الرضاب» يعني الثغور، كأنه جعلهما جميعا من الأقاحي، وفصله فقال: من ند غض، ومن سلسال الرضاب، وسلسال الرضاب هو ند غض أيضا، إلا أنه جعل الفرق بينهما أن هذا أندى، وأجرى من ذاك.

وأظن المستغرب في الضحك إنما أخذ من غروب الأسنان إذا بدت كلها في الضحك، وهي أطرافها، وغرب كل شيء: حده.

أو أن يكون استغرب في الضحك أي امتلأ ضحكا من قولهم: أغربت." [١]

"وقال أبو تمام وسبيله أن يقدم في أول الباب؛ لأنه من إحسانه المشهور:

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد (١)

ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ... ألذ به إلا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت ملاحة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

قوله: «لم أحو وفرا مجمعا. . . إلا بشمل مبدد» يريد أنه لم يحو ذلك إلا في **الغربة** مع مفارقة وطنه وأحبابه، وأنه لم ينم نوما ساكنا إلا بعد نوم مشرد في الأسفار، وهذا مبني على قول عروة بن الورد:

* ولم تدر أني للمقام أطوف * (٢)

وقوله: «فإني رأيت الشمس». . . مسروق من قول الكميت:

* ولو لم تغب شمس النهار لملت *

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢/١١٤

وقال أبو تمام:

هن البجاري أيا بجير ... أهدى لها الأبؤس الغوير (٣)

يوم مقام على وفاز ... وسائر الدهر فيه سير

في ثبة إن سرن جن ... أو يمموا شقة فطير

قد ضج من فعلهم جديل ... بن‌سله واشتكى غرير

هذا عبيد وذا زياد ... وذا لبيد وذا زهير

يا لك من همة وعزم ... لو أنه في عصاك سير." (١)

"[١٢٧٧]- وأحمض من صفع الظلم في بلاد الغربة.

[١٢٧٨]-[٣٥ ظ] وأصح عزما من أير دخل نصفه. أي: لا يرجع حتى يتم.

[١٢٧٩]- وأجبن من صفرد. وكانت العرب تقول: من صافر «١» . يعنون البغاث من الطير، فقلبه المولدون: صفردا.

وتقول:

١٢٨٠- هو أحسن من النعم.

١٢٨١- وأنفذ من القضاء.

١٢٨٢- وأطوع من الرداء.

[١٢٧٧]- في الأصل: «أحمص ... » بدون إعجام.

[١٢٧٨]- رواية التمثيل: ٣٢٢ «أعجل من ... » .

[١٢٧٩]- ينظر: ١١٦٦.." (٢)

"الدنيا فقال بعضهم الفقر، وقال آخرون السفر مع الفقر، وقال آخرون الغربة مع المرض والفقر، ثم قال أشدها أن يترك خادم المريض صاحبه على ظهر الطريق ويهرب منه قال الحسن: جهد البلاء أربعة كثرة العيال وقلة المال وجار السوء وزوجة تخونك. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الذل في الدنيا أربعة

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢/٢٦٨

(٢) الأمثال المولدة الخوارزمي، أبو بكر ص/٢٩٣

أشياء تذلل الشريف للدنيء لينال منه شيئا، وتذلل الرجل للمرأة لينال من مالها شيئا، وتعير المعير بلا فسحة وحضور المجلس بلا نسخة، وقيل ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة، الحماقة الطاعون والهرم. وقيل أشد شيء في الدنيا فراق الأحبة، والدليل على أن ألم الفراق أعظم أن زليخا ما قطعت يدها والنساء قطعن أيديهن لما علمن من فراق يوسف عليه السلام، وزليخا علمت أنه مقيم عندها، وقيل أشد شيء في الدنيا الفقر والمرض والهرم. وقيل الهم مع العيال، وقيل **الغربة** مع العلة، وقيل أشد شيء سؤال اللئام، وقيل رفيق يرافقك ولا يوافقك ولا يفارقك. وقيل أشد شيء مجالسة الأضداد ومعاشرة الأعداء، وقيل أشدها أن ينظر بعينه إلى زوال نعمته، وقيل أشده سوء الخلق فإن صاحبه يكون في جهد البلاء، وقيل جهد البلاء كثرة العيال مع قلة المال والأشياء التي تقتل سراج لا يضيء، ورسول يبطيء وبيت يكشف ودمدمة الخادم (حكاية) لما خلق الله." (١)

"أتعدل الكفر بالدين قال نعم وقال من لم تعزه التقوى فلا عزله، وقال: أظلم الظالمين من تواضع لمن لا يكرمه. ويرغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدحة من لا يعرفه. وقال: لو أن رجلا سوى نفسه مثل القدح لكان له في الناس من يغمزه وقال:

أفسد الناس ذوائب العلوية ومرقعات الصوفية يعني يغترون بهم وإذا شربت الخمر وزنيت وقتلت خير لك من الرفض والاعتزال. وقال: الطرب عقل وكرم فمن لم يطرب فليس بعاقل ولا كريم وقال الفقر في الاوطان غربة والمال في **الغربة** أوطان وقال سياسة الناس أشد من سياسة الدواب، من المعرفة بالزمان التحامق مع النسوان، الوقار في النزهة سخف، أصل كل عداوة الصنيعة الى الانذال، ان كنت تريد أن تعرف منزلة الدنيا عند الله تعالى فانظر عند من وضعها يعني اليهود والنصارى غرقوا في النعم، الكيس العاقل الفطن المتغافل، صحبة من لا يخاف العار عار، النعمة التي لا يحسد عليها صاحبها التواضع، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه فيه العجب، وقال إن الله تعالى جعل البركة، في الصناعات كلها ما خلا الحياكة فإن الله نزع منها البركة وقال احذر كل أزرق وأحول وأعور وأحدب وأعرج فان لهم التواء.." (٢)

"وجاءونا بالطساس والأباريق، فغسلنا وجوهنا، وأجلسونا في مجالس حسنة، مفروشة بأنواع الفرش الذي لم نر مثله.

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخوارزمي، أبو بكر ص/٢٥١

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخوارزمي، أبو بكر ص/٣٨٥

وإذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر، وفيها دور عدة، وبستان عظيم، وصاحب المنزل يخدمنا بنفسه.
وعرض علينا الحمام، فقلنا نحن محتاجون إليه، فأدخلنا إلى حمام في الدار [في نهاية السرو، ودخل إلينا غلامان أمردان وضيئان، في نهاية الحسن] «١» فخدمانا بدلا [١٣٠ ب] من القيم [والمزين] «٢» ، وأخرجنا من الحمام، إلى غير ذلك المجلس، فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة، عليها من الحيوان، وفاخر الطبيخ «٣» ، والألوان، ونادر الخبز، وغريب البوارد، وكل شيء.
وإذا بغلمان مرد، في نهاية الحسن والزي، قد دخلوا إلينا، فغمزوا أرجلنا، فلحقنا من ذلك، مع **الغربة** وطول العهد بالجماع، عنت، فأمرناهم بالانصراف، وفينا من لم يستحل التعرض لهم، وتعفف «٤» عن ذلك، لنزولنا على صاحبهم.
ثم انتبهنا، فنقلنا إلى مجلس آخر على صحنين، في أحدهما بستان حسن، فأخرج إلينا من آلات النبيذ كل طريف [ظريف] «٥» ، وأحضر من الأنبذة، كل شيء طيب حسن.
وشربنا أقداحا يسيرة، ثم ضرب بيده إلى ستارة ممدودة، فإذا بجوار." (١)

"جمع ربل، وهو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت بالمطر «٥٦» . والكناس: مولج للوحش من البقر والظباء تستظل فيه.
وقوله «٥٧» :
أدنيت رحلى إلى مدن مكارمه ... إلى يهتبل اللذ جئت أهتبل «٥٨»
«اللذ» بمعنى الذى.
وقال «٥٩» :
إذا «٦٠» مشى يمشى الدفقى أو سرى ... وصل السرى أو سار سار وجيفا «٦١»
الدفقى: مشية سريعة. قال الشاعر:
من الحفرات لا تمشى الدفقى «٦٢» ... ولا تختال فى الثوب المعار
وقال الطائى فى مثل ذلك:
وقد سد مندوحة القاصعا ... ء منهم وأمسك بالنافقاء
القاصعاء: جحر اليربوع الأول الذى يدخل فيه، والنافقاء: موضع يرققه من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ١٧٣/٢

ضرب النافقاء ففتحه.

ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا، غير أنها من الغريب المصدود عنه، وليس يحسن من المحدثين استعمالها؛ لأنها لا تجاور بأمثالها، ولا تتبع أشكالها؛ فكأنها تشكو **الغربة** في كلامهم؛ ألا ترون بعد قوله «٦٣» :." (١)

"امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٢-٢٤] ، فهذه شدة أخرى، لحقته **بالاغتراب**، والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب، فوفق الله تعالى له شعيبا، قال الله عز وجل، في تمام هذه القصة: ﴿فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [القصص: ٢٥] .

ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة، كيف زوجه شعيب ابنته، بعد أن استأجره ثماني حجج، وأنه خرج بأهله من عند شعيب، فرأى النار، فمضى يقتبس منها، فكلمه الله تعالى، وجعله نبيا، وأرسله إلى فرعون، فسأله أن يرسل معه أخاه هارون، فشد الله تعالى عضده به، وجعله نبيا معه، فأي فرج أحسن من فرج أتى رجلا خائفا، هاربا، فقيرا، قد أجر نفسه ثماني حجج، بالنبوة والملك؟ قال الله تعالى في ﴿ [الأعراف:] وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ [سورة الأعراف: ١٢٧] ، فهذه شدة لحقت بني إسرائيل، فكشفها الله عنهم، قال سبحانه: ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿١٢٨﴾ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في." (٢)

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٣٨٦

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٧٧/١

"فإني ذكرتك، فعلمت طول مقامك في العطلة **والغربة.**

ودعا بكتابه، فكتب كتبي على فسا ودرابجرد، وخرجت من يومي إلى العمل، فحصلت منه، في مدينة قريبة، سوى نفقتي، ست مائة ألف درهم.." (١)

"فرقت حالي جدا، حتى بعت ما في البيت عن آخره، على قلته.

فأصبحت يوما، فقال لي غلامي: أي شيء نعمل اليوم؟ ما معنا حاجة.

فقلت: خذ مبطنتي بعها، وأشتر لنا ما نحتاج إليه.

فخرج الغلام، وبقيت في الدار وحدي، أفكر فيما دفعت إليه من **الغربة** والوحدة، والعطلة، والضيقة، والشدة، وتعذر المعيشة والتصرف، وكيف أصنع، وممن أقترض، فكاد عقلي أن يزول.

فبينا أنا كذلك، وإذا بجرذ قد خرج من كوة في البيت، وفي فمه دينار، فوضعه ثم عاد، فما زال كذلك، حتى أخرج ثمانين دينارا، فصفها، ثم جعل يتقلب عليها، ويتمرغ، ويلعب.

ثم أخذ دينارا ودخل إلى الكوة، فخشيت إن تركته أن يردها جميعها إلى الموضع الذي أخرجها منه، فقمت، وأخذت الدنانير، وشددتها.

وجاء الغلام، ومعه ما قد ابتاعه، فتغدينا، وقلت له: خذ هذا الدينار، فابتع لنا فأسا.

فقال: ما نصنع به؟ فحدثته الحديث، وأريته الدنانير، وقلت له: قد عزمت على أن أقلع ا الكوة.

ففعل ما أمرته به، وأفضى بنا الحفر إلى برنية فيها سبعة آلاف دينار.

فأخذتها وأصلحت الموضع كما كان، وخرجت إلى بغداد، بعد أن أخذت بالمال سفاتج، وتركت بعضه معي.." (٢)

"فلم يقرب أحد من لفظ القرآن فى اختصاره وصفائه، ورونقه وبهائه، وطلاوته ومائه؛ وكذلك جميع ما فى القرآن من الطباق.

ومما جاء فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم من الكلام المطابق قوله للأنصار:

«إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع» . وقوله عليه الصلاة والسلام: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة» ، يعنى عين الماء ينام صاحبها وهى تسقى أرضه. وقوله عليه الصلاة والسلام: «إياكم والمشارة فإنها

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٥٧/٣

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٨٤/٤

تميت الغرة وتحيى العرة» «١» .

ومن سائر الكلام قول الحسن: ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت. وقال أيضا رضى الله عنه: إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن يؤمنك حيت تلقى الخوف. وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: معروف زماننا منكر زمان قد فات، ومنكره معروف زمان لم يأت. وقال بعضهم: ليت حلمنا عنك لايدعو جهل غيرنا إليك. وقال عبد الملك: ما حمدت نفسى على محبوب ابتدأته بعجز، ورا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم. وقالوا: الغنى فى الغربة وطن، والفقر فى الوطن غربة. وقال أعرابى لرجل: إن فلانا وإن ضحك لك، فإنه يضحك منك.

فإن لم تتخذه عدوا فى علانيتك، فلا تجعله صديقا فى سريرتك. وقال على رضى الله عنه: أعظم الذنوب ما صغر عندك. وشتم رجل الشعبى، فقال: إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا فغفر الله لى. وأوصى بعضهم غلاما، فقال: إن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك. ونحوه قول الآخر: لا تتكل على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك. وقال الحسن: أما تستحيون من طول ما لا تستحيون! ونحوه قول الأعرابى: فلان يستحى من أن يستحى. وقال:

من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء.." (١)

"فيه وبعرت وطرق أيضا ونخلة طريق أي طويلة ملساء وقيل هي التي تتناول باليد

٣٥٥ - قولهم تبلدي تصيدي

يقال ذلك للذي يظهر التبلد ونيته الوثبة

والتبلد التحير

والبلادة خلاف الذكاء وروى ثعلب (اقصدي تصيدي) قال يضرب مثلا للرجل يعدل عن الحق أي اطلب الحق تنتفع به

وقيل أصل التبلد أن يضرب إحدى راحتيه على الأخرى

والبلدة الراحة وروى أيضا (تبلدي تصيدي) أي التصقي بالأرض

٣٥٦ - قولهم تجنب روضة وأحال يعدو

يضرب مثلا للرجل تعرض عليه الكرامة فيأباها ويختار الهوان عليها ومعناه ترك الخصب واختار الشقاء

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٣٠٩

والجدب

ونحو هذا وإن لم يكن منه قول الشاعر

(أقول بالمصر لما كظني شبعي ... ألا سبيل إلى أرض بها الجوع)

وكان هذا يحب الجوع في الوطن ويكره الشبع في **الغربة** وكان الجوع عادة لأهل البدو والمكروه إذا اعتيد سهل

وذكر بعضهم لرجل بلاغة العرب." (١)

"١٠٣٥ - أشأم من الأخيل

وهو االشقراق وذلك أنه يقع على ظهر البعير الدبر فيختزل ظهره قال الفرزدق

(إذا قطنا بلغتنيه ابن مدرك ... فلاقيت من طير العراقيب أخيلا)

وبعير مخيول وقع على ظهره الأخيل فقطعه ويسمونه مقطع الظهور

١٠٣٦ - أشأم من غراب البين

لزمه هذا الاسم لأنه إذا بان الحي للنجعة انتاب منازلهم يلتمس فيها شيئا يأكله فتشاءموا به إذ كان لا يعتريها إلا إذا بانوا ومن أجل تشاؤمهم به في هذا المعنى اشتقوا من اسمه **الغربة**

١٠٣٧ - أشأم من زرقاء

قالوا يعنون الناقة تشرد فتذهب في الأرض ولم يزيدوا على هذا التفسير

١٠٣٨ - أشأم من زحل

مثل مولد قال الشاعر." (٢)

"١٤٦٩ - أكذب من أخيذ

وهو الأسير يكذب لينجو

١٤٧٠ - أكذب من أخيذ الجيش

وهو الذي يأخذه أعداؤه فيستدلونه على قومه فيكذبهم

١٤٧١ - أكذب من الأخيذ الصبحان

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/٢٥٩

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/٥٥٩

وأصله أن رجلا خرج من حيه وقد اصطبح فلقيه جيش يريدون قومه فسألوه عنهم فقال لا عهد لي بهم ثم غلبه البول فعلموا أنه مصطبح فطعنوه في بطنه فبدره اللبن فعلموا أن الحى قريب فقصدوهم فظفروا بهم
وقد يقال أكذب من الأخذ على وزن فعل والأخذ داء يأخذ الفصيل فيدنى من أمه وهي حافل فيضرب برأسه ويعرض كأنه لا يجد شيئا فجعل مثلا للكاذب

١٤٧٢ - أكذب من الشيخ الغريب

لأنه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين فيزعم أنه ابن أربعين." (١)

"ومبيدها، وخالق المصباح ومديره، وفالق الإصباح ومنيره، وموصل الآلاء سابغة إلينا، وممسك السماء أن تقع علينا، وبارئ النسم أزواجا وجاعل الشمس سراجا، والسماء سقفا والأرض فراشا، وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشئ السحاب ثقالا، ومرسل الصواعق نكالا، وعالم ما فوق النجوم وما تحت التخوم، أسألك الصلاة على سيد المرسلين، محمد وآله الطاهرين، وأن تعينني على الغربة أثني حبلها، وعلى العسرة أعدو ظلها، وأن تسهل لي على يدي من فطرته الفطرة، وأطلعته الطهرة، وسعد بالدين المتين، ولم يعم عن الحق المبين، راحلة تطوى هذا الطريق، وزادا يسعني والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فناجيت نفسي بأن هذا الرجل أفصح من إسكندرينا أبي الفتح، والتفت لفتة فإذا." (٢)

"المقامة الحرزية

حدثنا عيسى بن هشام قال: لما بلغت بي الغربة باب الأبواب، ورضيت من الغنيمة بالإياب، ودونه من البحر وثاب بغاربه، ومن السفن عساف براكبه، استخرت الله في القفول، وقعدت من الفلك، بمثابة الهلك، ولما ملكنا البحر وجن علينا الليل غشيتنا سحابة تمد من الأمطار حبالا، وتحدو من الغيم جبالا، بريح ترسل الأمواج أزواجا، والأمطار أفواجا، وبقينا في يد الحين، بين البحرين، لا نملك عدة غير الدعاء، ولا حيلة إلا البكاء ولا عصمة غير الرجاء، وطويناها ليلة نابغية." (٣)

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١٧٢/٢

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٥١

(٣) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/١٣٨

"عصمة، والمعرفة عند الكرام حرمة، والمودة لحمة، فقلت: أبلدي أنت أم عشيري فقال ما يجمعنا إلا بلد **الغربة** ولا ينظمنا إلا رحم القربة فقلت: أي الطريق شدنا في قرن؟ قال: طريق اليمن.

قال عيسى بن هشام: فقلت: أنت أبو الفتح." (١)

"أشطره، وجربت الناس لأعرفهم، فعرفت منهم غثهم وسمينهم، **والغربة** لأذوقها، فما لمحتني أرض إلا فقأت عينها، ولا انتظمت رفقة إلا ولجت بينها، فأنا في الشرق أذكر، وفي الغرب لا أنكر، فما ملك إلا وطئت بساطه، ولا خطب إلا خرقت سماطه، وما سكنت حرب إلا وكنت فيها سفيرا، قد جربني الدهر في زمني رخائه وبوسه، ولقيني بوجهي بشره وعبوسه.." (٢)

"بأرض تنبت الآمال فيها ... لأن سحابها خلف بن أحمد.

المقامة العلمية

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت في بعض مطارح **الغربة** مجتازا، فإذا أنا برجل يقول لآخر: بم أدركت العلم؟ وهو يجيبه، قال: طلبته فوجدته بعيد المرام، لا يصطاد بالسهام، ولا يقسم بالأزلام." (٣)

"المقامة الصفرية

حدثنا عيسى بن هشام قال: لما أردت القفول من الحج، دخل إلي فتى فقال: عندي رجل من نجار الصفر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الظفر، وقد أدبته **الغربة**، وأدتني الحسبة إليك، لأمثل حاله لديك، وقد خطب منك جارية صفراء، تعجب الحاضرين، وتسر الناظرين، فإن أحببت ينجب." (٤)

"الواقدة، وطينتهم الحرة، وأعراقهم الكريمة، وعاداتهم السليمة: وإنما شعروا بهذا لأن الضوى الواصل إلى الأبدان هو سار في العقول، ولكن الفرس عن هذا السر غافلون، ولا يفطن لهذا وأمثاله إلا الألمعيون الأحوذيون، ثم قال: أنشد الأصمعي عن العرب قول قائلهم في مدح صاحب له:

فتى لم تلده بنت عم قريبة ... فيضوى وقد يضوى رديد الأقارب

قال: وقالت العرب: «أضواه حقه» : إذا نقصه. قال: وقال آخر لولده: والله لقد كفيتك الضؤولة، واخترت

---

(١) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٢٢٢

(٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٢٧٦

(٣) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٣٠٠

(٤) مقامات بديع الزمان الهمذاني بديع الزمان الهمذاني ص/٣٨٨

لك الخؤولة.

وقال أيضا: العرب تقول: «ليس أضوى من القرائب، ولا أنجب من الغرائب» وقال الشاعر:

أنذرت من كان بعيد الهم ... تزويج أولاد بنات العم

ليس بناج من ضوى أو سقم ... وأنت إن أطعمته لا ينمي

وقال الأسدي يفتخر:

ولست بضاوي تموج عظامه ... ولادته في خالد بعد خالد

تردد حتى عمه خال أمه ... إلى نسب أدنى من السر واحد

ثم قال: والعرب لم ترد بهذا إلا نقص الذهن والعقل، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة. ثم قال: وعلى هذا طباع الأرض، ولذلك يقال: إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض، لأن الرياح إذا اختلفت حولت تراب أرض إلى أرض، وإذا كان **الاغتراب** يؤثر من التراب إلى التراب، فبالحري أن يؤثر الإنسان في الإنسان **بالاغتراب**، لأن الإنسان أيضا من التراب.

قال أبو حامد: فما ظنك بقوم يجهلون آثار الطبيعة، وأسرار الشريعة؟ ما أذلهم الله باطلا، ولا سلبهم ملكهم ظالما، ولا ضربهم بالخزي والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة، وكذبهم على الله بالجرأة والمكابرة، وما الله بظلام للعبيد.

فلما بلغ القول مداه قال: لله در هذا النفس الطويل والنفث الغزير! لقد كنت قرما إلى هذا النوع من الكلام، ففرغ نفسك لرسمه في جزء لأنظر فيه، وأشرب النفس حلاوته، وأستنتج العقيم منه، فإن الكلام إذا مر بالسمع حلق، وإذا شارفه البصر بالقراءة من كتاب أسف، والمحلق بعيد المنال، والمسف حاضر العين، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ تذكر منه الشيء بعد الشيء بالوهم الذي لا انعقاد له، والخيال الذي لا معرج عليه. فقلت: أفعل سامعا مطيعا– إن شاء الله–.." (١)

"إذا فزع الفؤاد فلا رقاد

ما العلم إلا ما وعاه الصدر

إن الكريم على الإخوان ذو المال

إن الفرار لا يزيد في الأجل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٨٢

إن الشفيق بسوء ظن مولع

لا تبل على أكمة، ولا تفش سرك إلى أمة. إذا أقبلت الدنيا على المرء أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه. في التجارب علم مستأنف. قد خاطر من استغنى برأيه. عليك لأخيك مثل الذي عليه لك. الحق ظل ظليل. المودة قرابة مستفادة. معدم وصول خير من مكثر جاف. من الفراغ تكون الصبوة. من نال استطال. في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال. الشكر عصمة من النقمة. اللب مصباح العلم. من ركب العجلة، لم يأمن الكبوة. إزالة الرواسي، أيسر من تأليف القلوب.

قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم، وترتع في حدائقهم. عاشر أخاك بالحسنى.

الحسد أهلك الجسد. خذ على خلائقك ميثاق الصبر. خير ما رمت ما ينال.

كل امرئ في شأنه ساعي

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

غم الفقير لا يكشفه إلا الموت. خفة الظهر أحد اليسارين. أصول الأسقام من فضول الطعام. طلاق الدنيا مهر الجنة. من عز النفس إيثار القناعة، التواضع بالغني أجمل، والكبر بالفقير أسمج. من استعان بغير الله لم يزل مخذولا. من لم يقبل من الدهر ما آتاه طال عتبه على الدهر. عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله. العجز والتواني ينتجان الفاقة. إن صبرت صبر الأحرار، وإلا سلوت سلو الأغمار. العلم بالعمل ينمو. معاشرة الإخوان تجلو البصر، وتطرد الفكر. لا توحشك **الغربة** ما أنست بالكفاية، فإن الفقر أوحش من **الغربة**. الغنى أنس في غير الوطن. الغني في **الغربة** موصول، والفقير في الأهل مصروم. أوحش قرينك إذا كان في إيحاشه أنسك.

إذا أيسرت فكل أهل أهلك، وإن أعسرت فأنت غريب في قومك. من أخلاق الصبيان، إلف الأوطان، والحنين إلى الإخوان. من لم يأنف، لم يشرف، خير المودة ما لم تكن حذار عادية، ولا رجاء فائدة. من حمل الأمور على القضاء استراح في الإقبال والإدبار حتى ينتهيا. لو استحسن الناس ما أمر به العقل استقبحوا ما نهى عنه العقل. أقدر الناس على الجواب من لا يغضب. الكلام في وقت السكوت عي، والسكوت في وقت الكلام خرس. الهم يهدم البدن، وينغص العيش، ويقرب الأجل.

الموت رقيب غير غافل. المرء نهب الحوادث. إذا تم العقل نقص الكلام. هب ما." (١)

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٢٦٠

"وجزاك خيرا، ورد غربتك. فقال له الرجل: ولم ذكرت الغربة في دعائك، وما علمك بالغربة؟ فقال: الآن لي هاهنا عشرون سنة ما ناولني أحد رغيفا صحيحا.

وقال آخر:

يرى جارهم فيهم نحيفا وضيفهم ... يجوع وقد باتوا ملاء المذاخر

وقال الكروسي:

ولا يستوي الاثنان للضيف: آنس ... كريم، وزاو بين عينيه قاطب

وأنشد:

طعامهم فوضى فضى في رحالهم ... ولا يحسنون السر إلا تناديا

وأنشد آخر:

يمان ولا يمون وكان شيخا ... شديد اللقم هلقاما بطينا

العرب تقول: إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة.

قال ابن سلام: كان يخبز في مطبخ سليمان- عليه السلام- في كل يوم ستمائة كر حنطة، ويذبح له في كل غداة ستة آلاف ثور وعشرون شاة، وكان يطعم الناس ويجلس على مائدته بجانبه اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، ويقول لنفسه: مسكين بين مساكين.

ولما ورد تهامة وافى الحرم وذبح للبيت طول مقامه بمكة كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة. وقال لمن حضر: إن هذا المكان سيخرج منه نبي صفته كذا وكذا.

وقال أعرابي:

وإذا خشيت من الفؤاد لجاجة ... فاضرب عليه بجرعة من رائب

وروى هشيم أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: من كرم المرء أن يطيب زاده في السفر.

وقال ابن الأعرابي: يقال: جاء فلان ولقد لغط رباطه من الجوع والعطش.

وأنشد:

ربا الجوع في أونيه حتى كأنه ... جنيب به إن الجنيب جنيب

أي جاع حتى كأنه يمشي في جانب متعقفا «١» .

وقال أيضا: إن من شؤم الضيف أن يغيب عن عشاء الحي، أي لا يدركه، فيريد إذا جاءهم أن يتكلفوا له عشاء على حدة.." (١)

"وهو متحير! وهذا القاضي وهو متفكر! وهذا حاجبه وهو ذاهل! وكلهم عن الأمر الذي دهم مشدوه، وهو منه متعجب! ... وقد قضى الملك مأربته، وأدرك حاجته، وأصاب طلبته، وبلغ غايته، وأنفذ رأيه، ونال أربه، كذلك ينظر هذا المنجم إلى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وإلى البروج وطبائعها، والرأس ولا ذنب وتقاطعهما، والهيلاج والكد خذاة، وإلى جميع ما دانى هذا وقاربه، وكان له فيه نتيجة وثمرة، فيحسب ويمزج، ويرسم ويقلب. عند أشياء كثيرة من سائر الكواكب التي لها حركات بطية، وآثار مطوية، فينبعث بما أغفله وأهمله وأضرب عنه ولم يتسع له، ما يملك عليه حسه وعقله وفكره ورويته، حتى لا يدري من حيث أتى، ولا من أين دهى، وكيف امتزج عليه الأمر، وانسد دونه الطلب، وفاته المطلوب، وعزب عنه الرأي؟! هذا ولا خطأ في الحساب، ولا تقصير في الحق، وهذا كي يلاذ بالله عز وحل في الأمور ويعلم أنه م الك الدهور، ومدبر الخلائق، وصاحب الدواعي والعوائق، والعالم على كل نفس، والخاطر عند كل نفسس؛ وأنه إذا شاء نفع، وإذا شاء ضر، وإذا شاء أسقم، وإذا شاء شفى وإذا شاء أغنى، وإذا شاء أفقر، وإذا شاء أحيا، وإذا شاء أمات؛ وأنه كاشف الكربة، والمؤنس في الغربة، وأنه المجلي الغمة، وصارف الأزمة، ليس فوق يده يد، وهو الأحد الصمد، على الأبد والسرمد.

وكنت سمعت الحراني الصوفي يقول قديما بمكة وكان شام شيئا من الحكمة، وعرف ذروا من حديث الأوائل فقال: هذه الأمور وإن كانت منوطة بهذه العلويات، مربوطة بالفلكيات، عنها تحدث، ومن جهتها تنبعث، فإن في عرضها ما لا يستحق أن ينسب إلى شيء منها إلا على وجه التقريب. قال: ومثال ذلك، ملك له سلطان واسع، ونعمة جمة،." (٢)

"حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه من عالمه ذاك. أعرف حقائق الأمور بالتشابه فإن الحق واحد، ولا تستفزك الأسماء وإن اختلفت فتقول: مات غير نام. وفني غير بلي. وبطل غير ذهب. وعدم غير تحول. وفقد غير غاب. فإن السرور هو الفرح، والغم هو الهم، والمعرفة هي العلم، والقول هو الكلام، والبيان هو الإيضاح؛ لكن بدرجة ودرجة. وهيئة وهيئة، ومكان ومكان، وزمان وزمان، ومعرض ومعرض. شكول في هذا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي ص/٣٠٦

(٢) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/١٣٢

العالم في أغشية متكافئة بين أهوال مختلفة على طرق محفوفة. فأشكل عليك بلدك الذي أنت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من أهله، وأخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت مرماك فيها، فإذا نبهت فخذ في إصلاح ما يرحك إلى مقرك حتى تستريح من هذا القلق الدائم، ومن هذا الهول القائم.

فخذ عليك بذاتك ولا تبخل بما لا بال به فيفوتك ما لا بد لك منه. اعرف تركيبك ثم اطلب به بسيطك، فإن لكل مركب بسيطا إليه ينتهي. لست طينا وإنما أنت طيني فانتف مما أنت به منقوص، وانتسب إلى ما أنت به موفور. شقاؤك في انفعالك في الأول والثاني، وإن عجزت عن ارتجاع ما فاتك فلا تعجز عن حفظ ما معك، ولا ينفعك الآن جهدك، فبذلك تتصل بالأجرام التي لا ينفعك إلا مكان وجد، فإن وجه إليك وتوجه وراءك فتوجه أمامك وتغافل عما ورائك، فإن الذي وراءك في حكم ما ليس لك، فمتى التفت إليه فاتك، ومتى رجعت إلى الآخر فبه.

الناموس الحق يعترف بأكثر مما يعرف به، وأنت مجموع معادن إن انسبكت حصلت، وإن تركت فسدت. الصورة غنية عن الانفعال، والهيولى محتاجة إلى الصورة، فانفعالها على قدر حاجتها: الصورة نوبة والهيولى بحسب العلة الأولى، معادن النفس إذا كانت خالصة ولها إليه عزوة، فهي أوثق من." (١)

"فتتحرك. حال ثابتة بائنة عما يعتاد من هذا البلد الذي أنت فيه غريب، وإلى وطنك مشتاق. وإن سميتها سكونا فذلك سكون بهدوء وطمأنينة وأمن وسكينة، وإن سميتها حركة فهي حركة تشويق وتشبه واستمداد واستلذاذ، لا كارادتك التي ألفتها، وعادتك التي عرفتها، وخلالك التي أسلفتها، فلا تسحرنك الأسماء والكنى لهذه الأشكال، ولا يستهوينك هذا الزبرج الذي تلحظ وترى، فوراء حسك نفس، ووراء نفسك عقل، وفي أثناء العقل أنت بما أنت أنت لا بما به أنت وغيرك، ولا بما أنت به غيرك وأنت، ولكن بما أنت به كنت مرة أنت، وإذا حللت هذا العالم لم تكن هناك، لأن الكون يعقبه فساد ولا فساد هناك. فإذا لا كون ولافساد. ومن الكون والفساد رقوك، ومن الشيء وضده علوك وبالشيء الذي لاإسم له عندنا حلوك. يا هذا أنت خلاصة ذلك العالم في هذا العالم، ولكن علاك من الغربة هنا شحوب، ونالك عناء وكد ودروب ومسلك كلال وتعب ولغوب، فأنكرت نفسك، وأنكرك الناظر إليك، لأنك ثبت فيك ما غيرك، ولهج بك من كذبك وغشك، وصحبك من استعزك وغرك، وملكك ما عافك وصدك، فلما ضللت الطريق لزمت. مكانك، وعكفت على ما يعلك، فألفت ذلك المألف الوضيع، فلما أراد فطامك ظلت تجزع وتفزع،

---

(١) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/٢٤٩

وتستغيث وتستصرخ، وأنت الجاني على نفسك. فمن يصرخك، وأنت الموبق لنفسك فمن ينقذك؟ هيهات! لا رجعة للطبيعة إليك، ولا عطفة للنفس عليك، ولا أثر عند العقل منك، ولا نسبة لما حل عن هذه كلها فيك. شقيت فبدت، ولو سعدت لبقيت. ومن تمام مصابك أنه لا مفجوع به غيرك. ولا باك لك سواك، فعلى نفسك نح إن كنت لا بد تنوح.

فلما غمرنا هذا الشيخ بهذا الفن وطرحنا في هذا الوادي سكت سكتة." (١)

"٦٣ – قال صاحب الكتاب: ويقال الغادر مأخوذ بغدره وإن قصرت عنه عقوبة العاجل لم تقصر عنه عقوبة الآجل حتى إن العقوبة قد تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب.

" ٨٥ " قال أبن درماء العبدي بن غطفان وكان حصن ومحصن وافيا سيابة بن سيابة متخلفا عن ركب كان فيهم فقتلاه وأخذا منه ما كان معه فأثريا به وأورثاه عقبهما حصن بن عامر بن محصن وكان ذا ندام وإخوان فقعد به الدهر حتى ضرب به المثل:

أتعجب مما قد رماك به الدهر ... وأنك بعد اليسر عاد بك العسر

ألم تنب عن جديك والغدر منهما ... بسيابة في حين خلفه السفر

فنالا به حظا وأدركت بالذي ... أصاباه من غدر ألا قبح الغدر

٦٤ – قال صاحب الكتاب: ويقال من كان ذا عقل كان على إماتة حقده أحرص منه على تربيته.

" ٨٦ " قال الزر بن نصر الأزدي:

لعمرك ما الزاكي المثمر حقده ... ولكن مميت الحقد أزكى وأربح

٦٥ – قال صاحب الكتاب: ويقال الأقدار وإن كانت مقدورة فليست تمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس مما يحترس منه. ولكنه يجتمع تصديقا بالمقدور وأخذا من قبل ذلك بالحزم.

" ٨٧ " قال نهشل بن خويلد العبدي:

ولم أجعل المقدور للعجز علة ... ولا أنني كذبت جبر المقادير

ولكن بحذر حازم كنت حارسا ... خليل الذي يخشى اغتيال المغادر

---

(١) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/٣٧٠

فلا تعط للمقدور بالكف ضلة ... وكن حذرا فالحذر فوز المحاذر

٦٦ - قال صاحب الكتاب: ويقال الفاقة بلاء والسقم بلاء **والغربة** بلاء ورأس البلاء الهرم.

" ٨٨ " قال بعض المعمرين:

لا تعذلاني فمثلي اليوم لم يلم ... بليت مغتربا بالسقم والعدم

هذا البلاء وأبلى منه نائبة ... رمت صفاتي على الأيام بالهرم

٦٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال ليس أحد أعلم بما في نفس الموجع الحران ممن ذاق مثل ما به.

" ٨٩ " قال المؤمل بن أميل المحاربي:

وصفت الذي بي للطبيب من الهوى ... فما كان من جهل بما قلت يفهم

وما وصف الأوجاع قبلي متيم ... فيعرف ذاك الوصف إلا متيم

كما أن هذا موجع القلب مغرم ... كذلك هذا موجع القلب مغرم

٦٨ - قال صاحب الكتاب: ويقال لا خير فيمن لا يستطيع كتمان ما في نفسه وإماتته حتى لا يذكر منه شيئا بل لا يكون له في نفسه موقع.

" ٩٠ " قال حاتم الطائي:

سأطوي حديث النفس حتى أميته ... وأستره لو أستطيع عن القلب

٦٩ - قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد مذهبا.

" ٩١ " قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

تقيم على خوف وإنك قادر ... على هرب منه لأنك جاهل

وتأمن يوما فالوريد وغيره ... يخافان منك الغدر فيما تحاول

ألا ثكلتك الأم بل هي إذ ثوت ... تراك سليما يا ابن عفان ثاكل

٧٠ - قال صاحب الكتاب: ويقال خلال من لزمهن بلغنه ما يريد وقربن له البعيد وآنسنه في الوحشة وعرفنه في **الغربة** ولين له المعيشة وأكثرن له الإخوان: كف الأذى وحسن السيرة وسعة الخلق وحسن الأدب

والاقتصاد في العمل ومجانبة الريب.

" ٩٢ " قال مرداد بن عائل الإيادي أحد المعمرين:

إذا أنت عاشرت الملا يا ابن سلهب ... معاشرة الأبرار لم تعدم الفضلا

ونلت الذي حاولت من كل خطة ... ولين معاش لا تخاف له هزلا

وقربت عن بعد وأونست موحشا ... وزادك في الأخيار تغنى به نبلا

وذاك تقى الرحمن فالبس ثيابها ... وكن لذوي الحاجات في حاجهم سهلا

وكف الأذى عن ذي الجوار وغيره ... وقصدك في الأعمال واجتنب البخلا

ولا تصحبن ذا ريبة في محجة وجانب أخا الفحشاء واستصحب العدلا

٧١ - قال صاحب الكتاب: ويقال شر الأمور التي لا تتفق وشر الأزواج التي لا تواني وشر الولد العاصي وشر الإخوان الخاذل وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلد لا أمن فيه.." (١)

"إن الفقير ظنين كان فما ... ينفك يرمى وإن لم يجن بالتهم

٩٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال إذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يحسنه فيه فان أذنب غيره اتهم وكان لسوء الظن موضعا.

" ١٣٨ " قال عرزم الغفاري أيضا:

وكنت مصدقا في كل أمر ... أمينا ما غضبت وما رضيت

أزكى حين أذكر في فريق ... وأحمد إن بعدت وان دنوت

وذاك ليالي الإثراء متي ... على أني الضنين بما حويت

فلما اجتاح مالي ريب دهري ذممت بحيث في بلد ثويت

فصرت لسوء ظنة من رماني ... ومتهمي الظنين بما رميت

٩٨ - قال صاحب الكتاب: ويقال ليس في الغني من خلة تحمد إلا وهي في الفقير تذم. فإن كان الفقير شجاعا قيل أهوج، وأن كان جوادا قيل متلاف، وان كان حليما قيل ضعيف، وان كان صموتا قيل عيي، وان

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٨

كان لسنا قيل مهذار.

" ١٣٩ " قال ابن رعلاء الغساني: يشان القليل الوفر في الناس بالذي يزان به ذو المال وهو ذميم

فيمدح من قول وفعل بكل ما ... يذم به ذو الفقر وهو كريم

٩٩ – قال صاحب الكتاب: ويقال الفاقة تعدل الموت بل الموت خير من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة ولا سيما أن تضطره إلى مسألى اللئام.

" ١٤٠ " قال ابن رعلاء الغساني ايضا:

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش شقيا ... كاسفا باله قليل الرجاء

من أناس يمصصون شهادا ... وأناس حلوقهم في الماء

١٠٠ – قال صاحب الكتاب: ويقال لإدخال الكريم يده في فم التنين فيستخرج منه سما قانلا يقتات به أحب عليه من مسألة اللئيم الأنوك.

" ١٤١ " قال المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي:

لأكلي من فريسة ليث غاب ... مساوره عليها في مقام

أحب علي خطبا حين أبلى ... وأهون من مطالبة اللئام

١٠١ – قال صاحب الكتاب: ويقال من ابتلي بفرقه الإخوان والأحبة **والغربة** وابتلي بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت وفي الموت له راحة.

" ١٤٢ " قال معبد بن حمران التميمي ومات بكابل هاربا من الحجاج وكان من كبار أصحاب ابن الأشعث:

وفارقت أحبابا وإخوان لذة ... وشطت بي الدار التي كنت أنزل

أخا فاقة تضطر أن أسأل الورى ... فأين مقامي أو إلى أين أرحل

فعيشي موت والممات فراحة ... لمثلي في الترحال أو حيث ينزل

١٠٢ - قال صاحب الكتاب: ويقال العداوة الباطنة الظاهرة الصداقة أشد ضررا من العداوة الظاهرة.
" ١٤٣ " قال عياض بن غنم التغلبي في عبد الملك بن مروان ينذره عداوة زفر بن الحارث الكلابي:
يكاشر بالصداقة وهو أعدى ... من الشيطان للرجل التقي
وذاك أضر من مبد بغيظ ... عداوته من المخفي الولي
وما أنت المعلم بل عليم ... فدونك حزم ذي الرأي الأبي

١٠٣ - قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل يفي لمن صالح بما جعل له ولا يثق لنفسه بمثل ذلك من عدوه الذي لا تؤمن غائلته في بعد ولا قرب ويحترس منه كيف كان وما استطاع.
" ١٤٤ " قال جرير:
كن ذا وفاء لمرء قد شددت له ... حبلا بعقد ومن عاهدت من أحد
ولا تثق بالعدى في مثلها أبدا ... في حيث خيمت في قرب وفي بعد

١٠٤ - قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل إذا رجا نفع العدو اظهر له الصداقة، وإذا خاف ضرره أظهر له العداوة.
" ١٤٥ " قال ذو الرمة:
ذو العقل يظهر ودا للعدو على ... نفع يرجيه فعل الحازم الخدع
وإن تخوف ضرا منه نابذه ... من العداوة بالمستفظع البشع

١٠٥ - قال صاحب الكتاب: ويقال ربما قطع الصديق صديقه الذي كان يصله فلا يخاف غائلته لأن أصل أمره لم يكن مبتدئا عن عداوة.
" ١٤٦ " قال الأخطل:
عتبت عليه فنابذته ... على غير حقد له كامن
فلم يخش غائلتي غائبا ... ولم أخشه ظنة الآمن." (١)

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/١٤

"١١٢ – قال صاحب الكتاب: ويقال لا ينبغي للعاقل أن يغتر بسكون الحقد، فانما الحقد في القلب مثل الجمر المكتن ما لم يجد حطبا. والحقد لا يزال يتطلع إلى العلل كما تبتغي النار الحطب فإذا وجدته استعرت استعارا. وكذلك الحقد إذا وجد فرصته اشتعل ولم يطفئه كلام ولا رفق ولا لين.
" ١٥٣ " قال حجل بن نضلة في النعمان بن المنذر واغتراره بزيد ابن عدي بن زيد ومكايدته إياه حتى حرض عليه كسرى ففعل به ما فعل:
اغتر أن قال قد باخت شرارته ... والحقد يكتن مثل النار في الحجر
حتى يوافي بها جزلا فيضرمه ... بالاشتعال اضطراما ظاهر الشرر
والحقد يكتن ما لم يلق فرصته ... على طلعه من خفية الفكر
فحين يعترض اللا،، يطالبها ... من حيث يمكن في عسر وفي يسر
جد اشتعالا فلا رفق ولا ملق ... يطفي تضرمه ما جد في الأثر

١١٣ – قال صاحب الكتاب: ويقال أكيس الأقوام من لم يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غيره سبيلا.
فإن النفقة في الحرب من الأنفس، وسائر الاشياء النفقة فيها من الأموال لا من سواها.
" ١٥٤ " قال جويس السدوسي: لا تجعل الحرب ما تبدا به أحدا إذا وجدت سبيلا غيرها أبدا
فالحرب سوق، نفوس الناس سلعتها ... تشرى وتنفق لا مالا إذا وردا
وسائر النفقات المال تبذله ... فيما تحاول وزنا كان أو عددا

١١٤ – قال صاحب الكتاب: ويقال لا تتهاون بالضعيف من أمر العداوة فان الحشيش الضعيف يجمع فيقتل منه حبل وثيق لو شد به فيل مغتلم أوثقه.
" ١٥٥ " قال في مثله شمخ بن عوف الفزاري لحذيفة بن بدر في تدريه على قيس بن زهير بن جذيمة في مطالبته منه السبق وهو في مجاورته:
لا تستهن بضعيف الأمر تحقره ... من العداوة في حال من الحال
فكم ضعيف تأتى مثله نفرا ... فاستنزلوا صاغرا ذا قوة عال

١١٥ – قال صاحب الكتاب: ويقال لو ان امرءا توسد النار وافترش الافاعي والتحف العقارب كان أحق

أن يهنئه النوم عليها من قرب صاحب ملازم ذي عداوة يريد به نفسه.

" ١٥٦ " قال هدبة بن خشرم العذري:

مقاربة الليث الهصور وغيره ... من الأفعوان الصل حين يساوره

أحق وأحرى أن تبيت لديهما ... على الأمن في ليل تخاف غوائره

من الصاحب الفرد القريب معاديا ... إذا كان في جيران بيت تجاوره

وبغيته إتلاف روحك جاهدا ... بكل سبيل مرصد لك عابره

١١٦ - قال صاحب الكتاب: ويقال الضرس المأكول لا يزال صاحبه منه في ألم حتى يقلعه.

" ١٥٧ " قال معمر بن عمارة الأسلمي:

إذا كنت ذا ثوب تشان بلبسه ... فعريان منه أنت في الناس أعذر

١١٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال الطعام إذا غثت منه النفس وجاشت فالراحة منه قذفه.

" ١٥٨ " قال عربة بن غلباء الغساني:

أخ نالني منه بغيظ تجرم ... لدي أثير حيث حل حبيب

أرحت بإبعاديه نفسي من الأذى ... بقذفيه مجرى الريح وهي هبوب

١١٨ - قال صاحب الكتاب: ويقال العدو المخوف دواؤه فقده.

" ١٥٩ " قال ابن غزية الضبي:

دواؤك إذ قربت وأنت صل ... بعادك أن أراك وأن تراني

١١٩ - قال صاحب الكتاب: ويقال ليس للعدو الحنق الذي لا يطاق ولا تمكن الفرصة فيه إلا الهرب منه.

" ١٦٠ " قال نصر بن ورقاء الحرشي: إذا كنت مظلوما ومالك ناصر فجدك في الإيغال في الأرض هاربا

١٢٠ - قال صاحب الكتاب: ويقال إذا لم تقو على العدو فالفدية امثل.

" ١٦١ " قال أسعد في الذلفاء: أخاف بإن أحاربها فأردى فترضى حين أضرع مستكينا

١٢١ – قال صاحب الكتاب: ويقال الاصطبار على **الغربة** والضنك في المعيشة خير من الخضوع للعدو الخسيس.

" ١٦٢ " قال ابن عويمر بن الذيال النخعي:

لجوب في البلاد بغير زاد ... وضنك في المعيشة لا يزول

أخف علي من ذلي لوغد ... خسيس حين أضرع يستطيل." (١)

"وذو العقل يق الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بالزلة ويثبت بالأمور قبل الإقدام عليها ويقبل عثرة عمله بعقله كالرجل الذي يعثر على الأرض وعليها ينهض ويستقيم " ك١٨٣ ".

وفي كتاب دليلة ... العاقل يقل الكلام ويبالغ في العمل ويعترف بزلة عقله ويستقبلها كالرجل يعثر بالأرض وبها ينتعش " ع١:٢٨١ ".

ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهود عقله فيهلكه ولا الرخاء ينبغي له أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره ويعمي عليه أمره " ك٢٣١ ".

فأنه ليس أحد ابعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة وصفتهما مختلفة: أحدهما من لا يثق بأحد، والآخر من لا يثق به أحد " ك٢٣١ ".

وإن الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة " ك٢٣٢ –

٢٣٣ ".

وأعجل العقوبة عقوبة الغدر واليمين الكاذبة ومن إذا تضرع إليه وسئل العفو لم يعف ولم يصفح " ك٢٣٣ ".

وكان يقال: أعجل الذنوب عقوبة الغدر واليمين الفاجرة ورد التائب وهو يسأل العفو خائبا " ع٣:١٠٠ ".

إن الغادر لا يجاز له بعذره وإن اخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه آجلها حتى تدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب " ك

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/١٦

- ٢٣٨

٢٣٩ ".

فمن كان له عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته " ك

٢٤٠ ".

... إنما كان ذلك قدرا مقدورا وكنا له عللا فلا تؤاخذنا بما أتاك به القدر ... إن أمر القدر لكما ذكرت ولكن ليس ذلك حقيقا أن يمنع الحازم من توقي المخوف والاحتراس من المحترس منه. ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالقوة والحزم " ك٢٤١ ".

وفي كتاب للهند: اليقين بالقدر لا يمنع الحازم توقي المهالك وليس على أحد النظر في القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم ونحن نجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم " ع٢:١٤٣ ".

وكان يقال: الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الأحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا الموت " ك٢٤١ -

٢٤٢ ".

وليس أحد أعلم بما في نفس الموجع ممن ذاق مثل ما به " ك٢٤٢ ".

أنه لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما في نفسه ويميته ويتناساه حتى لا يذكر منه شيئا ولا يكون له في نفسه موقع " ك٢٤٢ ".

والعاقل لا يخيف أحدا ما استطاع ولا يقيم على الخوف وهو يجد مذهبا " ك

٢٤٣ ".

فأن خلالا خمسا من تزودهن بلغنه في كل وجه وطريق وقرين له البعيد وآنس له **الغربة** وأكسبنه المعيشة والإخوان: كف الأذى وحسن الأدب ومجانية الريبة وكرم الخلق والنيل في العمل " ك٢٤٣ ".

وقرأت في كتاب للهند: من تزود خمسا بلغنه وآنسنه: كيف الأذى وحسن الخلق ومجانبة الريب والنبل في العمل وحسن الأدب " ع٣:٢٤ ".

وشر المال ما لا ينفق منه وشر الازواج التي لا تواتي البعل وشر الولد العاصي وشر الاخوان الخاذل لاخوانه وشر الملوك الذي يخافه البريء وشر البلاد بلاد ليس فيها أمن ولا خصب " ك٢٤٣ ".

وقرأت في كتاب للهند: شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البرسء

وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن " ع١:٣ ".
وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره فارتدع عن ان يبتلى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان " ك٢٧٥ –
٢٧٦ ".
فاصبري من غيرك على نحو ما صبر عليه غيرك منك فإنه قد قيل: كما تدين تدان " ك٢٧٦ ".
وانه من عمل بغير الحق والعدل انتقم منه وأديل عليه.
فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا وإذا مرت بالطيب حملت طيبا.
وقد قالت العلماء في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام وصحبة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير.
وفيه "كتاب للهند ": ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب.
وقيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والنبأ الكاذب والمال الكثير.
وهذا الحزن الذي أنا فيه وتذكري اخواني كالجرح المندمل تصيبه الضربة فيجتمع على صاحبها ألمان: ألم الضربة وألم انتقاض الجرح.
انه من تكلف من القول والعمل ما ليس من شكله اصابه ما اصاب القرد ...
وان الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة.." (١)

"فان الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضا. والغني الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهان وان طوق وخلخل " ك١٤١ ".
والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد يهاب وان كان عقيرا والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل " د٣٥ –

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٢٧

٣٦ ".
ما ارى التبع والاخوان والاهل الا مع المال ولا تظهر المروءة والرأي والمودة إلا به فاني وجدت من لا مال له إذا اراد ان يتناول امرا قعد به عنه العدم كالماء الذي يبقى في بطون الاودية عن مطر الصيف فلا هو إلى بحر ولا إلى نهر فيبقى في مكانه لأنه لا مادة له " ك١٣٧ ".
ما التبع والاعوان والصديق والحشم إلا للمال ولا يظهر المروءة الا المال ولا الرأي ولا القوة إلا بالمال " د٣٤ ".
ووجدت من لا اخوان له فلا أهل له ومن لا ولد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا عقل له لأن الرجل إذا اصابه الضر والحاجة رفضه اخوانه وقطع ذوو قرابته وده وهان عليهم واضطرته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله إلى التماس الرزق فيما يغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة " ك١٣٧ ".
ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة ومن لا مال له فلا شي له " د٣٤ ".
فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب أمثل حالا من الفقير الذي يحتاج إلى ما في ايدي الناس " ك١٣٧ ".
فالفقر رأس كل بلاء وداعية المقت إلى صاحبه وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا " ك١٣٧ ".
والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن التهمة ومجمعة للبلايا " د٣٤ ".
ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا و اساء به الظن من كان يظن به حسنا فإن اذنب غيره كان للتهمة موضعا " ك١٣٨ ".
فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسنا فان اذنب غيره اظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعا " د٣٤ ".
وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم. فان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا " ك١٣٨ ".

وليس خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب. فان كان شجاعا سمي اهوج وان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا " د٣٤ –
٣٥ ".

وقرأت في كتاب للهند: ليس من خلة يمدح به الغني الا ذم بها الفقير فان كان شجاعا قيل اهوج وان كان وقورا قيل بليد وان كان لسنا قيل مهذار وان كان زميتا قيل عيي " ع١:

٢٣٩ " فالموت اهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة.... ولا سيما مسألة الاشحاء الادنياء اللؤماء " ك١٣٨ ".

فان الكريم لو كلف ان يدخل يده في فم التنين فيستخرج منه سما فيبتلعه كان اخف عليه من الطلب إلى اللئيم " ك١٣٨ ".

وقد قيل من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه او بفراق الاحبة والاخوان أو **بالغربة** حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو إيابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة " ك١٣٨ ".

وكان يقال: من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو **بالغربة** حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو ايابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة " د٣٥ ".

انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة وهي أشد ضرا من العداوة الظاهرة " ك٢٣٤ ".

والعاقل يفي لمن صالح بما جعل له ويثق بذلك من نفسه ولا يثق ولا يثق لها بمثل ذلك من احد ولا يؤثر على البعد من عدوه ما استطاع شيئا " ك٢٣٥ ".

فان العاقل إذا رجا نفع عدو اظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة " ك٢٣٤ ".

وربما قطع المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضله فلم يخف شره لأن اصل امره لم يكن عداوة " ك٢٣٤ –
٢٣٥ ".

فاما من كان اصل امره عداوة وتحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فأنه إذا ذهب الأمر الذي احدث ذلك صار إلى اصل امره كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد باردا " ك٢٣٥ ".." (١)

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٢٩

"وقرأت في كتاب للهند: العدو إذا احث صداقة لعلة الجأته اليها فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فإذا رفع عاد باردا.

وليس من عداوة الجوهر صلح الا ريثما يعود إلى العداوة وليس صلح العدو بموثوق به ولا مركون إليه فان الماء ان هو سخن بالنار واطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفاء النار إذا صب عليها.

ليس بين عداوة الجوهرية صلح الا ريثما ينتكث كالماء ان اطيل اسخانه فانه لا يمتنع من اطفاء النار إذا صب عليها.

فاني قد علمت ان الضعيف هو اقرب إلى ان يسلم من العدو القوي إذا هو احترس منه ولم يغترر به من القوي إذا اغتر بالضعيف واسترسل إليه.

والعاقل يصانع عدوه إذا اضطر إليه فيظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بدا ويعجل الانصراف عنه إذا وجد إلى ذلك سبيلا.

ان للاحقاد في القلوب لمواقع موجعة خفية فالالسن لا تصدق على القلوب والقلب اعدل على القلب شهادة من ارلسان.

ان الاحقاد مخوفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخرا.

ولا ينبغي للعاقل ان يغتر بسكون الحقود فانما مثل الحقد في القلب ما لم يجد متحركا مثل الجمر الكنون ما لم يجد حطبا. فلا يزال الحقد يتطلع إلى اعلل كما تبتغي النار الحطب فإذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق..

واكيس الاقوام من لم يكن يلتمس الامر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا فان النفقة في القتال من الانفس وغير ذلك انما النفقة فيه من الاموال..

وقرأت في كتاب للهند: ... ويكره " الحازم " القتال ما وجد بدا لان النفقة فيه من الانفس والنفقة في غيره من المال.

ولا تغترن بسلطانك عليهم فيدعوك ذلك إلى استصغارهم والتهاون بأمرهم فان الحشيش الضعيف إذا جمع فتل منه الحبل القوي الذي يوثق به الفيل المغتلم الشديد.

وقد قيل: لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان احق بأن يهنئه النوم عليها منه إذا احس من صاحبه

الذي يغدو عليه ويروح بعداوة يريد بها نفسه.
ان صاحب الضرس المأكول لا يزال في اذى منه حتى يفارقه.
والطعام الذي غثيت منه النفس راحتها في قذفه.
والعدو المخوف دواؤه في فقده أو قهره.
فانهم كانوا يقولون: ليس للعدو الحنق الذي لا يطاق الا الهرب منه والتباعد عنه.
... وما الرأي الا ان نذكي العيون والطلائع بيننا وبين العدو وننظر هل يقبلن صلحا أو فدية أو خراجا نؤديه اليهن.
بل ترك اوطاننا والاصطبار على **الغربة** وشدة المعيشة احب إلينا من وضع احسابنا والخضوع لعدونا الذي نحن خير منه واشرف.
وقد يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل منه حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك بها ويضعف ويذل لها جندك. ومثل ذلك مثل الخشبة القائمة في الشمس فإن املتها قليلا زاد ظلها وان جاوزت الحد في امالتها ذهب الظل.
وكان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصرك. ومثل ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان املته قليلا زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل.
قرأت في كتاب للهند: بعض المقاربة حزم وكل المقاربة عجز كالخشبة المنصوبة في الشمس تمال فيزيد ظلها ويفرط في الامالة فينقص الظل.
قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك منه ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك مع ما تذل به نفسك ويرعب ناصرك. والمثل في ذلك مثل العود المنصوب في الشمس ان أملته قليلا زاد ظله وان جاوزت الحد في امالته نقص الظل.
فان العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيدا لم يأمن من معاودته وان كان متكشفا لم يأمن استطراده وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره.
الحازم لا يأمن عدوه على كل حال ان كان بعيدا لم يأمن من معاودته وان كان قريبا لم يأمن مواثبته وان رآه متكشفا لم يأمن استطراده كمينه وان رآه وحيدا لم يأمن مكره.

الحازم يحذر عدوه على كل حال. يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى والمكر ان رآه وحيدا.." (١)

"وسمعت أبا محمد الفرغاني الحنيفي يقول: ما خلوت بفكري في أمري وملازمتي هذا الرجل – يعني البصري – إلا ظننت أن الله تعالى يرسل علي صاعقة أو يجعلني آية وعبرة باقية.

وأما ابن أبي كانون فإني قلت له يوما: مالي أراك واجما من غير عارض، وطويل السكوت من غير عي، وكثير الفكر من غير وسواس، وشديد الحزن من غير إفلاس؟ ليس لك أنس بالجماعة، ولا تفكه بالمحادثة، ولا استماع بالمجالسة، بعد ما عهدتك في حدثان مقدمك وأنت تتقد كالنار، وتزخر كالبحر، وتأرن كالمهر، وتذكو كالقنبر.

فقال: ومن أولى بالبال الكاسف والغم الطويل والأرق الدائم مني؟ فارقت وطني وأهلي وإخواني ومعارفي وجميع ما كنت آلفه وأحيا به، وأشتم روح العيش منه، وتجرعت مرارة بعدي عنهم، وصبرت نفسي على ما نالهم بخروجي من بينهم وسلوتي دونهم، وما نزل بي بعدهم من جفاء **الغربة** ووحشة الوحدة، وشظف العيش بالقلة – كل ذلك طمعا فيما أبرد به غليل قلبي في الدين والمذهب، وأنفي به الحرج." (٢)

"ابن شاذان، وهو على القضاء؛ فلما كادت الشمس تجب وهي حية بعد، وقف حاجب له حيال الجماعة، وأشار بالقيام والانصراف، فقطعوا متن مسألة كانوا فيها وتركوها بتراء، وتبادروا إلى الخروج من الباب؛ وقعد عنهم شيخ طبري في كساء عليه خلق.

فقال له الحاجب: قم يا شيخ والحق بأصحابك، ما تأخرك عنهم، ولماذا أنت لازم مكانك من بعدهم؟ فقال الطبري: هذا فضل من الكلام، أنا رجل غريب قدمت اليوم من بلدي، ومحلي من العلم قد بان في هذا المشهد العظيم الشرف، الكبير الفائدة، وهذا هو المساء، وأنا صائم، وإن خرجت أعجز عن مصلحتي في هذه العشية، والغريب أعمى، ولست أعدم ها هنا، إن شاء الله، ما يمسكني إلى غد، ثم أغدو إلى شأني وما لا بد منه لغريب مثلي في بلد **الغربة**.

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنة محمد بن حسين اليمني ص/٣٠

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٢٠٩

فقال له الحاجب: أنت طبري وليس في قلنسوتك حشو ولا قطن، والكلام معك يصدع، وأقبل بغضب، وجذب يده بعنف حتى." (١)

"لم يطل دهري في أثنائه متبرما بطول الغربة وشظف العيش، وكلب الزمان وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال، وعادية العدو وكسوف البال؛ متضرما من الحنق على لئيم لا أجد منصرفا عنه، متقطعا من الشوق إلى كريم لا أجد سبيلا إليه – حتى لاحت لي غرة الأستاذ فقلت: حل بي الويل، وسال بي السيل! أين أنا عن ملك الدنيا، والفلك الدائر بالنعمى؟ أين أنا عن مشرق الخير ومغرب الجميل؟ أين أنا عن بدر البدور وسعد السعود؟ أين أنا عمن يرى البخل كفرا صريحا، ويرى الإفضال دينا صحيحا؟ أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان؟ أين أنا عن فضاء لا يشق غباره، وعن حرم لا يضام جواره؟ أين أنا عن منهل لا صدر لفراطه ولا منع لوراده؟." (٢)

"صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودارغنى لمن تزود منها، مهبط وحي الله تعالى، ومصلى أنبيائه، ومسجد أوليائه، واكتسبوا فيها الحسنة، ونالوا الرحمة، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ودعت إلى خرابها، ترغيبا وتخويفا، فيا أيها الذام للدنيا متى استذمت إليك؟ متى غرتك؟ أبمنازل آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك في الثرى؟ ثم أشرف على أهل المقابر فقال: يا أهل الغربة، ويا أهل التربة، أما المنازل فقد سكنت، وأما الأزواج فقد هديت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا، فليت شعري ما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه وقال: والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام لأجابوا: ألا إن خبر الزاد التقوى.

قال الحسن البصري: لا تجاهد في الطلب جهاد المغلب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة، والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بدافعة رزقا، ولا الحرص بجالب فضلا؛ الرزق مقسوم، والأجل محتوم، وفي الحرص اكتساب المآتم.

قال جابر بن عبد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يتم بعد حلم، ولا رضاع بعد فطام، ولا صمت يوما إلى الليل، ولا وصال في الصيام، ولا نذر في معصية، ولا تعرب بعد الهجرة، ولا هجرة بعد الفتح،." (٣)

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٣٦٣

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيان التوحيدي ص/٤٩٨

(٣) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٥/٢٢٧

"قال عبد الله بن إبراهيم الجمحي، قيل لابن هرمة: أتمدح عبد الواحد بن سليمان بما لم يقل مثله في غيره: الوافر

أعبد الواحد الميمون إني ... أغص حذار سخطك بالقراح

فقال: إني أخبركم القصة: أصابني أزمة وقحمة بالمدينة، فاستنهدتني بنت عمي للخروج فقلت لها: ويحك ليس عندي ما يصل جناحي، فقالت لي: أنا أشيع صحابتك بما أمكنني، وكانت عندي ناب لي، فنهضت بها وهيتهجد النوام وتؤذي المساء وليس من منزل أنوله إلا قال الناس: ابن خرمة، حتى وقعت دمشق فأويت إلى مسجد عبد الواحد بن سليمان في جوف الليل، فجلست في المسجد إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذن ثم أهذب ركعتيه فتبينته فإذا هو عبد الواحد، فقمت فدنوت منه وسلمت عليه، فقال: أبا إسحاق؟ قلت: لبيك بأبي وأمي، فقال: آن لك أن تزورنا، طالت **الغربة** واشتد الشوق فما." (١)

"شاعر: الكامل المجزوء

لما رأيت الدهر يفني الن ... اس من جيل فجيل

وعلمت أني هالك ... وسبيل من ولى سبيلي

أوطأت نفسي عشوة ... وعزفت عن قال وقيل

وشربتها مشمولة ... نشأت على الدهر الطويل

رقت فليس تحس كال ... شيء الخفي المستحيل

من كف ظبي فاتر ال ... ألحاظ كالرشأ الكحيل

قال أعرابي: الفقير من الأهل مصروم، والغني في **الغربة** موصول.

قال أعرابي: أوحش قومك ما كان في إيحاشهم أنسك، واهجر أوطانك ما نبت عنها نفسك.

قيل لأعرابي: أتشتاق إلى وطنك؟ قال: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها.

قال أعرابي: **الاغتراب** يرد الجدة، ويكسب الجدة.

شاعر: الرمل المجزوء

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٥٦/٦

إن يكن مات صغيرا ... فالأسى غير صغير

كان ريحاني فصار ال ... يوم ريحان القبور." (١)

"شعر:

أحبه والذي أرسى قواعده ... حبا إذا ظهرت أعلامه بطنا

فليتنا لا نريم الدهر ساحته ... وليته حين سرنا غربة معنا

ما من غريب وإن أبدى تجلده ... إلا سيذكر عند الغربة الوطنا

قال أعرابي:

لا والذي إن كذبت اليوم عاقبني ... وإن صدقتكم ربي فعافاني

ما قرت العين بالأبدال بعدكم ... ولا وجدت لذيذ النوم يغشاني

ومن المستحسن في هذا المعنى قوله:

شيب أيام الفراق بمفارقي ... وانشزن نفسي فوق حيث يكون

وقد لان أيام اللوى ثم لم يكد ... من العيش شيء بعدهن يلين

يقولون: ما أبلاك والمال غانم ... عليك وضاحي الجلد منك كثين

فقلت لهم: لا تعذلوني وانظروا ... إلى النازع المقصور كيف يكون

يعني بالنازع المقصور: بعير حن إلى وطنه فقيد مخافة أن يهيم على وجهه وهذا في الإبل معروف لذلك

قال القائل:

لا تصبر الإبل الجلاد تفرقت ... بعد الجميع ويصبر الإنسان

قال:

هبت وما في الأفق منه قزعة ... وليس منه أحد على أمل

فأنشأته قطعا تمت ما ... زال وما زالت به حتى اتصل

وطأطأت بالأرض من أكتافه ... وسددت منه الفروج والخلل

حتى إذا كان بعيدا فدنا ... وكان في السير خفيفا فثقل

وأسمع الأصم صوت رعده ... ووقر السمع الصحيح وأعل

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١١٧/٨

وأبصر الأكمه ضوء برقه ... وخطف الطرف الحديد وأكل

وصر حتى قيل هذا حاصب ... من السماء وعذاب قد أظل

ونحن مصنوع لنا مدبر ... فيه ولكنا خلقنا من عجل

حلت عزاليه بسرمن رأى ... فلم تزل تعلها بعد النهل

إذا تلكا هتف الرعد به ... وأومضت فيه البروق فهطل

ليل التمام والنهار كله ... متصلا مذ غدوة حتى الأصل." (١)

"جدير بهم من كل حي صحبتهم ... إذا أنس عزوا علي تصدعوا

يقول: أنا خليق بالبين من كل حي أجاورهم إذا استوقفت قربهم، واستحليت الكون معهم، حتى لا يعز علي أناس إلا تفرقوا عن كثب. والأنس: الطائفة من الناس. يقال: رأيت معه أنسا كثيرا، أي ناسا. تصدعوا: تفرقوا. ومنه يقال تصدعت الأرض بفلان، إذا تغيب هاربا.

وقال الراعي

وقد قادني الجيران حينا وقدتهم ... وفارقت حتى ما تحن جماليا

يقول: جذبني الخلطاء زمانا وجذبتهم، حتى كنت في حكم من لا يصبر عنهم، ولا ينفك منهم، كالقائد للشيء وهو مقود له، لن من كان هذه صفته مع شيء فهو يلزمه ولا يفارقه. والآن فارقتهم فلا أحن إليهم، ولا أنزع نحوهم. ونسب الحنين إلى جماله وإن كان المراد النفس، لأنها في الحنين أقل صبرا حتى ربما تهيم على وجوهها، وتند عن صواحبها، طلبا للإلف، وجريا مع الهوى. وعلى هذا قال من قال في مخاطبة راحلته وقد رآها:

فإني مثل ما تجدين وجدي ... ولكن أصحبت عنهم قروني

رجاؤك أنساني تذكر إخوتي ... ومالك أنساني بوهبين ماليا

يقول: أملي فيك أنساني الفكر في إخوتي وأهل بيتي، وطمعي في مالك أنساني مالي بوهبين. وهذا قاله لأنه يرى أن رجاءه فيه لتحققه صار مؤثرا على ذكر وطنه وعشيرته، وأن ما طمع فيه من ماله لما كان أكثر مما ملكه بوهبين صار منسيا له.

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٤٥٦

وهذه القطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظة والقسوة، وذكر قلة الفكر في الأوطان والأحبة، وتناسي العهود والأذمة، ومفارقة الأماكن المألوفة. والحلل المورودة، وشكوى النفس إلى التنائي **والغربة**، دخلت في باب الحماسة. وبمثل هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها. وستدل عليها إذا انتهينا إليها.." (١)

"من البلاء في عمايات لا انكشاف لها. وخبر إن " جلبن بإذن الله " وقوله "كبون فما يفلحن " أو " أبين فلا يفلحن " اعتراض بين إن وخبره. والمعنى معنى الدعاء، فهو كما يقال إن زيدا خذله الله فعل كذا. ومثله في الاعتراض بالدعاء قول الآخر:

.... ما لكم ... تفاقدتم لا تقدمون مقدما

ويجوز أن يكون الكلام كله إخبارا متجردا عن الدعاء، فيكون معنى كبون وأبين، أنه حصل لهن ذلك. والنكد: جمع أنكد. والرباط: مصدر رابطت، ولذلك وقع على الواحد والجمع. والآل، ذكر البصريون أنه في معنى الأهل، لا فرق بينهما، وأن تصغيره أهيل، وهذا يؤذن بأن أصل ألفه هاء. وحكى ثعلب عن شيوخه أن الأهل، القرابة، متبعا كان أو غير متبع، وأن الآل المتبع وإن لم يكن ذا قرابة، فهما لمعنيين. قال: وحكى الكسائي في تصغير الآل أويل، وفي تصغير الأهل أهيل.

جلبن بإذن الله مقتل مالك ... وطرحن قيسا من وراء عمان

أخذ يعتد الخصال المكروهة الحاصلة بها، فيقول: جلب سبق داحس بعلم الله تعالى قتل مالك بن زهير، وتطريح قيس بن زهير من أرض العرب إلى عمان. وكان قيس نذر ألا ينظر في وجه غظفاني أبدا، فدعاه ذلك إلى مراغمة العشيرة، والتباعد في **الغربة**. وقوله " بإذن الله " من قولك أذنت بالقوم. وفي الحديث: " ما أذن الله لشيء ". وقصد الشاعر أن يذكر ما أعقب سبق داحس من الشر، وألحق من الشؤم. وقوله " جلبن " جعل اللفظ للآل، والمراد داحس، لكنه لما جعل الدعاء لآله استمر في الإخبار على حاله ولم يغير. ويشبهه قول الآخر:

إن ابن ضرار حين أندبه ... زيدا سعى لي سعيا غير مكفور

أراد: إن ابن ضرار زيدا، فذكر الآل والمراد غيره. وهم في كثير من المواضع أقاموا الوالد مقام الولد والولد مقام الوالد، والعشيرة مقام الواحد منها، والواحد مقام." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٢٠٠

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٢٥

"فكأن المراد أن هذا المعادى الممتلئ غيظا لما ألقى دلوه يستقي بها الماء من بئر ملأتها شرا وجعلته سقياه.

وقال سلمى بن ربيعة

حلت تماضر غربة فاحتلت ... فلجا وأهلك باللوى فالحلت

تماضر: امرأته وكانت قد فارقته عاتبة عليه في استهلاكه المال، وتعريضه النفس للمعاطب فلحقت بقومها، وأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر في أثرها وأثر أولاده منها، فيقول: نزلت هذه المرأة بعيدة منك، فاحتلت فلجا وأهلك نازلون بين هذين الموضعين. وهذا الكلام توجع. وفلج على طريق البصرة، والحلة: موضع من الحزن ببلاد ضبة، واللوى: رمل متصل به رقيق. وبين المواضع الذي ذكرها تباعد. إن قيل لم قال حلت، ثم قال احتلت، وهلا اكتفى بأحدهما؟ قلت: نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه، وبالثاني الاستقرار، فكأنه قال: نزلت في هذه الغربة فاستوطنت فلجا. وفلج بفتح اللام: موضع. وفلج بسكون اللام: ماء.

وكأن في العينين حب قرنفل ... أو سنبلا كحلت به فانهلت

يقول: ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعهما غزيرا متحلبا، واكفا منهملا، فكأن في عيني أحد هذين المهيجين الحاليين للعيون. وقوله "كحلت " إخبار عن إحدى العينين، وساغ ذلك لما في العلم من أن حالتيهما لا تفترقان. وعلى العكس من هذا قول امرئ القيس:

وعين لها حدرة بدرة ... شقة مآقيهما من أخر

لأن امرأ القيس وحد في الابتداء ثم ثنى عند رد الضمير، على أنه متى اجتمع شيئان في أمر لا يفترقان فيه اجتزى بذكر أحدهما عن الآخر. وفي طريقة هذا البيت قول ابن هرمة:

وكأنما اشتملت مواقي عينه ... يوم الفراق على يبيس الخمخم." (١)

"والمقفر: الصائر في القفر، وهو المكان الخالي. وانتصب جو على الظرف، ومقفرا على الحال. ومعنى الأبيات: كما نرى أنفسنا ياسمية بهذا الوادي، ونحن ننتقل في هذه المراتع التي ذكرتها، ونتحول بين هذه المناجع التي عددتها الحاصلة في جو الأرضين المستوية، وفي أثناء الأرضين المقفرة، ولا أرض أكثر خصبا من أرضك وخيرا، وأندى مذانب وتلاعا، وأحوى لبيض النعام، وأجمع لخضر الرياض التي

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٣٨٦

يستوطنها الوحوش من البقر وغيرها؛ وثورها يحفظ قطيعه وكأنه لنشاطه إذا جأر فحل متغضب أيام أمنا عادية النوى. وبائقة الدهر والأذى، ولم تخف نساؤنا من ترامي **الغربة**، وتقاذف الشقة، ولم يقع بين العشائر حرب الفساد، وضرر التهاجر والبعاد، ونحن متديرون ومقيمون، وفي أنواع النغمة والنعمة مترددون، ولدار السلامة والخفض مستوطنون.

وهذا الكلام تحسر في إثر أيام السلامة، وتشك من أيام الفتنة.

وقوله إذ الخاف ظرف لقوله ولقد أر ا نا. وقوله قبل الفساد بدل منه، والمذانب: مسايل المياه. ومعنى أكثر منك بيض نعامة أكثر من أرضك، فحذف المضاف، وانتصب بيض على التمييز. وقوله ومذانبا انتصب على أنه معطوف على بيض نعامة، وتندى في موضع الصفة للمذانب، أي ندية، وكذلك " وروضا " و " معينا ". المعين: الثور الكبير العين، والصوار: القطيع، واشتقاقه من صرته أي قطعته. والحدوج: المراكب، ونسب الخوف إليها مجازا، لأن المراد بها النساء، وقوله متخمط شبه الثور بفحل له سورة وجبلة، لاهتياجه وغضبه، ومنه قيل للبحر إذا التطمت أمواجه: هو خمط التيار. والقطم: الهائج. وبربر: صوت. وقذف النوى: رميه. وقوله قبل الفساد يريد قبل حرب الفساد، وإنما سميت بهذا الاسم لأن بعضهم كان يشرب في قحف رأس صاحبه إذا قتله، وبخصف نعله بأذنه، إظهارا للتشفي. وانتصب إقامة على أنه مصدر لعلة، ويجوز أن يكون في موضع الحال، فتقدير الأول: لا تخاف قذف النوى لإقامتنا وتديرنا، وتقدير الثاني: لا تخافه مقيمين ومتديرين. ويقال ما بالدار ديار، وداري، ومنه قوله:

لبث قليلا يلحق الداريون." (١)

"خلا، فهو كالحمار السوء، الذي بظهره آثار دبر وقد ذلل في العمل، لايجيب إلا إذا استحث حتى يضرب، بلادة منه وكسلا. وقوله (لايحسن) موضعه من الإعراب نصب على الحال. وارتفع (مثل) على أنه خبر مبتدأ مضمر.

وقوله (مثل الحمار الموقع) يجوز أن يراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدبر، ويجوز أن يراد به المذلل، كما يقال: طريق موقع. ويجوز أن يكون من وقعت الحديدة، إذا ضربتها بالميقعة، كأنه لبلادته يضرب كثيرا.

ولم أجد عروة الخلائق إلا ... الدين لما اعتبرت والحسبا

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٤٢٣

قد يرزق الخافض المقيم وما ... شد بعنس رحلا ولاقتبا

ويحرم المال ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا

قوله (لم أجد) يريد أن مساك الخلائق الشريفة، ووثائق عراها، إنما هي إذا اعتبره المعتبر في الدين وعمارته، وفي الشرف وتحصيله. كأنه جعل طلب الحسب للدنيا وأسبابها والاعتلاء فيها، وجعل الدين للآخرة وتقديم ما يفوز به من رضا اللہ عز وجل، والثواب الجسيم.

وقوله (قد يرزق الخافض المقيم) سلك فيه مسلك الآخر في قوله:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا ... البرطورا وطورا تركب اللججا

البيتين، وقد تقدما.

والخافض: الوداع الذي لم يحدث نفسه بتجوال وارتحال. فيقول: قد ينال الرزق الواسع من لايؤثر على الإقامة في وطنه شيئا، وقد ترى قاطع الشقة البعيدة، وصاحب الرحل والمطية، الصابر على **الغربة**، محروما مضيق العيش، مكدود العمر. والرحل: مركب البعير؛ والرحالة نحوه؛ وهوالسرج أيضا. والقتب: إكاف الجمل، كذا ذكره الخليل. وقوله (ذو المطية والرحل) ، الرحل: مصدر رحلت البعير، إذا شددت عليه الرحل.." (١)

"وذلك أن " طيبا " لم يقدم على العامل وهوالفعل، وإنما قدم على ما صار فاعلا، وإذا كان كذلك لم يصح الاحتجاج به له، لأن الموضع المختلف فيه هو جواز تقدمه على العامل فيه وامتناعه منه لاغير، فأما مادام واقعا بعد الفعل فلا مستدل به على موضع الخلاف.

وقوله " ألم تعلمن يا رب أن رب دعوة "، أن مخففة من أن الثقيلة، والتقدير: أنه رب دعوة. وفي رب لغات: إحداها التخفيف. وكأنه يتضرع في هذا الكلام إلى خالقه ومن يستغيث به فيما يقاسيه، ويقرر في الدعاء عليه أنه قد ضمن الاستجابة في قوله تعالى: " ادعوني استجب لكم " فقال: إنك تعلم يا رب أني قد أخلصت دعاءك في أوقات كثيرة لطلبتي لو اقترن بالدعاء إجابة وإسعاف، وضمانك الأصح الأوفى، فاستجب. وفيه أيضا ما يجري مجرى الاستزادة إذا توجه إلى غيره تعالى. وانتصب " مخلصا " على الحال.

وقوله " لو أجابها " يريد به لو أجاب فيها.

وأقسم لو أني أرى نسبا لها ... ذئاب الفلا حبت إلى ذئابها

لعمر أبي ليلى لئن هي أصبحت ... بوادي القرى ما ضر غيري اغترابها

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٨٤٧

قوله " أقسم " جملة تنوب عن اليمين، والجواب " حبت إلى ذئابها " متعلقا بالشرط المذكور، وهو أن تكون مناسبة. وجواب لو هو ما صار جوابا لليمين، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها، تقول: والله لئن جئتني لأكرمنك ويروى: " حبت " بفتح الحاء والأصل حببت، وفعل في المضعف قليل. ويروى " حبت " بضم الحاء، وهو بناء لما لم يسم فاعله. ويقال: حببته فهو محبوب، لغة في أحببته.

وقوله " لعمر أبي ليلى " إقسامه بأبيها تعظيم لها، وتنبيه على محله من قلبه، وأنه إلى من يجمعه وإياها علقة وإن ضعفت، فكيف أبوها والمختص بها. وفي هذا زيادة على ما قاله الآخر، وهو:

ومن بينات الحب أن كان أهلها ... أحب إلى قلبي وعيني من أهلي

واللام من " لئن " موطئة للقسم، وجواب القسم ما ضر، والمعنى: إن عادت هذه المرأة إلى موضع١٥ من وادي القرى لم يضر غير ي البعد منها، **والاغتراب** عنها. وقوله " اغترابها " يريد اغترابي عنها، ويجوز أن يريد تباعدها." (١)

"ولا زائرا فردا ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل أنت مريب

هذا شرح للاشتهار الذي أجمله، **والاغتراب** الذي اشتكى منه. وقوله أحقا، في موضع الظرف، كأنه قال: أفي حق. وأن لست أن مخففة من الثقيلة، وموضعه بما يعده موضع الابتداء، وأحقا في موضع الخبر. وقوله فردا، انتصب على الحال، والعامل ما دل عليه ولا زائرا، من الفعل، فيقول: أفي حق يا عباد الله أنى لا أراد الوايين، يعني وادي المياه، وما ذكره فيما بعد من ذكر الكثيب الفرد، ولا أصدر عنهما إلا وعلى رقيب محافظ، يعد لحظاتي وأنفاسي، ويتأمل قصودي وإرادتي، ولا أزورهما منفردا ولا في صحابة إلا وسلطت على التهم، ونسبت فيما أتعاطاه إلى الريب، حتى ضاق علي المجال، وأظلم لي المسرح والمطاف. وقوله إلا قيل، في موضع الحال، أي لا أزورهما إلا مقولا فيه ذلك. وموضع أنت مريب، الجملة رفع على أنه قام مقام فاعل قيل.

وهل ريبة في أن تحن نجيبة ... إلى إلفها أو أن يحن نجيب

وإن الكثيب الفرد من جانب الحمى ... إلي وإن لم آته لحبيب

قوله هل ريبة، لفظه استفهام ومعناه النفي، فيقول: لا ريبة في حنين أحد المتألفين الكريمي العهد إلى الآخر، ولا استنكار فيما تنطوي عليه النفس من الهوى والود، ولا محاسبة فيما يوجب المتحابان ويؤثرانه من

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٩٣١

المصافة على البعد، وإن موضع الحبيب من جانب الحمى قلبي موكل به وإن لم أزره، إذ كان مجانيتي إياه، وتأخرى عنه، لإبقائي على الحال بيني وبين من أحتشمه، ولإيثاري صيانته من تحدث الوشاة فيه، لا لغيره.

لك الله إني واصل ما وصلتني ... ومثن بما اوليتني ومثيب

فلا تتركي نفسي شعاعا فإنها ... من الوجد قد كادت عليك تذوب

وإني لأستحييك حتى كأنما ... علي بظهر الغيب منك رقيب

قوله لك الله، يجوز أن يكون جعاء لها، والمعنى: إحسان الله لك، وحفظه مشتمل عليك. ويجوز أن يكون قسما، كما يقال أعطيك الله، وجوابه إني واصل.." (١)

"الإبريز الذي يعز في كل أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان، هو النجم المضيء للجيران، والبارد العذب للعطشان. وقال آخر: فلان ليث إذا عدا، وغيث إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسم إذا أردى. وقال آخر: الفقير في الأهل مصروم، والغني في **الغربة** موصول. وقال آخر: **الاغتراب** يرد الجدة ويكسب الجدة. وقال آخر: أعظم لخطرك، الآ ترى عدوك أنه لك عدو. قيل لأعرابي: كيف أبنك؟ فقال: عذاب رعف به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فلأنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر. قال أعرابي: لا تضع سرك عند من لا سر له عندك. وقال آخر: من سعى رعى، ومن لزم المنام رأى الأحلام. قال أعرابي لرجل: ويحك! إن فلانا وإن ضحك إليك فإن قلبه يضحك منك، ولئن أظهر الشفقة عليك، فإن عقاربه لتسري إليك فإن لم تتخذه عدوا في علانيتك، فلا تجعله صديقا في سريرتك. وحذر آخر رجلا فقال: احذر فلانا فإنه كثير المسألة حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ أول كلامك على آخره ويعتبر ما أخرت بما قدمت فباثه مباثة الأرض، وتحفظ منه تحفظ الخائف واعلم أن من يقظة المرء إظهار الغفلة مع الحذر. قال أعرابي: حاجيتك: ما ذو ثلاث آذان تسبق الخيل بالرديان؟ يعني: سهما. ومدح أعرابي نفسه فقيل له: أتمدح نفسك؟ قال: أفآكلها إلى غيري.." (٢)

"وقال آخر: هبت عليهم ريح التعادي، فنسفتهم عن النوادي والبوادي. وقال آخر: ما النار باحرق للفتيلة، من التعادي للقبيلة. وقال آخر: مع القرابة والثروة، يكون التناكر والتحاسد ومع **الغربة** والخلة، يكون التناصر والتحاشد. وقال الحجاج لأعرابي: أخطيب أنا؟ قال: نعم، لولا أنك تكثر الرد، وتشير باليد، وتقول

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٩٥٥

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٣/٦

أما بعد. ويقول الأعرابي لراعي إبله إذا استرعاه: إن عليك أن ترد ضالتها، وتهنأ جرباتها، وتلوذ حوضها وتترك مبسوطة في الرسل، مالم تنهك حلبا أو تضر بنسل. فيقول له الراعي: ليس لك أن تذكر أمي بخير ولا شر، ولك حذفة بالعصا عند غضبك أخطأت أم أصبت، ولي مقعدين من النار موضع يدي من الحار. ذكر أعرابي السلطان فقال: أما والله لإن عزوا في الدنيا بالجور، لقد ذلوا في الآخرة بالعدل. وقال آخر: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء، آنس منه بلين العيش مع السفهاء. قال بعضهم: رأيت أعرابيا يرعى غنما فقلت له: أنت راعي هذه الغنم؟ فقال: أنا راعيها والله يرعاها. قال المفضل: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: الايجاز من غير عجز، والأطناب في غير خطل. وكان أعرابي يجالس الشعبي ولا يتكلم، فسئل عن طول صمته فقال: أسمع وأعلم، واسكت فأسلم. وصف آخر رجلا فقال: صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر لئيم الخبر، عظيم الكبر، كثير الفخر.." (١)

"الرجل موضع عقله، ورسوله موضع سره، واستودعك الله فإنه ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، وما خف من المنطق، وقل من الخطبة أحب إلى أبيك. وأوصى المنذر بن مالك البجلي بنيه وكان قد أصاب دماء في قومه فلحق ببني هلال ابن عامر، فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: باسمك اللهم، يا بني احفظوا أدبي يكفكم وابتغوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم، فإني لم أكلكم إلى أديب حي، والمعنى بكم غائب عنكم، آثروا ما يجمل، واقنوا أخياركم، وأطيعوا ذوي الرأي منكم، وأجلوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنية، وإن كان الصبر على خطة الضيم أبقى لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا قدمتم على قومكم فلتكن خلتكم واحدة، ولا تستثيروا دفين داء لم يدرك مثله، يقطعوا عنكم النار، وتعدموا بقومكم غيرهم، ولا تدبروا أعجاز ما قد أودت صدوره فتفشلوا، وعفوا عن الدناءة، ووقروا أهل الكفاية، ولا تواكلوا الرفد والنجدة فتجدي عظتكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حاجزا تكفوها، ولا تفيلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، وأطيلوا الصمت، إلا من حق تسبقوا: والزموا الأناة تقر قدمكم، واغتنموا الفرصة تظفروا، وعجلوا تحمدوا، ولا تأخذوا حبلا من قليل فإن القليل ذليل، وخذوا الحبل من ذي المرة الكاثر، وشمر لدرك الثأر، ومنعة الجار، واظعنوا في الشهر الأصم تبلغوا دار قومكم سالمين، واوفوا بالعهد، واتقوا الغدر، فشؤم النساء والغدر أورثاني دار الغربة. وأوصى عمر بن يشكر البجلي فقال: يا بني إذا غدوتم فكبروا، وإذا أرحتم فهجروا، وإذا أكلتم

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٤٤

فأوتروا، وإذا شربتم فأسئروا أوتروا، أي كلوا بثلاث أصابع. أوصى مصعب بن يشكر فقال: يا بني أوسعوا الحبا، وحلوا الربا، وكونوا أسى تكونوا حمى.." (١)

"قيل لأرسطاطاليس: ما بال الحسدة يحزنون أبدا؟ قال: لأنهم لا يحزنون لما ينزل بهم من الشر فقط، بل لما ينال الناس من الخير أيضا. وقال: "كيف يرجو العقل النجاه، والهوى والشهوة قد اكتنفاه ". قال الإسكندر لبعض حكماء بابل: أوصني، فقال: " لا تكثر القنية فإنها ينبوع الأحزان ". قال سقراط إذا كان العالم غير معلم قل غناء علمه كما يقل غناء المكثر البخيل. وقال أرسطاطاليس: يمنع الجاهل أن يجد ألم الحمق المستقر في قلبه ما يمنع السكران من أن يجد مس الشوكة تدخل في يده. كان سقراط يقول: " القنية مخدومة ومن خدم غير نفسه فليس بحر ". وقيل له: بأي خصلة تتفضل على أهل زمانك؟ فقال: بأن غرضهم في الحياة أن يأكلوا، وغرضي في الأكل أن أحيا. تزوج بعضهم امرأة نحيفة، فقيل له في ذلك، فقال: اخترت من الشر أقله. وقيل لآخر أراد سفرا: تموت في الغربة، فقال: ليس بين الموت في الوطن والموت في الغربة فرق؛ لأن الطريق إلى الآخرة واحد. رأى أفلاطون مدعيا للصراع - ولم يكن صرع أحدا قط - تحول طبيبا، فقال: الآن أحكمت الصراع، يتهيأ لك أن تصرع من شئت. وصف للإسكندر حسن بنات دارا وجمالهن، فقال: من القبيح أن نغلب رجال قوم، ويغلبنا نساؤهم. تحاكم إلى الإسكندر رجلان من أصحابه فقال لهما: الحكم يرضي أحدكما ويسخط الآخر، فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا. قال سقراط: " العامة إذا رأت منازل الخاصة حسدتها عليها، وتمنت أمثالها، فإذا رأت مصارعها تدالها ". وقال: " العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم ".." (٢)

"(كشبا المهند أو كجرو ... والفهد أو فرخ العقاب)

٧٣٧ - (خوافى العقاب) يضرب بها المثل فى السرعة كما كتب الصاحب المنهزمون نكصوا على الأعقاب وطاروا فى الجو بأجنحة العقاب

وفى كتاب المبهج إذا نبت بك بلدك فاستعر قادمة الغراب فى الاغتراب وخافية العقاب فى اقتحام العقاب فربما أسفر السفر عن الظفر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر

ومن فصل لأبى محمد الخازن الأصفهانى هذا ولو كنت عاقلا وهيهات لكنت اليوم فى أعلى الدرجات

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢٥٨/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢٣/٧

فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها قد صارت فى منزلة أحتاج إلى خافية حتى ألحق بها

٧٣٨ - (بازى البر) يقال بازى البر كما يقال عقاب ملاع لأن بازى البر أبصر وأطير وأصيد من بازى الجبل قال الشاعر

(وكنت كبازى الجو قص جناحه ... يرى حسرات كلما طار طائر)

(يرى طائرات الجو يصفقن حوله ... فيذكر إذ ريش الجناحين طائر)

٧٣٩ - (بارى جحا) كثيرا ما يسمع العامة يتمثلون ببازى جحا." [(١)]

"بانوا فسموه غراب البين واشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب وليس فى الأرض بارح ولا قعيد ولا شيء مما يتشاءم به إلا والغراب عندهم أنكد منه

وللبديع الهمذانى فصل فى ذكره يليق بهذا الموضع وهو ما أعرف لفلان مثلا إلا الغراب لا يقع إلا مذموما على أى جنب وقع إن طار فمقسم الضمير وإن وقع فمروع بالنذير وإن حجل فمشية الأمير وإن شحج فصوت الحمير وإن أكل فدبرة البعير

قال مؤلف الكتاب قد أكثر الشعراء فى ذكر غراب البين فمن ذلك قول الشاعر

(يا غراب البين فى الشؤم ... وميزاب الجنابه)

(يا كتابا بطلاق ... وعزاء بمصابه)

وقال آخر

(بت على رغم غراب البين ... أنا ومن أحب ناعمين)

(قرير عين بقرير عين ... فظن ما شئت بعاشقين)

وقال أبو عثمان فى وصف السمك والصياد

(أنعته أبيض كاللجين ... سماكه أشعث ذو طمرين)

(فى اللون لا الطيب ممسكين ... أشد شؤما من غراب البين)

٧٤٤ - (غراب الليل) يضرب مثلا لمن ل ا يؤنس بأشكاله." [(٢)]

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٥٥

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤٥٩

"إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ... وتذنبون، فنأتيكم فنعتذر

لا تحسبوني غنيا عن مودتكم ... إني إليكم- وإن أثريت- مفتقر

٦٣- الحسين بن الضحاك الخليع «١»

من غرر ملحه قوله في العتاب:

أين عطف الأديب فى بلد **الغربة** ... جودا على ذوي الآداب؟!

أنا في ذمة السحاب وأظما ... إن هذا لوصمة فى السحاب

٦٤- محمود بن حسن الوراق «٢»

من أمثاله السائرة قوله:

تعصي الإله، وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقوله:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لعزة نفس أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال: اشكروني، أيها الثقلان

٦٥- خالد الكاتب «٣»

زبدة كلامه قوله:

رقدت فلم ترث للساهر ... وليل المحب بلا آخر

ولم تدر بعد ذهاب الرقا ... د ما فعل الدهر بالناظر!!." (١)

"ليس من مارس الحرو ... ب كمن لم يمارس «١»

٧٦- أبو تمام حبيب بن أوس «٢»

أحسن ما قيل فى تحسين الحجاب قوله:

يأيها الملك النائي برؤيته ... وجوده لمراعي جوده كثب

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

وأحسن ما قيل فى «الحث على **الاغتراب**» قوله:

---

(١) الإعجاز والإيجاز الثعالبي، أبو منصور ص/١٦٣

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد «٣»

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس، إذ ليست عليهم بسرمد

وأحسن ما قيل في «حسن العهد» قوله:

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... لدى السرر لمن واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

واحسن ما قيل في «ذم الشيب على كثرته» قوله:

غدا الشيب مختطا بفودي خطة ... طريق الردى منها إلى النفس مهيع

هو الزور يخفى، والمعاشر ينزوي ... وذو الألف يقلى، والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع «٤»

وسئل عن أمدح بيت له فأشار إلى قوله:

فلو صورت نفسك لم تزدها ... على ما فيك من كرم الطباع." [1]

"رجاء كرجاء شر ... د الشدة عن عان

وماء مثل قلب الصب ... قد ريع بهجران

رقيق آل كالآل ... وفيه أمن إيمان

وترب هو والمسك ... لدى التشبيه تربان

فإن سلمني الله ... وبالصنع تولاني

وأوطاني أوطاني ... وأعطاني أعطاني

وأخلى ذرعى الدهر ... وخلاني وخلاني

فإني لا أجد العود ... ما عاد الجديدان

إلى **الغربة** حتى تغ ... رب الشمس بشروان

فإن عدت لها يوما ... فسجاني سجاني

وللموت الرحى الأحمر ... ألقاني ألقاني

١٣٧- ميمون بن سهل

---

(١) الإعجاز والإيجاز الثعالبي، أبو منصور ص/١٦٨

أنشدني ميمون بن سهل الفقيه الواسطي لبلد به «سيدوك» «١» :)

عهدي بهم ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر

فالآن مذ غابوا فديتهم ... ليل الضرير، وصبحي غير منتظر

وأنشدني سهل بن المرزبان له:

أراح الله نفسي من فؤاد ... أقام على اللجاجة والخلاف

ومن مملوكه ملكت رقاها ... ذوي الألباب بالخدع اللطاف

كأن جوانحي شوقا إليها ... بنات الماء ترقص من جفاف." (١)

"إبراهيم بن السندي، قال الجاحظ: سمعت إبراهيم يقول: قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أبنائها، لم أر أكرم ولا أظرف منه، وكان لا تجف لبده ولا تسكن حركته ولا يستريح قلمه من أغاثه الملهوف وإعانة المكروب: ما الذي هون عندك هذا الأمر وقواك على هذا التعب؟ قال: سمعت تغريد الأطيار، وتجاوب المزمار والأوتار، فلم أطرب كطربي لثناء حسن على محسن فقلت: أحسنت ولله أنت! فلقد حشيت كرما كما ملئت ظرفا.

سعيد بن سالم شكا إليه مؤدب ولده إياه وقال: إنه يتشاغل عن الأدب بالتعاشق. فقال: دعه فإنه يلطف وينصف ويظرف.

محمد بن موسى الهاشمي بلغه أن عمر بن فرج السرخسي عتب عليه وتنكد به، فطرقه ليلا فاعتذر إليه حتى رضي عنه، فلما قام لينصرف قال: خذوا الشمعة بين يديه. فقال: دعني يا سيدي حتى أمشي في ضوء رضاك. فقال: كلامك هذا حل العقد الباقية من سخطي عليك! يحيى بن زياد الحارثي قال: قال مطيع بن إياس: إن في النبيذ لمعنى من الجنة، لأن الله تعالى حكى عنهم بالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن.

أبو الحارث جميز كان يقول: لو كان النبي كنزا ما ورد في القرآن موضع سجدة.

وقيل له: أما يكسوك فلان؟ فقال: لو جاء يعقوب والأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه إبرة يخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر لما أعارها فكيف يكسوني.

وقيل له في أوائل الشتاء: استوى الغني والفقير في الماء البارد. فقال: نعم ولكنهم لم يستووا في الماء الحار.

---

(١) ال إعجاز والإيجاز الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠٥

أبو عبد الله بن الجماز قال: شممت مرة في دار فلان رائحة أطيب من رائحة العروس في أنف العاشق الشيق.

وقال في دعوة: أتينا بمائدة أحسن من زمن البرامكة على العفاة.

وكان يقول: لا يقوى على الصوم إلا من طاب أدمه وطال تلقمه ودامت نعمه.

مزبد المدني سمع ضجيج الناس في يوم كسوف وريح عاصف وغبرة منكرة وقولهم: القيامة. فقال: ويحكم هذه قيامة على الريق، أين دابة الأرض؟ أين الدجال؟ أين نزول عيسى عليه السلام؟ أين طلوع الشمس من المغرب؟ أشهد أن هذه قيامة باردة.

الحسن بن جميل عزله ابن مدبر عن مصر، فأشير عليه بمدحه، فقال: إنه لم يطعمني في عرس مصر فيطعمني في طلاقها.

وتعشى ليلة عند صديق له، وخرج ويده زهمة إلى المنزل فقال: لأن أنصرف بها غمرة إلى المنزل أحب إلي من أن أنصرف بها نظيفة إلى السجن.

أحمد بن سليمان بن وهب كان يقول: أطيب الأصوات صوت المعشوق، وصوت مؤذن بالري والنعماء، ثم تجاوب الهزار على الأوتار والمزمار.

وكان يقول: الرفق محمود إلا في أربعة مواضع: أكل الرمان والبطيخ وشرب الفقاع وفي البضاع.

أبو عمر غلام ثعلب كان يقول: لم يكمل المرء حتى يقرأ صرف أبي عمرو، ويتفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، ويروي شعر ابن المعتز، ويلعب بالشطرنج.

محمود بن داود الأصبهاني كان يقول: نزاع النفس أهون من نزاع الشوق وقطع الأوصال أهون من قطع الوصال.

يحيى بن معاذ زار علويا فقال: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائرا ومزورا.

أبو المعالي الصوفي صاحب ابن المعتز، سمع أذانا كريها فقال: هذا أذان يؤذي الآذان.

أبو القاسم الصوفي نديم عضد الدولة سئل يوما عما يقترحه فقيل له: ما الذي يشتهيه الأستاذ لخاص طعامه؟ فقال: الشهيد ابن الشهيد، والشيخ الطبري في الرداء العسكري، وقبور الشهداء. فقال: عنيت الحمل والأرز باللبن والقطايف.

محمد بن أبي السيار وصف دعوة صديق له فقال: أتانا بأرغفة كالبدور متقطعة كالنجوم، وملح كالكافور

السحيق، وخل كذوب العقيق، ونقل أهش من خضرة الشارب على المرد الملاح، وحمل له من الفضة جسم ومن الذهب بشر، وقلية أحمص من صنيع الذل في بلد **الغربة**، وأرزة ملبونة وفي السكر مدفونة، وخبيص أحلى من العافية وحسن العاقبة. وجاءنا غلام بشراب أحسن منه ذكره، ألطف منه وجهه، وأصفى منه وده. وأرق منه لطفه، وأذكى منه عرفه، وأعذب منه خلقه، وأطيب منه قربه.

الرضي أبو الحسن الموسوي النقيب كان يقول: من هوان الدنيا على الله تعالى أن أخرج نفائسها من خسائسها، وأطايبها من خبائثها، فأخرج الذهب والفضة من حجارة، والمسك من فارة، والعنبر من ورث دابة، والعسل من ذبابة، والخز من كلبة، والديباج من دودة، والقصب من حشيشة والإنسان من نطفة، " فتبارك الله أحسن الخالقين ".." (١)

"يا أسفي لو كان يغنى الأسف. ويا لهفي ان كان يجدي اللهف: على عامين استغرقتهما في صحبتكم. وانفقتهما على خدمتكم. ولي من كربة **الغربة** صاحب واليف. ومن رجاء فسيح الأرجاء باعث وحليف. الغرور مكنون. والجنون فنون.. فلم احظ منكم بنائل ولم احل بطائل. ولم أنل ما يغني عني ريش الطائر. بل تعلمت كيف يكون ذل الفقر. وكيف يصول جور الدهر. والى الله المشتكى لا منه. وفيه تعالى عوض عن كل ذاهب. وخلف من كل فائت. فله الحمد على افضاله. وصلاته على النبي محمد وآله " اخرى في حل قول الأستاذ ابي بكر الخوارزمي "

الا من بلغ الأستاذ اني ... أنا الصمصام اغمده الحياء

أنجدت والسباخ لديك مرعى ... ونظمأ والسراب لديك ماء

يطرقنا الزمان وكل يوم ... لنا خطب خواشيها البكاء

وكنت وعدتنا نظرا فابطا ... وقد تتبلغ الخيل البطاء

فان عز القضاء لديك يوما ... فموجود لدينا الاقتضاء

ويرضى بالرجاء سواي قوم ... وما عندي لحكمهم ارتضاء

فان أخا الرجاء على يقين ... من البلوى وفي القرح امتراء

وشر المرتجين أخو مطال ... يعمر في جوانبه الرجاء

إذا اضحى فموعده مساء ... وان امسى فموعده ضحاء

(١) اللطف واللطائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٥

وهذا العتب واسطة ولكن ... لها طوقان مدح أو هجاء

وبين النجح والتعويق حد ... وقنطرة يقل لها السخاء

فلا تشك القضاء فليس يشكو ... مسيىء نفسه أنت القضاء

ترفق بالامير فكل شيء ... تنال به المنافع كيمياء

أطال الله أعمار المعالي ... وذلك ان يطول لك البقاء

ولا زالت تمد إليك كف ... بضاعتها ثناء أو دعاء

وان رضي الزمان بمثل روحي ... فداء عنك فهي لك الفداء

قلبي اطال الله بقاء سيدنا الاستاذ. ملان من عتب عليه يكثر له العتاب ويضيق عنه الكتاب. ولكن لساني وان كان سيفا جساما. وصارما صمصاما. فقد اغمده الحياء من جلالة سيدنا ونبله. وحشمة ما اتصوره من ارتفاع مقداره ومحله ويا عجبي كل العجب من اجدابنا في جواره. وظمئنا عى القرب من داره. والسباخ لديه مرعى نضير. والشراب عنده ماء نمير والزمان يتطرقنا بحدة ظفره. ولؤم ظفره. ويغير علينا بحوادثه وغيره. ويعرضنا على نوب يليها نوب. وخطوب لنا فيها خطب. حواشيها بكاء يفض عقود الدموع. واشتكاء ينطق عن النار بين الضلوع. وقد كان ايده الله وعدنا من حسن نظره لنا ما كان الظن به جميلا. وانتظرناه طويلا. فابطأ وقد تتبلغ الخيل على بطئها. وتطوي المنازل مع قصر خطوها. فان عز لديه القضاء. فموجود لدينا الاقتضاء. وان دام منه التغاضي دام منا التقاضي. وغيري من يرضى بالرجاء. ويميل فيه إلى الارتضاء. لان اخا الرجاء على يقين من البلوى. وفي شك من الفرج والجدوى. وشر المأمولين من يكثر مطله ويشتد. ويطول عمر الرجاء بحضرته ويمتد. فاذا اصبح جعل الموعد رواحا. وإذا راح صيره صباحا. ومعلوم ان العتاب واسطة لها طرفان. مدح أو هجاء يسيران في البلدان. ويكشفان عن الاساءة والاحسان. وبين النجاح والسراح والتعليق والتعويق قنطرة ماؤها دواء وريحها رخاء. واسمها سخاء. فلا يشكون سيدنا ادام الله تأييده القضاء. فيشكو نفسه. ويغالط حسه. لانه السلطان. وهو القضاءوالزمان. مما اسأله ان يترفق كالامير اطال الله بقاه فيهز عطف كرمه. ويستمطر لي سحاب نعمه. فكل ماء سكن العطش ماء. وكل ما ينال به المنافع كيمياء. والله اسأل الله ان يطيل اعمار المعالي بطول عمره. وعلو قدره وامره. لا زالت احواله مسعودة مغبوطة. والآمال به منوطة. والا كف بالثناء عليه والدعاء له مبسوطة. ولا زال جمالا لهذا العالم بقاءه ولقاؤه. وان رضي الزمان بروحي فداء له فداؤه ووفاؤه " اخرى في حل قول الشاعر لابي دلف القاسم بن

عيسى "

ابا دلف لم يبق طالب حاجة ... من الناس غيري والمحل جديب

يسرك أني أبت عنك مخيبا ... ولم ير خلق من نداك يخيب

واني صيرت الثناء مذمة ... وقام بها في العالمين خطيب." (١)

"انا ايد الله مولاي احفظ ستر التجمل فلا اهتكه. واصون ماء الوجه فلا اسفكه. واظهر الرضا وانا غضبان. واشكر وقلبي من الشكاية ملآن. وازعم ان مولاي شفع لي إلى الدهر. ومد الي يد البر. وقد جفاني جفاء. ترك حالي جفاء. وازعم اني انقلبت بحمر النعم. تحمل بيض النعم. وقد احلت لي الضرورة ماحرم الله ولست املك في القوم. عشاء الليلة وغداء اليوم. ومولاي ايده الله شامخ بانف القدرة. راكب مركب النخوة. ذاهب في طريق العزة. لا يبالي اسخطت ام رضيت. واخفقت ام حظيت. واذ قد اسكرته خمرة الغنى. فطغى وبغي وعق. ولم يرع الحق. فسارتحل عنه. ممتطيا ظهر اليأس منه. واستعصم بالسكون والسكوت. والقناعة بالقوت. فاماامل نجيح. واما اجل مريح. وكذلك الدهر احواله سجال. وحشوه آمال وآجال. فطورا يفيد. وطورا يفيت. وتارة يهب. وتارة ينهب. وكم من رجل درت له اخلاق الغنى. وهطلته سحائب المنى. بعد ان كان رهين ضعف ومتربه. وصريع ذل ومسكنه. وكم من مالك اموال. ككثبان الرمال. قد حصل على اظهر اضاقة. وتكشف عن اقبح فاقة. فان مات الرجاء بسوء حاله فان الله حي لا يموت. وان فات الذي املته فصنع الله لا يفوت. وحسبي الله وحده ونعم الوكيل " اخرى في حل قول ابي تمام في عباس بن لهيعة "

النار والعار والمكروه والعطب ... والقيد والصلب والمران والخشب

احلى واعذب من سيب تجود به ... ولن تجود به يا كلب يا كلب

اشكيتموني فلما ان شكوتكم ... غضبتم دام ذاك السخط والغضب

يا اكثر الناس وعد احشوه خلف ... واكثر الناس قولا كله كذب

ظللت تنتهب الدنيا وزخرفتها ... وظل عرضك عرض السوء ينتهب

الشر والضر. والعري والعر. والعار والعوار. والشنار والنار. والبلاء واللاواء والحبس والتعس. والنحس والوبال. والداء العضال. ولضرب الظلم على حرقة الفرقة. وصفع الذل على كربة الغربة. اشهى واحلى من عطاء تجود

(١) رس ائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٤

به كفاك. وحسبك ما قلت وكفاك. يا كلب المساوي والمقابح. ويا خنزير المخازي والفضائح. اشكيتني. وابكتيني وآذيتني واذللتني فلما ان شكوت اضطربت واضرمت. واحتددت واحتدمت. دام تصليك بنار الغضب والحرد. وتململك على فراش الغيظ والحنق. ياأكثر الناس خلفا. وخلف الوعد. خلق الوغد. واكثرهم قولا يتمشى الزور في مناكبه. ويتردد الكذب في مذاهبه. وحسب الكاذب يقوله شتما. وقلبه خصما. لقد ظللت تنهب الدنيا وتسلب. وتدرك منها ما تطلب. وعرضك عرضة للنهب. ومثلة بالسب. فلا ابعد الله غيرك. ولا لعن سواك والسلام " اخرى في حل قول المسعر لعبد الله بن طاهر "

ماذا تقول فدتك نفسي في امرئ ... ركب العزيمة في لجام الصبر

يعلو من الدنيا على اوعارها ... ويحل منها في محل السفر

متلذذا بالباب طال ثواؤه ... فبكى له مصراع باب القصر

ما قول سيدنا الامير اطال الله بقاه في امرئ ركب اليه مركب العزم ملجما بالحزم. مسرجا بالصبر الجزم. وتجشم اهوال الاسفار. واخترق صعاب الاوعاث والاوعار. حتى ورد مشرعة من جنابك. والقى عصاه ببابك. فلزمه متلذذا وغاداه. ورواحه مترددا حتى طال ثواه. واعضل داؤه. وعز واعوز شفاؤه. ورحمه فضلاء اهل العصر. وكاد يبكي له مصراع القصر. فهل عند الامير ايده الله من نظر له يمسك رمقه الذي تخلله الخلل. ويثبت قدمه التي ملكها الزلل. ولرأيه في ذلك فضله. الذي هو اهله ان شاء الله تعالى " حل الجواب عنه لعبد الله بن طاهر "

لم انس حظك فاستعن بالصبر ... وافتح بشغلي عنك باب العذر

لا تيأسن إذا الامور تعسرت ... فاليسر منتظر خلال العسر

أنت اعزك اللع تعلم ان الاشغال السلطانية. ربما تعوق عن الحقوق الاخوانية. ولسنا ننسى حق خدمتك. ولا ما تمهد وتأكد من ازمتك. فازدد صبرا. ولا تضق صدرا. وافتح لنا باب العذر. إلى ان تفتح عليك باب الشكر. ولا تيأس من يسرين مع العسر. ان شاء الله تعالى " اخرى في حل قول البحتري "

سحاب خطاني جوده وهو مسبل ... وبحر عداني فيضه وهو منعم

وبدر اضاء الارض شرقا ومغربا ... وموضع رجلي منه اسود مظلم." (١)

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٦

"لست اتهم الرزاق. ولا استبطئ الارزاق. فان كانت تجري بالعدل في القضية. والقسم بالسوية بين البرية فسيأتيني رزقي وهو يطير الي بقادمة الغراب. وخافية العقاب. وان كانت تجري عليهم بالجور وحاش لله فارجو ان يجود ايضا لي. ولا ينقض عادتها بي " اخرى في حل قول الآخر "

ان كنت تعلم ان ربك خالق ... وعبدت مخلوقا فلست بمؤمن

أو كنت في شك من الرزق الذي ... كفل الاله فلست بموقن

" وقول الآخر "

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه ... فانما الرزق بين الكاف والنون

ان كنت تعلم ان الله خالقك وعبدت مخلوقا فما أنت بمؤمن. وان كنت في شك من الرزق الذي كفل الله به فلست بموقن. فاياك ان يستعبدك الطمع في المخلوق فتنقص من الدين. وتزري باليقين. واسترزق الله فان رزقه بين الكاف والنون. اعنى قوله كن فيكون " اخرى في حل قول الآخر "

لو كان في صخرة صماء راسية ... في البحر ململومة ملس نواحيها

رزق لعبد براه الله لانصدعت ... حتى يؤدي اليه كل ما فيها

أو كان تحت طباق السبع مسلكها ... لسهل الله من قرب مراقيها

حتى ينال الذي في اللوح حظ له ... اما اتته والا كان يأتيها

ياابن ادم لاتهتم لرزق غدك. واعمل على انه في يدك. فلو كان رزقك في صخرة صماء ململومة. والى قاع البحر مضمومة. لانصدعت عنه حتى يصل اليك. ويحصل لديك. ولو كان في السماء السابعة ليسر لله له النزول اليك. حتى تنال ما خط لك في اللوح وتستبدل من الغمة بالروح. فاما ان يأتيك أو تأتيه. وسريعا أو بطيأ تحويه

باب في

الغربة

" رسالة في حل قول الشاعر "

كاني بتعيين البلاد موكل ... لاعرف منها موضع الطول والعرض

فان يك لي يوما رجوع فبالحرى ... والا فبعض الشر أهون من بعض

كتبت يا سيدي ادام الله عزك من بعض منازل النقلة. ومطارح **الغربة**. وقد تقاذفت بي البلدان. ونبت عني الاوطان. حتى كاني موكل بمساحة الارض. ومعرفة الطول والعرض. أو كأني خليفة الخضر. في قطع البر والبحر. فان اسفرت أسفاري عن صفقة الرابح وانقلبت إلى الوطن بغنيمة الفائز فالحمد لله على حياة الآمال. وصلاح الاحوال. وان تكن الاخرى فبعض الشر أهون من بعض. ولا يأس في **الغربة** من دعة وخفض. والسلام " اخرى في حل قول الآخر "

وإذا الديار تغيرت عن حالها ... فدع الديار وأسرع التحويلا

ليس المقام عليك حتما واجبا ... في بلدة تدع العزيز ذليلا

" وقول البحتري "

واحب آفاق البلاد إلى الفتى ... ارض ينال بها كريم المطلب

" وقول الآخر "

المرء في كورته ضائع ... والليث في غيضته جائع

فانهض ترى الدنيا وتلقى المنى ... والموت لا يدفعه دافع

إذا نبابك بلدك ووطنك. وتعذر مرادك ووطرك. ففي الارض متحول. وعلى الله معول. واوصيك يا سيدي بالرحيل. عن بلدة تكسو العزيز ثوب الذليل. واحب الآفاق إلى الكرام. ارض يصلون بها إلى المرام. وقديما قيل ان المرء ببلدته ضائع. كما ان الليث في غيضته جائع. فعليك بالتغرب لترى الدنيا. وتدرك المنى. واياك وخوف المنية فانها لا تدفع في الوطن والحضر. ولا في **الغربة** والسفر. والسلام " اخرى في حل قول البرقعي "

وفي الاضطراب وفي **الاغتراب** ... منال المنى وبلوغ المراد

إذا النار ضاق بها زندها ... ففسحتها في فراق الزناد

إذا صارم قر في غمده ... حوى غيره الفضل يوم الجلاد." (١)

"لا ارضى لك يا سيدي ومولاي ايدك الله لزوم دارك. على اعسارك. والرضا بحالتك. مع كمال آلتك. واحثك على ان تعتاض بالنوم السهر. وبالاقامة السفر. وتبلغ كل مبلغ من الاضطراب. وتستعير جناح الغراب في **الاغتراب**. وكاني بأسفارك وقد اسفرت عن محط الرحل رحيبا. وعن النجح نزيلا واليسر قريبا. ولا ازيدك

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٢٩

يا سيدي علما بأن سلطان النار في فراق الزناد. وان السيوف إذا استقرت في الاغماد. لم يظهر فضلها عند القراع والجلاد. جعل الله الخيرة مصاحبة لك في سفرك وحضرك. ومقامك وظعنك. وسائر متصرفاتك ومتوجهاتك

باب في

كراهة الغربة

" رسالة في حل قول الشاعر "

إذا ما ذكرت الدار فاضت مدامعي ... وصار فؤادي نهبة للهماهم

حنينا إلى ارض بها اخضر شاربي ... وحلت بها عني عقود التمائم

" وقول الآخر "

لقرب الدار في الافقار خير ... من العيش الموسع في اغتراب

" وقول علي بن الجهم "

يا رحمتي للغريب بالبلد النا ... زح ماذا بنفسه صنعا

فارق احبابه فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ولا انتفعا

كتبت اطال الله بقاء مولاي واذ تذكرت الوطن خنقتني العبرة. واستولت علي الزفرة. حنينا إلى ارض انشأتني تربتها وغذاني هواءها. ورباني نسيمها. وحلت عني التمائم فيها. وتأسفا على بلدة بها اخضرار شاربي. واقتبال شبابي. وفيها مجمع اترابي. واخواني واحبابي. وقد كانت الاقامة بها مع الاعسار. احب الي من استيطان سواها على اليسار. ولكن قضاء الله لا دفاع دونه ولا احتجاز. ولا امتناع منه ولا احتراز فيا رحمتي للغريب المبتلى بكربة الغربة. وحرقة الفرقة. المقيم بالبلد البعيد من وطنه. النائي عن سكنه. ويا لهفي على ما صنع بنفسه. وقطع من انسه. حين فارق احبابه الاخصين واخوانة الاخلصين. فلاهم ينتفعون بالعيش من بعده. ويستريحون من التألم لبعده. ولا هو يستمتع بعدهم بحياته ويفرق بينهم وبين مماته وما على الله بعزيز أن يرد غربته. وييسر إلى احبابه اوبته

باب في

الشيب

" رسالة في حل قول الصاحب "

ما بالها قد عرضتني ... عند شيبي للاذى

تقول بعدا ابعدما ... كانت تقول حبذا

وكنت كحل عينها ... فصرت فيها كالقذى

" وقول البحتري "

تعيب الغانيات على شيبي ... ومن لي ان أمتع بالمعيب

ووجدي بالشباب وان تقضي ... حميد دون وجدي بالمشيب

كتابي يا سيدي اطال الله بقاك وقد اسفر لي بعدك صبح المشيب وسلبت ما لبسته من برد الشباب القشيب فانكرتني جاريتي وكرهتني. واعرضت عني وهجرتني. وعرضتني للاذى وجفتني وطفقت تقول لي بعدا وافا وتفا. بعدما كانت تقول حبذا ومرحبا واهلا وسهلا. وقد كنت في عينها كالكحل والكرى فصرت فيها كالسهد والقذى. والشيب ذنب عند الغواني لا يغفر وعيب لا يستر. ويا ليت هذا العيب دام لي وعم بعضي وكلي ولم يفرق بيني وبين اجلي. فوجدي بالشباب الراحل. دون وجدي بالشيب النازل. والسلام " فصل في حل قول ابن الرومي "

اصبحت شيخا له سمت وابهة ... تدعوني البيض عما تارة وابا

وتلك دعوة اجلال وتكرمة ... وددت اني معتاض بها لقبا

قد لبست رداء المشيب وعلتني ابهة الكبر فاذا دعتني الغواني عما. امتلأت غما. وإذا دعونني ابا. حسبتهن اوسعنني سبا. وتلك منهن دعوة الاجلال. وان كانت عندي دعوة الاخلال. وبودي لو عوضت عنها تلقيبا. يقتضي منهن تقريبا " رسالة في حل قول الآخر "

عربت من الشباب وكنت غضا ... كما يعرى من الورق القضيب

بكيت على الشباب بكل دمعي ... فما نفع بكاء ولا النحيب

الا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما صنع المشيب." (١)

"" فصل في حل قول الشاعر "

اقتل زيارتك الصدي ... ق تكون كالثوب استجده

ان الصديق يمله ... ان لا زال يراك عنده

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٣٠

" وقول ابي تمام "

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديبا جتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس ان ليست عليهم بسرمد

ربما كان التقالي. في كثرة التلاقي. فاقلل زيادة الوديد. تكن عنده كالثوب الجديد. ولا تتعرض للملال. بكثرة الوصال وإذا خلقت ديبا جتاك عند الاحباب. فجددها بالانتقال والاغتراب. واعلم ان الشمس لو لم تغب واقامت. ولم تغرب وادامت. لملها الناس على محاسنها في الافق. وعموم منافعها للخلق " اخرى في حل قول العباس بن الاحنف "

يقرب الشوق دارا وهي نازحة ... من عالج الشوق لم يستعبد الدارا

الشوق يا سيدي فديتك يقرب الطريق القصى. ويحث من المطى البطى. ويطوي الفراش الوطى. فها انا ازورك ولا اكافيك عن جفوتك. واطالعك ولا آخذك بنبوتك. والمحب إذالم يستزر زار. ولم يستعبد الدار والسلام

باب في

العبادة

" رسالة في حل قول احمد بن يوسف "

قالوا ابو الفضل معتل فقلت لهم ... نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليت علته عندي وان له ... اجر العليل واني غير مأجور

" وقول أبي تمام "

لا عيش أو يتحامى جسمك الوصب ... فتنجلي بك عن اخوانك الكرب

لعاابا جعفر واسلم فقد سلمت ... بك المرؤة واستعلى بك الحسب

انا جهلنا فخلناك اعتللت ولا ... والله ما اعتل الا الظرف والادب

قرع سمعي اطال الله بقاء مولاي خبر شكاته. قرنه الله بمعافاته فلحقتني روعه. وملكتني لوعه. وفديته من المحذور بالاعزين الاهل والولد. بل بالعمدتين القلب والكبد. بل بنفسي كلها ومهجتي بأسرها. ووددت لو تحملت عنه العلة واوصابها. وحاز هو اجرها وثوابها. واقسم انه لاعيش لي ما لم يصافح الابلال ويقارب النهوض والاستقلال. فتنجلي غيوم عن اخوانه وتدور العافية بالمحبوب لخلانه. والله تعالى اسأل بالنية

الصادقة والعقيدة الصافية. ان يرفع منها جنبه. ويمحو بها ذنبه. وان يسلمه كما سلمت به المروة والمناقب. ويديم علوه كما علا به الحسب الثاقب " اخرى في حل قوله ايضا "

ابا القاسم المحمود ان ذكر الحمد ... وقيت الرزايا ما تروح وما تغدو

فان تك قد نالتك اطراف وعكة ... فلا عجب ان يوعك الاسد الورد

بنا لا بك الشكوى وليس بضائر ... إذا صح نصل السيف ما لقى الغمد

ابقاك الله ووقاك. وشفاك وكفاك وعافاك. ان شكوت يا سيدي مرضا. واصبحت للحمى غرضا. فلا غرو ان يحم الاسد الورد. ويكسف القمر البدر. وبنا لا بك ما تقاسيه من الآلام. وبالغمد لا بالسيف الحسام والسلام " اخرى في حل قول ابن الرومي "

فانك ما اعتللت بل المعالي ... ولك ما مرضت بل القلوب

" وقول ابن المعتز "

يا دهر يعتل الوزي ... ر ولا اطور ببابه

هذا من النكد الذي ... ما زلت من اصحابه

يا رب جنبه الردى ... واغسله من اوصابه

من مثله ما مثله ... بالعالمين ولا به

لم يعتل سيدنا اطال الله بقاه بل نفس العلاء. وقلوب الاولياء فكم قلت لما اتصل بي خبر ما عرض. له من المرض وما به الم. من االالم. يا دهر ايعتل سيدنا ايده الله فتعوقني عن عيادته. حتى لا اطور بساحته. وما هو الا من النكد. الذي يستصحبه طول الابد. ثم قلت يا رب اغسله من اوصابه. بماء الشفاء. وأغنه بالسلامة عن الطب والاطباء. فمن مثله والمجد والكرم بين ثيابه وبالناس جميعا لابه.

باب في الهجاء

" فصل في حل قول الشاعر "

نعمة الله لا تعاب ولكن ... ربما استقبحت على اقوام

لا يليق الغنى بوجه ابي يع ... لى ولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر ... ذون والوجه والقفا والغلام." (١)

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٣٨

"يا من ورث البغض اباه. فحواه واستوفاه. لو كان ابوك اماما في البغض لا يجاري. ولا يباري. ولا يرد. ولا يجحد. ولا يدافع. ولا ينازع. وان ولي عهده في حياته. وخليفته بعد مماته. وانت ابغض ماش على وجه الارض. ومن يشهد بالبغض بعضه على البعض. وليس يحم حمامك. ولا تنقضي ايامك لان ملك الموت ينفر منك لبغضك. ولا يقدم على قبضك. فانت اثقل من صفع الذل في بلد **الغربة**. ومن كرب الموت على المعصية. ومن العذاب في نار الله الموقدة. ولو عصت الجحيم ربها. لما كانت عقوبتها سواك. وما عذبت الا بسكناك ولقياك. اراحنا الله من بغضك وثقلك. واحسن النظر لنا بنقلك.

باب في

الأمثال

" قصيدة لابي الفتح البستي وحل كل بيت منها علي رسم المثل مكتوب تحته "

زيادة المرء من دنياه نقصان ... وربحه غير مخض الخير خسران

زيادة الدنيا نقصان. وكل ربح سوى الخير خسران

وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فان معناه في التحقيق فقدان

من وجد مالا ثبات له فقد فقده

يا عامر الخراب الدار مجتهدا ... بالله هل لخراب العمر عمران

يا من يعمر داره وعقاره هل تقدر على عمارة ما خرب من عمرك

ويا حريصا على الأموال يجمعها ... انسيت ان سرور المال احزان

مسلك المال حزن وسروره حزن

احسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان

الاحسان يستعبد الانسان

وكن على الدهر معوانا لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان

اعن الاخوان فالحر معوان على الزمان

واشدد يديك بحبل الدين معتصما ... فانه الركن ان خانتك اركان

استمسك بحبل الدين فانه الحبل المتين

من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من اتقى الله لبس العافية وحمد العاقبة

من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذلان

من استعان بغير الله خذله ناصره

من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان

من جاد بالمال مال الناس اليه

من سالم الناس يسلم من غوائلهم ... وعاش وهو قرير العين جذلان

من سالم الناس سلم

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان

من ملكه سلطان العقل لم يتسلط عليه سلطان الحرص

من عاشر الناس لاق منهم نصبا ... لان سوسهم بغي وعدوان

من عاشر الناس لم يسلم من غوائلهم

ومن يفتش عن الاخوان يقلهم ... فجل اخوان هذا العصر خوان

اخوان هذا الزمان خوان

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامه ولحصد الزرع ابان

من زرع الشر حصد الندامة

من استنام إلى الاشرار نام وفي ... قميصه منهم صل وثعبان

من سكن إلى الاشرار لبس قميصه على الافاعي

كن ريق البشر ان الحر همته ... صحيفة وعليها البشر عنوان

البشر عنوان بر الحر

ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان

من رافق الرفق حمده رفقاؤه

ولا يغرنك حظ جره خرق ... فالخرق هدم ورفق المرء بنيان

الرفق يبني والخرق يهدم

احسن إذا كان امكان ومقدرة ... فلن يدوم على الاحسان امكان

اغتنم الاحسان ما دام الامكان
صن حر وجهك ولا تهتك غلائله ... فكل حر لحر الوجه صوان
الحر من صان حر وجهه
وان لقيت عدوا فالقه ابدا ... والوجه بالبشر والاشراق غصان
اطف نار العداوة بماء البشاشة
دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
من أغلب العادة ان الكسل لا يجتمع والسعادة
لا ظل المرء يعرى من تقى ونهى ... وان أظلته اوراق وافنان
إذا عرى المرء من ظل التقى والنهي فهو ضاح وان استظل
والناس اعوان من والته دولته ... وهم عليه إذا عادته اعوان
الناس اعوان صاحب الدولة وهم عليه إذا انقلبت
ولا تودع السر وشاء به مذلا ... فما رعى غنم في الدو سرحان
لا تودع السر الوشاء. كما لا تستحفظ الذئب على الشاء." (١)

"من ليس يحرزني من سيفه أجلى ... وليس يمنعني من كيده حذري
له سهام بلا ريش ولا عقب ... وقوسه أبدا عطل من الوتر
فكيف آمن من القى له عرضا ... وسهمه صائب يخفى عن البصر

وسمعت بعض العجائز تكنى عن الصنان برائحة الشباب " فاذا كان " قوادا قالوا فلان يجمع شمل الاحباب وفلان يأتي الحبيب " وقد يكنى " به أيضا عن الرقيب " فاذا كان " حاذقا قالوا فلان حاذق بالقيادة يجر واحدا بشعرة ويؤلف ما بين الضب والنون " فاذا كان " اما حسن اللبة واما حسن الصورة وليس وراءه حاصل ولا لديه طائل قالوا ليس وراء عبادان قرية أنشدني الاستاذ الطبري لننفسه في أبي سعد دوست بن ملة الهروي

أبو سعد له ثوب مليح ... ولكن حشو ذاك الثوب خريه
فان جاوزت كسوته اليه ... فليس وراء عبادان قرية

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٤٣

فاذا كان لغير رشدة قالوا ابوه قصير الحائط قال الصاحب من ابيات

فمهد على نصبه عذره ... فحيطان دار ابيه قصار

فاذا كان به جنة قالوا فلان مكتوب القميص لان المجنون قد يكتب على قميصه لا يباع ولا يهب وفي الكناية عن الكشحان يقول أبو سعد بن دوست

ومخالف للحق غير محالف ... للصدق عبد تناظر وحجاج

ترك الحجاج إلى اللجاج فقلت يا ... رجز الدجاج ومنزل الحجاج

وسمعت ابا الفضل عبد الله بن احمد الميكالي يقول قال أبو عبيدة العارضة كناية عن البذل يقال فلان شديد العارضة والاقتصاد كناية عن البخل فاذا قالوا غلامك مستعص فتلك كناية عن الجور وقال شريح الحد كناية عن الجهد والمشقة " فصل في الكناية " عن ذم الشعراء والشعر إذا كان الرجل متشاعرا غير شاعر قالوا فلان نبي الشعر لان الله تعالى يقول في نبيه صلى الله عليه وسلم وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال مخلد الموصلي

يا نبي الله في الشع ... ر ويا عيسى بن مريم

أنت من أشعر خل ... ق الله ما لم تتكلم

يغنون قول الشاعر

الشعرا فيما علمنا اربعة ... فشاعر يجري ولا يجري معه

وشاعر ينشد وسط المجمعه ... وشاعر من حقه ان تسمعه

وشاعر من حقه ان تصفعه

واياه عني من قال

يا رابع الشعراء فيم هجوتني ... أحسبت اني مفحم لا أنطق

ولبعض أهل العصر

قولا لشاعرنا الثقيل الأول ال ... مربى بطلعته على الرقباء

يا ثاني الموت الزؤام وثالث ... حسين انك رابع الشعراء

فاذا كان بارد الشعر قالوا فلان من آل الصيف قال الجماز في ابي السمط

ان ابا السمط؟؟ ... وشعره من آله الحر

طوبى لمن في الصيف يروى له ... خمسة ابيات من الشعر

وقال ابن وريق الكوفي في شعر الصولي

داري بلا خيش ولكنني ... أعقد من خيشي طاقين

دار إذا ماشتد حري بها ... أنشدت للصولي بيتين

وقال احمد بن طاهر في الفتح بن خاقان وقد اعتل من حرارة

ما دواء الامير فتح بن خاقا ... ن؟؟ هذا الزمان

ودواء الامير ان ينشدوه ... بعض ما؟؟ أبو هفان

وقيل للعتابي قد فلج أبو مسلم الخلق فقال لعله أكل من شعره " واجتمع " قوم من الشعراء على فالوذجه حارة فقال أحدهم للأخر منهم كأنها مكانك من النار فقال يصلحه بيت من شعرك " وقيل " للاستاذ طبري شعر فلان؟؟ ولكن كماء البئر في الصيف وانما أخذه من قول ابن الرومي

أنت عندي كماء بئرك في الصيف ... ثقيل؟؟ برد شديد

" وأنشدتني " أبو الحسن الحميري لنفسه في الكناية عن شعر ردى غير سائر

لنا صديق شعره داجن ... لا يألف الاسفار والغربة

لكنني اسمعه راعيا ... لحقه في قدم الصحب

" فصل في السؤال والكدية "." (١)

"قرينا. استزل الشيطان قدمه، وعرض دمه، وأطال ندمه، نزغ له الشيطان، وامتدت في الغي أشطانه، وجد الشيطان بينهم منزعا، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد الشيطان يسدي ويلحم في إلقاح الشحناء، ويسرج ويلجم في إلقاء العداوة والبغضاء. طاوع شيطانه إذ أظله، وزل معه حين استزله. قد انخرط في سلك، وأظهر كلمة العصيان. أبى إلا الامتداد عنانه، في الانقياد لشيطانه، واشتداد قواه، في الإستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أقام على الغي الذي هو له موضع، والبغي الذي هو فيه موضع. حلف على الموالاة فحنث، وعهد في المصافاة فنكث، وعلمت حال فلان في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأيه ودخوله في ظلمة المعصية، وخروجه من نور الطاعة وركوبه المركب الذي لا بد أن يترجل راكبه، بل يتخذل فارسه. فلان قد عصى،

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٧٥

وشق العصا، وخلع ربقة الطاعة، وفارق ظل الجماعة، جن وقلب المجن. عكف على استضلال الغواة، وصار مجنا دون الجناة. قد مد يدا قصيرة، ليتناول غاية بعيدة. فض ختام العافية بالعذر، وبدد شمل الخبر بقلة الشكر. قد شرب كأس الجهالة، واستوطأ مركب الضلاله، عاد زند شره قادحا، وفتي ضره قارحا. قد شملت معرته، وعظمت مضرته. راغ عن المذهب القويم، وزاغ عن الصراط المستقيم. أضله عماه، وزلت به قدماه. تسنم وعد الخطة العظيمة، وركب ظهر الفتنة الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غيه وتسكع. انتطى ظهر **الإغتراب**، وأطاع داعي البوار ذهب في العصيان شر مذهب، وامتطى من الطغيان أصعب مركب. رشح أطفال الضغائن، وأحيا أموات السخائم، وأدب عقارب الشر، وأدر لقاح الجور، وأيقظ نائم الفتنة، وأوقد نار الحرب. قد نزت به نوازي البطنة، وهدرت على يده شقائق الفتنة.." (١)

"لا تعجبي؟ يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى ومن غرر شعره قوله في الشعر: سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ... ويكثر من أهل الرواية حامله يموت رديء الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قائله أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: أحسن ما قيل في تحسين الحجاب قوله: يا أيها الملك النائي برؤيته ... وجوده لمراعي جوده كثب ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا ... إن السماء ترجى حين تحتجب وأحسن ما قيل في استتمام العرف قوله: إن ابتداء العرف مجد باسق ... والمجد كل المجد في إتمامه هذا الهلال يورق أبصار الورى ... حسنا وليس لحسنه كتمامه وأحسن ما قيل في الحث على **الاغتراب** قوله: وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد وأحسن ما قيل في كرم العهد قوله:." (٢)

"وترب هو والمس ... ك لدى التشبيه تربان فإن سلمني الله ... وبالصنع تولاني فأوطاني أوطاني ... وأعطاني أعطاني وأخلى ذرعي الدهر ... وخلاني وخلاني فإني لا أجد العو ... د ما دام الجديدان إلى **الغربة** حتى تغ ... رب الشمس بشروان فإن عدت لها يوما ... فسجاني سجاني وللموت الوحي الأح ... مر ألقاني ألقاني أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري: أنشدني ابنه أبو منصور قال: أنشدني أبي لنفسه في مرضه الذي توفي فيه وهو آخر شعر قاله: مضى الإخوان فانقرضوا ... وها أنا للردى غرض مرضت فقيل لي لا تج ... زعن فإنه عرض وأول منزل للمر ... ء نحو مماته المرض أبو علي الزوزني

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١٤٩

(٢) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/١٢٠

الكاتب: من أشهر شعره قوله: الحمد لله وشكرا له ... على المعافاة من الابنه فليس فيما المرء يبلى به ... أعظم منها في الورى محنه." (١)

"هو مستظهر بخبايا الحقائب، وأسرار الأخراج، وضمائر الصناديق.

مدح المال والغنى

لو لم يكن في الغنى إلا أنه من صفات الله تعالى لكفى به فضلا.

إن الغنى طويل الذيل مياس

استغن أو مت. قد شرف الوضيع بالمال.

إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

المال في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة. الآمال متعلقة بالأموال. ابن المعتز:

إذا كنت ذا ثروة من غنى ... فأنت المسود في العالم

وحسبك من نسب صورة ... تخبر أنك من آدم

آخر:

كل النداء إذا ناديت يخذلني ... إلا ندائي إذا ناديت: يا مالي

آخر:

وباه تميما بالغنى إن للغنى ... لسانا به المرء الهيوبة ينطق

المال يكسب أهله المحبة.." (٢)

"ما أطيب الفراغ على النجح. ما أطيب العيش على الجدة.

لقد هاج الفراغ عليك شغلا ... وأسباب البلاء من الفراغ

مدح السفر والغربة

في الخبر: سافروا تصحوا وتغنموا. في التوراة: يا ابن آدم، أحدث سفرا أحدث لك رزقا. العامة والخاصة: البركات في الحركات. السفر أحد أسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه. إن الله تعالى لم يجمع كل منافع

---

(١) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/١٨٤

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٣٩٢

الدنيا في أرض، بل فرقها وأحوج بعضها إلى بعض. المسافر يسمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب. السفر يشد الأبدان، وينشط الكسلان، ويسلي الثكلان، ويطرد الأسقام، ويشهي الطعام. من فضل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، وبدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علما بقدرة الله تعالى وحكمته، ويدعوه إلى شكر نعمته.." (١)

"ذم السفر والغربة

في الخبر: إن المسافر ومتاعه لعلى قلت، إلا ما وقى الله تعالى. السفر قطعة من العذاب. وقد قيل: إن العذاب قطعة من السفر.

كل العذاب قطعة من السفر ... يا رب فارددني إلى ريف الحضر

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة أو تطرب

شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلي بهما: السفر الشاسع، والبناء الواسع. السفر والسقم والقتال ثلاث متقاربة، فالسفر سفينة الأذى، والسقم حريق الجسد، والقتال منبت المنايا. إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل. الغربة كربة، والقلة ذلة، والنقلة مثلة. الغريب كالفرس الذي زايل أرضه وفقد شربه، فهو ذاو لا يثمر، وذابل لا ينضر. الغريب كالوحشي النائي عن وطنه، فهو لكل سبع فريسة، ولكل رام رمية.

لقرب الدار في الإقتار خير ... من العيش الموسع في اغتراب." (٢)

"باب مدح الكتب والدفاتر

قال الجاحظ: الكتاب وعاء ملىء علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا؛ وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائبه، وإن شئت ألهتك مضاحكه، وإن شئت أشجتك مواعظه. فالكتاب نعم الظهر والعمدة، ونعم الكنز والعدة، ونعم الذخر والعقدة ونعم النزهة والعشرة، ونعم الشغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير النزيل. وهو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستبيح الذي لا يستزيدك، والجار الذي لا يستطيلك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك. وهو الذي يعطيك بالليل طاعته بالنهار، ويفيدك في السفر إفادته في

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٣٩٩

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٤٠١

الحضر، لا يعتل بنوم ولا ضجر، ولا يعتريه كلال سهر، وهو المعلم الذي افتقرت إليه لم يحتقرك، وإذا قطعت عنه المادة والمائدة لم يقطع عنك العادة والعائدة، وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك وإن قل مالك لم يترك زيارتك.

ثم قال: متى رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة تقل في حجر، ينطق عن الأموات، ويترجم كلام الأحياء، ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبناسك فاسق، وبساكت ناطق، وبحار بارد،." (١)

"باب مدح الغربة

من أحسن ما قيل في ذلك قول البرقعي:

إذا النار ضاق بها زندها ... ففسحتها في فراق الزناد

إذا صارم قر في غمده ... حوى غيره الفضل يوم الجلاد

وفي الاضطراب وفي الاغتراب ... منال المنى وبلوغ المراد

وكان يقال: ليس بينك وبين بلدك نسب، فخير البلاد ما حملك وجملك.

وقال بعض الحكماء: اهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك، وأوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أسك.

وقال آخر:

فلان تشرق أو تغرب طالبا ... وتكون في الإقبال والإدبار

خير وأكرم بالفتى من عيشة ... ضنك يقوم بها على إقتار

وكان سهل بن مروان يقول: لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه.." (٢)

"ومن مشهور ما ينشد قوله:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وقال آخر:

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في الغربة أوطان

والأرض شيء كله واحد ... ويخلف الجيران جيران

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٦٥

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢٨

وقال غيره:

إذا نلت في أرض معاشا وثروة ... فلا تكثرون فيها النزوع إلى الوطن

فما هي لا بلدة مثل بلدة ... وخيرهما ماكان عونا على الزمن

ولأبي فراس:

والمرء ليس ببالغ في أرضه ... كالصقر ليس بصائد في وكره

وقال الطريفي:

أرى وطني كعش لي ولكن ... أسافر عنه في طلب المعاش

ولولا أن كسب القوت فرض ... لما برح الفراخ من العشاش." (١)

"وللبستي:

لئن تنقلت من دار إلى دار ... وصرت بعد ثواء رهن أسفار

فالحر حر عزيز النفس حيث أتى ... والشمس في كل برج ذات أنوار

باب ذم الغربة

كان يقال: النقلة مثلة، والغربة كربة، والفرقة حرقة.

وقال بعض الحكماء: الغريب كالغرس الذي زايل أرضه وفقد شربه، فهو ذاو لا يزهر وذابل لا يثمر.

ويقال: الغريب كالوحش النائي عن وطنه، فهو لكل رام رمية ولكل سبع فريسة.

وقال آخر: الغريب كاليتيم العظيم الذي ثكل أبويه، فلا أم ترأمه ولا أب يرأف عليه.

ويقال: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك. ونظمه من قال:

لقرب الدار في الإقتار خير ... من العيش الموسع في اغتراب

وكان يقال: إذا كنت في بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل.

ولبعضهم:." (٢)

"يا نفس ويحك في التغرب ذلة ... فتجرعي كأس الأذى وهوان

وإذا نزلت بدار قوم دارهم ... فلهم عليك تعزز الأوطان

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٢٩

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٣٠

وقال آخر:

ما من غريب وإن أبدى مكابدة ... إلا تذكر بعد الغربة الوطنا

وقال النابغة:

فحلي في ديارك إن قوما ... متى يدعوا ديارهم يهونوا

وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى ... ملوما ومظلوما مجرا ومحسبا

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء ... يكن ما أسا كالنار في رأس كوكبا «١»

وقال آخر:

وينأ من عن دار العشيرة لم يزل ... عليه رعود جمة وبروق." (١)

"باب ذم الخط والعذار ١٨٨ باب مدح السماع ١٩٠ باب ذم السماع ١٩٢ باب مدح الزجاج ١٩٤ باب ذم الزجاج ١٩٥ باب مدح الذهب ١٩٧ باب ذم الذهب ١٩٩ باب مدح الشطرنج ٢٠١ باب ذم الشطرنج ٢٠٢ باب مدح النرجس ٢٠٥ باب ذم النرجس ٢٠٧ باب مدح الورد ٢١٠ باب ذم الورد ٢١١ باب مدح الشتاء ٢١٣ باب ذم الشتاء ٢١٤ باب مدح الصيف ٢١٦ باب ذم الصيف ٢١٦ باب مدح المطر ٢١٨ باب ذم المطر ٢٢٠ باب مدح القمر ٢٢٢ باب ذم القمر ٢٢٢ باب مدح السفر ٢٢٤ باب ذم السفر ٢٢٦ باب مدح الغربة ٢٢٨ باب ذم الغربة ٢٣٠ باب مدح الفراق ٢٣٣ باب ذم الفراق ٢٣٤ باب مدح البكاء ٢٣٧ باب ذم البكاء ٢٣٩ باب مدح الرؤيا ٢٤١ باب ذم الرؤيا ٢٤٢ باب مدح الهدية ٢٤٤ باب ذم الهدية ٢٤٦ باب مدح الدين ٢٤٧ باب ذم الدين ٢٤٨ باب مدح الشباب ٢٥٠ باب ذم الشباب ٢٥٣ باب مدح الشيب ٢٥٥ باب ذم الشيب ٢٥٩ باب مدح الخضاب ٢٦٢ باب ذم الخضاب ٢٦٣ باب مدح المرض ٦٢٦ باب ذم المرض ٢٦٧ باب مدح الموت ٢٦٩ باب ذم الموت ٢٧١ باب مدح السواد ٢٧٥ باب ذم السواد ٢٧٨ باب مدح الغوغاء والسفهاء ٢٧٩ باب مدح العمى ٢٨٢." (٢)

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٣١

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٣٥٨

"الربض هاهنا: المرأة. خضل: ند. السمل: الثوب الخلق، وسمل العين إذا فقأها بحديدة أو نحوها. الإجار: السطح. والمعنى أنه وإن كان مستظلا فكأنه بارز للسماء. الخفاء: شئ يغطى به الوطب أو غيره من المتاع نحو الكساء، وجمعه أخفية.

رجع: عز من بيده نواصى العباد. فاجعلنى رب ممن يتعظ، قبل أن يعظ، ويفر، فيستغفر، ويقول، ما هو بين الأخيار منقول، ورحم الله أمرأ ركع وسجد، وجاد بما وجد، واستنجد، في النوب فأنجد. التقي ملجم، يفتقر كلامه إلى أن يترجم، لا يفز عنى اللجم، تارة أمكث وتارة أتهجم، قد نطق الزمان الأعجم، فافهم إن كان لك فهم، ما بقى ظن يرجم، إن هواء تنسم، بالقدرة أحيا النسم، وطلع صبح يتسم، فطلب عبيد الله القسم، هذا أعرق وهذا وسم، غائر أخب ومنجد أرسم، وكلنا يشرب السم، ولو شاء الله لحسم، ريب منون قد عسم. لا يترك ما تجسم، فشفى نفوسا تعجز عن الشفاء. غاية.

تفسير: يفر: من وفارة العقل. اللجم: دويبة: يتشاءم بها. وسم: أي أتى الموسم. عسم: طمع.

رجع: وفق اللهم لما يرضيك، أقتنع، فأمتنع، تكتفى الخرنق، بالماء الرنق، وتستغنى الأرنب، عن الزرنب. ما يصنع الخزز بالجزز، والله الهادي إلى غوامض الأمور. إياي ومحافل الرياء. ليس عارق من بارق، ولا الرماح، من آل الطماح، نأت قيس عيلان، من غيلان، ونمير، من بني قمير، والله مؤلف المختلفين. كيف أتشبه، بمن غيره لى الشبه، لا يلتبس النعيق، بالوعيق، ليس يزيد، من بني تزيد، بعد عبيد، من قوم لبيد، وسبق مريد، فمتى يلحق به دريد، والله رافع الرتبات. من المأمن غائلة الحذر، وفي حندس الجرم يضئ مصباح المعتذر، لا تأمن الحرج، ولا تيأس من قرب الفرج، كم وجد كنز في جنز، واستخرج نشب، من غيل وأشب، وبرز أرقم بالحتف المطل، من بيت بارد مظل، فاستكف من شرف عن الأكفاء. غاية.

تفسير: الخرنق: ولد الأرنب. والرنق: الكدر. والزرنب: ضرب من الطيب. والجزز: الصوف. عارق: شاعر من طيىء ويقال إن اسمه قيس بن جروة. وإنما سمى عارقا بقوله: " لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه " وبارق: قبيلة من الأسد. ومنهم معقب بن حمار البارقي الشاعر. والرماح: ابن ميادة وأبوه أبرد، وهو من مرة غطفان. والطماح: من بني أسد. غيلان: قبيلة من بني تميم. وهو غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم. وقمير: من خزاعة. النعيق: صوت الراعي وما أشبهه. وقد يقال نعق الغراب بالعين غير معجمة، والغين أكثر. والوعيق: الصوت الذي يسمع من بطن الدابة وقد حكاه بعضهم بالغين معجمة. تزيد: من مهرة، تنسب اليها البرود ويقال إنهم اخوة مهرة؛ قال أبو ذؤيب:

يرفلن في حد الطباة كأنما ... كسيت برود بني تزيد الأذرع

ويزيد: بطن من الخزرج بن حارثة. عبيد: ابن الأبرص، أسدى. ولبيد: ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب. مريد: أحد وفد عاد، وإياه عنى القائل:

رعى هنيدة يهديه ويقدمه ... هادى مريد بن سعد أينما ذهبا

ودريد: ابن الصمة من جشم بن بكر بن هوازن. الجنز: بيت صغير من طين.

رجع: أأسألك رب أم أمسك، فأنت العالم بضمائر الصدور، أما الدنيا فحظوظ ضاع فيها تعب الحريص، والخير عند ربنا لا يضيع. ليس قضاء الحاجه، باللجاجه، ولا الغلب، بكثرة الجلب، إن مد لجا نبح، حتى أصبح، ليجيبه كلب، فأجابه أحص لايرده الألب، والله مخلف الظنون نزلت رحمة من الرقيع، إلى أهل البقيع، فأضاءت السدف، في الجدف، وذلك من نور الله يسير. فارحمنى رب إذا أدرجت، ثم أخرجت، من الوطن، ألى أضيق عطن، وخفت الأليل، واستراح المعلل من التعليل، فالحرب الحرب! لقد أكرمت ووقيت، ثم أسلمت فألقيت، في زوراء بعيدة المزار، مورد من يعرب ونزار.

وسكنى التربة، أغرب **الغربة**، انقضبت الآراب، من أهل التراب، وغدر بهم أهل الوفاء. غاية.

تفسير: الاحص: الذئب، ويقال إنه أخبث ما يكون إذا كان أحص، والألب: الطرد، الرقيع: السماء. ويقال لكل سقف رقيع، ولذلك جاء الحديث بالتذكير لقوله عليه السلام: من فوق سبعة أرقعة، ولو كان مؤنثا لوجب أن يكون من فوق سبع أرقع لأن فعيلا إذا كان للمؤنث جمع على أفعل. والبقيع ها هنا: المقبرة التي بالمدينة. والبقيع: كل فضاء واسع مثل البقعة الأليل: أنين المريض.." (١)

"رجع: بلغ أمل بعمل، وأهل التقصير، بلا عون ولا نصير. يأكل أطايب الأعفاء، من سمح بالرسل في أيام السفاء، ويلج الغمار، باذل السمار، وتثنى الضيفان، على الجائد بملء الجفان. لا يثنى عليك فصيل، بالأصيل. ومن اخضرت شربته بالواد، اكمات مربده بالتمر الجلاد. ومن ركب العامة في طلب الصيد كانت بطون عياله قبورا للحيتان. ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر في منزله الوشيق. والليل مطية الفجرة والصالحين: من أنضاه في الطاعة ربح، ومن حسره في المعصية فهو من أهل الخسار. ونعم الشيء النهار لمن جاهد وصام عن لحوم الناس؛ وصوم النية أفضل الصيام؛ لأن الجوارح تتبع القلب، وربما صامت اليد وأفطر اللسان. والشيء إلى شكله ينتظر، فيكون إذا اسود كشح السارية بالعرق فهامتها تبيض باللغام؛

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٩

وينذرك بشمط المفرق شمط العذار؛ لأن نبت الفودين قبل نبت العارضين، وحمرة الشقر تؤذنك بصفرة النبات. وكم أمرت بشيء وسواه ائتمرت، فبعفوك اللهم أنتصر من عجز وفشل إلى حزم المقال. أما الفم فمسكي المنطق، وأما نية الخلد فقطران. كم يرعني الدهر فلا أرع، وأنا إلى الباطل متسرع. لو كان القبر منزلا أكرم به وأصان لوجب أن أذعر له وأرتاع، فكيف وأنا هنالك بادي الوحشة طويل **الغربة** هامد العظام!. ليت أعظمى تحولت عيدان أراك يتفلفل بها المتعبدون لله بالعشى والأبكار. وليت أدمى جعل منه ذوات طراق يمسح عليها المسافرون في سبيل الله أوقات الصلوات، أو صنع منه شعيب يحمل فيها الماء حتى تعد في الشنان الباليات. وليت شعرى عشب عبثت به ركاب الناسكين، على أصل بذلك إلى الفلاح. غاية.

تفسير: الأعفاء: جمع عفو وهو الجحش. والسفاء: قلة اللبن؛ يقال: ناقة سفي وهي ضد الصفي. والمعنى: أن من سقى فرسه اللبن في أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها. والغمار: جمع غمرة وهي الشدة. والسمار: اللبن المذيق. والمعنى: أن من سقى فرسه سمارا وثق بجريه فولج غمار الحرب. اخضرت شربته أي صار عليها طحلب من كثرة الماء وإدمان السقي. واكمات المربد أي صار فيه تمر يوصف بالكمتة؛ والعرب تصف التمرة بالكميت. والجلاد: جمع جلدة وهي التمرة الشديدة التي لا تتوسف أي تتقشر؛ وفي حديث على عليه السلام أنه أكرى نفسه من يهودي على أنه ينزع له مائة دلو بمائة تمرة جلدة؛ وقال الأسود بن يعفر:

وكنت إذا ما قرب الزاد مولعا ... بكل كميت جلدة لم توسف

يعني تمرة. والعامة: ضرب من السفن. والوشق: اللحم المقدد طولا، والقطعة وشيقة. والشئ إلى شكله أي مع شكله وهو ما يشاكله وإن لم يكن مثله في الحقيقة، كأن تقول: إن الصوم يشاكل الصلاة أي هما عبادة وإن لم يكونا مثلين؛ وكذلك اسوداد كشح المطية بالعرق يشاكل ابيضاض رأسها باللغام؛ لأن هاتين الحالتين تكونان عند الجهد والمشقة. والشقر: شقائق النعمان. والمعنى: أنه إذا فتح نوره فقد ألوى بعض النبت واصفر. و ائتمرت أي حدثت نفسى؛ ومنه قول النمر:

إعلمي أن كل مؤتمر ... مخطئ في الرأي أحيانا

وقوله تعالى " يأتمرون بك ليقتلوك " فسر على وجهين: أحدهما أنهم يحدثون أنفسهم بقتلك. والآخر أنهم يأمر بعضهم بعضا، فيكون ياتمرون في معنى يتآمرون، كما أن يختصمون في معنى يخاصمون ويتفلفل:

يستاك. والشعيب: القربة من أديمين.

رجع: بلغة من المأكل، وحاجب من السترات، ومذهب للظمأ من الأمواه، خير من مال غمر، ونهى وأمر، وعسل وخمر. والدنيا فاحشة العيوب، وعيوبي أفحش إذ كنت لها من المحبين؛ وينبغي للعاقل ألا يرغب في المعيب. يا نفس لو أطعتني هنيدة من الأحقاب كنت عليك لما سلف غضبان. هذا أنا وأنت أعز الأنفس علي، فكيف بخالقك الذي أنت عنده في منزلة هوان: لو أنحيت على شبحك بالمقاريض ماقا بلتك بما تستحقين. فاذهبي ذميمة غير كريمة. إن لقيت شرا فما أجدرك به، وإن لقيت خيرا فإن الله صفوح لا يعجز ولا يشبهه العاجزون. ما أجدره أن يجعل عقاب الزبر عقابا تنقض على خزان الأنيعم والسماسم بأورال، والمنقضة ممسكا للحب في حجة الجارية ذات الرعاث، ورعاث العفراء يومايبذل فيه نفائس الأثمان، ونعام القامة خواضب أكلت اليساريع، ويساريع الرمل بنان غوان، وترائك الكماة قيضا في الأداح. غاية.." (١)

"قال: ثم من؟ قال: ثم حسبك بي إذا وضعت رجلا على رجل، ثم عويت في آثار القوافي، كما يعوي الفصيل في آثار الإبل.

وقال الشاعر:

وجدت بني الجعراء قوما أذلة ... ومن لا يهنهم يمس وغدا مهضما

وأحمق من راعي ثمانين ترتعي ... يجنب الستار بقل روض موسما

وتلك الثمانون، ألقي فيها الريع إلى أن يصير قيراطها قنطارا، ولا فتئ كلها معطارا أي هو قريب من عطر، لا يعدم في صيام ولا فطر، أوفر حظا في المحمدة من التي ذكرها الحراني السلمي، أبو المحلم عوف بن المحلم في قوله:

إن الثمانين، وبلغتها، ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وبدلتني بالشطاط الخنا ... وكنت كالصعدة تحت السنان

لأن التي ذكرها تضعف، وهذه تنعش وتسعف، وتلك تجعل الرجل بعد كونه كالقناة، كأنه قوس في أيدي الحناة، وهذه تقيم الأود، وتسر الأسود. والبيت المنسوب إلى أبي العتريف معروف:

حبشي له ثمانون عيبا ... كسبته مهابة وجالا

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٢٠

ولعله قد اجتاز في أرض الموصل، بالقرية التي تعرف بثمانين وهي قريبة من الجبل المعروف بالجودي، فإن كانت ثمانون القرية وطن أناس، فهذه تجري مجرى الوطن في الإيناس، كما قال:

الفقر في أوطاننا غربة، ... والمال في **الغربة** أوطان

لله در الذهب من خليل، فإنه يفيء بظل ظليل؛ وإن دفن لم يبال، ما هو كغيره بال؛ أعطي نفيس المقدار، فما هم شرفه بانحدار؛ والدر إذا كسر ذهبت قيمته، ولم يحفظ إن تنحطم كريمته، ورب ذهب في سوار،." (١)

"وربما تركت الهمزة مكانها للحرف الضعيف ولم تصبر على المضارة، أو تكون رغبت في التفضل على المجاورة كما قالوا: را، يريدون: رأي.

قال الشاعر:

ومن را مثل معدان بن ليلى ... إذا ما النسع جال على المطيه

وقالت امرأة من العرب:

من بين الأخوين ... كالغصنين أم من راهما

فكأنها تشبه في هذا الصنيع رجلا فيه كرم وشدة لو أراد لضار جاءه وأقصاه، فيحمله الكرم على تخلية مكانه له. وقد رأيت الهمزة حذفت من ترى، وأصلها أن تجيء فيه كما جاءت في قوله تعالى: " وهم ينهون عنه وينأون عنه ".

ولكنها بعدت من موطنها فلم ترجع إليه إلا عند ضورة، كالرجل فارق الوطن فلم يلمم به إلا عند النائبة. قال الشاعر:

ألا إنما ذا الدهر يوم وليلة ... ومن يحي في الأيام يرأ ويسمع

ومثلها في هذا الموضع مثل الرجل لا يدخل وطنه إلا عند شريطة. ألا ترى أن الفصحاء لا يقولون: ترأى، في المنثور، وإنما يستعملونها في المنظوم لإقامة الوزن؟ وكذلك وجدناهم يحذفون الهمزة إذا كانت طرفا وقبلها ساكن، ويلقون حركتها على ما قبلها فيقولون: خذ الجز و " قريء ": " يخرج الخب في السموات والأرض ". فإذا كان ذلك في الشعر حذفت الهمزة إلى آخر الدهر لأن رجوعها يكسر، قال " حسان ":

فرهنت اليدين عنهم جميعا ... كل كف لها جز مفصوم

---

(١) رسالة الغفران أبو العلاء المعري ص/٢٠٣

وإذا اتفق لها ذلك في النثر، جاز أن ترجع وجاز ألا ترجع. وكذلك حالها في: يسأل وبابه، إذا كانت في النثر فهي في الرجوع على أحد أمرين وإذا كانت في النظم فلا تقدر على رجوعها إلى الوطن، كما قال " القطامي ":

وقد يزيد سؤال المرء معرفة ... ويستريح إلى الأخبار من يسل

فغرب الله من يبغض السيد " عزيز الدولة " – أعز الله نصره – عن وطنه، تغرب الهمزة في " يسل " عن الوطن، فإنها يائسة أن ترجع إليه وتلك **الغربة** هي غربة الموت لأنها فقدان الشخص.

وما أحسن بالقوم التأسي إذا نزلت الشدائد! فحقيق على الغنى إذا شبع ألا يترك جاره الفقير وهو طاو، وألا يحوجه إلى المسألة، بل يكفيه النظر إليه إلا كما قال " الأفوه الأودي ":

ألوت بإصبعها وقالت إنما ... يكفيك مما لا ترى ما قد ترى

لا يستوي الجاران أن يتجاورا ... هذا أخو شبع وذا طاوي المعي

ألا ترى أن الكاف في: بكر، لما اضطرت إلى الحركة في بيت " أوس " دخلت مع الباء في الكسر ولم ترغب في الضمة، فعد ذلك فيها من المواساة؟ قال " أوس ":

لنا صرخة ثم إصماتة ... كما طرقت بنفاس بكر

ففي هذا مثل لمن يأخذ نفسه بزي جاره ويترك مضاهاة الأبعدين. وكذلك قول " الهذلي ":

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما ... لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا ... من غاب حلية لا عشا ولا نقدا

إذا تجاوب نوح قامتا معه ... ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

ألا ترى أن اللام لما اضطرت إلى الحركة رغبت أن تنكسر مثل الجيم؟ وروى عن " الخليل " أنه كان يمشي مع " ابن مناذر " الشاعر، فانقطع شسع نعل " ابن مناذر " فنزع نعله. فلما رآه " الخليل " فعل مثل ما فعل، فقال له ابن مناذر: ما هذا أبا عبد الرحمن؟ قال: أردت أن أساويك في الحفاء.

فإن زعمت أن كاف بكر ولام جلد أساءتا في مجانبتهما الراء والدال، ومواساتهما الباء والجيم؛ فكذلك يجب، لأن الباء أسبق حرمة إلى الكاف وأقدم صحبة في بكر، وكذلك الجيم في جلد، لأنك تنطق بهما قبل الراء والدال. وفي كتاب الله تعالى: " والسابقون السابقون، أولئك المقربون ".." (١)

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٩٤

"منافعها ما ضر في نفع غيرها ... تغذى وتروي أن تجوع وأن تظما

تقدير البيت: منافعها ما ضرها في نفعها، غير محذوف العائد إلى ما وأضاف المصدر إلى المفعول. وحذف الفاعل كقوله تعالى: " لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ". أي من دعائه الخير، وقوله: " بسؤال نعجتك ". أي سؤاله نعجتك.

يقول: إن منافع هذه المرأة فيما يضرها عند نفع غيرها. يعني: أنها كانت تضر بنفسها لتنفع غيرها، وإن ذكل كان نفعا لها، لأنها كانت تؤثر غيرها على نفسها فتجوع وتظمأ، فكأن جوعها إذا أشبعت غيرها يقوم لها مقام غذائها، وكذلك عطشها إذا أروت غيرها يقوم مقام ارتوائها. والمصراع الثاني تفسير الأول.

وقال ابن جنى: إن الهاء في منافعها للأحداث أي منافع الأحداث فيما يضر غيرها وبأن تجوع وتظمأ، وهذا ضار لغيرها. يعني: أنها تريد أن تهلك الناس فتخلوا منهم الدنيا. كما قال:

كالموت ليس له ري ولا شبع

وقيل: إن في بمعنى اللام، أو بمعنى مع.

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزدني بها علما

ما بمعنى المصدر: أي قبل صنعها بنا. وقيل: بمعنى الذي.

يقول: كنت عرفت الليالي وسوء صنيعها قبل وقوع ما أوقعت، فلما أوقعت ما أوقعت، وابتلتنا بموت الجدة، لم تصبني الليالي بشيء لم أعرفه من أحوالها، ولم تزدنا علما بسوء تصرفها.

أتاها كتابي بعد يأس وترحة ... فماتت سرورا بي، فمت بها غما

نصب سرورا وغما على المفعول له.

يقول: إن كتابي أتاها بعد ما يئست مني، وحزنت على فراقي، فماتت سرورا بي ومت من الغم الذي حصل لي بموتها.

حرام على قلبي السرور فإنني ... أعد الذي ماتت به بعدها سما

يقول: إن السرور حرام على قلبي؛ لأن موتها كان بالسرور! وذلك عندي كالسم. لما كان سبب موتها هو السرور، ولا ينبغي لأحد أن يقرب السم من قلبه.

تعجب من خطي ولفظي كأنها ... ترى بحروف السطر أغربة عصما

العصم: جمع أعصم، وهو الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وقيل: هو الذي إحدى رجليه بيضاء، وذلك

لا يكاد يوجد.

يقول: إنها تعجبت من كتابي! وكانت تنظر إليه وتكرر النظر اشتياقا إلي واستعجابا؛ لأن عندها أني قد مت، فكأنها ترى غرابا أعصم؛ لفرط التعجب.

وتلثمه حتى أصار مداده ... محاجر عينيها وأنيابها سحما

السحم: السود. والمحاجر: ما حول العينين.

يعني: أنها لم تزل تقبله وتمسح به على وجهها وعينيها وهي تبكي، حتى اسودت أنيابها ومحاجرها.

رقا دمعها الجاري وجفت جفونها ... وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى

رقا: أي انقطع.

يعني: أنها كانت تبكي علي وتحزن بسببي، فأراحها الموت من البكاء علي والوجد بي، فجفت دموعها وفارق حبي قلبها بموتها بعد ما كان جرحه وأسال دمه.

ولم يسلها إلا المنايا، وإنما ... أشد من السقم الذي أذهب السقما

يقول: لم يصبرها عني إلا الموت، الذي هو أشد من السقم الذي كان بها؛ لأن السقم يزيل الصحة، والموت يزيل الحياة ويبطلها.

طلبت لها حظا، ففاتت وفاتني ... وقد رضيت بي لو رضيت لها قسما

يقول: طلبت لها حظا بالعود إلى العراق، واستدعائها إلي حيث كنت.

وقيل: طلبت لها بالمفارقة **والغربة** حظا من الدنيا، فقد ماتت هي وفاتني ذلك الحظ المطلوب! الذي هو لقاؤها أو غيره. وقد كانت راضية من الدنيا كلها بمقامي عندها، لو كنت أرضى لها بذلك القسم، لكن لم أرض لها بما رضيت لنفسها.

وقد روى: لو رضيت بضم الراء: ومعناه أنها كانت راضية بي لو رضي الله تعالى بي لها، وأن أكون عندها، ولكنه لم يرض بذلك.

فأصبحت أستسقيي الغمام لقبرها ... وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما

يقول: كنت قبل موتها أطلب لها الحظ بالقنا والحرب، وأدفع بالقتال والقوة والشجاعة، وكنت أدعو القنا لصب الدماء، فلما ماتت! عدت أدعو لقبرها وأستسقي الغمام له. على ما جرت به عادة العرب.

وكنت قبيل الموت أستعظم النوى ... فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

يقول: كنت أستعظم النوى. أي فراقها، وهي سالمة، فالآن صار النوى الذي كنت أستعظمه صغرى، من حيث الموت.

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى ... فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى؟." (١)

"جودين: إما أن أجود بيأسي، وإما أن أجود برأسي؛ وبين ركوبين: إما المفازة، وإما الجنازة؛ وبين طريقين: إما الغربة، وإما التربة؛ وبين فراقين: إما أن أفارق أرضي، أو أفارق عرضي؛ وبين راحلتين: إما ظهور الجمال، وإما أعناق الرجال؛ فاخترت السماح بالوطن، على السماح بالبدن؛ وأنشدت:

إذا لم يكن إلا المنية مركب ... فلا رأى للمحمول إلا ركوبها

ولد ما ذكر من «كعبة [المحتاج، لا كعبة] الحجاج» ، من قول أبى تمام:

بيتان حجههما الأنام؛ فهذه ... حج الغنى، وتلكم للمعدم

[أبو على البصير وشيء من أدبه]

وشتم بعض الطالبيين أبا على الفضل بن جعفر البصير، فقال أبو على: والله ما نعيا عن جوابك، ولا نعجز عن مسابك؛ ولكنا نكون خيرا لنسبك منك، ونحفظ منه ما أضعت؛ فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك.

وسأل أبو على البصير بعض الرؤساء حاجة ولقيه؛ فاعتذر إليه من تأخرها؛ فقال أبو على: فى شكر ما تقدم من إحسانك شاغل من استبطاء ما تأخر منه.

وأبو على أحد من جمع له حظ البلاغة في الموزون والمنثور، وهو القائل:

ألمت بنا يوم الرحيل اختلاسة ... فأضرم نيران الهوى النظر الخلس

تأبت قليلا وهي ترعد خيفة ... كما تتأبى حين تعتدل الشمس

فخاطبها صمتى بما أنا مضمر ... وأنبست حتى ليس يسمع لى حس

وولت كما ولى الشباب لطية ... طوت دونها كشحا على يأسها النفس

وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره:

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٤٩

سمعنا بأشعار الملوك؛ فكلها ... إذا عض متنيه الثقاف تأودا

سوى ما رأينا لامرئ القيس؛ إننا ... نراه- متى لم يشعر الفتح- أوحدا." (١)

"ثم أمسكت، فدنوت منها، فقلت لها: بالله يا أعرابية، إلا ما زدته في الوصية؛ قالت: أو قد أعجبك كلام العرب يا حضرى؟ قلت: نعم! قالت:

الغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها.

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد الصاحب: الخبر المنقول أن المقبوض غريبا شهيد.

وفي الحديث: سافروا تغنموا. السفر أحد أسباب العيش التي بها قوامه، وعليها نظامه. إن الله لم يجمع منافع الدنيا في الأرض؛ بل فرقها وأحوج بعضها إلى بعض. المسافر يسمع العجائب، ويكسب التجارب، ويجلب المكاسب.

الأسفار مما تزيدك علما بقدرة الله وحكمته، وتدعوك إلى شكر نعمته. ليس بينك وبين بلد نسب؛ فخير البلاد ما حملك. السفر يسفر عن أخلاق الرجال.

أوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أنسك، واهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك.

ربما أسفر السفر عن الظفر، وتعذر في الوطن قضاء الوطر، وأنشد:

ليس ارتحالك تزتاد الغنى سفرا ... بل المقام على خسف هو السفر

وهذا كقول الطائى:

وما القفر بالبيد الفضاء، بل التى ... نبت بى وفيها ساكنوها هي القفر

أخذه المتنبى فقال:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ألا تفارقهم فالراحلون هم

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

فى الحديث إن المسافر وماله لعلى، قلت: إلا ما وقى الله، أى على هلاك.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢/٤٣٥

شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما: السفر الشاسع، والبناء الواسع. السفر والسقم والقتال ثلاث متقاربة؛ فالسفر سفينة الأذى، والسقم حريق الجسد،." (١)

"والقتال منبت المنايا. إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل. **الغربة** كربة. النقلة مثلة. الغريب كالغرس الذى زايل أرضه، وفقد شربه؛ فهو ذاو لا يثمر، وذابل لا ينضر الغريب كالوحش النائى عن وطنه؛ فهو لكل سبع فريسة، ولكل رام رمية؛ وأنشد:

لقرب الدار في الإقتار خير ... من العيش الموسع في اغتراب

وقال أبو الفتح البستى:

لا يعدم المرء شيئا يستعين به ... ومنعه بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته ... كالليث يحقر لما غاب عن غابه

[العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة]

كتب أبو عبيد الله إلى المهدى بعد عزله إياه عن الدواوين: لم ينكر أمير المؤمنين حالى في قرب المؤانسة وخصوص الخلطة، وحالى عنده قبل ذلك في قيامى بواجب خدمته، التى أذنتنى من نعمته، فلم أبدل- أعز الله أمير المؤمنين- حال التبعيد، ويقرب في محل الإقصاء، وما يعلم الله منى فيما قلت إلا ما علمه أمير المؤمنين، فإن رأى أكرمه الله أن يعارض قولى بعلمه بدءا وعاقبة فعل إن شاء الله.

فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه، فقال: ظلمنا أبا عبيد الله، فيرد إلى حاله، ويعلم ما تجدد له من حسن رأيى فيه.

ولما أمر المأمون أن يحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألم قلبه منه كتب إليه:

يا أمير المؤمنين! لم ينسنى التقريب حالى أيام التبعيد، ولا أغفلتنى المؤانسة عن شكر الابتداء؛ فعلى أى الحالين أبعد من أمير المؤمنين، ويلحقنى ذم التقصير في واجب خدمته؟ وأمير المؤمنين أعدل شهودى على الصدق فيما وصفت؛ فإن رأى أمير المؤمنين ألا يكتم شهادتى فعل إن شاء الله.

وقال أبو جعفر المنصور لأبى مسلم حين أزمع قتله: هل كنت قبل قيامك بدولتنا جائز الأمر على عبدين؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: فلم لم تعرض." (٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٤٣٩/٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٤٤٠/٢

"إن أفلت فليس يفوت، وإن لم يمت فسيموت؛ وما أقبح الشماتة، بمن أمن الإماتة، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة، وعقب كل لفظة، والدهر غرثان طعمه الخيار «١» ، وظمآن شربه الأحرار، فهل يشمت المرء بأنياب آكله، أم يسر العاقل بسلاح قاتله؟ وهذا الفاضل شفاه الله وإن ظاهرناه بالعداوة قليلا، فقد باطناه ودا جميلا، والحر عند الحمية لا يصطاد، ولكنه عند الكرم ينقاد، وعند الشدائد تذهب الأحقاد، فلا تتصور حالتى إلا بصورتها من التوجع لعلته، والتحزن لمرضته، وقاه والله المكروه، ووقانى سماع المحذور فيه، بمنه وحوله، ولطفه وطوله.

قال البديع في سياقة أخباره مع أبى بكر الخوارزمى:

أولها أنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور دارا، وإلا جوار السادة جوارا، لا جرم أنا حططنا بها الرحل؛ ومددنا عليها الطنب، وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه، وبخبره على الغيب فنتعشقه، ونقدر أنا إذا وطئنا أرضه، ووردنا بلده، يخرج لنا في العشرة عن القشرة، وفي المودة عن الجلدة، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا، ولحمة الأدب نظمتنا، وقد قال شاعر القوم غير مدافع «٢» :

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق، لم يوجبه استحقاق، من بزة بزوها، وفضة فضوها، وذهب ذهبوا به، ووردنا نيسابور براحة، أنقى من." (١)

"الراحة، وكيس أخلى من جوف حمار «١» ، وزى أوحش من طلعة المعلم، بل اطلاعة الرقيب، فما حللنا إلا قصبة جواره، ولا وطئنا إلا عتبة داره؛ وهذا بعد رقعة قدمناها، وأحوال أنس نظمناها- ونسخة الرقعة: أنا بقرب الأستاذ أطال الله بقاه كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج لمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، فكيف نشاط الأستاذ سيدى لصديق طرأ إليه مما بين قصبتى العراق وخراسان، بل عتبتى نيسابور وجرجان؟ وكيف اهتزازه لضيف:

رث الشمائل مخلق الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو- أيده الله! - ولى إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقرى، لأفضى إليه بما عندى- إن شاء الله- فلما

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢/٥١٠

أخذتنا عينه سقانا الدردى من أول دنه، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه، من طرف نظر بشطره، وقيام دفع في صدره، وصديق استهان بقدره، وضيف استخف بأمره؛ لكنا أقطعناه جانب أخلاقه، ووليناه خطة نفاقه؛ فواصلناه إذ جانب، وقاربناه إذ جاذب، وشربناه على كدورته، ولبسناه على خشونته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زى استغثه، ولباس استرثه، وكاتبناه نستمد وداده، ونستلين قياده، ونقيم منآده، بما هذه نسخته: الأستاذ أبو بكر، والله يطيل بقاءه، أزرى بضيفه أن وجده يضرب إليه آباط القلة، فى أطمار **الغربة**، فأعمل في رتبته أعمال المصارفة، وفي الاهتزاز إليه أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف،." (١)

"ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ للكلام، وتكلف لرد السلام؛ وقد قبلت ترتيبه صعرا، واحتملته وزرا، واحتضنته نكرا، وتأبطته شرا، ولم آله عذرا؛ فإن المرء بالمال وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال وفي الاسمال، أتقزز من صف النعال، فلو صدقته العتاب، وناقشته الحساب، لقلت: إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وناسا يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف:

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

فلو طوحت بأبى بكر- أيده الله- إليهم مطارح **الغربة**، لوجد منزل البشر رحيبا، ومحط الرحل قريبا، ووجه المضيف خصيبا؛ فرأى الأستاذ أبى بكر أيده الله فى الوقوف على هذا العتاب الذى معناه ود، والمر الذى يتلوه شهد، موفق إن شاء الله.

فأجاب بما نسخته: وصلت رقعة سيدى ورئيسى أطال الله بقاه إلى آخر السكباج «١» ، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه، ومؤلم عتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التي ل ا يخلو منها من مسه عسر أو نبا به دهر؛ والحمد لله الذى جعلنى موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه، أما ما شكاه سيدى ورئيسى من مضايقتى إياه في القيام، فقد وفيته حقه- أيده الله- سلاما وقياما، على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات [العلوى] أدام الله عزه، وما كنت لأرفع أحدا على من أبوه الرسول، وأمه البتول، وشاهداه التوراة والإنجيل، وناصراه التأويل والتنزيل، والبشير به جبريل وميكائيل؛ فأما القوم الذين

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢/٥١١

صدر عنهم سيدى فكما وصف: حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، ونلت المراد:." (١)

"٤١٤ فصول قصار

- من كلام قابوس بن وشمكير

٤١٥ للثعالبى يصف شمس المعالى قابوسا

٤١٦ للميكالى يمدح قابوسا

٤١٧ من رسائل بديع الزمان إلى قابوس

٤١٩ من أخبار البرامكة

٤٢٠ ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى

- سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرا

- توقيع لجعفر بن يحيى

٤٢١ بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبى حفصة

٤٢٢ من قصيدة لزهير بن أبى سلمى

- تعليق على هذه القصيدة لقدامة بن جعفر

٤٢٣ لمحمد بن مناذر في البرامكة

- مثل من التجنيس لأبى الفضل الميكالى

٤٢٦ لأبى الفتح البستى في هذا المذهب

٤٢٨ فقر في ذكر العلم والعلماء

٤٣٠ استعارات فقهية تليق بهذا المكان

- بين أبى تمام وابن أبى دواد

- بين طاهر بن عبد الله وابن أبى تمام

٤٣١ ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان وسببها

٤٣٢ بين ابن ثوابة وابن الرومى

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٥١٢/٢

٤٤٨ من المعانى ما لا ينقلب

- بعض ما أخذ على أبى نواس

٤٤٩ قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

- لأبى الفتح البستى

٤٥١ لابن درست

- لمسكويه

- للخوارزمى

- للصولى

٤٥٢ لابن المعتز

٤١٨ الأصمعى وبعض الأعراب." (١)

"فى هذا الباب؛ فبينهم فى **الغربة** أعوان كما انفرج المشط، وفى العطلة إخوان كما انتظم السمط، حتى إذا لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة، أوصك جعالة؛ عاد عامر مودتهم خرابا، وانقلب شراب عهدهم سرابا، فما اتسعت دورهم إلا ضاقت صدورهم، ولا علت قدورهم إلا خبت بدورهم، ولا علت أمورهم إلا أسبلت ستورهم، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم. ولا هملجت عتاقهم إلا فظعت أخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فسدت أفعالهم، ولاكثر مالهم، إلا قل جمالهم، وعز معروفهم، وورمت أنوفهم «١» ، حتى إنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خطبا، وعلى الأحرار مع الزمان ألبا. قصارى أحدهم من المجد أن ينصب تحته تخته، وأن يوطىء استه دسته، وحسبه من الشرف دار يصهرج أرضها، ويزخرف بعضها، ويزوق سقوفها، ويعلق شفوفها «٢» ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، وكفاه من الكرم ألفاظ فقاعية «٣» ، وثياب قداعية، يلبسها ملوما، ويحشوها لوما، وهذه صفة أفاضلهم. ومنهم من يمنحك الود أيام خشكاره حتى إذا أخصب جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وأنيسه كيسه، وأليفه رغيفه، وأمينه يمينه، ودنانيره سميره، وصندوقه صديقه، ومفتاحه ضجيعه، وخاتمه خادمه، وجمع الدرة إلى الدرة، ووضع البدرة على البدرة، فلم تقع القطرة من طرفه، ولا الدرة من كفه؛ ولا يخرج ماله عن عهدة خاتمه، إلى يوم مأتمه، وهو يجمع لحادث حياته، أو وارث وفاته؛ يسلك فى الغدر كل طريق، ويبيع بالدرهم

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٢/٦٢٤

ألف صديق؛ وقد كان الظن بصديقنا أبى سعيد- أيده الله تعالى- أنه إذا أخصب آوانا كنفا من ظله، وحبانا من فضله، فمن لنا الآن بعدله؟ إنه- أطال الله بقاءه- حين طارت إلى أذنه عقاب المخاطبة بالوزير، وجلس من الديوان فى صدر الإيوان." (١)

"نزلنا على أن المقام ثلاثة ... فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

فبينا أنا يوما فى بعض أسواقها إذ طلع رجل بركوة قد اعتضدها «١» ، وعصا قد اعتمدها، ودنية قد تقلسها، وفوطة قد تطيلسها؛ فرفع عقيرته وقال: اللهم يا مبدئ الأشياء ومعيدها، ومحيى العظام ومبيدها، وخالق المصباح ومديره، وفالق الإصباح ومنيره، وموصل الآلاء سابغة إلينا، وممسك السماء أن تقع علينا، وبارئ النسم أزواجا، وجاعل الشمس سراجا، والسماء سقفا، والأرض فراشا، وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشيء السحاب ثقالا، ومرسل الصواعق نكالا، وعالم ما فوق النجوم، وما تحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين، وأن تعيننى على **الغربة** أثنى حبلها، وعلى العسرة أعدو ظلها، وأن تسهل لى على يدى من فطرته الفطرة، وأطلعته الطهرة، وسعد بالدين المتين، ولم يعم عن الحق المبين، راحلة تطوى هذا الطريق، وزادا يسعنى والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فناجيت نفسى بأن هذا الرجل أفصح من إسكندرينا أبى الفتح، والتفت لفتة، فإذا هو أبو الفتح. فقلت: يا أبا الفتح، بلغ هذه الأرض كيدك، وانتهى إلى هذا الشعب صيدك؟! فأنشأ يقول:

أنا جوالة البلا ... د وجوابة الأفق

أنا خذروفة الزما ... ن وعمارة الطرق

لا تلمنى لك الرشا ... د على كديتى وذق

وقال الطرماح بن حكيم:

وما أنس م الأشياء لا أنس بيعة ... من الدهر إذ أهل الصفاء جميع." (٢)

"[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى: سمعت عمى يحدث قال: أرقت ليلة من الليالى بالبادية، وكنت نازلا عند رجل من بنى الصيداء «١» ، وكان واسع الرحل، كريم المحل، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٨٨٦/٣

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٩٦٢/٤

العراق، فأتيت أبا مثواى «٢» ، فقلت: إنى قد هلعت «٣» من **الغربة**، واشتقت إلى أهلى، ولم أفد فى قدمتى هذه كبير علم. وإنما كنت أغتفر وحشة **الغربة** وجفاء البادية للفائدة؛ فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتغديت، وأمر بناقة مهرية «٤» كأنها سبيكة لجين [فارتحلها] واكتفلها، ثم ركب وأردفنى، وأقبلها مطلع الشمس؛ فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار، له جمة قد صبغها بالورس «٥» ، كأنها قنبيطة، وهو يترنم، فسلم عليه صاحبى، وسأله عن نسبه فاعتزى أسديا من بنى ثعلبة.

قال: أتروى أم تقول؟ قال: كلا. قال: أين تؤم؟ فأشار إلى موضع قريب من الموضع الذى نحن فيه. فأناخ الشيخ، وقال لى: خذ بيد عمك فأنزله عن حماره، ففعلت، وألقى له كساء قد اكتفل به، ثم قال: أنشدنا يرحمك الله وتصدق على هذا الغريب بأبيات يبثهن عنك، ويذكرك بهن، فأنشدنى له:

لقد طال يا سوداء منك المواعد ... ودون الجدا المأمول منك الفراقد

تمنيننا بالوصل وعدا، وغيمكم ... ضباب، فلا صحو، ولا الغيم جائد

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد ... بفضل الغنى ألفيت مالك حامد

وقل غناء عنك مال جمعته ... إذا صار ميراثا وواراك لاحد

إذا أنت لم تعرك بجنبيك بعض ما ... يريب من الأدنى رماك الأباعد." (١)

"إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل ... عليك بروق جمة ورواعد

إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل ... جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد «١»

إذا أنت لم تترك طعاما تحبه ... ولا مقعدا تدعو إليه الولائد

تجللت عارا لا يزال يشبه ... عليك الرجال نثرهم والقصائد

وأنشدنى لنفسه:

تعز فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معول

فلو كان يغنى أن يرى المرء جازعا ... لنازلة أو كان يغنى التذلل

لكان التعزى عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرىء مما قضى الله مزحل

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... بنعمى وبؤسى والحوادث تفعل

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ١٠٥٨/٤

فما لينت منا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذى ليس يجمل

ولكن رحلناها نفوسا كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بحد العزم منا نفوسنا ... فصحت لنا الأعراض والناس هزل

قال: فقمت إليه، وقد نسيت أهلى، وهان على طول **الغربة**، وضنك العيش، سرورا بما سمعت، ثم قال: يا بنى؛ من لم يكن الأدب والعلم أحب إليه من الأهل والولد لم ينجب.

[خصومة قرشية]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر، فأسرع إليه القرشى فقال: على رسلك، فإنك لسريع الإيقاد «٢» وشيك الصريمة، وإنى والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدى، فأبلغ غاية الإعذار.." (١)

"فقال: يا أمير المؤمنين، حملتنى على غير الجدد: هيبة الخلافة، ووحشة **الغربة**، وروعة المفاجأة، وجلالة المقام، وصعوبة البديهة، وشرود القوافى، على غير الروية، فليمهلنى أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول.

فقال الرشيد: لا عليك ألا تقول؛ قد جعلت اعتذارك عوض امتحانك.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ نفست الخناق، وسهلت ميدان السباق، ثم قال:

بنيت بعبد الله بعد محمد ... ذرى قبة الإسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما ... وأنت- أمير المؤمنين- عمودها

فقال الرشيد: وأنت بارك الله فيك، سل ولا تكن مسألتك دون إحسانك فقال: الهنيدة يا أمير المؤمنين «١» ! فأمر له بها، وبخلع نفيسة، وصلة جزيلة.

[كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد الملك]

دخل يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك، فازدراه ونبت عينه عنه، فقال: ما رأت عينى كاليوم قط، لعن الله امرأ أجرك رسنه، وحكمك فى أمره. فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل ذلك؛ فإنك رأيتنى والأمر عنى مدبر، وعليك مقبل؛ فلو رأيتنى والأمر على مقبل، وعنك مدبر، لاستعظمت منى ما استصغرت، واستكبرت ما استقللت.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ١٠٥٩/٤

قال: عزمت عليك يابن أبى مسلم لتخبرنى عن الحجاج، أتراه يهوى فى جهنم أم قد قر بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل هذا فى الحجاج، وقد بذل لكم النصيحة، وأمن دولتكم، وأخاف عدوكم، وكأنى به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك، ويسار أخيك، فاجعله حيث شئت.

فقال له سليمان: اعزب «٢» إلى لعنة الله! فخرج، فالتفت سليمان إلى جلسائه." (١)

"إلا قلت: كيف لو رأت ليلى أخانا، فتعلم أين دعواها من دعوانا. ولا أنشدت قول أبي السعلاء في الرشيد:

أغيثا تحمل الناق ... ة أم تحمل هارونا

أم الشمس أم البدر ... أم الدنيا أم الدينا

فإني والله أتعجب حين قاله في غيرك، كيف لم ترم جهنم بشرارها، والشياطين بأحجارها، وأعجب من قول من قال في معن بن زائدة:

مسحت معد وجه معن سابقا ... لما جرى وجرى ذوو الأحساب

كيف يسبق غيرك في حلبة وأنت في عدادها، أم كيف يكون غيرك سابق جيادها؟ أنت أيدك الله بين هؤلاء الشعراء مرحوم مظلوم، سلبوك علاك وهي حلاك، ونحلوها قوما سواك، والمدح الكاذب ذم، والبناء على غير أساس هدم.

وهي طويلة جدا، مر له فيها إحسان كثير. وإنما احتذى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب المعروفة برسالة الطول والعرض وتعرف برسالة التوسع والتدوير ورسالة المفاكهات، واتبع أيضا طريق أبي الفضل بن العميد في رسالته لابن سمكة النحوي.

بين الخوارزمي والبديع

وقد جمع بديع الزمان جوامع ما جرى بينه وبينه في كتاب أنفذه إلى بعض الأشراف، أنا أكتب منه ها هنا قطعة على اختصار، وهو وإن كان طويلا فليس مملولا، لما ألبسه من حلل البلاغة، وحلل البراعة، وجدته في الآذان، وحلاوته في الأذهان؛ وفيه أنواع تنفتح لها الأسماع، وتنشرح لها الطباع، مما ألف هذا الكتاب له من الملح الظريفة، والفكاهات الشريفة.

وأولها: سأل السيد أمتع الله ببقائه إخوانه أن أملي جوامع ما جرى بيننا وبين أبي بكر الخوارزمي أعزه الله

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ١٠٨٩/٤

من مناظرة مرة، ومنافرة أخرى، ومواودعة أولا، ومنازعة ثانيا، إملاء يجعل الأسماع له عيانا؛ فتلقيته بالطاعة، على حسب الاستطاعة، ولكن للقضية سبب لا تطيب إلا به، ومقدمات لا تحسن إلا معها، وسأسوق بعون الله صدر حديثنا إلى النجز، كما يساق الماء إلى الأرض الجرز: وأولها: إنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور دارا، وإلا جوار السادة جوارا، لا جرم إنا حططنا بها الرحل، ومددنا عليها الطنب، وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه، ونخبر به ونخبره على الغيب فنتعشقه، ونقدر أنا إذا وطئنا أرضه، ووردنا بلده، يخرج لنا في العشرة على القشرة، وفي المودة عن الجلدة، فقد كانت كلمة **الغربة** جمعتنا، ولحمة الأدب نظمتنا، وقد قال شاعر القوم غير مدافع.

أجارتنا إنا غريبان ها هنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وقد كان اتفق علينا في ذلك الطريق من العرب اتفاق، لم يوجبه استحقاق، من بزة بزوها، وفضة فضوها، وذهب ذهبوا به. ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة، وكيس أخلى من جوف حمار، وزي أوحش من طلعة المعلم، بل اطلاعة الرقيب، فما حللنا إلا قصبة جواره، ولا وطئنا إلا عتبة داره، هذا بعد رقعة قدمناها، وأحوال أنس نظمناها؛ فلما أخذتنا عينه، سقانا الدردي من أول دنه، وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه، من طرف نظر بشطره، وقيام دفع في صدره، وصديق استهان بقدره، وضيف استخف بأمره؛ لكنا أقطعناه جانب أخلاقه، وولیناه خطة رأيه، وقاربناه إذ جاذب؛ وواصلناه إذ جانب، ولبسناه على خشونته، وشربناه على كدورته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه، ولباس استرثه، وكاتبناه نستلين قياده، ونستميل فؤاده، ونقيم مناده، بما هذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه، أزرى بضيفه إذ وجده يضرب إليه آباط القلة، في أطمار **الغربة**؛ فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام، ومضغ للكلام، وتكلف لرد السلام.

وقد قبلت ترتيبه صعرا، واحتملته وزرا، واحتضنته نكرا، وتأبطته شرا، ولم آله عذرا، فإنما المرء بالمال، وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقذر صف النعال. فلو أني صدقته العتاب، وناقشته الحساب، لقلت: إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وناسا يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف:

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل." (١)

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحصري القيرواني ص/٩٩

"فلو طرحت بأبي بكر إليهم طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا، ومحط الرحل رحيبا، ووجه المضيف خصيبا.

ورأي الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه موفق إن شاء الله تعالى.

فأجاب بما في نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم: وصلت رقعة سيدي ورئيسي، أطال الله بقاءه، إلى آخر السكباج، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه، ومؤلم عتبه وعتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التي لا يخلو منها من مسه عسر، ونبا به دهر، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه.

أما شكاة سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه كما زعم في القيام، فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي، وما كنت لأوثر أحدا على من أبوه الرسول وأمه البتول، وشاهده التوراة والإنجيل، وناصره التأويل والتنزيل، والبشير به ج‍بريل وميكائيل.

فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف: حسن عشرة، وسداد طريقة، وكمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، ونلت المراد:

فإن أك قد فارقت نجدا وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للأحرار كافة، ولسيدي من بينهم خاصة؛ فإن أعانني على بعض ما في نفسي بلغت له بعض ما فيه النية، وجاوزت به مسافة القدرة، وإن قطع علي طريق عزمي بالمعارضة، وسوء المؤاخذة، صرفت عناني عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار:

وما النفس إلا نطفة بقرارة ... إذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وبعد: فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتبا، واقترفنا ذنبا؛ فأما أن يسلفنا العربدة، فنحن نصونه عن ذلك، ونصون أنفسنا عن احتماله؛ ولست أسومه أن يقول: استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. ولكني أسأله أن يقول: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

فحين ورد الجواب، وعين العذر رائدة تركناه بعره، وطويناه على غره وعمدنا لذكره فسحوناه، ومن صحيفتنا محوناه؛ وصرنا إلى اسمه فأخذناه ونبذناه، وربكنا خطته، وتجنبنا خطته، فلا طرنا إليه ولا طرنا به. ومضى على ذلك الأسبوع ودبت الأيام، ودرجت الليالي، وتطاولت المدة، وتصرم الشهر، وصرنا لا نعير الأيام ذكره، ولا نودع الصدور حديثه، وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد، بألفاظ تقطفها الأسماع من لسانه،

وتوردها إلي، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه وتعيدها علي، فكاتبناه بما هذه نسخته: أنا أرد من سيدي الأستاذ أطال الله بقاءه شرعة وده وإن لم تصف، وألبس حلة بره وإن لم تضف، وقصاراي أن أكيله صاعا عن مد؛ فإني وإن كنت في الأدب دعي النسب، ضعيف السبب، سيىء المنقلب: ضيق المضطرب، أمت إلى عشرة أهله بنيقة، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفا في الوداد، إن زرت زار، وإن عدت عاد. وسيدي أيده الله ناقشني في القبول أولا. وصارفني في الإقبال ثانيا. فأما حديث الإقبال، وأمر الإنزال، فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه، وبعد، فكلفة الفضل هينة، وفروض الود متعينة، وأرض العشرة لينة، وطرقها بينة، فلم أختار قعود التغالي مركبا، وصعود التعالي مذهبا، وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة، وذاق الحلو من ثمرها؛ فقد علم الله تعالى أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحا إلى برح، ونكأه قرحا على قرح، ولكنها مرة مرة ونفس حرة، لم تقد إلا بالإعظام، ولم تلق إلا بالإجلال والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها، وحلل الصبر أتدرعها، ولم أعره من نفسي، وأنا أعلم لو أني أعرت جناحي طائر لما طرت إلا إليه، ولا وقعت إلا عليه:

أحبك يا شمس المعالي وبدرها ... وإن لامني فيك السها والفراقد

وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد." (١)

"أحسن ما في الدهر عمومه النوائب، وخصوصه بالرغائب، فهو يدعو الجفلى إذا أساء، ويختص بالنعمة الرؤساء، فليفكر الشامت، فإن أفلت فله أن يشمت، ولينظر الإنسان في الدهر وصروفه، والموت وصنوفه، ومن فاتحة أمره، إلى خاتمة عمره، أيجد لنفسه أثرا في نفسه؟ أو لتدبيره عونا على تصويره؟ أم لعمله تقديما لأمله، أم لحيله تأخيرا لأجله؟ كلا! بل هو العبد ﴿لم يكن شيئا مذكورا﴾ ، خلق مقهورا، ورزق مقدورا، فهو يحيا جبرا، ويهلك صبرا، وليتأمل المرء كيف كان قبلا، وإن كان العدم أصلا، والوجود فضلا، فليطم الموت عدلا، فالعاقل من رقع جوانب الدهر ما أساء بما سر، ليذهب ما نفع بما ضر فإن أحب ألا يحزن فلينظر يمنة، فهل يرى إلا محنة ثم ليعطف يسرة، فهل يرى إلا حسرة؟ ومثل سيدي أطال الله بقاءه من نظر هذه الأسرار وعرف هذه الدار، فأعد لنعيمها صدرا لا يملؤه فرحا، ولبؤسها قلبا لا يطير ترحا، وصحب الدهر برأي من يرى أن للمتعة ردا، وللأمور مدى، ولقد نعي إلي أبو قبيصة قدس الله روحه،

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحصري القيرواني ص/١٠٠

ونور ضريحه فعرضت علي آمالي قعودا، وأماني سودا، وبكيت [ولكن] السخي جوده بما يملك، وضحكت، وشر الشدائد ما يضحك، وعضضت الإصبع حتى أفنيته. وذممت الموت حتى تمنيته، والموت أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خطب عظم حتى هان، وقد خشن حتى لان، ونكر حتى قد عم وعاد عرفا، والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها، وخبثت حتى صار أقل عيوبها، ولعل هذا السهم آخر ما في كنانتها، وأنكى ما في خزانتها، ونحن معاشر التبع نتعلم الأدب من أخلاقه، والفضل من أفعاله، فلا نحدوه على الجميل وهو الصبر، ولا نرغبه في الجزيل وهو الأجر، فلير فيهما رأيه إن شاء الله تعالى.

وله إلى بعض إخوانه جوابا عن كتاب يهنئه بمرض أبي بكر الخوارزمي: الحر أطال الله بقاءك، لا سيما إذا عرف الدهر معرفتي، ووصف أحواله صفتي إذا نظر علم أن نعم الدهر ما دامت معدومة فهي أماني، فإن وجدت فهي عواري، وأن محن الأيام وإن مطلت تستنقد، وإن لم تصب فكأن قد، فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها في نفسه، ولا يعدمها في جنسه، فالشامت إن أفلت فليس يفوت، وإن لم يمت فسيموت، وما أقبح الشماتة، بمن أمن الإماتة، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لفظة، وعقيب كل لحظة! والدهر غرثان طعمه الأخيار، وظمآن شربه الأعمار، فهل يشمت المرء بأنياب آكله؟ أم يسر العاقل بسلاح قاتله؟ هذا الفاضل شفاه الله وإن ظاهرنا بالعداوة قليلا، فقد باطناه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد، لكنه عند الكرم ينقاد، وعند الشدائد تذهب الأحقاد، فلا يتصور حالي إلا بصورتها من التوجع لعلته، والتفجع لمرضته وقاه الله المكروه، ووقاني سماع المحذور فيه، بمنه وحوله ولطفه وكرمه.

وهذا ضد قول الخوارزمي، وقد بلغه موت بعض أعدائه: فلان قبض، وأستغفر الله فإنما يقبض الأقوام، بل نفق كما تنفق الأنعام، فالحمد لله الذي قصر خطوة أجله، وختم عمره بسوء عمله، وأبقى بعده من كان يرجو أن يموت قبله: (شعر) :

وإن بقاء المرء بعد عدوه ... ولو ساعة من عمره لكثير

وكانت بين الخوارزمي والبديع منافرة ومناظرة بكته فيها وأسكته البديع، وقد ذكر جميع ما جرى بينهما فقال: أول الأمر مع الخوارزمي أنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور دارا، والأجواد السادة جوارا، لا جرم أنا حططنا بها الرحل، ومددنا عليها الطنب، وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل منتشوقه، ونخبره على الغيب فنتعشقه، ونقدر أنا إذا وطئنا أرضه، ووردنا بلده، أخرج لنا في العشرة عن القشرة، [وفي المودة عن الجلدة] ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا، ولحمة الآداب نظمتنا، وقد قال شاعر القوم غير مدافع:

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وقد كان اتفق علينا في الطريق اتفاق، ولا يوجبه استحقاق، من بزة بزوها، وفضة فضوها، وذهب ذهبوا به، ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة، وكيس أخلى من جوف حمار، وزي أوحش من طلعة المعلم، بل إطلاعه الرقيب، فما حللنا إلا قصبة جواره، ولا وطئنا إلا عتبة داره، هذا بعد رقعة قدمناها، وأحوال أنس نظمناها.." (١)

"ونسخة الرقعة: أنا بالقرب من دار سيدي الأستاذ أطال الله بقاءه:

كما طرب النشوان مالت به الخمر

ومن الارتياح إلى لقائه:

كما انتقض العصفور بلله القطر

ومن الامتزاج بولائه

كما التقت الصهباء والبارد العذب

ومن الابتهاج لصفائه

كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

فكيف نشاطك الأستاذ سيدي لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل ما بين عتبتي نيسابور وجرجان؟ وكيف اهتزازه لضيف:

رث الشمائل منهج الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده الله ولي إنعامه، بإنفاذ غلامه [إلى مستقري] لأفضي إليه بسري إن شاء الله.

فلما أخذتنا عينه سقانا الدردي من أول دنه، وسوء العشرة من أول فنه، من طرف نظر بشطره، وقيام دفع

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/١٧

في صدره، وصديق استهان بقدره، وضيف استخف بأمره، لكنا أقطعناه جانب أخلاقه، ووليناه خطة رأيه، ووصلناه إذ جاذب، وقاربناه إذ جانب، وشربناه على كدرته، ولبسناه على خشونته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه، ولباس استرثه، وكاتبناه نستمد وداده، ونستلين قياده، ونستميل فؤاده، ونستقيم منآده، بما هذه نسخته: الأستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه أزرى بضيفه أن وجده يضرب إليه آباط القلة، في أطمار الغربة، فأعمل في تربيته أنواع المصارفة، [و] في الاهتزاز له أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ للكلام، وتكلف لرد السلام، وقد قبلت ترتيبه صغرا، واحتملته وزرا، واحتضنته نكرا، وتأبطته شرا، ولم آله عذرا، فإن المرء بالمال، وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقزز [من] صف النعال، فلو صدقته العتاب، وناقشته الحساب، لقلت: إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وناس يجرون المطارف، ولا يمنعون العارف، (شعر) :

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

فلو طرحت بأبي بكر إليهم طوارح الغربة، لوجد منال البشر قريبا، ومحط الرحل رحيبا، ووجه المضيف خصيبا، ورأي الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد، موفق إن شاء الله.

فأجاب بما نسخته: وصلت رقعة سيدي ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج، وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه، ومؤلم عتبه وعتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجرة التي لا يخلو منها من مسه عسر، ونبا به دهر، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه، فأما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه رغم في القيام، فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما، على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات أدام الله عزه، وما كنت لأرفع أحدا على من أبوه الرسول، وأمه البتول، وشاهده التوراة والإنجيل، وناصره التأويل والتنزيل، والمبشر به جبريل وميكائيل، فأما القوم الذين صدر سيدي عنهم، فكما وصف: حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، [ونلت المراد] :

فإن أل قد فارقت نجدا وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للإخوان كافة، ولسيدي من بينهم خاصة، فإن أعانني على ما في نفسي بلغت له ما في

الفكرة، وجاوزت به مسافة القدرة، وإن قطع علي طريق عزمي بالمعارضة وسوء المؤاخذة، صرفت عناني عن طريق الاختيار بيد الاضطرار. (شعر) :

وما النفس إلا نطفة بقرارة ... إذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وبعد فحبذا كتاب سيدي، إذا استوجبنا عتبا، واقترفنا ذنبا، فأما أن يسلفنا العربدة، فنحن نصونه عن ذلك، ونصون أنفسنا عن احتماله عليه، ولست أسومه أن يقول: ﴿أستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ ، ولكني أسأله أن يقول: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ .." (١)

"علي بن محمد بن إسحاق بن الفرج الإمام بمصر ثنا أبو علي الحسن ابن القاسم بن دحيم المصري ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا أبو العباس ثنا أبو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمة من الحكمة منها: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك على ما يغلبك عليه.

ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا.

فهذا أعزك الله أدب الله وأدب رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأدب أمير المؤمنين.

وبالجملة فإني لا أقول بالمراياة ولا أنسك نسكا أعجميا.

ومن أدى الفرائض المأمور بها، واجتنب المحارم المنهي عنها، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الإحسان، ودعني مما سوى ذلك وحسبي الله.

والكلام في مثل هذا إنما هو مع خلاء الذرع وفراغ القلب، وإن حفظ شيء وبقاء رسم وتذكر فائت لمثل خاطري لعجب على ما مضى ودهمني؛ فأنت تعلم أن ذهني متقلب وبالي مهصر بما نحن فيه من نبو الديار، والجلاء عن الأوطان، وتغير الزمان، ونكبات السلطان، وتغير الإخوان، وفساد الأحوال، وتبدل الأيام، وذهاب الوفر، والخروج عن الطارف والتالد، واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد، **والغربة** في البلاد، وذهاب المال والجاه، والفكر في صيانة الأهل والولد، واليأس." (٢)

(١) نور الطرف ونور الظرف الحصري القيرواني ص/١٨

(٢) طوق الحمامة لابن حزم ابن حزم ص/٣٠٩

"نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني: هذه أحاديث صنعتها مختلفة الأنواع، مؤتلفة في الأسماع؛ عربيات المواشم، غريبات التراجم، واختلفت فيها أخبارا فصيحات الكلام، بديعات النظام؛ لها مقاصد ظراف، وأسانيد طراف؛ يروق الصغير معناها، والكبير مغزاها. وعزوتها إلى أبي الريان الصلت بن السكن، من سلامات، وكان شيخا هما في اللسان، وبدرا تما في البيان؛ قد بقي أحقابا، ولقي أعقابا؛ ثم ألقته إلينا من باديته الأزمات، وأوردته علينا المعجزات، فمتحنا من علمه بحرا جاريا، وقدحنا من فهمه زندا واريا؛ وأدرنا من بره طرفا، واجتنينا من ثمره طرفا؛ ونحن إذ ذاك والشباب مقتبل، وغفلة الزمان تهتبل؛ واحتذيت فيما ذهبت إليه، ووقع تعريضي عليه؛ من بث هذه الأحاديث ما رأيت الأوائل قد وضعتهن في كتاب كليلة ودمنة، فأضافوا حكمه إلى الطير الحوائم، ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم، لتتعلق به شهوات الأحداث، وتستعذب بسمره ألفاظ الحداث. وقد نحا بذا النحو سهل بن هارون الكاتب في تأليفه كتاب " النمر والثعلب ". وهو مشهور الحكايات، بديع المراسلات، مليح المكاتبات. وزور أيضا بديع الزمان الحافظ الهمذاني، وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين مقامات كان ينشئها بديها في أواخر مجالسه وينسبها إلى رواية رواها له يسميه عيسى بن هشام، وزعم أنه حدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الإسكندري، وعددها، فيما يزعم رواتها، عشرون مقامة. إلا أنها لم تصل هـ٠ذه العدة إلينا، وهي متضمنة معاني مختلفة، ومبنية على معاني شتى غير مؤتلفة؛ لينتفع بها من الكتاب المحاضرين من صرفها من هزل إلى جد، ومن ند إلى ضد.

فأقمت من هذا النحو عشرين حديثا، أرجو أن يتبين فضلها، ولا تقصر عما قبلها. ولعمري ما أشكر من نفسي، ولا أثني على شيء من حسي، إلا ظفري بالأقل مما حاولته، على ما أضرمته نيران **الغربة** من قلب، وثلمته صعقات الفتنة من لبي؛ وقطعت أهوال البر والبحر من خواطري، وأضعفت الوحشة من غرائزي وبصائري. لكن نية القاصد وسعة المقصود، أعانا ذا الود على إتحاف المودود. والله أسأل توفيقا، ينهج لنا إلى الرشد طريقا. فمنها: قال محمد: وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم، واستكشفته عن مذهبه فيهم، ومذاهب ءبقته في قديمهم وحديثهم. فقال: الشعراء أكثر من الإحصاء،

وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء. فقلت: لا أعنتك بأكثر من المشهورين، ولا أذاكرك إلا في المذكورين؛ مثل الضليل، والقتيل؛ ولبيد، وعبيد، والنوابغ والعشي، والأسود بن يعفر وصخر الغي؛ وابن الصمة دريد، والراعي عبيد، وزيد الخيل، وعامر بن الطفيل، والفرزدق وجرير، وجميل بن معمر وكثير، وابن جندل وابن مقبل، وجرول والأخطل؛ وحسان في هجائه ومدحه، وغيلان في ميته وصيدحه؛ والهذلي بن ذؤيب، وسحيم ونصيب؛ وابن حلزة الوائلي، وابن الرقاع العاملي، وعنترة العبسي، وزهير المري، وشعراء فزارة، ومفلقي بن زرارة، وشعراء تغلب، ويثرب. وأمثال هذا النمط الأوسء كالرم÷اح، والطرماح؛ والطثري والدميني، والكميت الأسدي؛ وحميد الهلالي، وبشار العقيلي؛ وابن ابي حفصة الأموي، ووالبة الأسدي، وابن جبلة الحلمي، وأبي نواس الحكمي؛ وصريع الأنصاري، ودعبل الخزاعي؛ وابن جهم القرشي، وحبيب الطائي، والوليد البحتري، وابن المعتز العباسي؛ وعلي بن العباس الرومي، وابن رغبان الحمصي، ومن الطبقة المتأخرة في الزمان، المتقدمة في الإحسان، كأبي فراس بن حمدان، والمتنبي بن عبدان؛ وابن جدار المصري، وابن الأحنف الحنفي، وكشاجم الفارسي، والصنوبري الحلي؛ ونصر الخبزرزي، وابن عبد ربه القرطبي؛ وابن هانيء الأندلسي، وعلي بن العباس الإيادي التونسي، والقسطلي.." (١)

"جللا كما بي فليك التبريح.

وهو يتغنى ويصنع، فإذا توقف بعض التوقف رجع بالإنشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها.

وقال بعضهم: من أراد أن يقول الشعر فليعشق فإنه يرق، وليرو فإنه يدل، وليطمع فإنه يصنع. وقالوا: الحيلة لكلال القريحة انتظار الحمام، وتصيد ساعات النشاط، وهذا عندي أنجع الأقوال، وبه أقول، وإليه أذهب..

وقال بكر بن عبد الله المزني: لا تكدوا القلوب ولا تهملوها، وخير الفكر ما كان في عقب الحمام، ومن أكره بصره عشي، واشحذوا القلوب بالذاكرة ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا منحتم ببعض الاستغلاق، فإن من أدمن قرع الباب وصل.

وقال الخليع: من لم يأت شعره من الوحدة فليس بشاعر، قالوا: يريد الخلوة، وربما أراد **الغربة**، كما قال ديك الجن: ما أصفى شاعر مغترب قط.

ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتمر، ذكر فيها البلاغة، ودل على مظان الكلام والفصاحة، يقول في٥١:

---

(١) مسائل الانتقاد ابن شرف القيرواني ص/١

خذ من نفسك ساعة فراغك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قلبك تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة، وبالتكلف والمعاندة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، أو خفيفا على اللسان سهلا." (١)

"٦٤- أبو سعد [١] محمد بن حمزة الموصلي [٢]

لفظته الغربة إلى خراسان، فأقام ببلادها، ورمت به الموصل، وهو من أفلاد أكبادها. وهو صديقي الصدوق منذ سنين. وقد وجدته في أنواع العلوم من المحسنين، ولم أر من [٣] ذوي الفنون مثله على أن الدهر قد بخس حظه [٤] ، وظلم فضله. وقد أهدى إلي من نتائج خاطره [٥] هذه القصيدة النظامية، فألحقت منها بهذا الكتاب ما كان من شرطه، وذلك قوله فيها:

وهل تركت في الحوادث منة «١» [٦] ... بها أستميل الخل أو أستزيده

(طويل)

وأيسر خطب عاق عزمي عن [٧] الصبا ... مشيب تداعت في العذار وفوده

إذا لم يكن عقل الفتى وازعا له ... فكل يد من كل خود تقوده

---

[١]- في ب ٢ وب ١: سعيد.

[٢]- الشاعر ساقط من ف ٢ وف ٣.

[٣]- في ب ٢ وب ١: في.

[٤]- في ب ٢ وب ١: حقه.

[٥]- في ف ١ ول ١: فكره.

[٦]- في ف ١: سنة.

[٧]- في ب ٢ وب ١: من. والبيت مقدم على السابق في ف ١." (٢)

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢١٢/١

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٤٠٥/١

"٥- الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن «١»

اتفقت على إمامته الألسنة، وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة.

وأثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر. فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير. وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على [١] لسانه، ما نطق [٢] لسان الدهر باستحسانه.

ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته، واشتيار لذيذ الشهد من مذاكرته أيام أسعدتني الأيام منه بدنو الدار، ولف أطناب [٣] الخيمتين قرب الجوار، إلا كمن ودع الماء والخضرة، وتدرع الشعثة والغبرة، وواصل **الغربة**، وفارق الوطن، وبعد عن (مغاني للعين) [٤] وشطن، واستسقى الدلو والشطن «٢» . فلما خلف هذه الخطط الصعبة، وشارف من بين سائر الخطط

---

[١]- في ح وف ٣: في.

[٢]- في ب ٢: فانطلق.

[٣]- في ب ٢: أطراف.

[٤]-كذا في ل ١ وب ٣، وفي س: معان المعين.." (١)

"وقوله: [١]

أما ترى الخمر مثل الشمس في قدح ... كالبدر فوق يد، كالغيث إذ [٢] صابت

(بسيط)

فالكأس كافورة لكنها انحجرت ... والخمر [٣] ياقوتة لكنها ذابت

وقوله:

(هما ما هما) [٤] لم يبق شيء سواهما ... حديث صديق أو عتيق رحيق

(طويل)

وإني من لذات دهري قانع ... بحلو حديث أو بمر عتيق «١»

/وشرب في بعض المجالس، فسم، وعاش بعد ذلك ليلة. ثم، وإن للأجل جنودا (منها الشراب) [٥] ،

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٥٧٨/١

ونحن من التراب، ومصيرنا إلى التواب.

ولا بد من أن ينعب [٦] [بالبين] [٧] الغراب، ويفرق ذات البين **الاغتراب** [٨] .

---

[١] . في ب ٣: وله أيضا.

[٢] . في ف ٣: إذا.

[٣] . في ف ٣: القمر.

[٤] . كذا في ف ٢ ورا وح وف ٣، وفي ل ٢: بما وبما، وفي س: هما وهما.

[٥] . في ل ٢: منهم التراب.

[٦] . في ب ٣: ينعق.

[٧] . إضافة في را وبا وح وف ١ ول ٢ وب ٣ وب ٢.

[٨] . في ف ٢ ورا وح: للاغتراب.." (١)

"تظن علو المرء بالمال حازه ... وليس بعال معدما [١] وهو ماهر

(طويل)

لقد ملت عن نهج الصواب معاندا ... أمالك عن مسخوط رأيك زاجر؟

/ فمم علو البدر والمال غائب؟ ... وفيم سفال الكنز والمال حاضر؟

وكتب إلى العميد أبي بكر القهستاني عند منصرفه عن ديار **الغربة** [٢] :

كلامك روح أجسام الكلام ... ولفظك فاعل فعل المدام

(وافر)

ودونك [٣] كل ممدوح كلاما [٤] ... وعبدك كل حر في الأنام

لعمر علاك هل أبصرت مثلا ... لنفسك في شمائلك الكرام [٥] ؟

بمصر وغيرها من كل مصر ... وفيما طفت من يمن وشام

وفي أرض العراق بلاد يمن ... وحيث حللت بالبلد الحرام

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٢/٨٥٧

[١] . في ف ٢ ورا وح ول ٢: معدم. وفي ف ١: مقدم.

[٢] . في ل ٢: العرب.

[٣] . في ف ٢ وف ٣ ورا وح: وودك. وفي با: ودودك.

[٤] . في ف ٢ ورا وبا وح وف ١ ول ٢: كما لا. وفي ب ٣ ول ١: غلاما.

[٥] . في با: الكلام.." (١)

"١٠٥- أبو نصر محمد بن الحسين الكاتب [١]

[المعروف بالقصاب] [٢] ، الملقب بصريع الكاس. نيسابوري تقاذفت به **الغربة** إلى خوارزم، فأقام بها حتى انتقل من ظهرها إلى بطنها. ولم تخل أيام حياته مجالس أمرائها، ومحافل كرمائها [٣] منه. وله كتابة حسنة، ونظم بارع كقوله من قصيدة نظامية أولها [٤] :

حياك من ذا الربيع الطلق قادمه ... وأي عيش هني أنت عادمه [٥] ؟

(بسيط)

أما ترى البرد قد ولى بعسكره ... حلت عزائمه منه هزائمه؟

والغيم أقبل يبكي ملء مقلته ... والروض أقبل مفترا مباسمه [٦]

والأرض تجلى [٧] عروسا في [٨] معارضها ... والجو [٩] قد كثرت فيه مآتمه

---

[١] . الشاعر ساقط من ف ٢ ورا وبا وح وف ٣.

[٢] . إضافة في ب كلها ول كلها.

[٣] . في ل ١: كرامها.

[٤] . كذا في ف ١. وفي س: قوله.

[٥] . في ب ٣: هادمه.

[٦] . ورد البيت قبل البيت الذي سبقه في ل ٢.

[٧] . في ف ١ ول ٢: تحكي.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر البا خرزي ٢/٩٨٢

[٨] . فـي ل ٢: عروضا من.

[٩] . في ب ٣: والجود.." (١)

"١٥٠- أبو منصور الكاتب «١»

هو من أشعر الكتاب، وأكتب الشعراء. وقد لفظته باخرز إلى دار الملك ببخارا، وارتبط في ديوان الرسالة بها. وهذا نثر له موشح بنظم، يصف فيه حاله، ويذكر حله وارتحاله [١] . وكفاك به مخبرا عن قصته، وناطقا بحذقه في صنعته. صدر الرسالة قوله:

/كتبت ولي نفس تذلل للهوى [٢] ... فأنفاسها حرى وأجفانها عبرى

تحيرت من [٣] أمر الهوى فتسلطت ... علي النوى واستمطرت [٤] أدمعي تترى

[٥] وكيف لا وقد تبدلت بمظنون [الأحبة [٦] والأوطان] شجون الامتحان في دار **الغربة**، أبكي شجنا لأوطاني، وأرثي حزنا لخلاني. نهاري

---

[١] . في ل ٢: ترحاله.

[٢] . في ف ٢ ورا وح: بالهوى.

[٣] . في ف ١: في.

[٤] . في ف ٣: فاستمطرت.

[٥] . ساقط حتى ختام البيت الأول من النونية في ف ٢ وح وف ٣ ورا وبا.

[٦] . كذا في ف ١. وفي س ول ١: الأوطان والأحبة.." (٢)

"ومنها:

طاهر طهر الإله ذراه ... فهو ينجي من الهموم الثقال

موئل المعتفين يوم النوال ... معقل الخائفين يوم النزال [١]

ذو كلام كأنه سلك در ... ظهرت فيه قدرة المتعال

سيفه كلما نضاه [٢] قراب ... يتمنى جماجم الأبطال

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٠٩١/٢

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٢٢٧/٢

١٥٤- أبو المظفر ناصر بن محمد [ابن غانم] [٣]

شريف الأصل كالمشرفي من النصل. نبا به وطنه، فاجتوى «١» المقام، وقوض الخيام. وتقاذفت به ديار الغربة [حتى] [٤] كأنه وحش مطرود

---

[١] . كذا في ف ١ ول ٢ وب ٢ وب ١. وفي س: الزوال.

[٢] . لعلها نفاه بمعنى أبعده عنه.

[٣] . إضافة في ل كلها وب كلها.

[٤] . إضافة في ب ٣.." (١)

"واعجر الكيس لمعطي إسته ... لأعجر كالبوق (ذي فلذه) [١]

(سريع)

عليك بالترك وأولادهم ... فالترك جيل كله [٢] لذه

أيري على مقدار أستاههم [٣] ... كحذوك القذة بالقذه «١»

[وله أيضا] [٤] ومما قاله في الاغتراب:

[٥] لما رأيت الفقر ينزل بالفتى ... تحت الثرى ومحله [٦] الجوزاء

(كامل)

فارقت قومي أبتغي لهم علا ... يسمو به الآباء والأبناء

واخترت دار الاغتراب يصيبني ... في غربتي السراء والضراء

إن نلت خيرا أبت أوبة غانم ... أو مت لم يشعر بي الأعداء

---

[١] . في ب ٣: في قلفه، وفي ب ١: كالبوق التي علفه. والأبيات الخمسة السابقة ساقطة من ف ٢ وبا ورا وف ٣.

[٢] . في ل ٢ وف ٣ وب ١: كلهم.

[٣] . فى ف ٢ ورا وح وف ٣: أستاتهم.

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٢/١٢٤٤

[٤] . إضافة فى ل ٢.

[٥] . ساقط حتى آخر الترجمة من ف ٣.

[٦] . في ب ١: ويحله.." (١)

"وألا ألاقى روحك الطيب الذي ... كأن ذكي المسك كان له جسما

يقول ووا أسفي أني لا ألقى روحك الطاهر الذي كان جسم ذلك الروح من المسك الذكي الشديد الرائحة

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

يقول لو لم يكن أبوك أكرم والد لكانت ولادتك أياي بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه أي إذا قيل لك أم أبي الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب

لئن لذ يوم الشامتين بموتها ... لقد ولدت مني لأنفهم رغما

تغرب لا مستعظما غير نفسه ... ولا قابلا إلا لخالقه حكما

يقول خرج عن بلده إلى **الغربة** يعني نفسه لأنه لم يستعظم غير نفسه فأراد أن يفارق الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ولم يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذي خلقه.

يقولون لي ما أنت في كل بلدة ... وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى

أل الناس يقولون لي لما يرون من كثرة أسفاري أي شيء أنت فأنا نراك في كل بلدة وما الذي تطلبه فأقول ما اطلبه أجل من أن يذكر باسمه يعني قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم

كأن بنيهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما

يقول أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أنى أؤممهم واجلب إليهم اليتم بقتل آبائهم أي فهم يبغضونني.

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٣٨٣/٢

الجد البخت والحظ من الدنيا والمعنى أن الفهم في الأمور والعلوم والعقل في التدبير لا يجتمع مع البخت في الدنيا وليس الجمع بين الضدين بأصعب من الجمع بينهما أي فهما لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان وهذا البيت تفسير قول الحمدوني، إن المقدم في حذق بصنعته، أني توجه فيها فهو محروم،

ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به الغشا
يقول لكني أن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم اطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال يعني اظلم اعداءي بسيفي.

وجاعِلِه يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما
يقول أحيي أعداءي يوم الحرب بسيفي أي أجعله بدل التحية كما قال عمرو بن معدي كرب، وخيل قد دلفت لها بخيل، تحية بينهم ضرب وجيع،

إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما
يقول إذا منع عزمي عن بلوغ غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا يدرك أيضا إذا لم يكن عزم يعني لا يوصل إلى شيء البتة إلا بالعزم عليه وإذا كنت تحتاج إلى لاعز لنيل القريب وتدركه بالعزم فأعزم أيضا على البعيد لنناله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن

وإني لمن قوم كأن نفوسنا ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما
أي إنا نتعرض أبدا للحرب لنقتل فكأن نفوسنا تأنف أن تسكن أجسادا هي لحم وعظم فهي تتطلع لسكنى غيرها أي تختار القتل على الحياة ولو قال كأن نفوسهم كان أوجه لاعادة الضمير على لفظ الغيبة لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ولأن هذا امدح

كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ... ويا نفس زيدي في كرائهها قدما
يقول للدنيا أنا كما وصفت نفسي لا أقبل ضيما ولا آسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فلست أبالي بك ويا نفس زيدي تقدما فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها وإن شئت قلت في كرائه أهلها يعني في الحروب وهي مكروهة عند أهل الدنيا ولذلك تسمى الحرب الكريهة فيكون الكلام من باب

حذف المضاف.

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ... ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وجعل قوم يستعظمون ما قال في آخر هذه القصيدة فقال

يستعظمون أبياتا نأمت بها ... لاتحسدن على أن ينئم الأسدا

أبيات تصغير أبيات وإنما صغرها تحقيرا لها يعني أنهم يستعظمونها وأنا أحقرها وجعل صوته نئيما إلى أنه أسد في شجاعته

لو أن ثم قلوبا يعقلون بها ... أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

يقول لو أنها لهم عقولا لأنستهم ما تضمنته أبياتي من الوعيد الحسد وثم اشارة إلى حيث هم والمعنى لو أن لهم أو معهم.

قال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي

لك يا منازل في القلوب منازل ... أقفرت أنت وهن منعك أواهل." [١]

"وكقول الآخر يصف نار السذق:

ومازال يعلوعجاج الدخان ... إلى أن تلون منه زحل

وكنا نرى الموج من فضة ... فذهبه النور حتى اشتعل

شرارا يحاكى انقضاض النجوم ... وبرقا كإيماض بيض تسل

ومن لطيفه قول علي بن محمد بن جعفر:

دمن كأن رياضها ... يكسين أعلام المطارف

وكأنما غدرانها ... فيها عشور من مصاحف

وكأنما أنوارها ... تهتز في نكباء عاصف

طرر الوصائف يلتق ... ين بها إلى طرر الوصائف

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٣٣

وكأن لمع بروقها ... في الجو أسياف المثاقف

المقصود البيت الأخير، ولكن البيت إذا قطع عن القطعة كان كالكعاب تفرد عن الأتراب، فيظهر فيها ذل الاغتراب، والجوهرة الثمينة مع أخواتها في العقد أبهى في العين، وأملأ بالزين، منها إذا أفردت عن النظائر، وبدت فذة للناظر." (١)

"إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلا بماء سحابة شتمي

وأنا امرؤ ألوي من القص ... ر البادي وأغشى الدهم بالدهم

وأصيب شاكله الرمية إن ... صدت بصفحتها عن السهم

إلى أن قال:

أبلغ قتادة غير سائله ... من الثواب وعاجل الشكم

إني حمدتك للعشيرة إذ ... جاءت إليك مرقتة العظم

ففتحت بابك للمكارم حين ... تواصت الأبواب بالأزم

فسقى بلادك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمه تهمي

وتعيره حبيبته لسيره في البلاد وتنقله فيها بعيدا عن أهله وبلاده فيقول:

تعير سيري في البلاد ورحلتي ... ألا رب دار لي سوى حر دارك

وليس امرؤ أفنى الشباب مجاورا ... سوى حبه إلا كآخر هالك

ألا رب يوم لو سقمت لعادني ... نساء كرام من حي ومالك

وطال تنقله في البلاد فذهب إلى اليمن، ثم رحل منها إلى النجاشي في الحبشة، وقال في اطراده إلى النجاشي قصيدته: لخولة بالأجزاع من إضم طلل.

ولم فزعته الغربة وحرق قلبه الحنين إلى أهله وبلده، عاد إلى الموطن الذي هجره، فأمده أخوه "معبد" بمال من ماله، ولكنه أتلفه في لذاته ولهوه وعبثه.

٤ – ثم قصد أملا في إصلاح حاله ملك الحيرة عمرو بن المنذر الثالث الذي يلقب باسم أمه حتى اشتهر بعمرو بن هند، وتولى ملك الحيرة عام ٥٥٤ م كما يقول البعض، أو عام ٥٦٢، أو ٥٦٣ كما يرجح آخرون. وكان الشعراء يرحلون إليه وينشدونه قصائدهم في مدحه فيجزل لهم العطاء. فوفد عليه طرفة مع

---

(١) أسرار البلاغة الجرجاني، عبد القاهر ص/٢٠٦

خاله المتلمس فأحسن وفادتهما وجعلهما في حاشية أخيه قابوس بن المنذر وكان مرشحا للملك بعده، وكان شابا يميل إلى اللهو والترف، ويخرج إلى الصيد، فكان يخرج معه طرفة إذا خرج وينادمه على الشراب، وهكذا اطمأن به الحال، واستقرت حياته بعض الاستقرار. ولكن طرفة الشاعر لم يرضه أن يكون تابعا لأحد، أو أن يشعر بأنه أقل شرفا ومجدا من إنسان.

٥ - طرفة وابن عمه عبد عمرو: كان عبد عمرو بن بشر بن مرثد بن سعد بن مالك زوجا للخرنق أخت طرفة، وكان عبد عمرو سيدا كريما شجاعا مطاعا في قومه، ظاهر الثراء والقوة والفتوة، وكان من أجمل العرب، كما كان أثيرا رفيع المنزلة عند عمرو بن هند يداعيه وينادمه، وسيد أهل زمانه كما يقولون.

فجاءت أخت طرفة تشكو إليه شيئا من أمر زوجها، فغضب الشاعر وهجاه بعد ذلك بقصيدته:

أيا عجبا من عبد عمرو وبغيه ... لقد رام ظلمي عبد عمرو فأنعما

ولا خير فيه غير أن له عني ... وأن له كشحا إذا قام أهضما

يظل نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن: عسيب من سرارة ملهما

وبدأت الخصمة والشحناء بين الشاعر وابن عمه، وفيه أيضا يقول من قصيدة له:

ألا أبلغ عبد الضلال رسالة ... وقد يبلغ الأنباء عنك رسول

دببت بسري بعد ما قد علمته ... وأنت بأسرار الكرام نسول

وكيف تضل القصد والحق واضح ... وللحق بين الصالحين سبيل

ومنها:

وأعلم علما ليس بالظن أنه ... إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوارته لدليل

قتل طرفة: ١ - كان ملك الحيرة عمرو بن هند جبارا عنيدا متكبرا، لا يرى في الناس من يدانيه شرفا ومجدا، وكان له يوم بؤس ويوم نعيم كل سنة، يركب يوم بؤسه فيقتل أول من يلقاه، وفي يوم نعيمه يقف الناس ببابه فإن اشتهى حديث رجل أذن له فأصاب مجدا ومالا وملك ثلاثا وخمسين سنة، وكان العرب تهابه هيبة شديدة، وكان أخوه قابوس ولي عهده جبارا متكبرا مستبدا كذلك. ولم يرض طرفة الشاعر عن طغيانهما واستبدادهما وكبريائهما، فنظم قصيدة يهجوهما بها، وهي طويلة.. ومنها:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير

ومنها:

ولما أن أنخت إلى مليك ... مساكنه الخورنق والسدير

لينجزني مواعد كاذبات ... بطي صحيفة فيها غرور

فأوعدني فأخلف ثم ظني ... وبئس خليقة الملك الفجور

وتمادى طرفة في هجاء عمرو بن هند وأسرته. ومما هجاه به قوله:

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحا إذا قام أهضمها." (١)

"جواس بن سلمة بن المنذر بن المضرب، وهذا مما التبس حفظه على أبي علي - رحمه الله - وقوله: وكفنت وحدي، أي بكوني غريبا لا اجد معينا. ومنذر ابنه، وحوط أخوه. وقوله: بردائه، أي لا يجد سواه، وهذا يحقق **الغربة**. وشبيه بهذا قول امرئ القيس:

فإما تريني في رحالة جابر ... على حرج كالقر تخفق أكفاني

يريد ثيابه التي أيقن أنه سيكفن فيها حين سم وليس يجد سواها؛ وإنما قال: من أعادي، ولم يقل: من أعاديه، لتكون الفجيعة أعظم، والمصيبة أكثر.

* * * وفي " ص ١٨٥ س ٥ و ٦ " وأنشد أبو علي - رحمه الله - لأعرابي:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزال أحم المقلتين ربيب

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ... ولكن من تنأين عنه غريب

هذا مما قدمناه أن أبا علي - رحمه الله - إذا جهل قائل الشعر نسبه إلى أعرابي. وهذا الشعر لشاعر إسلامي حضري مدني، غذي بماء العقيق لم يدخل بادية قط، وهو الأحوص بن محمد الأنصاري - رضي الله عنه - وكذلك الشعر الذي أنشد بعده لأعرابي وهو:

هجرتك أياما بذي الغمر إنني ... على هجر أيام بذي الغمر نادم

وإني وذاك الهجر لو تعلمينه ... كعازبة عن طفلها وهي رائم

يروى للأحوص أيضا.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٥٩

* * * وفي " ص ١٨٥ س ١٧ " قال أبو علي - رحمه الله -: اجتمع خمس جوار من العرب فقلن: هلممن فلننعت خيل آبائنا؛ وذكر حديثهن إلى قول إحداهن: جريها انثرار، وتقريبها انكدار؛ وفسره." [١]

"وابن ابن أخيه أيضا شاعر جواس بن سلمة بن المنذر بن المضرب. وروى القرميسي عن الآمدي عن أبي العباس المبرد أنه لحجية بن المضرب قالهما لبعض الملوك وبلغه عنه شيء، وهذا مما التبس على أبي علي حفظه. وفيه:

وكفنت وحدي منذرا بردائه ... وصادف حوطا من أعادي قاتل

منذر ابنه وحوط أخوه. وقوله وحدي: أي أكون غريبا حيث لا أجد معينا. وقوله بردائه: أي لا يجد سواه وهذا يحقق الغربة. وشبيه بهذا قول امرئ القيس:

فإما تريني في رحالة جابر ... على حرج كالقر تخفق أكفاني

يريد ثيابه التي أيقن أنه سيكفن فيها حين سم وليس يجد سواها. وإنما قال من أعادي ولم يقل من أعاديه لتكون الفجيعة أعظم والمصيبة أكبر.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٩٠، ١٨٧ " للأعرابي:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غزال أحم المقلتين ربيب

ع هما لابن الدمينة، وكذلك البيتان اللذان أنشد بعدهما يرويان أيضا لابن الدمينة وهما:

هجرتك أيام، بذي الغمر إنني ... على هجر أيام بدي الغمر نادم

وأنشد أبو علي " ١ - ١٩٢، ١٨٩ ":." [٢]

"وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري سمعت ابن إدريس يقول: اختصم رجل وامرأة إلى عبيد الله بن عبد الله ففرق بينهما، وكان ذلك سبيل الحكم، فنظر عبيد الله إلى المرأة فهويها، فرقبها حتى انقضت عدتها، ثم أرسل إليها سرا. فقالت وما أصنع بأخت الريبة؟ إما نكاح فصيح، وإما سفاح قبيح. فقال عبيد الله: من كلى جانبيك لالبيك. فهي عثمة التي يشبب، وأصح من هذا أن عثمة التي كان يهواها آمت، فقيل له: لو تزوجتها؟ فأبى وقال: أين ضبطي لنفسي وملكي لهواى تشاءم بالغراب لأنه من لفظ الغربة، وبالأعضب لأنه من القطع، وكذلك الصرد لأنه من التصريد وهو التقطيع والتفريق. وتمام الشعر:

---

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه أبو عبيد البكري ص/٥٨

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٤٥٨/١

فإن كنت أغدو في الثياب تجملا ... فقلبي من تحت الثياب جريح

وأنشد أبو علي لذي الرمة:

خراعيب أملود كأن بناتها ... بنات النقي تخفي مرارا وتظهر

ذكر أبو علي خبر دريد بن الصمة وخنساء

ع قد تقدم خبرهما، وفيه للخنساء:

معاذ الله يرضعني حبركي ... قصير الشبر من جشم بن بكر." (١)

"ماذا الذي تنفعك الرتائم ... إن أصبحت وعشقها ملازم

يزورها طب الفؤاد حازن ... بكل أدواء النساء عالم

٣ – واق: هو الصرد، وحاتم الغراب: كأنه يرى أن الزجر بالغراب لما اشتق من اسمه الغرابة **والاغتراب** والغريب حتم ويشتق من الصرد التصريد وهو التقليل والصرد البرد، وكل هذه طيرة منهية وهي من أوابد العرب وأنشد ذوى العقول ع الرواية الذائعة: وما بقيت من اللذات إلا وأنشد عن دماذ لبشار ع وللأبيات خبر رواه الأصبهاني عن بشار نفسه قال: دعاني عقبة بن سلم إياي وحماد عجرد وأعشى باهلة وقال لهم: أخرجوا هذا المثل من الشعر ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين أجزكم إلا جلدت كل واحد منكم خمس مائة فسألوا غير بشار أن يؤجلوا وبقى بشار ساكتا، فقال عقبة مالك لا تتكلم أعمى اله قلبك؟ فأنشد بديهة شط الأبيات وفي ب٣ أخشى وزاد بعده:

والله لو ألقاك لا أتقى ... عينا لقبلتك ألفين

وفي ب٤ طالبتها دينى، وهو الوجه ولا معنى لما هنا، وفي ب٥ كالعير غدا، وهو المضروب فيه المثل، قال: فانصرف بشار بالجائزة وذكر حديث ابنه الخس ع ومرت وكانت زنت بعبد فأتت بغلام وهذا معنى قول أبيها. قولها لا وباء بها: ابن الأعرابي لا حمى، ورخل ورخال كظئر وظؤار الأنثى من أولاد الضأن، وعلال من العلل ضد النهل، والجفال من الشعر المجتمع الكثير، وقولها أذكار الرجال: تريد جمع ذكر لمن يهب الإبل، وعند من روى عن القالي أركاب وهو جمع الركب الفرج لا غير، ولعلها أرادت المراكب، وإرقاء مصدر تريد حقن دماء القتلى بإعطائها في الديات، وفي الحديث: لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧٨٢/١

الكريمة.
والرواية في البيت أوطؤها ومر أكلأها حيث تكلمنا عليه، والصواب تلاع البلاد على ما مر. ولعل راوى الحديث هو المتمثل بالبيت لا ابنة الخس لأنه لابن." (١)

"هائم وحزن لازم وقال أيضا لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقيل: الحسود لا يسود. وقال الجاحظ: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك. وقيل: لا راحة لحسود ولا وفاء لملول الحسود غضبان على القدر والقدر لا يعتبه. ولمنصور الفقيه:

ألا قل لمن بات لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... إذا أنت لم ترض لي ما وهب

وجد على بساط لملك الروم البخيل مذموم، والحسود مغموم، والحريص محروم.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الحسد والنكد «١» أيهما شر؟ فقال: الحسد داعية «٢» النكد بدلالة أن إبليس حسد آدم عليه السلام فصار حسده سبب نكده فأصبح لعينا بعد أن كان مكينا «٣» .

صعوبة إرضاء الحاسد

قال معاوية: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي.

وقيل: لزاذان فروح: أي: عدو لا تحب أن يعود صديقا؟ قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلا زوال نعمتي. قال المتنبي:

سوى وجع الحساد داو فإنه ... إذا حل في قلب فليس يحول «٤»

وقال الببغا:

ومن البلية أن تداوي حقد من ... نعم الإله عليك من أحقاده

وصف الحسد بأنه أعظم عداوة

قال أبو العيناء: إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا يرحمه، سلط عليه حاسدا.

وقال بعضهم: ما ظنك بعداوة الحاسد وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

صعوبة شماتة الحساد

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢/٥٠

سأل بعض الملوك جماعة من الحكماء عن أشد ما يمر على الإنسان، فقال بعضهم:
الفقر، وقال آخرون: الفقر في الغربة، وقال غيرهم الغربة مع المرض. ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله شماتة العدو ثم أجمعوا على أن أشد من ذلك كله رحمة العدو للمرء من نكبة تناله. فقال:
وحسبك من حادث بامرىء ... ترى حاسديه له راحمينا." (١)

"ولا مقاما وادعا ... يدفع رزقا قد نزل

وقيل: لبعض من تقاعد به الزمان ألق الدلاء وأجذبها ملاء، فقال: كيف أنزع دلوا خان رشاؤها «١» وأسدد سهما زالت أغراضها.

الحث على السفر في طلب المال

قال الله تعالى: هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور «٢» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: سافروا تغنموا. وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر، فقال: أما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة إن غضبت ترضاها وإن رضيت فداها، يحوم حولها ويطيع قولها.

قيل: رأس العجز أن تقيم فلا تريم وأن تخيم فلا تظعن، فمن طلب جلب ومن تبغل تبقل، ومن نام رأى الأحلام. وقيل: الحركة لقاح الجد العقيم.

قال أبو تمام:

أراد بأن يحوي الغنى وهو وادع ... وهل يغرس الليث الطلا وهو رابض «٣»

قال بزرجمهر: السعيد يتبع الغني والشقي يتبع مسقط رأسه، قال شاعر:

ذو اللب تنزع للرفاهة نفسه ... وترى الشقي نزوعه للموطن

أخذه المبرد:

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في الغربة أوطان

وقال آخر:

وكل بلاد أخصبت فبلادي

وقال المتنبي:

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٣٣/١

وما بلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصادق «٤»

إقامة العذر في الطلب

قال عروة بن الورد:

لتبلغ عذرا أو تصيب رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال كشاجم:

وعلي أن أسعى وليس ... علي إدراك النجاح." (١)

"وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟ قال: كونه. وقال سفيان: يا ابن آدم إن جوارحك سلاح الله عليك بأيها شاء قتلك.

ضعف بنية الإنسان وتركيبه

سئل جالينوس عن الإنسان فقال: سراج ضعيف وكيف يدوم ضوؤه بين أربع رياح.

يعني بالسراج روحه وبالرياح الأربع طبائعه قال شاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يصير رمادا بعد إذ هو ساطع

وقال أفلاطون: إذا كانت الطينة فاسدة والبنية ضعيفة والطبائع متنافية والعمر يسيرا والمنية راصدة فالثقة باطلة. قال شاعر:

أنظر إلى هذا الأنام بعبرة ... لا يعجبنك خلقه ورواؤه «١»

بيناه كالورق النضير تقضبت ... أغصانه وتسلبت شجراؤه «٢»

وقال الحسن: مسكين ابن آدم مكتوب الأجل والعلل، أسير الجوع والشبع.

إتيان المرء حتفه حيثما قدر له

قيل لفيلسوف: مات فلان في غربة، فقال: ليس بين الموت في الوطن **والغربة** فضل. لأن الموت في جميع المواضع واحد والطريق إلى الآخرة من كل مكان سواء.

قال شاعر:

إذا ما امرؤ حانت عليه منية ... بأرض أتاها مكرها لا تطوعا

وقال آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٧٦/١

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة أو تطرب «٣»

جهل الإنسان بوقت موته وموضع مضجعه

قال الله تعالى: وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت «٤» . وقيل لجعفر بن محمد عليهما الرضوان: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى؟ فقال: إن الله أراد أن لا يؤمن في حال. وقيل: أمر لا تدري متى يغشاك ألا تستعد له قبل أن يفجأك.

وقال ديك الجن:

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم ... لو أنهم عملوا مقدار ما علموا." (١)

"وقال آخر:

السيف إن قر في الغمود صدا

وقيل: الإغراب يعيد الجده ويفيد الحده، إذا أخلقك الوطن جددك الظعن لا يألف الوطن إلا ضيق العطن.

وقال يزيد بن المهلب:

وإن لزوم قعر البيت موت ... وإن السير في الأرض النشور

النهي عن الإقامة بمكان مخصب فيه هوان

قال سعد بن ثابت:

ولسنا بمتلين دار هضيمة ... مخافة موت إن بنا نبت الدار «١»

وقال المتنبي:

وما منزل اللذات عندي بمنزل ... إذا لم أجلل عنده وأكرم

تأسف من يلحقه إذلال فيعسر عليه الانتقال

قال شاعر:

أمالي في بلاد الله باب ... يؤديني إلى سبل النجاح

بلى في الأرض متسع عريض ... ولكني منعت من البراح

وما يغني العقاب عيان صيد ... إذا كان العقاب بلا جناح

وقرئ على حائط بأسد أباد:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ٥١٠

غيرت بين عزيمتين كلاهما ... أمضى علي من شباة سنان

همم تشوقني إلى طلب العلى ... وهوى يشوقني إلى الأوطان

وقيل: إذا أعيا المقام في الوطن، أغنى الجلاء عن العطن «٢»

إيثار اليسر في **الغربة** على العسر في الوطن

قيل: اليسر في **الغربة** وطن، والعسر في الوطن غربة. وقيل: إذا أيسرت فكل رحل رحلك، وإذا أعسرت اجتنبك أهلك.

وقال عبد الملك للحارث: أي البلاد أحب إليك؟ فقال: ما حسنت فيه حالي وعرض فيه جاهي، لا كوفة أبي ولا بصرة أمي، خشونة **الغربة** مع الجدة أوطأ من لين الموطن مع الفقر.." (١)

"وقال بزرجمهر: السعيد يتبع الرزق، والشقي يتبع مسقط الرأس، أخذه من قال:

ذو اللب تنزع للرفاعة نفسه ... وترى الشقي نزوعه للموطن «١»

وقال المتنبي:

وما بلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصادق

قال أبو نواس: دخلت دار السلطان بمدينة السلام، فرأيت أبا دلف الكرخي متعلقا ببعض ستائر الخاصة، وهو يقول:

طلب المعاش مفرق ... بين الأحبة والوطن

ومصير جلد الرجا ... ل إلى الضراعة والوهن

حتى يقاد كما يقا ... د النضو في ثني الرسن

ثم المنية بعده ... فكأنه ما لم يكن

فقلت: أيها الأمير لو صرت إلى حجرتي، لأنشدتك بيتين يسليانك فجاء معي فأكل وشرب وقال: هات ما عندك فأنشدته:

إذا كنت في أرض عزيزا وإن نأت ... فلا تكثرن منها نزاعا إلى الوطن

فما هي إلا بلدة بعد بلدة ... وخيرها ما كان عونا على الزمن

فسري عنه وحباني مالا جما.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٤٤

إيثار العسر في الوطن على اليسر في **الغربة**

قيل: عسرك في وطنك أطيب من يسرك في غربتك. وقيل: إذا وجدت بعض القوت فالزم قعر البيوت.

وقيل: إحفظ بلدا رباك. وقيل: بلد أغذيت فيه السلامة فلا تزايله «٢» وقال:

وإن اغترابي كي أنال معيشة ... وفضل غنى للوارثين خسار

ذم الخروج عن الوطن

قيل **الغربة** ذلة وكربة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: من رضي بالذل فليس منا. وقيل السفر سقر، ولكن غلط باسمه. وقيل السفر شعبة من جهنم، ولذلك قيل: لولا فرحة الأوبة لعذبت بالسفر.

وقال التنوخي:

مسير دعاه الناس سيرا توسعا ... ومعنى اسمه إن حققوه إسار." [١]

"(ولم أر مثلينا خليلي جنابة ... أشد على رغم العدو تصافيا)

(خليلين لا نرجو لقاء ولا ترى ... خليلين إلا يرجوان التلاقيا)

٣ - (يقولون من طول اعتدالك بالعدا ... نجدك وما تلقى لعينيك شافيا)

٤ - (بلى إن بالجزع الذي ينبت الغضا ... إلي وإن لم ألقه لمداويا)

وقال آخر

٥ - (وكل مصيبات الزمان وجدتها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب)

٦ - (وقلت لقلبي حين لج به الهوى ... وكلفني مالا أطيق من الحب)

٧ - (ألا أيها القلب الذي قاده الهوى ... أفق لا أقر الله عينك من قلب)

---

١ - الجنابة هنا **الغربة** والرغم من الرغام وهو التراب كناية عن الاستهانة والذل والمعنى ما رأيت مثلنا خليلين في **الغربة** أشد تصافيا على استهانة العدو وذله

٢ - المعنى ترانا خليلين قد تمكن اليأس من اللقاء في قلب كل واحد منا ولا ترى خليلين إلا ويؤملان

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٤٥

الملاقاة

٣ - سكن نجدك للضرورة والمعنى يقولون أنك أوغلت في تساويك بالعدا فيما يتخلقون به فنجدك لا تلقى شافيا لعينيك من البكاء

٤ - الجزع منعطف الوادي والغضا شجر والمعنى فقلت لهم نعم ولكن لي معالج بالوادي الذي ينبت فيه الغضا وإن لم يتفق بيني وبينه اللقاء

٥ - المعنى كل مصيبة هينة سهلة إلا فرقة الأحباب فأنها أعظم مصيبة

٦ - لج به لزمه

٧ - معنى البيتين أني نصحت قلبي حين لزمني الهوى وكلفني من ثقل الحب مالا أقدر عليه فقلت له ألا أيها القلب التابع للهوى تنبه مما وقعت فيه لا أقر الله عينيك." (١)

"(لعمر أبى ليلى لئن هي أصبحت ... بوادي القرى ما ضر غيري اغترابها)

وقال آخر

(لعمرك ما ميعاد عينيك والبكا ... بداراء إلا أن تهب جنوب)

٣ - (أعاشر في داراء من لا أحبه ... وبالرمل مهجور إلي حبيب)

٤ - (إذا هب علوي الرياح وجدتني ... كأني لعلوي الرياح نسيب)

وقال آخر

٥ - (هل الحب إلا زفرة بعد زفرة ... وحر على الأحشاء ليس له برد)

ذئاب البرية منسوبة إليها لحببت إلي تلك الذئاب لشدة شغفي بها

١ - إقسامه بأبيها تعظيم لها وتنبيه على محلها من قلبه المعنى أقسم بأبي ليلى لئن عادت إلى موضعها من وادي القرى لم يضر البعد منها **والاغتراب** عنها غيري

٢ - داراء موضع مشهور ومنزل للعرب معمور جاء ذكره في حديث وفد عبد القيس إلى النبي صلى الله

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٧٥/٢

عليه وسلم وهو من نواحي البحرين والمعنى لعمرك ما الموعد بين عينيك وبين البكاء وأنت بداراء إلا حين هبوب الجنوب وإنما قال ذلك لأن هبوبها كان من جهة من اشتاق إليه فكلما هبت أهدت إليه طيبه وجددت ذكراه فبكى شوقا إلى من يحب

٣ - المعنى أن من صروف الدهر أني معاشر بداراء من لا أحبه ومن أهواه مقيم بالرمل وملازم لهجري

٤ - إذا هب علوي الرياح يريد إذا هبت الريح من نحو عالية نجد والمعنى إذا هبت الريح من نحو عالية نجد وجدتني كأني منتسب إليها لشدة شغفي بمن سكن نجدا

٥ - الاستفهام هنا بمعنى النفي والزفرة من." [١]

"(فكنت كمجتس بمحفاره الثرى ... فصادف عين الماء إذ يترسم)

(فإن يسأل الله الشهور شهادة ... تنبي جمادى عنكم والمحرم)

٣ - (بأنكما خير الحجاز وأهله ... إذا جعل المعطي يمل ويسأم)

وقال نصيب في عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي تقدمت ترجمته

٤ - (والله ما يدري امرء ذو جنابة ... ولا جار بيت أي يوميك أجود)

٥ - (أيوم إذا ألفيته ذا يسارة ... فأعطيت عفوا منك أم يوم تجهد)

---

١ - المجتس المتجسس المتلمس والمحفار آلة الحفر والثرى التراب ويترسم يتبع الرسوم والآثار والمعنى فكنت في اصطفائي إياهما كرجل يتطلب الماء بمحافره من تراب الأرض فصادف عينه ومنبعه أي أصبت في القصد والاختيار ووضعت الثناء في موضعه

٢ - تنبي أي تخبر وإنما خص جمادى والمحرم لأن جمادى من أشهر القحط والمحرم من الأشهر الحرم

٣ - بأنكما متعلق بقوله تنبي في البيت قبله وجعل بمعنى طفق وأقبل فلا يتعدى والسآمة الضجر يقول أن يسأل الله عنكم الشهور أخبرت جمادى بقراكم الضيف وصلتكم الرحم وهو شهر برد وجدب وأخبر المحرم بحفظكم حرمته وتأديتكم حقه لأنه شهر حرام لا يسفك فيه دم ولا ينهب فيه شيء

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١١٩/٢

٤ – الجنابة هنا بمعنى **الغربة** وجعل الجود لليوم على طريقة قوله تعالى ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ لما كان فيهما وعلى حد قول الناس نهاره صائم وليله نائم

٥ – أيوم الخ هذا تفصيل لما أجمله قبل ومعنى ألفيته ألفيت فيه وجعل اليوم مفعولا به على السعة وذا يسارة حال من التاء ويقال هو ذو يسار." (١)

"المقامة الصنعانية

حدث الحارث بن همام قال: لما اقتعدت غارب **الاغتراب**. وأنأتني المتربة عن الأتراب. طوحت بي طوائح الزمن. الى صنعاء اليمن. فدخلتها خاوي الوفاض. بادي الإنفاض. لا أملك بلغة. ولا أجد في جرابي مضغة. فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم. وأجول في حوماتها جولان الحائم. وأرود في مسارح لمحاتي. ومسايح غدواتي وروحاتي. كريما أخلق له ديباجتي. وأبوح إليه بحاجتي. أو أديبا تفرج رؤيته غمتي. وتروي روايته غلتي. حتى أدتني خاتمة المطاف. وهدتني فاتحة الألطاف. الى ناد." (٢)

"حتى إذا استرفع ما لديه. قلت له: أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك. أو عجيبة من عجائب أسفارك. فقال: لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون. ولا رواه الراوون. وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم. ومصيري الى بابكم. فاستخبرناه عن طرفة مرآه. في مسرح مسراه. فقال: إن مرامي **الغربة**. لفظتني الى هذه التربة. وأنا ذو مجاعة وبوسى. وجراب كفؤاد أم موسى. فنهضت حين سجا الدجى. على ما بي من الوجى. لأرتاد مضيفا. أو أقتاد رغيفا. فساقني حادي السغب. والقضاء المكنى أبا العجب. الى أن وقفت على باب دار. فقلت على بدار:." (٣)

"يلزم الأديب الأريب. إذا دخل البلد الغريب. أن يستميل قاضيه. ويستخلص مراضيه. ليشتد ظهره عند الخصام. ويأمن في **الغربة** جور الحكام. فاتخذت هذا الأدب إماما. وجعلته لمصالحي زماما. فما دخلت مدينة. ولا ولجت عرينة. إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح. وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح. فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية. في عشية عرية. وقد أحضر مال الصدقات. ليفضه على ذوي الفاقات. إذ دخل شيخ عفرية. تعتله امرأة مصبية. فقالت: أيد الله القاضي. وأدام به التراضي. إني امرأة من

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٢/٣٧١

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/١٨

(٣) مقامات الحريري الحريري ص/٥١

أكرم جرثومة. وأطهر أرومة. وأشرف خؤولة وعمومة. ميسمي الصون. وشيمتي الهون. وخلقي نعم العون. وبيني وبين جاراتي بون. وكان أبي إذا خطبني." (١)

"الأوكار. تواصينا بتذكار الصحبة. وتناهينا عن التقاطع في **الغربة**. واتخذنا ناديا نعتمره طرفي النهار. ونتهادى فيه طرف الأخبار. فبينما نحن به في بعض الأيام. وقد انتظمنا في سلك الالتئام. وقف علينا ذو مقول جري. وجرس جهوري. فحيا تحية نفاث في العقد. قناص للأسد. والنقد. ثم قال:

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الأريب

رأيت في ريعان عمري أخا ... بأس له حد الحسام القضيب

يقدم في المعرك إقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب

فيفرج الضيق بكراته ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الأقران إلا انثنى ... عن موقف الطعن برمح خضيب." (٢)

"واندبي فعلك القبي ... ح وسحي له بدم

وادبغيه بتوبة ... قبل أن يحلم الأدم

فعسى الله أن يقي ... ك السعير الذي احتدم

يوم لا عثرة تقا ... ل ولا ينفع السدم

ثم إنه أغمض عضب لسانه. وانطلق لشانه. فما زلت في كل مورد نرده. ومعرس نتوسده. أتفقده فأفقده. وأستنجد بمن ينشده فلا يجده. حتى خلت أن الجن اختطفته. أو الأرض اقتطفته. فما كابدت في **الغربة**. كهذه الكربة. ولا منيت في سفرة. بمثلها من زفرة.." (٣)

"أنقب عن أخباره. وخزنة أسراره. فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس. وجذوة المقتبس. شددت يدي بغرزه. واستنزلت منه زكاة كنزه. على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب. ووضع الهناء مواضع النقب. إلا أنه كان أسير من المثل. وأسرع من القمر في النقل. وكنت لهوى ملاقاته. واستحسان مقاماته. أرغب

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٨٥

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/١٩٤

(٣) مقامات الحريري الحريري ص/٣٢٤

في **الاغتراب**. وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب. فلما تطوحت الى مرو. ولا غرو. بشرني بملقاه زجر الطير.." (١)

"السروجي ملتفا بكساء. ومحتفا بنساء. فسألته عن خطبه. وإلى أين يسرب مع سربه؟ فأومأ الى امرأة منهن باهرة السفور. ظاهرة النفور. وقال: تزوجت هذه لتؤنسني في **الغربة**. وترحض عني قشف العزبة. فلقيت منها عرق القربة. تمطلني بحقي. وتكلفني فوق طوقي. فأنا منها نضو وجى. وحلف شجو وشجى. وها نحن قد تساعينا الى الحاكم. ليضرب على يد الظالم. فإن انتظم بيننا الوفاق. وإلا فالطلاق والانطلاق. قال: فملت الى أن أخبر لمن الغلب. وكيف يكون المنقلب. فجعلت شغلي دبر أذني. وصحبتهما وإن كنت لا أغني. فلما حضر القاضي." (٢)

"وندمت على ما فرطت في جنب الله. ثم أخذت في كسع الهنات بالحسنات. وتلافي الهفوات قبل الفوات. فملت عن مغاداة الغادات. الى ملاقاة التقاة. وعن مقاناة القينات. الى مداناة أهل الديانات. وآليت أن لا أصحب إلا من نزع عن الغي. وفاء منشره الى الطي. وإن ألفيت من هو خليع الرسن. مديد الوسن. أنأيت داري عن داره. وفررت عن عره وعاره. فلما ألقتني **الغربة** بتنيس. وأحلتني مسجدها الأنيس. رأيت به ذا حلقة ملتحمة. ونظارة مزدحمة. وهو يقول بجأش مكينو ولسن." (٣)

"فقال له القاضي: قاتله الله فما أحسن شجونه. وأملح فنونه! ثم إنه أصحب رائده بفردين. وصرة من العين. وقال له: سر سير من لا يرى الالتفات. الى أن ترى الشيخ والفتاة. فبل يديهما بهذا الحباء. وبين لهما انخداعي للأدباء. قال الراوي: فلم أر في **الاغتراب**. كهذا العجاب. ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب.

المقامة الحلبية

روى الحارث بن همام قال: نزع بي الى حلب. شوق غلب. وطلب يا له من طلب! وكنت يومئذ خفيف

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٣٩٨

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٤١٨

(٣) مقامات الحريري الحريري ص/٤٣١

الحاذ. حثيث النفاذ. فأخذت أهبة السير. وخففت نحوها خفوف الطير. ولم أزل مذ حللت ربوعها. وارتبعت ربيعها. أفاني الأيام.." (١)

"إن مثل الوعود. كغرس العود! هو بين أن يدركه العطب. أو يدرك منه الرطب. فما يدريني أيحصل من عودك جنى. أم أحصل منه على ضنى؟ ثم ما الثقة بأنك حين تبتعد. ستفي بما تعد؟ وقد صار الغدر كالتحجيل. في حلية هذا الجيل. فأرحني بالله من التعذيب. وارحل الى حيث يعوي الذيب. فاستوى الغلام إليه. وقد استولى الخجل عليه. وقال: والله ما يخيس بالعهد. غير الخسيس الوغد. ولا يرد غدير الغدر. إلا الوضيع القدر. ولو عرفت من أنا. لما أسمعتني الخنا. لكنك جهلت فقلت. وحيث وجب أن تسجد بلت. وما أقبح الغربة والإقلال. وأحسن قول من قال:

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

لكنه ما تشين الحر موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت." (٢)

"وإياك والكسل فإنه عنوان النحوس. ولبوس ذوي البوس. ومفتاح المتربة. ولقاح المتعبة. وشيمة العجزة الجهلة. وشنشنة الوكلة التكلة. وما اشتار العسل. من اختار الكسل. ولا ملأ الراحة. من استوطأ الراحة. وعليك بالإقدام. ولو على الضرغام. فإن جراءة الجنان. تنطق اللسان. وتطلق العنان. وبها تدرك الحظوة. وتملك الثروة. كما أن الخور صنو الكسل. وسبب الفشل.

ومبطأة للعمل. ومخيبة للأمل. ولهذا قيل في المثل: من جسر. أيسر. ومن هاب. خاب. ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر. وجراءة أبي الحارث. وحزامة أبي قرة. وختل أبي جعدة. وحرص أبي عقبة. ونشاط أبي وثاب. ومكر أبي الحصين. وصبر أبي أيوب. وتلطف أبي غزوان. وتلون أبي براقش. وحيلة قصير. ودهاء عمرو. ولطف الشعبي. واحتمال الأحنف. وفطنة إياس. ومجانة أبي نواس. وطمع أشعب. وعارضة أبي العياء. واخلب بصوغ اللسان. واخدع بسحر البيان. وارتد السوق قبل الجلب. وامتر الضرع قبل الحلب. وسائل الركبان قبل المنتجع. ودمث لجنبك قبل المضطجع. واشحذ بصيرتك للعيافة. وأنعم نظرك للقيافة. فإن من صدق توسمه. طال تبسمه. ومن أخطأت فراسته. أبطأت فريسته. وكن يا بني خفيف الكل. قليل الدل. راغبا عن العل. قانعا من الوبل بالطل. وعظم وقع الحقير. واشكر على النقير. ولا تقنط عند الرد. ولا

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٤٩١

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٥١٣

تستبعد رشح الصلد. ولا تيأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الل إلا القوم الكافرون. وإذا خيرت بين ذرة منقودة. ودرة موعودة. فمل الى لنقد. وفضل اليوم على الغد. فإن للتأخير آفات. وللعزائم بدوات. وللعدات معقبات. وبينها وبين النجاز عقبات وأي عقبات. وعليك بصبر أولي العزم. ورفق ذوي الحزم. وجانب خرق المشتط. وتخلق بالخلق السبط. وقيد الدرهم بالربط. وشب البذل بالضبط. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط. ومتى نبا بك بلد. أو نابك فيه كمد. فبت منه أملك. واسرح منه جملك. فخير البلاد ما جملك. ولا تستثقلن الرحلة. ولا تكرهن النقلة. فإن أعلام شريعتنا. وأشياخ عشيرتنا. أجمعوا على أن الحركة بركة. والطراوة سفتجة. وزروا على من زعم أن **الغربة**. كربة. والنقلة. مثلة. وقالوا: هي تعلة من اقتنع بالرذيلة. ورضي بالحشف وسوء الكيلة. وإذا أزمعت على **الاغتراب**. وأعددت له العصا والجراب. فتخير الرفيق المسعد. من قبل أن تصعد. فإن الجار. قبل الدار. والرفيق. قبل الطريق: بطأة للعمل. ومخيبة للأمل. ولهذا قيل في المثل: من جسر. أيسر. ومن هاب. خاب. ثم ابرز يا بني في بكور أبي زاجر. وجراءة أبي." (١)

"وزروا على من زعم أن **الغربة**. كربة. والنقلة. مثلة. وقالوا: هي تعلة من اقتنع بالرذيلة. ورضي بالحشف وسوء الكيلة. وإذا أزمعت على **الاغتراب**. وأعددت له العصا والجراب. فتخير الرفيق المسعد. من قبل أن تصعد. فإن الجار. قبل الدار. والرفيق. قبل الطريق:

خذها إليك وصية ... لم يوصها قبلي أحد

غراء حاوية خلا ... صات المعاني والزبد

نقحتها تنقيح من ... محض النصيحة واجتهد

فاعمل بما مثلته ... عمل اللبيب أخي الرشد

حتى يقول الناس هـ ... ذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال: يا بني قد أوصيت. واستقصيت. فإن اقتديت فواها لك. وإن اعتديت فآها منك! والله خليفتي علي: . وأرجو أن لا تخلف ظني فيك. فقال له ابنه: يا أبت لا وضع عرشك. ولا رفع." (٢)

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٥٤٠

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٥٤٤

"١٢٣٥- أحمض من صفع الذل في بلد **الغربة**." [١]

"٢٠٤٢- أشأم من غراب البين.

إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم، فتشاءموا به، وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا، فسموه غراب البين، ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين، حتى قالوا: أصفى من عين الغراب، كما قالوا: أصفى من عين الديك، وسموه "الأعور" كناية، كما كنوا طيرة عن الأعمى فكنوه " أبا بصير" وكما سموا الملدوغ والمنهوس " السليم" وكما قالوا للمهالك من الفيافي "المفاوز" وهذا كثير، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه **الغربة** **والاغتراب** والغريب، وليس في الأرض باوح، ولا نطيح، ولا قعيد، ولا أعضب، ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه، ويرون أن صياحه أكثر أخبارا، وأن الزجر فيه أعم، قال عنترة:

خرق الجناح، كأن لحيي رأسه ... جلمان، بالأخبار هش مولع

وقال غيره:

وصاح غراب فوق أعواد بانة ... بأخبار أحبابي فقسمني الفكر -[٣٨٤]-

فقلت غراب باغتراب وبانة ... تبين النوى، تلك العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنابي منهم ... وهاجت صبا قلت: الصبابة والهجر

وقال آخر:

تغنى الطائران ببين سلمى ... على غصنين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى ... وفي الغرب اغتراب غير دان

وقال آخر:

أقول يوم تلاقينا وقد سجعت ... حمامتان على غصنين من بان

الآن أعلم أن الغصن لي غصص ... وأنما البان بين عاجل دان

فقمت تخفضني أرض وترفعني ... حتى ونيت وهد السير أركاني

فهذا نمط شعرهم في الغراب لا يتغير، بل قد يزجرون من الطير غير الغراب على طريقين: أحدهما على

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٢٢٩

طريق الغراب في التشاؤم، والآخر على طريق التفاؤل به،

قال الشاعر:

وقالوا: تغنى هدهد فوق بانة ... فقلت: هدى يغدو به ويروح

وقال آخر:

وقالوا: عقاب، قلت: عقبى من النوى

دنت بعد هجر منهم ونزوح

وقال آخر:

وقالوا: حمام، قلت: حم لقاؤها ... وعاد لنا ريح الوصال يفوح

فهذا إلى الشاعر، لأنه إن شاء جعل العقاب عقبى خير، وإن شاء جعلها عقبى شر، وإن شاء جعل الحمام حماما، وإن شاء قال: حم اللقاء، والهدهد هدى وهداية، والحبارى حبورا وحبرة، والبان بيانا يلوح، والدوم دوام العهد، كما صارت الصبا عنده صبابة، والجنوب اجتنابا، والصرد تصريدا، إلا أن أحدا منهم لم يزجر في الغراب شيئا من الخير، هذا قول أهل اللغة.

وذكر بعض أهل المعاني أن نعيب الغراب يتطير منه، ونغيقه يتفاءل به، وأنشد قول جرير:

إن الغراب بما كرهت لمولع ... بنوى الأحبة دائم التشحاج

ليت الغراب غداة ينعب دائبا ... كان الغراب مقطع الأوداج

وقول ابن أبي ربيعة:

نعب الغراب ببين ذات الدملج ... ليت الغراب ببينها لم يشحج -[٣٨٥]-

ثم أنشدوا في النغيق:

تركت الطير عاكفة عليهم ... وللغربان من شبع نغيق

قال: ويقال " نغق الغراب نغيقا" إذا قال: غيق غيق، فيقال عندها "نغق بخير" ويقال " نعب نعيبا" إذا قال: غاق [غاق] ، فقال عندها " نعب بشر" قال: ومنهم من يقول "نغق ببين" وزهير منهم وأنشد له:

ألقى فراقهم في المقلتين قذى ... أمسى بذاك غراب البين قد نغقا

وقال من احتج للغراب: العرب قد تتيمن بالغراب فتقول: هم في خير لا يطير غرابه، أي يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم، فلولا تيمنهم به لكانوا ينفرونه، فقال الدافعون لهذا القول: الغراب في هذا المثل

السواد، واحتجوا بقول النابغة:

ولرهط حراب وقد سورة ... في المجد ليس غرابها بمطار

أي من عرض لهم لم يمكنه أن ينفر سوادهم لعزهم وكثرتهم.." (١)

"غيرة المرأة مفتاح طلاقها.

غداؤه مرهون بعشائه.

يضرب للفقير.

غراب نوح.

يضرب للمتهم، وللمبطئ أيضا.

غضب العشاق كمطر الربيع.

غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

غبار العمل خير من زعفران العطلة.

غاص غوصة وجاء بروثة.

غاب حولين وجاء بخفي حنين.

غش القلوب يظهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه.

غلول الكتب من ضعف المروة.

غنى المرء في **الغربة** وطن، وفقره في الوطن غربة.

غبن الصديق نذالة.

الغيرة من الإيمان.

الغزو أدر للقاح وأحد للسلاح.

الغائب حجته معه.

الغناء رقية الزنا.

الغلط يرجع.

الغرباء برد الآفاق.

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٣٨٣

الغرثان لا يمعك.

غريم لا ينام.

يضرب للملح في طلب الشيء.

غضبه على طرف أنفه.

للرجل السريع الغضب." (١)

"متخير منتقي. لا يصطفي إلا الفاقع من الألوان، ولا يصطلي النار ذات الدخان. يقول إن أول العمى، أن أرعى حول الحمى. وإن هذا ليرديني، وإن ذاك مما يجرح ديني. وإنه وإنه، فلا يزال يخشى الظنة. كالجافي السالك، في الطريق الشائك.

المقالة السابعة والستون:

أيها الغريب

أحلك الغراب وهو أسود غربيب، أحلك أم حالك يا غريب. كيف لا يسود حال البعيد عن أقربيه، ولا تبيض لمة المفارق لأمه وأبيه. ما غلب غريب، فنصره عريب. وما أصبح مغترب، إلا وخده ترب. لا يعد في أهل الفطن، من بعد عن الأهل والوطن، ورضي لنفسه أن تترامى به الأسفار، وتتقاذف به القفار. جازعا بلدا إلى بلد، نازعا إلى مال وولد. ليقال إنه جوالة مدرب، جوابة مجرب. بلى إن **الغربة** دربة، لولا أنها كربة. والسفر اغتنام، إلا أنه اغتمام. ولكن المسافر المهاجر إلى الله غازيا في سبيله، أو حاجا لبيته زائرا لقبر رسوله. هو المسافر المسعود، العز بناصيته معقود.

المقالة الثامنة والستون

خير اللسان وخير الكلام

خير اللسان المخزون، وخير الكلام الموزون. فحدث إن حدثت بأفضل من الصمت، وزين حديثك بالوقار وحسن السمت. وأرسل حدسك لكلماتك في اتساق أنابيب السمهري، ولا تقرع في إرسالها ظنابيب

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢/٦٧

المهري. إن الطيش في الكلام، يترجم عن خفة الأحلام. وما دخل الرفق شيئا إلا زانه، وما زان المتكلم إلا الرزانة.." (١)

"٧٣٧ - أشأم من غراب البين ليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون إلا والغراب عندهم أنكد واشتقوا من اسمه **الغربة** ويقولون إن عادته أنه لا يعتري منازلهم إلا عند البين يقع فيها ويتلتمس ويتقمم وزعموا أن نعيبه يتطير منه وهو أن يقول غيق غيق يقال نعب بشر ونغيقه يتفاءل به وهو أن يقول غاق غاق يقال نغق بخير قال جرير

(الكامل)

(ليت الغراب غداة ينعب دائما ... كان الغراب مقطع الأوداج)

وقال آخر

(الوافر)

(تركت الطير عاكفة عليهم ... وللغربان من شبع نغيق)

٧٣٨ - ٠٠ من قاشر هو فحل كان لبني عوافة بن سعد بن زيد مناة ولهم إبل مذكرة فاستطرقوه رجاء أن يؤنث فهلكت الأمهات والنسل وقيل هو قاشر بن مرة اخو زرقاء اليمامة حمل الخيل إلى جو حتى استأصل أهله

٧٣٩ - ٠٠ من قدار هو أحمر عاد." (٢)

"٤٤٢ - شر الرعاء الحطمة أي الذى يحطم الماشية أي يكسرها ويضربها إذا ساقها عنف وإذا أسامها قصر فى إسامتها يضرب فى سوء الملكة والسياسة

٤٤٣ - ٠٠ السير الحقحقة هى إسراع السير وعسفه يضرب فى ذم الإفراط

٤٤٤ - ٠٠ الغريبة يعلن وخيرها يدفن قصته فى باب التاء يضرب فى ذم **الاغتراب** ٤٤٥ - ٠٠ اللبن الوالج هو من قول الحارث بن حلزة

(الرجز)

(واصبب لأضيافك ألبانها ... فان شر اللبن الوالج)

---

(١) أطواق الذهب في المواعظ والخطب = كتاب المقالات الزمخشري ص/٢٨

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١/١٨٣

أى الذى داخل الضرع لم بجلب يضرب في ذم الشح والإمساك

٤٤٦ - ٠٠ المال القلعة هو الذي لا يبقى على صاحبه وإنما يقلع منه." (١)

"(المديد)

(فهو لا ينمى رميته ... ما له لا عد من نفره)

يضرب فى موضع المدح كقولهم قاتله الله

١٢٢٠ - ما له هارب ولا قارب أى صادر عن الماء ولا طالب له من قرب الماء يقربه وقيل من يهرب منه ولا من يأتيه من قربه أى غشيه

١٢٢١ - ٠٠ له هلع ولا هلعة أى جدى ولا عناق

١٢٢٢ - ٠٠ لى بهذا الامر يدان أى طاقة قال الغدير الغنوى

(الكامل)

(إعمد لما تعلو فما لك بالذى ... لا تستطيع من الأمور يدان)

وقال آخر

(الرجز)

(قد سمتنى الهجران مرتين ... وما أظن لى به يدين)

١٢٢٣ - ٠٠ من عالم كره التحول من مسقط رأسه إلا لم يقبل يضرب فى الحث على **الاغتراب** لنيل الحظ." (٢)

"٨- الفرس: وجدنا في مهارقنا «١» القديمة: إذا لم يساعد الجد «٢» فالحركة خذلان.

٩- رب لازم لعرصته «٣» فاز ببغيته.

١٠- في بعض الكتب السماوية: إن مما عاقبت به عبادي أني ابتليتهم بفراق الأحبة.

١١- قريبة الأعرابية: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذل.

١٢- إسحاق بن إبراهيم التميمي:

فراقك مثل فراق الحياة ... وفقدك مثل افتقاد الأيم «٤»

---

(١) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١٢٩/٢

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٣٣٣/٢

عليك السلام فكم من وفا ... ء نفارق منك وكم من كرم

١٣- أعرابي: الإغتراب يعيد الجدة «٥» ويفيد الجدة «٦» .

١٤- حكيم: السفر ميزان الأخلاق، لأنه يفصح عن مقاديرها في الكرم واللؤم.

١٥- قيل لصوفي مسفار: كم رأيت من البلدان؟ قال: لا تسأل! فإن شيطاني كان من الفيوج «٧» .

١٦- أعرابي: لا يغني المخلب ما دام في المقنب «٨» .." (١)

"١٧- يقال: فلان ركوب للأهوال «١» ، وفلان ألوف للظلال «٢» .

١٨- الغريب النائي عن أهله كالثور الناد «٣» عن اصطبله فهو لكل سبع فريسة، ولكل رام فريضة «٤» .

١٩- تميم الداري «٥» : لم تبق أرض لم يطأها، ولا واد لم يسلكه، حتى رأى الردم «٦» ووصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغ بلاد الظلمة وقطع وبار «٧» .

٢٠- حكيم: لا توحشنك الغربة إذا أنستك الكفاية مع لزوم الأوطان.

٢١- محمد بن عبد العزيز بن سهل «٨» من أمراء الجبل: قيل لأعرابي:

ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

٢٢-[شاعر] :

كأن لم تكن سعدى بأعناء غيقة ... ولم تر من معدى بهن منازل «٩»." (٢)

"ولم تتربع بالسرير ولم تكن ... لها الصيف خيمات العذيب الظلائل «١»

٣٢- قيل لبعد الواحد بن زيد «٢» من أصحاب الحسن: كيف كنت في سفرك؟ فقال: أبلاني الله في سفري هذا من حسن البلاء كأني لم أعصه قط.

٢٤- خرج أيوب السختياني «٣» في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله.

٢٥- قيل لأعرابي: متى الرحيل؟ قال: تلغموا بيوم السبت. من قولهم فلان يتلغم بذكرك، أي يذكرك دائما، من اللغام.

٢٦- لا داء أدوى من الهجر إلا البين فإنه قاصمة الظهر.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٧

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٨

٢٧- إن اعانتك **الغربة** على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن.

٢٨- النجح مقيم في كنف الدؤوب.

٢٩- مر إياس بن معاوية بماء فقال: أسمع صوت كلب غريب.

فقيل له: بم عرفته؟ قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره.

٣٠- يقال للرجل المسفار «٤» خليفة الخضر «٥» ، قال أبو تمام.

خليفة الخضر، من يربع على وطن ... في بلدة، فظهور العيس أوطاني." (١)

"الباب الستون العلم، والحكمة، والأدب، والكتاب، والقلم، وما اتصل بذلك وناسبه

١- عن معاذ بن جبل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، والبحث عنه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجليس في الوحدة، والصاحب في **الغربة**، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الإخلاء «١» ، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، وفي الهدى أئمة، تقتفى آثارهم «٢» ، ويتقدى بأفعالهم، وينهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلاتها تستغفر لهم، ويصلي عليهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، والأرض وخزائنها، لأن العلم حياة القلب من الجهل، ونور الأبصار ومصابيحها في الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار في الدرجات العلى، ومجالسة الملوك في الدنيا، ومرافقة الأبرار في الآخرة.." (٢)

"٩٤- ومن الحواثر عامل عمرو بن هند الذي كتب إليه في قتل طرفة، وكان قد وداه «١» بعد ذلك، فقال المتلمس «٢» لمعبد أخي طرفة:

لن ترحض السوءات عن أحسابكم ... نعم الحواثر إذ تساق لمعبد

٩٥- قال معاوية للأحنف: مالك؟ قال: لا أخبرك، قال: ولم؟

قال: لأنك من القرشي بين شرتين، إن كنت غنيا حسدك، وإن كنت فقيرا حقرك.

٩٦- يده في الكسب صناع، ولكنها في الإنفاق خرقاء.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٩/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٥/٤

٩٧- الغنى أنس الأوطان.

٩٨- إذا أيسرت فكل رحل رحلك، وإذا أعسرت فما أهلك أهلك.

٩٩- **الغربة** مع الجدة أوطأ من لين الوطن مع الفقر.

١٠٠- حكيم: حسن التدبير مع الكفاف أكفى من المال الكثير مع الاسراف.

١٠١- العطوي:

قاتلها الله لقد ... سامتكها إحدى العضل." (١)

"من المحدثين المجيدين محمد بن شرف، وذكر في بعض تصانيفه أنه كتب يشرح حال حاج أصابه في الطريق حر شديد، فنزل بئرا ليشرب، فسقطت فيها صاعقة، فسلم منها، ثم ركب وسار، فنزل برد أصابت رأسه منه واحدة فقتلته. وكتابه في ذلك مشهور وقد كتب المملوك في هذا المعنى: إن من نوادر العبر، وبوادر الغير؛ ما اتفق لفلان عند توجهه من الطائف، وتركه استصحاب الماء توكلا على اللطائف، فإنه لقي يوما متلهب الأوار، متضرم النار، قد فقد نعيمه، وعدم نسيمه، واستعير من لفح جهنم حره وسمومه، فاستند إلى صبره، وأوى إلى جلده، ظانا سرعة ذاك على ما وقع في خلده، فلما اشتد القيظ، وخيف على النفوس الفيظ، وتزايد به الأوام، وتشخص له الموت الزؤام؛ جعل يتماسك ويسير، وقد تيقن أن باقي عمره قليل يسير. فبينا هو على تلك الحال، يغور تارة وينجد، وقد أعوزه من يعين وأعجزه من ينجد؛ إذا هو ببئر ساقته إليها مهلة الأجل وهدته، وقادته نحوها فسحة المدة وأدته، فلعدم الرشاء وتعذره، وإعجال الأمر له عن تثبته وتصبره؛ نزلها كارعا في مائها، وناعشا بها نفسا لم يبق غير دمائها. وإنه لكذلك إذ وقعت عليه صاعقة حبيها يصعق، ومسها يهلك ويوبق، فلقيت البئر حدتها دونه، وحالت للمشيئة بين مضرتها وبينه، ثم صعد منها بعد أن نقع غلته، وبلغ أمنيته، فسما بطرفه، واستولى على طرفه، وأعجب بحظه، وتوهم أن القدر لا يغفل عن حفظه، وتحقق أن قصود المنايا له مخطئة، وضروب الرزايا عن الوصول إليه مبطئة، وسار جذلا غير جزع ولا وجل، واثقا بالسلامة وكم من واثق خجل! فما مضت ساعة حتى نشأت غمامة جر اليوم منها ستارته، ونسخ بها ذلك التوهج ومحا آيته، وجعل جامد السماء يذوب، وماء المزن يهطل ويصوب، وأخذت الأقضية تحلل من الديم العقد، وتفوق إلى مقاتل المقتول سهام البرد، فلم يزل يأتيه أرسالا، ويتناثر عليه يمينا وشمالا، إلى أن أصابت إحداهن منه الهامة، فأذهبت نفسه وعجلت له القيامة. فسبحان من قرب له

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٨٧

المسافة بين منهل الاغترار ومصرع الاعتبار، ومن نجاه مما الهلكة بمثله معتادة، وأهلكه بما يحيي به أرضه ويرحم عباده. وهو المسؤول أن يسبغ علينا فضله، ولا يجعلنا بين عباده مثلة، إنه جواد يجيب داعيه، ولا يخيب راجيه.

وابن شرف من أعيان الشعراء، وأماثل البلغاء، وله أبيات يجيد فيا، ويحسن في معانيها. فمن بديع شعره قوله:

خلق كماء المزن طيب مذاقه ... والروضة الغناء طيب نسيم

كالسيف لكن فيه حلم واسع ... عمن جنى، والسيف غير حليم

كالليث إلا أنه متبرقع ... بوسامة، والليث غير وسيم

كالغيث إلا أن وابل جوده ... أبدا، وجود الغيث غير مقيم

كالدهر إلا أنه ذو رحمة، ... والدهر قاسي القلب غير رحيم

وقوله:

جفاني فواصلت الصبابة والأسى ... وبان فلم أعدم سهادا ولا دمعا

أأسر ولا أفدى، وقتل ولا أدى ... وسقم ولا أشفى، وموت ولا أنعى

وقوله:

إن تلقك **الغربة** في معشر ... تضافروا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقوله في مثله:

يا ثاويا في معشر ... قد اصطلى بنارهم

فما حييت جارهم ... ففي هواهم جارهم

وأرضهم في أرضهم ... ودارهم في دارهم

وقوله في عود قينة:

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذي ... زكت منه أغصان وطابت مغارس

تغنى عليها الطير وهي رطيبة ... وغنى عليها الناس والعود يابس

وقوله في مثله:

يا عود من أية الأشجار أنت فلا ... جفا ثراها ولا أغصانها الماء
غنى القيان عليها وهي يابسة ... بعد الحمام زمانا وهي خضراء
وقوله:
خليل النفس لا تخل الزجاجا ... إذا بحر الدجى في الجو ماجا
وجاهر في المدامة من ترائي ... فما فوق البسيطة من يداجى
إذا مريخها اتقد احمرار ... صببنا المشتري فيها مزاجا
والناس مختلفون في المزج. فمنهم من يراه فيأمر به، ومنهم من يكرهه فينهى عنه. وأحسن ما سمعه المملوك في الاعتذار عن المزج قول ابن رشيق:
ما سجها الساقي لسوء خلقها ... كيف ومن تعليمها حسن الخلق
وإنما ظن سناها لهبا ... فشجعها بالماء كيلا تحترق
وهو مما أخذه من قول عبد المحسن:." (١)

"والخيال. الرقة والنحول. البكاء والهمول. إحماد المواصلة ولذة العناق.

شكوى الفراق والبين واحتمالهما. الأرق والسهاد. تعاطي الصبر والجلد. العذول والواشي والرقيب. وصف المحبوب. طيب الأفواه. وصف الثغر. إسرار الهوى وإعلانه. عشق الحلائل. غزل العباد وتساهلهم فيه. أخبار من قتله الكمد.

جمل من الغزل والنسيب. نوادر من الباب وأخبار المتيمين.

الباب الثلاثون: في أنواع شتى من الخطب.

الباب الحادي والثلاثون: في المكاتبات.

الباب الثاني والثلاثون: في الأمثال والاستشهادات.

وهي ستون مفصلة في مواضعها «١» .

الباب الثالث والثلاثون: الحجة البالغة والأجوبة الدامغة.

الباب الرابع والثلاثون: كبوات الجياد وهفوات الأمجاد.

الباب الخامس والثلاثون: في أخبار العرب وعوائدهم وغرائب سيرهم وأوابدهم.

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٢٤

الباب السادس والثلاثون: في الكهانة والزجر والفأل والطيرة والعيافة والفراسة.

الباب السابع والثلاثون: في اليسر بعد العسر والرخاء بعد الضر.

الباب الثامن والثلاثون: ما جاء في الغنى والفقر.

الباب التاسع والثلاثون: في الأسفار **والاغتراب.**

ويدخل في هذا الباب: الوداع والإياب وورود الكتاب وصدور «٢» الجواب.

الباب الأربعون: في تنجز الحوائج والسعي فيها والشفاعة والوعد والإنجاز والمطل.

الباب الحادي والأربعون: في الحجاب متيسره ومتعسره.

الباب الثاني والأربعون: في الحيل والخدع «٣» المتوصل بها إلى نجح المقاصد والمطالب.." (١)

"أذل الحياة وعز الممات ... وكلا أراه طعاما وبيلا

فإن لم يكن غير إحداهما ... فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل. وينظر هذا الشعر إلى قول حكيم: الموت في قوة وعز خير من الموت في ذل وعجز.

[٦٦٥]- قيل: أشياء ليس لها ثبات ولا تواصل ولا بقاء: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير.

[٦٦٦]- قيل: من ابتلي بمرض في جسده، أو بفراق أحبته وإخوانه، أو **بالغربة** حيث لا يعرف مبيتا ولا مظلا ولا يرجو إيابا، أو بفاقة تضطره إلى المسألة، فالحياة له موت والموت له راحة.

[٦٦٧]- قال عبد الله «١» بن سالم: رأيت بالأنبار رجلا من الصابئين، وهم «٢» لا يؤمنون بعقاب ولا حساب، فلم أر رجلا أعقل ولا أزهد منه، فقلت له: فيم هذا الزهد وأنت لا ترجو ثوابا ولا تخشى عقابا؟ قال: لا أتنعم «٣» منها لأنني لا أراني أصيب من الدنيا شيئا إلا دعاني إلى أكثر منه، فلما رأيت ذلك تنعمت بقطع الأسباب بيني وبينها.

[٦٦٨]- قال بعض الزهاد: من عمل بالعافية في من دونه رزق العافية

---

[٦٦٥] قارن بما ورد في مختار الحكم: ٢٥٩ من أقوال بطليموس؛ والقول نفسه في كليلة ودمنة: ١٧٦ وكتاب الآداب: ٥٤ والحكمة الخالدة: ٧٨ والأدب الصغير: ٣٧ وعيون الأخبار ٣:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٨/١

١٦٩ وأمثال الماوردي: ٩٦ ب- ٩٧/أوتسهيل النظر: ١٨٤- ١٨٥ (ستة أشياء لا ثبات لها) ومحاضرات الراغب ٢: ٧٠٤ والصداقة والصديق: ٣٣٩.

[٦٦٨] البصائر ١: ١٦ (للحسن البصري) والبيان والتبيين ٣: ١٩٠ وبهجة المجالس ١: ٣٨٤.-." [١]

"(٢) وإذا رأيت السلطان يجعلك أخا فاجعله أبا، وإن زادك فزده.

(٣) وإن استطعت أن تجعل صحبتك منهم لمن قد عرفك قبل ولايته بصالح مروءتك فافعل، فإن الوالي لا علم له بالناس إلا ما كان علم قبل ولايته، فأما إذا ولي فكل الناس يحرص على أن يلقاه بالتزيين والتصنع له، وكلهم يحتال لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه، غير أن الأنذال والأرذال أشد له تصنعا وعليه مثابرة وفيه تمحلا، فلا يمتنع الوالي وإن كان بليغ الرأي والنظر من أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأخيار، وكثير من الخونة بمنزلة الأمناء، وكثير من الغدرة بمنزلة الأوفياء، ويغطى عنه كثير من أهل الفضل الذين يصونون أنفسهم عن التصنع والتمحل.

(٤) إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعتزل عنده كلام الملق، ولا تكثر الدعاء له في كل كلمة، فإن ذلك يشبه حال الوحشة **والغربة**، إلا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما وقره وعظمه.

(٥) إذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى، فإن الرأي يقبله منك العدو، والهوى يرده عليك الصديق.

(٦) تبصر ما في الوالي من الأخلاق التي تحب وتكره وترضى ولا

. (٢) الأدب الكبير: ٥٤ ونثر الدر ٤: ٨١ والحكمة الخالدة: ٢٩٩ وتحفة الوزراء: ٢٦ والأسد والغواص: ٥٨ وكتاب الآداب: ٢٨ والمستطرف ١: ٨٩ وقارن بقول لابن المعتز في الوافي بالوفيات ١٧: ٤٥١.

(٣) الأدب الكبير: ٥٥.

(٤) الأدب الكبير: ٦٥ والبصائر ٤: ٢٢٤ وبهجة المجالس ١: ٣٢٤ وشرح النهج ١٧: ٧٦ ونهاية الأرب ٦: ١٤٣ وما بعدها.

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٦٣/١

(٥) الأدب الكبير: ٥٦.

(٦) الأدب الكبير: ٥٦- ٥٧.." [1]

"إجابتها.

(٣١) إذا كنت في جماعة قوم فلا تعمن جيلا من الناس ولا أمة من الأمم بشتم ولا ذم، فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك، ولا تذمن مع ذلك اسما من أسماء الرجال والنساء تقول: إن هذا لقبيح من الأسماء، إذا كنت لا تدري لعل ذلك يوافق لبعض جلسائك بعض أسماء الأهلين والحرم، ولا تستصغرن من هذا كله شيئا، فكله يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد.

[١٠٢٠]- وصى محمد بن علي بن الحسين بعض أصحابه وهو يريد سفرا، فقال: لا تسيرن سيرا وأنت حاقن، ولا تنزلن عن دابة ليلا لقضاء حاجة إلا ورجلك في خف، ولا تبولن في نفق، ولا تذوقن بقلة ولا تشمها حتى تعلم ما هي، ولا تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه، واحذر من تعرف، ولا تصحب من لا تعرف. تعلموا العلم فإن تعلمه جنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعظيمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار الجنة، وأنس من الوحشة، وصاحب في **الغربة**، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، وزين عند الاخلاء، وسلاح على الأعداء، ويرفع الله به قوما ليجعلهم في الخير أئمة يقتدى بفعالهم وتقتص آثارهم، ويصلي عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

[١٠٢١]- ومن كلامه: صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودتك للمؤمن، ولا تجاوز صدقاتك إلى كافر.

[١٠٢٢]- وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم: بلغني أنك قد لهجت

[١٠٢٢] ربيع الابرار: ٣٨٠/أوالعقد ٥: ٢٨١ وأنساب الأشراف ٤/١: ٢٢ ومجالس ثعلب: ٤١١." [2]

"وما قطع الرجاء بمثل يأس ... تبادهه القلوب على اغترار

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم، فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم، فوقف بهم بين **الغربة** ونأي الرجعة، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة، فأذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة، فملكهم حتى مات حتف أنفه. فأطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه يقول:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٣٣/١

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٤/١

[من الطويل] .

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الانسان إلا ليعلما

وأمر إسحاق بالخروج ثم دعا بأبي مسلم، فلما دخل إليه نظر إليه وقال: [من الوافر] .

قد اكتنفتك خلات ثلاث ... جلبن عليك محذور الحمام

خلافك وامتنانك يزدهيني «١» ... وقودك للجماهير العظام

ثم وثب إليه ووثب حشمه بالسيوف، فلما رآهم أبو مسلم وثب، فبدره المنصور فضربه ضربة طرحه «٢» ثم قال: [من السريع] .

اشرب بكأس كنت تسقي بها ... أمر في الحلق من العلقم

زعمت أن الدين لا يقتضى ... كذبت فاستوف أبا مجرم

ثم أمر فحز رأسه وبعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه، فجالوا جولة ساعة ثم ردعهم عن شغبهم انقطاعهم عن بلادهم وإحاطة الأعداء بهم، فذلوا وسلموا له، وكان إسحاق إذا رأى المنصور قال: [من الوافر] .

وما أحذو لك الأمثال إلا ... لتحذو إن حذوت على مثال." (١)

"على الطعام، فدعا أشعب في شهر رمضان كي يفطر عنده، فقدمت إليه في أول ليلة مصلية [١] معقودة، وكانت تعجبه، فجعل أشعب يمعن فيها وزياد يلمحه، فلما فرغوا من الأكل قال زياد: ما أظن أن لأهل السجن إماما يصلي بهم في هذا الشهر، فليصل بهم أشعب، فقال أشعب: أو غير ذلك أصلحك الله، قال: وما هو؟ قال: أحلف أني لا أذوق مصلية أبدا، فخجل زياد وتغافل عنه.

٩٦٦- قال ابن باذشاه: كان عندنا بأصفهان رجل أعمى يطوف ويسأل، فأعطاه مرة إنسان رغيفا فدعا له وقال: أحسن الله إليك، وبارك عليك، وجزاك خيرا، ورد غربتك؛ فقال له الرجل: ولم ذكرت الغربة؟ قال: لأن لي ها هنا عشرين سنة ما ناولني أحد رغيفا صحيحا.

«٩٦٧» - كانت بالمدينة جارية يقال لها بصبص، مغنية يجتمع الأشراف عند مولاها لسماع غنائها، فاجتمع عندها يوما محمد بن عيسى الجعفري وعبد الله بن مصعب الزبيري [٢] في جماعة من أشراف المدينة، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت بصبص: أنا آخذ لكم منه درهما فقال لها مولاها: أنت حرة إن لم أشتر لك مخنقة بمائة دينار إن فعلت هذا، وأشتري لك مع هذا ثوب وشي بمائة دينار، وأجعل لك

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤١٨/١

مجلسا بالعقيق أنحر فيه بدنة لم تركب ولم تقتب، قالت: فجيء به وارفع الغيرة عني قال: أنت حرة إن منعتك منه ولو رأيته قد رفع رجليك ولأعاوننه على ذلك إذا حصلت منه الدرهم، فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم [٣] به، قال عبد الله: فصليت الغداة في مسجد

---

[١] م: بصلية. (وفي بعض المصادر: مضيرة) .

[٢] ع: الزهري.

[٣] م: آتيكم.." (١)

"الفصل الثاني الولاية

«٤٠٣» - تهنئة بخلافة: فإن أولى النعم بالدوام، وأرجاها للبقاء والتمام، وأجدرها بالخلود، وأقربها إلى المزيد، وأحراها بالسلامة على نوب الأيام وتصاريف الأحداث، نعمة نشأت بفنائه، وسكنت ذراه، فحمدت مثواه، وساسها أولياؤها بحسن المجاورة وكرم المصاحبة، سياسة الحاني الشفيق، وكفلوها كفالة الحدب الرفيق، فزكت ونمت، وخصت وعمت، ثم اعترضها من ريب الزمان ما هاج سواكنها، وأزعج كوامنها، وأصارها إلى الوحشة بعد الأنس، والنفرة بعد الإلف، تتقلقل تقلقل العوادي، وتشرد شرود الضوال، لافظة لها الأقطار، ونابية بها المحال، إلى أن أعادها الله تعالى بلطفه إلى معانها [١] المعروف، وربعها المألوف، واستقرت بعد الاضطراب، وفاءت بعد **الاغتراب**، وتلك نعمة الله عند سيدنا أمير المؤمنين، بما جدده له من كرامته، واصطفاه من خلافته، وطوقه إياه من أمانته، ورده إليه من تدبير الملك، واعتمد عليه من سياسة الأنام، فأحيا به السنن القاصرة، وأزال به الرسوم الجائرة، ونهج به سبل العدل، وأقام به منار [٢] الفضل.

---

[١] م: مظانها؛ نهاية الأرب: مغناها.

[٢] م: منازل.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧٤/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٥٦/٤

"الرياسات. فالحمد لله على أن جعله لها نصابا تستقر فيه، وملاذا تعتصم به، وكفؤا كريما تؤثره ولا تفركه، وتأوي إليه ولا تنشز عنه. وعرفه الله بركة مقدمها بعد **الاغتراب**، واستيطانها بعد التقلب والاضطراب، ولا أعدمه النهوض بأعبائها، ولا عرى مناكبه من ردائها، وأعانه فيها على اكتساب المكارم، وادخار المثاوب، مشتملا عليها حائزا، ومستبدا بها فائزا، ليكون فناؤه [١]- عمره الله- سوقا لبضائعها، وأيامه- أطالها الله- موسما لوفودها، فيسعد بعاجل ثمرها وجناها، ويحظى بآجل ذكرها وثناها، بمنه.

٤١٤- سعيد بن حميد: النعمة فيك أجل من أن يقضى حقها بالقول دون الاجتهاد في كل ما يرضي الله عز وجل من الفعل. ولكن الله جعل تقديم الحمد عند المنعم عليه علامة من علامات الشكر، وفرقا بين العالم بالحق والجاهل به [٢] . والحمد لله رب العالمين حمد معترف لله بأن أقصى ما يبلغه من الشكر مقصر عن أداء ما تطول به من نعمه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله صلاة تبقى بعد موت قائلها، ويتصل على طول الأيام تتابعها، وأسأل الله الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير أن يتولاك بالتوفيق للشكر [٣] ، فإن كل نعمة خلت من الشكر فإن اسم البلية أولى بها، وأن يمدك بالمزيد، ويحرسك من الغير، ويحسن لك العواقب، ويبسط يدك ولسانك بأجمل القول والفعل، فإن أولى الدعاء بالإجابة دعاء خرج من نية صادقة وطوية صحيحة، والله يعلم كيف النية لك، والشكر لسالف بلائك، والعلم بفضلك على كثير من أهل دهرك بل على من تقدمهم من أهل الدهور المذكورة بالخير، الموصوفة بالفضل.

٤١٥- كاتب [٤] آخر: لو أمسكت عن التهنئة بما جدده الله من هذه النعمة

---

[١] م: قياده.

[٢] من علامات ... والجاهل به: سقط من م.

[٣] ب: لشكره.

[٤] م: كتاب.." (١)

"الذين كانوا من قبلكم في الأرض قاطنين، وعلى مهاد الخفض مستوطنين، وبعهود الأيام واثقين، وإلى غايات الأماني سابقين، ممن تبوأ عرعرة دهر أصبحتم بحضيضه، وتملى صفو زمان جاد عليكم بقروضه، حتى إذا استحكمت فيهم طماعية التخليد، واستولت عليهم رفاهية التمهيد، وقادوا الخليقة بأزمة

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٦٠/٤

الرغب والرهب، وسارت بهم الدنيا مسير التقريب والخبب، وعموا عن مناصب أشراك جدها في مراعي اللعب، ولهوا عما يدل عليه الاعتبار فيها من سوء المنقلب، رغا في وسط ديارهم سقب العطب، وأعدى فيهم الهلاك إعداء الجرب، وأوقعت بهم المنون إيقاع الغضب، وأدت إليكم الأيام من أخبارهم أنواع العجب، سحبت عليهم الهوج أذيال نقائمها، وحلبت عليهم المنون سجال غمائمها، فأضحوا رهائن أجداث موصدة، وودائع قبور ملحدة، ذهبوا والله فلم يرجعوا، وندبوا فلم يسمعوا، وأزعجوا فلم يمنعوا، واستضيموا فلم يدفعوا، أتراهم رضوا بدار الغربة دار ا، أم آثروا قرار الوحشة قرارا؟ لا والله ما اختاروا فرقة الأحباب، والكون تحت أطباق التراب، ولكن صال عليهم القضاء فأطرقوا، وطال عليهم العفاء فأخلقوا، واتفقت عليهم الحادثات فتفرقوا، وأعنقت إليهم المثلات فتمزقوا، فليت شعري ماذا قيل لهم وماذا لقوا؟ أسعدوا بمكتسبهم في الآخرة أم شقوا؟ فهلم عباد الله إلى محاسبة النفوس، قبل مواثبة النحوس، ومقارنة الرموس، ومعاينة اليوم العبوس، يوم غض الرؤوس، وفض الطروس، والفحص عن المحسوس والملموس، بين يدي الملك القدوس يوم تشقق السماء بالغمام، ونزل الملائكة تنزيلا

(الفرقان:

٢٥) يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا

(المزمل: ١٤) يوم ندعوا كل أناس بإمامهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا

(الإسراء: ٧١) يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا

(الإسراء: ٥٢) . طيبنا الله وإياكم بطيب كتابه، وأدبنا وإياكم بآدابه، ووفقنا وإياكم للأخذ بصوابه، ووفقنا وإياكم عند ما." (١)

"رسالة هي من أسلمها. وللبديع والحريري مع تبريز هما أبدا صريحهما عن الرغوة، وإعلانهما بالاختلاف والغربة، فوضعا حكايات مفعولة، عن أسماء مجهولة، أبانا بها عن فضائل ليست بمفضولة. نسأل الله السلامة من موبق الضلال والمين، وأن يكشف عن بصائرنا غياهب الهوى والرين.

[٧٤٢]- رسالة كتبها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إلى مويس بن عمران:

زينك الله بالتقوى، وكفاك ما أهمك من أمر الآخرة والدنيا، وأعزك بالقناعة، وختم لك بالسعادة، وجعلك من الشاكرين. من عاقب- أبقاك الله- على الصغير بعقوبة الكبير، وعلى الهفوة بعقوبة الإصرار، وعلى

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦/٢٩٨

الخطأ بعقوبة العمد، وعلى معصية المقلين، فقد تناهى في الظلم. ومن لم يفرق بين الأعالي والأسافل، وبين الأقاصي والأداني، عاقب على الزنا بعقوبة السرق، وعلى القتل بعقوبة القذف.

ومن خرج إلى ذلك في باب العقاب، خرج إلى مثله في باب الثواب. ولا أعلم نارا أبلغ في إحر١ق اهلها من نار الغيظ، ولا حركة أنقض لقوى الأبدان من طلب الطوائل، ولا أعظم خسرانا، ولا أخف ميزانا، من عداوة العاقل العالم، وإطلاق لسان الجليس المداخل. والشعار دون الدثار، والخاص دون العام. والطالب- جعلت فداك- بغرض ظفر ما لم يخرج المطلوب الجبان، وما لم تقع المنازلة «١» .

---

[٧٤٢] مويس بن عمران: كان من اصحاب النظام، ذكره الجاحظ في مؤلفاته فوصفه في البخلاء: ٦٣ بالسخاء وقال في الحيوان (٥: ٤٦٨) كان هو والكذب لا يأخذان في طريق؛ وانظر أيضا البخلاء: ٢٦٢ (ففيه تعريف به) ومواطن أخرى في الحيوان، ورسائل الجاحظ ٢: ٢٧٨.

وقد أورد التوحيدي في البصائر ٩: ١٢٣ (رقم: ٣٩٤) رسالة وجهها مويس إلى الجاحظ يدعوه فيها الى طعام، فكتب إليه الجاحظ: مجلسك المجلس الذي يمنع المصر من التوبة، وينقض عزمة الاواه الحليم، وأنا علة من قرني إلى قدمي من حملي على نفسي ما ليس من عادتها، فهب لي نفسي هذا الاسبوع ثم انا بين يديك تقتادني حيث شئت، فعلت إن شاء الله.." (١)

"لقيت «١» أبا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء، فسألته عن خطبه، وأين «٢» يسرب مع سربه. فأومأ إلى امرأة منهن باهرة «٣» السفور، ظاهرة النفور، وقال:

تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة، وترحض «٤» عني قشف «٥» العزبة، فلقيت منها عرق القربة «٦» ، تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي، فأنا منها نضو وجى «٧» ، وحلف شجو وشجى، وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم، فإن انتظم بيننا الوفاق، وإلا فالطلاق والانطلاق.

قال: فملت إلى أن أخبر لمن الغلب، وكيف يكون المنقلب، فجعلت شغلي دبر أذني «٨» ، وصحبتهما وإن كنت لا أغني «٩» .

فلما حضرا القاضي، وكان ممن يرى فضل الإمساك «١٠» ، ويضن بنفاثة السواك، جثا أبو زيد بين يديه وقال: أيد الله القاضي وأحسن إليه، إن مطيتي هذه أبية القياد، كثيرة الشراد؛ مع أني أطوع لها من بنانها،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦/٣٨١

وأجنى عليها من جنانها، فقال لها القاضي: ويحك! أما علمت أن النشوز يغضب الرب، ويوجب الضرب؟ فقالت: إنه ممن يدور خلف الدار، ويأخذ الجار بالجار «١١» .." (١)

"«١٣٤٢» - غسان: ماء بالسليل، من نزل عليه من الأزد قيل له غساني.

«١٣٤٣» - وبارق: جبل، من نزله من الأزد قيل له بارقي.

١٣٤٤- جذيمة بن عوف الأنماري: ضربه أثال بن لجيم فجذمه، فسمي جذيمة، وضرب هو أثالا فحنف رجله فسمي حنيفة، قال: [من الوافر]

إن تك خنصري بانت فإني ... بها حنفت حاملتي أثال

«١٣٤٥» - غلبة قريش على مكة: مات كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب وابنه قصي صغير، فتزوجت أمه فاطمة بنت سعد من ربيعة بن حزام العذري، فولدت له رزاحا ومحمودا وحيا وجلهمة. وكان قصي لا يعرف أبا غير ربيعة حتى كان بينه وبين رجل من غسان شيء، فعيره الرجل **بالغربة**، فرجع إلى أمه فسألها فقالت: صدق ما أنت منهم بل أنت أفضل منهم، أنت ابن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب، وقومك عند بيت الله الحرام. فأزمع قصي أن يلحق بقومه، وطلبت إليه أمه أن يؤخر ذلك إلى حين خروج الحاج، فخرج مع حاج قضاعة، وكان رجلا جلدا أديبا ع١قلا جوادا، فخطب إلى الخليل بن حبشة الخزاعي ابنته حية، وخزاعة يومئذ بمكة ولهم حجابة البيت، فزوجه فولدت له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصي.

ولما هلك الخليل، رأى قصي أنه أحق بولاية البيت وأنه بيت آبائه. فكلم من لقي من قريش ودعاهم إلى إخراج خزاعة، وقال: قوم طروا عليكم من أهل اليمن فغلبوا أوليتكم على مسجدهم، فأنتم أحق أن يكون في أيديكم، فقالوا: إن خزاعة لها عدد وعدة، ولا نجدة لنا، وإخواننا من كنانة حلفاؤهم وأنصارهم؛ فإن تابعونا فقد هلك القوم. فمشى في كنانة وغيرهم، فكتب إلى رزاح بن ربيعة." (٢)

"«١٨»

- ويشبه ذلك قول عروة بن الورد: [من الوافر]

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وان أمسى له حسب وخير

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٢٣/٦

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧٤/٧

ويقضيه الدني وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

وتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغنى رب غفور

١٨٧ ب- ورأى أنو شروان فقيرا جاهلا فقال: بئس ما اجتمع على هذا، فقر ينغص دنياه وجهل يفسد آخرته.

١٨٨- وقال آخر: نعم أخو الشريف درهمه: يغنيه عن اللئام ويتجمل به في الكرام.

١٨٩- وقال آخر: الفقير في الأهل مصروم، والغني في **الغربة** موصول.

١٩٠- قيل لرجل مستهتر بجمع المال: ما هذا كله؟ قال: إنما أجمعه لروعة الزمان، وجفوة السلطان، وتخلي الإخوان، ودفع الأحزان.

١٩١- قال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة، فسأله سائل فلم يكن معه ما يعطيه فبكى. فقلت له: وما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيرا فلا يصيبه منك.

١٩٢- قال سعيد بن عبد العزيز: ما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر.

«١٩٣» - وكان العياشي [١] يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع

---

[١] م والمستطرف: العباس.." (١)

"السلم إلى الغنى طاعة الله وتلا: ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم

(المائدة: ٦٦) ، وقوله:

استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين

(نوح: ١٠- ١٢) .

٢٢١- وقال حكيم لابنه: اطلب المال فإنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك.

«٢٢٢» - وقال آخر لابنه: أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩١/٨

٢٢٣- وقالوا: يجمع المال فيصان به العرض، وتحمى به المروءة، وتوصل به الرحم.

٢٢٤- وقال عبد الرحمن بن عوف: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

٢٢٥- وقال سفيان الثوري: صلاح المؤمن في هذا الزمان المال.

٢٢٦- قال حكيم: لا توحشنك **الغربة** إذا أنست بالكفاية.

٢٢٦ ب- الغنى أنس الأوطان.

٢٢٦ ج- لا تفزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار.

[المال والحرص]

٢٢٧- ذكر عند سعيد بن المسيب المال وحرص الناس عليه، فقال سعيد:

لا خير في من لا يحب المال، أقضي به ديني، وأصل به رحمي، وأتقرب به إلى ربي عز وجل، وأستعين به على معاشي وأكف به وجهي.

«٢٢٨» - وكان عروة بن الورد العبسي موسرا، وكان له ابن عم معسر، وكانا يسكنان الأردن وكان عروة كثيرا ما يعطف عليه ويبره، وكان ذاك." (١)

"الباب التاسع والثلاثون ما جاء في الأسفار **والاغتراب**." (٢)

"(الباب التاسع والثلاثون ما جاء في الأسفار **والاغتراب**، وينضم إلى المعنى ما قيل في الوداع والمسرة بالإياب، وورود الكتاب واصدار الجواب)

[آيات وأحاديث]

في قوله عز وجل: هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه (الملك: ١٥) ، باعث على طلب الرزق والأسفار.

«٢٩٢» - وفي الأثر: سافروا تغنموا.

«٢٩٣» - وجاء فيه أيضا: السفر قطعة من العذاب، ولكل منهما موضع، فالغنيمة بما فيه من ربح التجارات وحصول التجارب وغير ذلك من فوائد لا توجد في المقام، والعذاب بالعناء ومشقة الأجساد والإعياء.

«٢٩٤» - وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفرا قال: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨/٩٨

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨/١١٣

في الأهل، اللهم أصحبنا بنصح، وأقبلنا بنجح، اللهم ازو لنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب.

٢٩٥- وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: الغنى في **الغربة** وطن، والفقر في الوطن غربة.

وفي هذا الكلام حث على السفر عند الضرورة.." (١)

"[أقوال الحكماء]

٢٩٦- قال محمد بن سيرين: ثلاثة ليس معها غربة: حسن الآداب، وكف الأذى، ومجانبة الريب.

٢٩٧- وقال بزرجمهر: يستحب من الخريف الخصب، ومن الربيع الزهر، ومن الجارية الملاحة، ومن الغلام الكيس، ومن الغريب الانقباض.

«٢٩٨» - قيل: السفر ميزان الأخلاق. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرجل الذي وصف عنده آخر: أعاملته أو سافرت معه؟

٢٩٩- قيل لرجل أراد السفر: تموت في **الغربة**، قال: ليس بين الموت في الوطن والموت في **الغربة** فرق، لأن الطريق إلى الآخرة واحد.

«٣٠٠» - قال عروة بن الورد العبسي: [من الوافر]

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

وهي أبيات قد كتبت في باب الغنى والفقر لأنها به أليق. وكان عروة بن الورد كثير **الاغتراب** والارتكاض، ضاربا في الأرض حرصا على الغنى. وكان شجاعا فاتكا كريما جوادا، يجمع الصعاليك ويغير بهم على العرب. وله أخبار ترد في موضع١ من هذا الكتاب. وكان يسمى عروة الصعاليك لفعله هذا ولا يزداد بتردد أسفاره وتوالي غاراته إلا فقرا، ولا يزداد الغنى منه إلا بعدا.

وكان عبد الله بن جعفر ينهى معلم ولده أن يرويهم أبيات عروة هذه، ويقول:

هي تدعوهم إلى **الاغتراب** عن أوطانهم.

وكان عروة مغرى بالأسفار كثير الحض عليها، وله في ذلك شعر كثير، فمن ذلك قوله: [من الطويل]

دعيني أطوف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي الحق محمل." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١١٦/٨

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١١٧/٨

"أليس عظيما أن تلم ملمة ... وليس علينا في الحقوق معول

وقوله: [من الطويل]

أرى أم حسان الغداة تلومني ... تخوفني الأعداء والنفس أخوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنا ... يصادفه في أهله المتخلف

إذا قلت قد جاء الغنى حال دونه ... أبو صبية يشكو المفاقر أعجف

له خلة لا يدخل الحق دونها ... كريم أصابته حوادث تجرف

تقول سليمى لو أقمت لسرنا ... ولم تدر أني للمقام أطوف

وقوله: [من الطويل]

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي ... وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوما إلى رب هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

[أشعار في السفر **والاغتراب**]

«٣٠١» - قيس بن الخطيم: [من الوافر]

ولم أر كامرىء يدنو لضيم ... له في الأرض سير والتواء

وما بعض الاقامة في ديار ... يهان بها الفتى إلا عناء

«٣٠٢» - وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي: [من الكامل]

احذر محل السوء لا تحلل به ... وإذا نبا بك منزل فتحول

دار الهوان لمن رآها داره ... أفراحل عنها كمن لم يرحل

«٣٠٣» - الفرزدق: [من الطويل]

وفي الأرض عن دار القلى متحول ... وكل بلاد أوطئت كبلادي." (١)

"الأسد. فتبسم عبد الله وقال: كيف كنت بعدي؟ قال: إليك مشتاقا، وعلى الزمان عاتبا، ومن الناس مستوحشا؛ فأما الشوق إليك فلفضلك، وأما العتب على الزمان فلمنعه منك، وأما الاستيحاش من الناس فإني لا أراهم بعدك.

فاحتبسه، فلما حضر الشراب سقاه بيده فقال: [من البسيط]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١١٨/٨

نادمت حرا كأن البدر غرته ... معظما سيدا قد أحرز المهلا

فعلني برحيق الراح راحته ... فملت سكرا وشكرا للذي فعلا

[الحركة ولود والسكون عاقر]

«٣٤٩» – أبو هريرة يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر. إن الله بالمسافر رحيم.

«٣٥٠» – لما خرج يوسف عليه السلام من الجب واشتري، قال لهم قائل:

استوصوا بهذا الغريب خيرا، فقال لهم يوسف: من كان مع الله فليس عليه غربة.

«٣٥١» – وقالوا: الحركة ولود والسكون عاقر.

«٣٥٢» – وقالت الفرس: وجدنا في مهارقنا القديمة: إذا لم يساعد الجد فالحركة خذلان.

«٣٥٣» – قالت قريبة الأعرابية: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذل.

«٣٥٤» – أعرابي: لا يغني المخلب ما دام في المقنب.

«٣٥٥» – حكيم: لا توحشنك **الغربة** إذا أنستك الكفاية.." (١)

"[أقوال للأعراب]

«٣٥٦» – قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

٣٥٧– إن أعانتك **الغربة** على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن.

«٣٥٨» – يقال للرجل المسفار: خليفة الخضر.

قال أبو تمام: [من البسيط]

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس أوطاني

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

«٣٥٩» – قيل لأعرابي: إنك لتبعد السفر، قال: رأيت ما في أيدي الناس أبعد مما في السفر.

«٣٦٠» – قيل لابن الأعرابي: لم سمي السفر سفرا؟ قال: لأنه يسفر عن أخلاق القوم، أي يكشف.

«٣٦١» – قال علي عليه السلام: ست من المروءة: ثلاث في الحضر وثلاث في السفر. فأما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله، وأما اللاتي في السفر: فبذل الزاد،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨/١٣٠

وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله.

«٣٦٢» - أغار حذيفة بن بدر على هجائن المنذر، وسار في ليلة مسيرة ثمان، فضرب بمسيره المثل فقيل: سار فلان مسير حذيفة.

«٣٦٣» - قال قيس بن الخطيم: [من الوافر]." (١)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٣١/٨

أقوال الحكماء ١١٧

أشعار في السفر والاغتراب ١١٨

أخبار عبد الله بن أبي معقل الأوسي ١٢٤

أخبار أبي محلم الشاعر ١٢٥." (١)

"إني امرؤ من قطن بن دارم ... طلبت ديني من أخي مكارم

إذ ننتجي والله غير نائم ... عند أبي يحيى وعند سالم

وقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، عندي لهذا البدوي شهادة عليك، فقال:

أعرفها، ادن يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئا إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية من الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة. والله ما رزأت من أموال الناس شيئا، ولا عندي إلا ألفا درهم فخذ نصفها، قال: فو الله ما رأيت ألفا كانت أعظم بركة منها.

«٤٦١» - سفه مروان بن أبي الجنوب على علي بن الجهم بحضرة المتوكل وهجاه بأشعار سخيفة باردة فلم يجبه، ثم قال فيما بعد: [من الوافر]

بلاء ليس يشبهه بلاء ... عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه ... ويرتع منك في عرض مصون

«٤٦٢» - شاعر: [من الطويل]

تجاف عن الأعداء بقيا فربما ... كفيت ولم تجرح بناب ولا ظفر

ولا تبر منهم كل عود تخافه ... فإن الأعادي ينبتون مع الدهر

إذا أنت أفنيت النبيه من العدى ... رمتك الليالي عن يد الخامل الذكر

وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى ... فكيف بمن يرميك من حيث لا تدري

«٤٦٣» - العرب تقول: خفة الظهر أحد اليسارين، والغربة أحد السباءين واللبن أحد اللحمين، وتعجيل اليأس أحد اليسرين، والشعر أحد الوجهين، والراوية أحد الهاجيين، والحمية أحد الموتين.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٨/٤٠٩

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٢٣٩

"أسائل عن حالي، يرعوي بمنظري حبيبي، هذا في هواك قليل سأصبر، حتى يرعوي، ويرق لي وينهج من طرق الوصال سبيل.

لما ورد الوزير المهلبي البصرة وجد على حائط البيت الذي فيه مكتوبا: [الطويل]

أحن إلى بغداد شوقا وإنما ... أحن إلى ألف بهالي شائق

مقيم بأرض سرت عنها وبدعة ... إقامة معشوق ورحلة عاشق

يقال إن عبد الشهوة أذل من عبد الرق، وجد على قصر معز الدولة الذي بناه بالشماسية من بغداد، واليوم يسمى آثار القصر مسناه الدار **الغربة** على شاطئ دجلة، مقابل جامع القطيعة، مكتوبا حضر فلان بن فلان الجروي في سماط الملك معز الدولة، والدنيا عليه مقبلة، وهيئة الملك عليه مشتملة، ثم عدت في سنة اثنين وستين وثلاثمائة فرأيت ما يعتبر به اللبيب، ويفتكر فيه الأريب وقلت هذه الأبيات: [الخفيف]

عين بكى للقصر قصر معز الدولة ... المؤنق العجيب البناء

قد خلا بعد عز ة وجمال ... وعفا بعد رونق وبهاء

لو تبقى على الحوادث شيء ... ليقي ملكه من الأشياء

كل أمر وإن تطاول أو دام ... إلى نقلة وحال انقضاء

عبر أبي فإنه ليس يغني ... ذو الأيادي والطول والآلاء

قال الأصمعي قال لبعض العرب خرجي في بعض الليالي المظلمة، وإذا بجارية كأنها صنم فراودتها عن نفسها، فقلت يا هذا أمالك زاجر من عقل، غذ لم يكن واعظ من دين؟ فقلت، والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت، ويحك فأين أنت من مكوكبها؟ فأخجلني كلامها فقلت لها غني كنت أمزح، فقالت.

إياك المزاح فإنه يجرئ ... عليك الطفل، والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد وضائه ... ويورث بعد العز صاحبه ذلا

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، امنعوا الناس من المزاح تسلم لكم الأعراض، وقد قال بعض الشعراء: [الكامل]

مازح أخالك إذا أردت مزاحا ... وثوق منه في المزاح جماحا
ولربما مزح الصديق بمزحة ... كانت لباب عداوة مفتاحا
وقد أحسن محمود الوراق: [الكامل]

تلقى الفتى يلقى أخاه وخذنه ... في لحن منطقة بما لا يغفر
ويقول كنت ممازحا وملاعبا ... هيهات نارك في الحشا تتسعر
ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا ... عما به وفؤاده يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب ... إن المزاح هو السباب الأصغر
قال المنكدر، قالت لي أمي، وكانت أدركت النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم، وقال سعيد بن العاص لا تمازح الشريف فيحقد عليك، وقال بعضهم، ولا الدنيء فيجترئ عليك، وقال بعض الحكماء إياكم، والمزاح فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الندامة، ويذوي بالمروءة قال مسعر بن كدام لابنه: [الكامل]

ولقد نصحتك يا كدام نصيحة ... فاسمع لقول أب عليك شفيق
إن المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... كمجاور جارا ولا لرفيق
اجتمع عبد الله بن طاهر مع ندمائه على رياض في أيام الربيع، فقال ليقل كل واحد منكم في هذا شيئا، فقال أحدهم: [الطويل]

شموس وأقمار من الزهر طلع ... لدى اللهو في أكتافها متمتع
فقال الآخر: [الطويل]

نشاوى تثنيها الرياح فتثني ... فيلثم بعض بعضها حين ترجع
فقال الثالث: [الطويل]

كأن عليها من مجاجة ريقها ... لآليء إلا أنها هي ألمع

يقال إن ثلاثة يفسدون المروءة المنية، والحرص، والغضب.

تذكرة من التاريخ

ولد نبينا صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول، بعد قدوم الفيل بخمسين يوما، وذلك لعشرين يوما مضت من نيسان، سنة اثنين وثمانين وثمانمائة لدى القرنين، وبعثه الله سبحانه يوم الاثنين، لثلاث بقين من رجب، وقد مضى من عمره أربعون سنة، وكانت هجرته من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، مستهل شهر ربيع الأول، فأقام في الطريق ثمانية أيام، ودخل المدينة يوم الاثنين، وذلك لعشرين يوما مضت من أيلول.." (١)

"وحكي أنه دخل عقال بن شبة على هشام بن عبد الملك، فأراد أن يقبل يده فمنعه، وقال: لا تفعل، فإنه لا يفعل هكذا من العرب إلا الهلوع، ونم العجم إلا الخنوع.

وقال العتبي: استأذن رجل مروان الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال إنها من العرب ذلة، ومن العجم خدعة، ولا حاجة لي أن تذل لي أو تخدعني.

وقيل أنه دخل عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي، على أبي العباس في أول وفد، وفد من المدينة، فأمروا بتقبيل يده فتبادرها وعمران واقف، ثم حياه بالخلافة، وذكر حيه ونسبه، ثم قال: يا أمير المؤمنين إنها والله لو كانت تزيدك رفعة، وتزيدني من الوسيلة إليك ما سبقني بها أحد، وإنك وإنى لغني عما لا أجر فيه، وعلينا فيه منعه، ثم جلس فوالله ما نقص من حظ أصحابه في كراهية التقبيل: وقد كره مالك تقبيل اليدين، حتى تقبيل العبد يد مولاه.

وقال سفيان بن عيينة رأيت أبا مسلم في حجته سنة اثنين وثلاثين ومائة، وقد قامت إليه امرأة فقالت: يا أمين آل محمد، إني أنذرت إن رأيتك أن أقبل يدل، فقال قبلي الحجر، فإنك تقضين نذرين تصيبين أجرا. وصاح به رجل يا قاتل الجائرين، فقال له: من هذا إنما ذلك الله، ثم تحفل في الحرم فتحفا الناس، فقبل له في ذلك، فقال: إني سمعت الله سبحانه يقول لموسى عليه السلام ﴿فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس﴾ [طه:١٢] وهذا الوادي أكرم من ذلك الوادي.

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٤٠

في تقبيل الرأس

قال أبو رجاء العطاردي: دخلت المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فرأيت رجلا يقبل رأس رجل، فسألت عنهما، فقيل: عمر يقبل رأس أبي بكر، ويصوبه في قتال أهل الردة، وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بين عيني جعفر بن أبي طالب لما قدم من الحبشة، وبين عيني العباس رضي الله عنهما وكان النبي عليه الصلاة والتسليم لا ينام، حتى يقبل عرض وجه فاطمة عليها السلام.

ودخل أبو بكر الصديق على عائشة وهي مضجعة محمومة، فأكب عليها فقبل خدها، وقال: كيف تجدينك يا بنية.

وقبل عليه السلام الحسن بن علي، والأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحد منهم قط، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم".

وقبل عبد الله بن عمر سالما، وهو شيخ، ويقول شيخ يقبل شيخا.

قيل: لا تجالس عدوك فيحفظ عليك عيوبك، ويمار بك في صوابك.

ولبعضهم: [الكامل]

شر العداوة ما أرتك محبة ... وطوت على البغضاء والشنآن

يأتيك صاحبها ليحفظ زلة ... وتراه زاد زيادة الأخوان

سمع أعرابي رجلا ينادي على جارية له يريد بيعها: [الطويل]

هي الجمر حرا إذا أردت حرارة ... وأضيق من سم الخياط مضيقها

وأيبس من صم الجنادل مهبلا ... وألين من خز العراق قليقها

وأظهر من يمشي على الأرض غلمة ... وأعذبهم ريقا إذا مص ريقها

وقال بعض الأدباء **الغربة** ذلة، فإن أردفتها قلة، وأعقبتها علة، فهي نفس مضمحلة.

وقال آخر لا تنهض عن وكرك، فتنتقصك **الغربة**، وتضنيك الوحدة، ويقال أن الخالي عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذي هو لكل سبع فريسة، ولكل كلب قنيصة، ولكل رام رمية.

لبعضهم: [الطويل]

وإن اغتراب المرء من غير خلة ... ولا همة تسمو لها لعجيب

وحسب الفتى ذلا وإن أدرك ... الغنى ونال ثراء أن يقال غريب

قيل للعباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: أنت أكبر، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله، وقيل الحجاج للمهلب أنا أطول منك أم أنت؟ فقال المهلب الأمير أطول مني، وأنا أبسط قامة. وقيل إنه وقف المهدي على امرأة من بني ثعل، فقال لها: ممن العجوز؟ قالت من طي، قال ما منع طيا أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟ قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها مثلك، فأعجب بقولها، ووصلها. وقدم قوم من العراق على عمر بن عبد العزيز فنظر فيهم إلى شاب يريد الكلام، فقال له عمر: الكبر ،لكبر تعني دع يتكلم أولو الأسنان، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، ليس الأمر بالسن، ولو كان كذلك تولى هذا الأمر من هو أسن منك، قال له: صدقت بارك الله فيك.." (١)

"فلا عدت إلى الغربة ... ما كر الجديدان

وإن عدت لها يوما ... فسجاني سجاني

وللموت الوحى الأح ... مر القانئ ألقاني

باب تجنيس التصريف

اعلم أن تجنيس التصريف، هو إن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف، مثل قوله تعالى: " ليكونن أهدى من إحدى الأمم "، ومثل قوله تعالى: " وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا "، وقوله تعالى: " ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون "، وقوله تعالى: " وهم ينهون عنه وينأون عنه ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الخيل معقود بنواصيها الخير ".

وقال الأعشى:

رأيت أن الشيب جا ... نبه البشاشة والبشارة

وقال آخر:

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٦٢

لله ما صنعت بنا ... تلك المحاجر في المعاجر

أمضى وأرهف في القلو ... ب من الخناجر في الحناجر." (١)

"وإذا تفتق نور شعرك ناضرا ... فالحسن بين مرصع ومصرع

ومنه:

إن بين الضلوع مني نارا ... تتلظى، فكيف لي أن أطيقا

بحياتي عليك يا من سقاني ... أرحيقا سقيتني أم حريقا

ومنه:

وعقار عيش من عا ... قرها عيش رقيق

فهي للأنس نظام ... وإلى اللهو طريق

قلت لما لاح لي من ... ها شعاع وبريق:

أشقيق، أم عقيق ... أم رحيق أم حريق

ومنه:

وقالوا: أي شيء منه أحلى ... فقلت: المقتلان المقلتان

باب تجنيس التركيب

اعلم أن تجنيس التركيب: هو إن تكون الكلمة مركبة من كلمتين، كما قال الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري، عفا الله عنه:

البابلية باب كل بلية ... فتوقين دخول ذاك الباب

ولبعضهم، وهو من المعجز الذي ليس مثله:

إن ترمك **الغربة** في معشر ... تضافروا فيك على بغضهم." (٢)

"كيف المقام بأرض لا أشد بها ... نضوى إذا ما اعترتني سورة الغضب؟

وقال آخر:

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٢٢

(٢) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٣٣

وا سوأتا لامرئ شبيبته ... في عنفوان، وماؤه خضل

وهو مقيم بأرض مضيعة ... يمنعه من طلابه الكسل

إلى متى تخدم الرجال ولا ... تخدم يوما، لأمك الهبل؟

وقال آخر: ما أشغل الحي في الدنيا بحاجته=والميت بالموت مشغول عن الحي

هون عليك فأرض الله واسعة ... والشيء يغنيك في الدنيا عن الشيء

وقال البحتري:

الأرض أوسع من دار ألظ بها ... والناس أكثر من خل أجاذبه

أعاتب الخل فيما ساء واحدة ... ثم السلام علين، لا أعاتبه

وقال أيضا:

إنني ما حللت بالأرض إلا ... كنت في أهلها المجل المفدى

وإذا القوم لم يراحوا لقرى ... كان لي عنهم مراح ومغدى

وقال أيضا:

فلا تسألن عن مضجعي ونبوه ... بأرضي وعن نومي بها وامتناعه

أراني مشتاقا وأهلي حضر ... على رأي عيني ناظر واستماعه

ومغترب المثوى وسرجي سارب ... بأودية الساجور أو بتلاعه

لفـرقة من خليت دنياي غضة ... لديه، وعزى معصما في يفاعه

وما غلبتني نية الدار عنده ... على رفده في ساحتي واصطناعه

وقال آخر: في سعة الأرض وفي عرضها مستبدل بالخل والجار

فمن دنا منك فأهلا به ... ومن تناءى فإلى النار

وقال آخر:

إذا المرء لم يحببك إلا تكرها ... فدعه، ولا يعجزك عنه التحول

وفي الأرض أكفاء وفيها مراغم ... عريض لمن خاف الهوان ومرحل

وقال آخر:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لعشت حرا

وقال إياس بن قبيصة الطائي:

فما ولدتني حاضن ربعية ... لئن أنا مالأت الهوى لا تباعها

أم تر أن الأرض رحب فسيحة ... فهل تعجزني بقعة من بقاعها؟!

قال أبو العلاء [أحمد بن عبد الله] بن سليمان [المعري] :

أقول لصاحبي إذ هام وجدا ... ببرق ليس يثبته نزوحا

متى نصبح وقد فتنا الرزايا ... نقم حتى تقول الشمس روحا

بأرض للحمامة أن تغني ... بها ولمن تأسف أن ينوحا

وقال أحمد بن محمد بن الفضل الخازن:

سقيت لمعنى حل فيك أوده ... ولولاه لم أسمح لتربك بالقطر

فإنك أرض ما وجدت بها رضى ... وحرة سوء ما تضيع سوى الحر

قد اعتل فيها كل شيء سوى الصبا ... ورق سوى الأخلاق والماء والخمر

وقلت، وأنا بمصر:

ودع أخا العزم مصرا، لا لميس، وخفض ... بالسابحات غمار المهمه البيد

وسر عن الأرض تنبو بالكرام فقد ... طال انتظار الجنى من يابس العود

وقلت:

تطامن إذا أنكرت دهرك إنما ... يفوز بخفض العيش من عاش في خفض

وكن كالذباب إن رأى الريح عاصفا ... تلاصق من خوف الأذية بالأرض

وقال البستي:

إن ترمك **الغربة** في معشر ... توافقوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

١١- فصل في ذكر الأوطان

قال إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه: "ما قاسيت فيما تركت من الدنيا أشد علي من مفارقة الأوطان".

قال الرياشي: أنشدني أعرابي:

سلم على قطن إن كنت تألفه ... سلام من كان يهوى مرة قطنا

(قطن) : جبل:

أحبه والذي أرسى قواعده ... حبا إذا ظهرت آياته بطنا

يا ليته لا نريم الدهر ساحته ... وليته

حيث سرنا غربة

معنا

ما من غريب وإن أبدى تجلده ... إلا سيذكر بعد **الغربة** الوطنا

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر:

أهيم بذكر الشرق والغرب دائما ... وما لي لا شرق البلاد ولا الغرب

ولكن أوطانا نأت وأحبة ... فقدت، متى أذكر عهودهم أصب

وما أنس من ودعت بالشط سحرة ... وقد غرد الحادون واستعجل الركب

أليفان: هذا سائر نحو غربة=وهذا مقيم سار عن جسمه القلب وقال آخر:

لا تنهرن غريبا طال غربته ... فالدهر يضربه بالذل والمحن

حسب الغريب من الدنيا ندامته=عض الأنامل من شوق إلى الوطن وقال التهامي:." (١)

"وأبلغ به أمنيته. فقلت: نعم يأبا عبد الله، انهض بنا، فنهض ونهضت والأعرابي ثالثنا، حتى دخلنا على الأمير طوق بن مالك، فسلمنا عليه، وأنشده الأعرابي:

يا طوق، إن الزمان حار بني ... وكنت في إخوة وأخوال

وفي رجال مثل البدور وفي ... قوم إلى ثروة وأموال

فلم تزل بي صروفه وبهم ... تنقل* من حالة إلى حال

فاستلب المال من يدي وعدا ... على رجالي عدو ريبال «١»

حتى دعيت «الغريب في ال ... أرض والمسكين» بعد كثرة المال

فقلت: من لي وللزمان؟ ومن ... يصدق ظني به وآمالي؟

فقيل: طوق بن مالك ملك الناس ومأوى الطريد والجالي «٢» طوق إذا عاذ واستعاذ به الملهوف أضحى

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٥٠

بموضع الوالي

فجئت يا طوق عائذا بك من ... شر الزمان وسوء أعمالي

قال: فضحك طوق، وقال: يا أعرابي، أما شر زمانك فقد بدا لنا من قبيح حالتك، فما سوء أعمالك؟ قال: أصلح الله الأمير، والعزبة «٣» **والغربة**، فقال طوق: نكد وشؤم، ثم أمر له بجائزة وجارية وخلع ودابة، وانصرف إلى أهله على أحسن حال.." (١)

"لا تعطين سلاحك لغيرك فيحاربك به.

لا تجعل للماء مساغا إليك فيغمرك، ولا للمراة دالة عليك فتركبك «١» .

ثلاثة تعييهن نفسي: الفقير المختال، والغني الكذاب، والشيخ الجهول.

وقال: بين الحجر والحجر يدخل الوتد «٢» ، وبين الشرى والبيع يدخل الإثم.

إنفاقك المال في حقه خير من دفنك إياه تحت الجدران.

سوء العيش النقلة من منزل إلى منزل.

مع **الغربة** الذلة.

لا غنى يعدل صحة البدن، ولا سرور يعدل سعة الصدر.

الرزق الواسع لمن لا يتمتع «٣» به بمنزلة طعام موضع على قبر.

المال للجاهل وبال عليه.

كد عبدك لئلا يتمرد عليك، فإن البطالة تنتج ضروبا من الشرور «٤» .

من ملك لسانه نجا من العطب.

ما كتمته عدوك فلا تخبرن به صديقك.

طاعة المحبة أفضل من طاعة الهيبة.

وقال بعض الحكماء: البلاء رديف الرخاء، والأمن حليف الخوف، وبعد العسر اليسر، وليس صفو إلا وله كدر «٥» .

وقال بعض الحكماء: الفاقة خير من غني البخيل، والمجهول عند السلطان." (٢)

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/١١٣

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٤٤٥

"فإذا موجته الرياح اضطرب-: كذلك إذا كان الجد سعيدا فدهر الانسان ساكن «١» ، فإذا شقي تموج دهره.

وقيل لسولن الحكيم: كيف تتخذ الأصدقاء؟ فقال: أن يكرموا إذا حضروا، ويحسن ذكرهم إذا غابوا.

وقيل لقيمونانس الحكيم «٢» : لم تبغض الناس كلهم؟ قال: أما الأشرار فبحق أبغضهم، وأما الباقون فلأنهم لا يبغضون الأشرار.

وقالت تابوا الحكيمة «٣» - وسئلت: أي الألوان أحسن عندك؟

قالت: الحمرة، قيل لها: ولم؟ فقالت: لأنها توجد في وجوه المستحين.

وقال بعض الملوك- وسئل: ما رأيت من نجدة أصحابك؟ فقال: لم أرهم قط سائلين عن عدد الأعداء، بل عن موضع الأعداء.

وقال الإسكندر لبعض أمراء جيوشه: احتل أن تحبب إلى العدو الهرب.

قال: أفعل، فقال له: كيف تفعل ذلك؟ قال: إذا حاربتهم صبرت، وإذا هربوا أحجمت «٤» .

وقال ذيوجانس- ورأى إنسانا يبكي لموته في **الغربة-**: أيها الفاني، لماذا تبكي؟ في كل مكان الأرض التي كانت منزلك هي قبرك!

ألفاظ أفلاطون

قال: لا تصحبوا الأشرار، فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم.

إعرف إدبار الدولة من تملك الأحداث عليها.." (١)

"أي محل لنجوم الدجى ... يبقى إذا ما جهل البدر

وله من قصيدة في الأمير مظفر بن حماد، في الحث على السفر والمخلص:

ومعنف في المجد يحرق نابه ... متخمط في عذله متنمر

قال: اتخذت **الإغتراب** مطية ... فارفق بنفسك من سفارك واحضر

فأجبته: إن الهلال بسيره ... بدر، ولولا سيره لم يقمر

دع عنك لومي، إن عزمي والسرى ... أخوا لبان: كالندى ومظفر

ومنها في المديح:

---

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ أسامة بن منقذ ص/٤٤٧

خرق، إذا عنت وغى وخصاصه ... جادت يداه بوابل مثعنجر

فالقرن والرجل الفقير كلاهما ... غرقان من عرف وقان أحمر

وإذا خبت نار اليفاع، فناره ... تهدي ركاب الخابط المتنور

نار تكاد من المكارم والندى ... تخبو، فلولا البأس لم تتسعر." (١)

"قسم شعراء العراق

فكتب إليه رسالته الشينية نظما ونثرا.

وورد شيراز، ومدح قاضي القضاة عماد الدين أبا محمد طاهر بن محمد الفزاري – وكان مؤثل بني الرجاء، ومقصد الفضلاء، ومطلع السعود، ومنبع الجود – وصل إليه هذا الشاعر في عيد الأضحى، سنة تسع وخمس مئة، وخدمه بقصيدة زايية بعد مقامة مقدمها وقطعة نظمها. وعاد الى الحجاز. ثم قصده بشيراز سنة سبع عشرة، ومدحه.

فأما المقامة، فأولها: حدثني بعض الإخوان، قال: نشت بي قرارات الكرم ببغدان، لتواتر نوب الزمان، واختلاف أرباب السلطان، وأنا يومئذ ذو غل قمل، وورد وشل، وقلب وجل، وهم متصل، وجذل منفصل، فشحذت غرار العزمة في ركوب غارب **الغربة**، والأخذ في تنفيس الكربة، وتحقيق الوثبة؛ وجعلت أرود الفكر في المسرح، وأناجي السر في ارتياد المطرح والمنزح، وأستشير الصديق الصدوق، وأتجنب في الاستشارة العقوق. فحين صلد الزند، ونبا الحد، وعثر الجد، لاح بأفق المراد، ووفق المراد، خدن حلب الدهر أشطره، واعتصر أعصره، وحادث أحداثه، وبذ كهوله وأحداثه.

أخضر الجلدة من نسل العرب ... يملأ الدلو الى عقد الكرب

ذو فطنة غالبة، وعزمة ثابتة. فضربت بقداحه، واستصبحت بمصباحه، وقلت: أنا إليك مرتكن، وأنت ببذل المجهود في النصح زكن. فقال: ما عرا؟ فقلت: كل الصيد في جوف الفرا. فقال: هات، ودع الترهات. فقلت: إن الإفلاس، حكم علي الوسواس، فما يقول في امتداح الناس؟ فقال: لا بأس، ولكن ارتد بقعة، تتخذها نجعة. قلت: فلسطين. قال: بها الإفرنج الملاعين. قلت: فالشام. قال: أجفل منه الكرام. قلت: فديار ربيعة. قال: معاقل منيعة، ذهبت جوثتها، وتصدعت بيضتها، وتمزق عقيلها، وطال حزنها وويلها. قلت: فديار بكر. قال: بلد قفر، وجبل وعر، عمي إنسانها، مذ ذهب مروانها. قلت: فشيزر. قال: انتقض

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق جـ ١ العماد الأصبهاني ص/٢٤٨

حبلها المشزر، وجاس خلالها العسكر، ونغل إهابها، وغاب صالحها ووثابها. قلت: فطرابلس. قال: ذهب عمارها، وأخرج عمارها، وبقي أغمارها. قلت: فمصر. قال: دون التيه بالتيه، ومرت يجد قوى لاحق ووجيه. قلت: فأصفهان. قال: قصدها هوان، والأديب بها مهان. قلت: فخراسان. قال: هي نصفها الأول، إذ ليس بها لأول النصف الثاني نون تحمل. فحرت بخلو الأقطار من منتجع ينتجع، ومرتبع يرتبع، وجعلت أرسف في قيد الوجوم، وأرسب في يم الهموم، قد أرتج علي باب الحيلة، لمقامي بالبقعة المحيلة. فحين رأى صلود زندي، ونبو حدي، ورقود فكري، وخمود جمري، قال:

إركب على البحر الى البحر ... ومل مع المد الى الجزر

واقصد الى البصرة، ثم اعتمد ... لقصد خوزستان في البر." (١)

"استرجع الحسن العازب، وأطلع الأمن الغارب، ورفع من المجد ما هوى، ورقع من الجد ما وهى. لم أكن لأهدي حشف النخل، وحثالة النحل، إلى هجر الفضل العريق، ومغنى المعنى الدقيق.

ومن أخرى إلى صديق ب واسط: وصل كتاب فلان، أطال الله مديد بقائه، وأدام مشيد علائه، وأمن مخافة لأوائه، وقمع كافة أعدائه - ففضضته عن مثل لطائم العطر ذكاء، ونظائم الدر استجلاء، وريق النحل استحلاء، وريق الوبل صفاء، فأطلع من البهجة ما غرب، واسترجع من المهجة ما عزب. ومنذ انحدر به سفينه، وترحل عنه قطينه، ما قام لنا ناد إلا بذكره، ولا حام منا صاد إلا على بحره.

ومن أخرى إلى ولد أخيه: أوجب لبنات الصدر رقصا، ولثبات الصبر نقصا وللسكون تفلتا، وللعيون تلفتا، إلى من سلب النزوع عنه النزاع إليه، وأوجب الحنين نحو التحنن عليه. فإن كان صنوي مصدر نسبه جسما، وصفوي بورد أدبه علما، فأنا أحق بمصاقبته جوارا، وأرق في مصاحبته حوارا. وعمر الله أندية الأدب، بصائب قوله، وغمر أودية الأرب، بصوب طوله، ووفقه لفعل ما يجب، وأرانا فيه ما نحب، ما مكنته من النهوض عن أرضي، ولا سمح كلي بفراق بعضي. وقد كاتبته بكلمات ينزر عددها، ويغزر مددها، لتشير إلى العلم صنائع شوقه، وتثير من الجهل بضائع سوقه، وتعزف عما أسفر ليل الأسفار، إلى قراءة صبح الإسفار، ويقايس به نفائس ثمار الأدب، وخسائس أحجار الذهب.

ومن أخرى إليه: وصل كتاب فلان، فكان لصبري منهجا، ولصدري مبهجا، وللسعود مجددا، وللجدود مسعدا، وللنفوس من شكال الوحشة مخلصا، وللنفيس من إشكال العجمة ملخصا. وكنت أرتقب عوده

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ١/١

المقترب، فحالت المقادير، دون التقادير، وجاء المكتوب، بغير المحسوب، وأرجو أن تأتي العاقبة بالعافية، فتغنى به الأطلال العافية. ولولا اشتهار جنوح الأمر، وانتشار جناح العذر، لقلت: قطعه الفضول عن الفضل، ومنعه العدول عن العذل، واقتنع ببياض بلح النخيل، عن رياض ملح الخليل، ومكابرة الأجباس، عن مكاثرة الأجناس، وأنا أخفض له الجناح، وأرفع عنه الجناح. فإذا شرب من العلم فوق طوقه، وشب عمره عن طوقه، واتسق در سخابه، وفهق در سحابه، وأعادته محبة التربة، ومحنة **الغربة**، إلى منبت غرسه، ومبيت عرسه، أرخى عزالي مزاده، وأرجى بلاوه بلاده.

انتقش من شوك العجز في قدم تقدمك، وانتعش بالعلم قبل أن يحال بين لوحك وقلمك. ولم أجرك بسوط السوق، في شوط الشوق، لكوني ممن يعتقد خمود عزمك، لكن ليغدو إذكائي لضرمك، مقاوما، لريح من يروح لك لائما، فيقوم المنشط، حذاء المثبط.

ومن أخرى إليه:

كتابي، وعندي وحشة لك فادحه ... ونار اشتياق في فؤادي قادحه

فنحت على ضن بقربك في النوى ... فها أدمعي بعد ارتحالك سافحه

ورائحة البر الذي فيك والتقى ... غدت بك عني، فلتكن بك رائحه

لتعبق بالعلم الذي اشتقت عرفه ... وتفغم من وافاك يطلب رائحه

فبلغك الله الذي أنت أهله ... ولا برحت منك الفضائل رابحه

كتابي، والأشواق إليه دائمة، والآماق عليه دامية، والهموم على الجوانح جوانح، والجوارح فيها جوارح، فبر الله رداء الردى عن منكبي برده إلي، وأفاض من قربه سابغ برده علي، شكرت الباريء دقت حكمته، وجلت قدرته، على ما أنعم به عليه من سابغ ثياب السلامة، وسائغ شراب الكرامة.

ومن أخرى إليه: كتاب فلان، أحيا الله موات أرضه بجاري ماء علمه، وضوأ ظلمات بلاده بساري ضياء نجمه، وكسر بجلاده سوق سوق البدعة القائمة، وجبر بجداله عظم عظمة الشرعة السالمة، فهدى أبكار معان سنية الألطاف، وأهدى ثمار بيان حسنة القطاف، بألفاظ تنقع الغليل، وتنفع العليل، ويهيج بهيج منثورها، بلابل بلابل مسحورها؛ ونشر من مطاوي التلف موتى أشواق، وقدح ولكن في حراق، فأعاده الله واضح الأسرة، وأعاد به نازح المسرة. كم نصيب مرفوض، من نصاب مفروض، ألعين إليه ممتدة، وعن سواه مرتدة، لا زال موفق العزم، مفوق السهم.

ومن أخرى إلى الحكيم المغربي: وصل كتاب فلان، أطال الله فرع عود عمره، وأطاب عرف عود ذكره، وحلى جيد الزمان بفرائد فوائده، وحلأ تهذيبه الإنسان عن مصايد مكايده، ما استخرجت أسفار، وخرجت أسفار.." (١)

"///الأديب الغزي أبو إسحق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي ثم الأشهبي المعروف بالغزي.

مولده غزة الشام، وانتقل إلى العراق وإلى خراسان وأصفهان وكرمان وفارس وخوزستان، وطال عمره، وراج سعر شعره، وماج بحر فكره، وأتى بكل معنى مخترع، ونظم مبتدع، وحكمة محكمة النسج، وفقرة واضحة النهج، وكلام أحلى من منطق الحسناء، وأعلى من منطقة الجوزاء. فكم له من قصائد كالفرائد، وقلائد كعقود الخرائد، وغرر حسان، ودرر وجمان.

وله في خطبة ألف بيت جمعها من شعره يصف بها حاله نثرا، ويذكر فضيلة الشعر، ويقول: إن الشعر زبدة الأدب وميدان العرب، كانوا في جاهليتهم يعظمونه تعظيم الشرائع، ويعدونه من أعلى الذرائع. وجاء الإسلام فأجراه على الرسم المعهود في قطع لسان قائله بالجود. وإذا طالعت الأخبار، وصح عندك ما فاض من إحسان النبي صلى الله عليه وسلم على حسان، وثابت بن قيس، وخلعه البردة على كعب بن زهير، واه تزازه للشعر الفصيح، وقوله: إن من الشعر لحكما علمت أن إكرام الشعراء سنة ألغاها الناس لعمى البصائر، وتركيب الشح في الطباع. وقد كنت في عنفوان الصبا، ألم بخزامى الربا، وأنظمه في غرض يستدعيه، لأذن تعيه، فلما دفعت إلى مضايق **الغربة** جعلته وسيلة تستحلب أخلاف الشيم، وتستخرج درر الأفعال من أصداف الهمم، حتى إذا خلا من راغب في منقبه تحمد، ومأثرة تخلد، وثبت من الانزواء على فريسة لا يزاحمني فيها أسد، ولا يرضى بها أحد. على أن من سالمه الزمان، أجناه ثمر الإحسان، ومن ساعدته الأيام، أعثرته على الكرام..." (٢)

"وقد هاجرت إنكارا لما قد ... رأيت من المثالب والعيوب

ولي دهر يراقبني فأرمد ... بلحظ منك ألحاظ الرقيب

وشمسي تحرق الحساد كبتا ... وتعيي وصف ذي اللسن الخطيب

علت في أوجها وحضيض حظي ... يجاذبها بأرسان المغيب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٩/١

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢٠٩/٢

وقلت في سنة سبع وخمسمائة، وكتبتها إلى بعض الأصدقاء في سبب اقتضاه:

أتطمع في عقالك أن يحلا ... وتدرك في ظلام الصدغ محلا

وكنت أقول لي صبر معين ... فلما صح هجرك لي تخلى

أتسمع في محبك قول واش ... وما سمع المعنى فيك عذلا

لقد حللت من قتلي حراما ... وحرمت الوصال وكان حلا

وتسمح لي بخمر اللحظ صرفا ... وتمنعني مزاج الريق بخلا

لقد عذبتني، وأصبت فيه ... لأن الحب بالتعذيب أحلى

لقد نصحت دعاوى العشق قوما ... يظنون البلا في الحب سهلا

فواحدهم يلذ له زمانا ... ويطمع أن يرى أمنا وعدلا

إذا ابتسم الوصال يهيم عشقا ... وإن عبس الصدود سلا وملا

وشرط العشق أن تبقى أسيرا ... وتجعل حبهم قيدا وغلا

فيا دهر ارتدع عني وإلا ... ستلقى من معين الدين نصلا

فتى إن زرته ألفيت عزما ... يدافع من كروب الدهر ثقلا

وتلقى للخطوب حمى منيعا ... وتبصر جانبا للهو سهلا

فآلاء المكارم منك تترى ... وآيات المحامد فيك تتلى

مدحتك لا لأجل يسير حظ ... ولكن مطلبي أوفى وأغلى

أؤمل همة لك أمتطيها ... وأبلغ في خفارتها المحلا

فتنعش قوة وتزيل هما ... وتحيي ميتا وترب شملا

وأنشدني لنفسه:

الصفو من ماء العنب ... يا صاح أحلى ما شرب

راح تريك بمزجها ... في الكأس سلسلة الذهب

طبخت بنار الدهر لا ... نار التضرم واللهب

لا يمنعنك شربها ... شهر المحرم أو رجب

وانهب زمانك إنه ... لشباب عمرك ينتهب

وأنشدني لنفسه:

أصوغ الحلى في كل يوم وليلة ... وأتعب مني في صياغتها النفسا

ولو مت ضرا ما عقدت قلادة ... على جيد من لا يستحق لها لبسا

وأنشدني أيضا لنفسه بمصر:

صيد السرور أجل في المعقول من صيد الطيور

كم بين حملك للكؤو ... س وبين حملك للصقور

الفقيه الوجيه برهان الدين

مسعود بن شجاع الحنفي

مدرس المدرسة النورية بدمشق. قرأ على برهان الدين البلخي رحمه الله في عنفوان عمره ثم هاجر في طلب العلم إلى بخارى وسمرقند، فغاص من بحره في غمره، ثم عاد إلى الشام، وأقام بمدرسة حلب، وتنقلت به أحواله، وتحولت في البلاد رحاله، ورتبه نور الدين قاضيا بعسكره سنة، ثم توسلنا له عنده في تفويض التدريس بالمدرسة الكبيرة إليه، فحصل له ما لم يخطر بباله، وظهر بذلك حالي حاله، ورفع نفسه عن درجة الشعر، وكان له في **الغربة** أنجع وسيلة، وأنجح فضيلة.

وسألته مرارا أن ينشدني ما أثبته، ويسمعني ما أطريه وأنعته، فماطل بما طلب منه بعد عدة، وادعى الإملاق عن جدة، ولم يخش من الصديق أثر موجدة. ووقفت على قطعة بخطه كتبها ببخارى إلى بعض علمائها وليست من جيد نظمه، ولا من النمط اللائق بعلمه، وإنما جنى هو على أدبه، حيث لم يرد أن ينوه به. فمن جملة أبياتها، وأنا مضطر إلى إثباتها:

أيصبر قلبي عنهم بعد ما ساروا ... ودمعي من الشوق المبرح مدرار." (١)

"يسقي الشمول بلحظه وبلفظه ... ورضابه ويمينه وشماله

فالسكر من لحظاته وفتورها ... لا ما يعاطي الشرب من جرياله

حيا فأحيانا بوردة خده ... وشدا فأطربنا بسحر مقاله

ريا من ماء نضارة ونعيم، وفي يده كأس مزاجها من تسنيم، فأسكرنا النظر إليه، قبل تناول ما في يديه، وحيانا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٢٨٦

بنرجس عينيه، وحبانا بورد خديه، فعقرنا الألباب بالعقار، وخلعنا العذار في حب العذار، وقضينا الأوطار بالأوتار، وتوفرنا على معاطاة الشراب، ومناغاة الأحباب، وما توقرنا عن الرضا برشف الرضاب، والاقتضاء بكشف الحجاب.

وما زلنا على تلك الحال، حتى استهلت من رجب غرة الهلال، فخالفنا الهوى، وحالفنا التقى، وانتجعنا صوب الصواب، وادرعنا ثوب الثواب، واستدركنا فارط الزلل، وخفنا حابط العمل، ومنينا من تلك الرفقة بالفرقة، ودقعنا من تلك الصحبة إلى الغربة، وتفرقنا في البلاد، وتشتتنا في الأغوار والأنجاد.

وهذه سيرة الأيام في الأنام، وفعالها بالخاص والعام، لذتها كالأحلام، ويقظتها كالمنام، جعلنا الله من الفائزين بالخلود في دار السلام.

قد كتبت هذه الرسالة على ما بها، ورددت غلطها إلى صوابها.

ومن شعره في غير الرسالة قوله في حبيب حرم وداعه، نقلته من خطه:

وكنت إذا ذكر التفرق راعني ... أطمن قلبي منكم بوداع

فحالت أمور دون نفسي وسؤلها ... فقنعتها من ذكركم بسماع

وقوله يذم صاحبا له:

وصاحب لا أعاد الدهر صحبته ... صحبته، وأراه شر من صحبا

لا يستقيم على حال فأعرفه ... ولا يفوه بخير، جد أو لعبا

إن زرته قاضيا حق الإخاء له ... غاب احتجابا وإن أهملته عتبا

وإن تنصلت مما قال معتذرا ... أبى القبول، وإن عاتبته غضبا

أبو طالب بن الخشاب

وهو عقيل بن يحيى، من أهل باب شرقي من دمشق من عوامها. رأيته شيخا في دار العدل بدمشق في شعبان سنة إحدى وسبعين. وقد خدم الملك الناصر بقصيدتين. فمما أثبته له من القصيدتين قوله:

من لي بخل جائر في حبه ... أبدا يعنفني بكثرة عتبه

إن بان آلم مهجتي ببعاده ... أو آب أودعني الأسى في قربه

لو كان يعلم ما ألاقي في الهوى ... من صده لانت قساوة قلبه

ومنها:

والدهر لا يبقى على حال فلا ... تأمن ليالي جدبه أو خصبه

ومنها في المدح:

وقد ظمئت فلم أجد بدلا من الماء الزلال سوى مواطر سحبه

ومن القصيدة الأخرى:

أطاعتك أطراف الردينية السمر ... وسالمك التوفيق في البر والبحر

وعشت مدى الأيام لا قال قائل ... كبا بك زند في عظيم من الأمر

وكان عرقلة الشاعر ينبزه بالرقبة. وله فيه شعر.

أبو الحسن بن أبي الخير

سلامة النصراني الدمشقي

كاتب تاج الملوك أخي الملك الناصر. فيه أدب وذكاء. كتب لي من شعره قوله:

يا حبذا يومنا، والكأس ناظمة ... نظم الحباب عليها شمل أحباب

ونحن ما بين أزهار تحف بأنهار وما بين أقداح وأكواب

والماء تلعب أرواح النسيم به ... ما بين ماض وآت، أي تلعاب

كأنه زرد الزغف السوابغ، أو ... نقش المبارد، أو تفريك أثواب

وقوله:

سل الحبيب الذي هام الفؤاد به ... هل يذكر العهد، إن العهد مذكور

أيام نأخذها صهباء صافية ... يمسي الحزين لديها وهو مسرور

يسعى بها غصن بان في كثيب نقا ... له على القوم ترديد وتكرير

إذا أتاك بكأس خلتها قبسا ... يسعى به في ظلام الليل مقرور

يعطيكه وهو ياقوت، ويأخذه ... إذا أشرت إليه، وهو بلور

والأرض قد نسجت أيدي الربيع لها ... وشيا تردت به الآكام والقور." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣١٠/٢

"وإذا كنت معافى سالما ... في اعتلاء وسعود هان همي

خادم المجلس العالي يخدم بالثناء والدعاء:

ويومئ بالتحية من بعيد ... كما يومي بأصبعه الغريق

وعنده من الشوق مع قرب العهد إلي شهي رؤيته، والوحشة لخدمته، ما يعجز الأقلام شرحه، ويحرق الطرس لفحه، وهو ينحرف من مقام الاشتكاء، إلى مقام الدعاء، ويرغب إلى الله أن يكلأه بحفظه في سفره ومقامه، ويجزل حظه من فضله وإنعامه.

ووصلت منه مكاتبة إلى الملك الناصر صلاح الدين في صفر سنة اثنتين وسبعين فقال لي القاضي الفاضل: خذها وأوردها في الخريدة والجريدة وهي:

لا زلت يا ملك الإسلام في نعم ... قرينها المسعدان: النصر والظفر

تردي الأعادي وتستصفي ممالكهم ... وعونك الماضيان: السيف والقدر

فأنت إسكندر الدنيا، بنورك قد ... تضاءل المظلمان: الظلم والضرر

أعدت للدهر أيام الشباب وقد ... أظله المهرمان: الشيب والكبر

وجاد غيث نداك المسلمين فمن ... سحابه المغنيان: الدر والبدر

وسرت سيرة عدل في الأنام كما ... قضى به الصادقان: الشرع والسور

ففق بنصر على الكفار إنهم ... يرديهم المهلكان: الغدر والأشر

ثناهم إذ رأوا إقبال ملكهم ... إليهم المزعجان: الخوف والحذر

وما الفرار بمنجيهم وخلفهم ... من بأسه المدركان: السمر والبتر

وسوف يعفو غدا منهم بصارمه ... وجيشه المخبران: العين والأثر

ولو رقوا في ذرى ثهلان أسلمهم ... لسيفه العاصمان: الحصن والوزر

قضى بتفضيله عمن تقدمه ... ما استودع المخبران: الكتب والسير

عدل به أمن الشاء المهمل أن ... يروعه الضاريان: الذئب والنمر

وجود كف إذا انهلت تفرق في ... تيارها الزاخران: البحر والمطر

مكارم جمعت فيه، توافق في ... تفضيلها الأكرمان: الخبر والخبر

فاسلم وعش وابق للإسلام ما جرت الأ ... فلاك والنيران: الشمس والقمر

بنجوة من صروف الدهر يقصر عن ... منالها المفسدان: الخطب والغير

المملوك لبعده عن خدمة مولاه قد أنكر الزمان، فما هو الذي كان، وأوهت الأيام ما أبقته من يسير قوته، واسترجعت ما أعارته من ضعيف نهضته، وأذاقته طعم **الاغتراب**، وأدخلت عليه الهم من كل باب، فهو في زاوية المنزل، عن كلمات الناس فيه بمعزل، فهو كما قال:

أنا في أهل دمشق وهم ... عدد الرمل وحيد ذو انفراد

ليس لي منهم أليف وشجت ... بيننا الألفة أسباب الوداد

يحسبوني إن رأوني وافدا ... قد أتاهم من بقايا قوم عاد

وانفرادي رشد لي والهوى ... أبدا يصرف عن سبل الرشاد

وقد سألني أن أنتجز له مطلوبا عند الملك الناصر فكتب إلي يستحثني:

عماد الدين مولانا جواد ... مواهبه كمنهل السحاب

يحكم في مكارمه الأماني ... ولو كلفنه رد الشباب

وعذرك في قضا شغلي قضاء ... يصرفه فما عذر الجواب

أخوه الأمير أبو الحسن

علي بن مرشد بن علي بن مقلد بن منقذ:." (١)

"ولما استلذوا موتهم بعذابه ... وعيشهم في عدمه سألوا الرجعى

إذا فقدوا بعض الغرام تولهوا ... كأن الهوى سن الغرام لهم شرعا

وقد دفعوا عن وجدهم كل سلوة ... ولو وجدته ما أطاقت له دفعا

وطاب لهم وقع السهام فما جلوا ... لصائبها بيضا ولا نسجوا درعا

فكيف يعد اللوم نصحا لديهم ... إذا كان ضر الحب عندهم نفعا

ومنها:

خلا الربع من أحبابهم، وقلوبهم ... ملاء بهم، فالربع من سأل الربعا

سل الورق عن يوم الفراق فإنه ... بأيسر خطب منه علمها السجعا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٣٥٥

إذا صدحت فاعلم بأن كبودها ... مؤرثة غما تكابده صدعى

وذاك بأن البين بان بإلفها ... وكيف ينال الوصل من وجد القطعا

وأهل الهوى إن صافحتهم يد النوى ... رأوا نهيها أمرا وتفريقها جمعا

رعى وسقى الله القلوب التي رعت ... فأسقت بما ألقت وأخرجت المرعى

وحيا وأحيا أنفسا أحيت النهى ... وحيت فأحيتنا مناقبها سمعا

سحائب إن شيمت عن الموصل التي ... بها حلت الأنواء أحسنت الصنعا

أوائلها من شهرزور إذا اعتزت ... جزى الله بالخير الأراكة والفرعا

وجدت الحيا عنها بنجعة غيره ... فأعقبنا ريا وأحسبنا شبعا

ونلنا به وتر العطاء وشفعه ... كأنا أقمنا نحوه الوتر والشفعا

وللحصكفي من قصيدة:

أترى علموا لما رحلوا ... ماذا فعلوا أم من قتلوا

خدعوا بالمين قتيل البين فدمع العين لهم ذلل

وبسمعي ثور حاديهم ... وبعيني قربت البزل

فمتى وصلوا حتى قطعوا ... ومتى سمحوا حتى بخلوا

قد زاد جنون النفس بمن ... للعقل محاسنه عقل

إن قام أقام قيامتها ... أو جال فجولته الأجل

كقضيب البان وفي الأجفا ... ن من الغزلان له مثل

أشكو زمنا أولى محنا ... وجنى حزنا فعفت سبل

العلم يهان وليس يصا ... ن فأي لسان يرتجل

وله من رسالة: للقلوب من دون أستار الغيوب، أطال الله بقاء القاضي، حواس سلمت مطالعها، وعدمت موانعها، فلا يوقر سامعها، ولا يعشى طامعها، لأنها صفت فوصفت، وسرحت فشرحت، فهي تستمد القوى من أنوار ذواتها، وتتلقاها من فيض أدواتها، وتلك لأهل الأحوال، وأنا منها على الأقوال، وأخرى تطالعها الأنوار من مظانها، في مكامنها، وتتصل بها القوى لدى مساكنها، من معادنها، لأنها قصرت فنصرت، وحصرت فبصرت.

كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة عندهم ولا جاها

ومنها في التجنيس المنعكس وكل كلمة مشتقة من أختها:

فالنفس بعقود التذرع حالية، ولقعود التعذر حائلة، ومن الودائع المعجزة مالية، وإلى الدواعي المزعجة مائلة، وفي بحار الحمد راسية، وفي رحاب المدح سائرة، تجمح إلى مواصلة القمر، وتحجم عن مصاولة القرم، لتكف بإظفار الأمل، وتفك بأظفار الألم، فهل كامل يعني، ومالك يعين، ومقتصد يدني، ومتصدق يدين، فالرغبة إلى الشهب، من الغربة في الشبه، رغبة من قصد بالإلهام، مواقع السحاب الهام، وورد شريعة الإفهام، لظما الإبهام، وتعرض لمعان دقت عن الأفهام، ورقت فترقت عن الأوهام.

وله وقد أودعها رسالة:

قم سقني صفوها يا صاح والعكرا ... مدامة تذهب الأحزان والفكرا

ويا نديمي تنبه إنما سكني ... من لا يلذ على حب السلاف كرا." (١)

"وشعر الشاميين أصح وزنا، وأسح مزنا؛ وأمتن صيغة، وأحسن صبغة، وأحكم صنعة، وأسلم رقعة؛ وأرفع نسجا، وأنفع مزجا، وأقوم معنى، وأحكم مبنى، فإن العراقيين، بغاية لطفهم، ونهاية ظرفهم، غلبت الرقة على كلامهم حتى اعتل نسيم نسيبهم، وانماعت في ماء اللطف صناعة ترتيبهم وتهذيبهم، فكأن نظمهم روح بلا شبح، وراح بلا قدح. وأما أهل الشام فإن جبلة جبلهم اقتضت لهم إحكام الحكم، وأفضت بهم إلى إتقان الكلم، وقصدوا الإمعان في المعاني، وخلوا للمجان حلاوة المجاني، فخشنوا ولانوا، وعزوا وهانوا، ودنوا وما دانوا، وبعدوا وما بانوا وأبدعوا، فأولئك رقوا، وهؤلاء دقوا، على أن أهل العراق إذا ندر فيهم من ملك من الرقة رقها، وأعطى الصنعة حقها فاق الكل وفات، وأرى في صورة نظمه من اللذات الذات، لكن الطبع للعرب أغلب، وأنبع من الغرب أصوب وأصلب، والعراق أعرب وأعرق، والشام أغرب وأغرق، وفضلاء الإقليمين أعيان، وملء قلائدهم در وعقيان، وحشو فرائدهم لؤلؤ ومرجان، ولكل زند اقتداح، ولكل قريحة اقتراح، ولكل خاطر خطر، ولكل ناظر نظر، وصناعة الشعر مختلفة، وأربابها متفاوتة، وللشعراء فيما يحسنون مراتب، وللناس فيما يعشقون مذاهب، والغرائز من الله مواهب، ولشموس القرائح ورياضها مشارق ومشارب، والبواعث لمواضيها صياقل، والحوادث عن مراميها حوائل، والدواعي لها دواعم، والمعالي لأهلها معالم.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٤٨٨

ولقد كان مجد العرب العامري حين كان بأصفان في سنتي ثلاث وأربع وأربعين يثني على فصحاء الشام ويفضلهم على سواهم، وينجذب إلى جانب هواهم، ويظهر بإنشاد بدائعم، وإيراد صنائعهم ما فضلوا به من القوى في القوافي، وبعد المطار بقوادم القدرة فيها الخوافي، وينشر من مفصلات ابن الخياط كل وشي مذهب الطراز، ويورد من قسيات القيسراني كل ما يشهد أعجاز صدور عصره بحسن صدوره والأعجاز، وينير لنا من محاسن ابن منير ما يترنح ويتملح له عطف الأهتزاز، وطرف الإعتزاز، ويعدد ويشدد، ويكرر التعصب لهم ويردد، ويعلل له وأنا أطالبه بالتأثير، ويبرز الإخالة والمناسبة بحسن التعبير ويقول: من كابن حيوس، لا سيما في متح معين المدح، وكابن سنان الخفاجي في إنارة سنا خاطره السمح، وهل للعراقيين رقة عبد المحسن الصوري المحسن في إبداع الصور، واختراع الغرر، ومن أدرك مغزى الغزي الذي ينظم الدرر، في سلك المعنى المبتكر، وهل كان البحتري إلا من الشام، وكذلك أبو تمام؟. فقلت إن له العراق أعدى بالرقة حبيبا والوليد، ومن يقاوم من أولئك أبا الطيب إذا أنشأ القصيد؟ وكيف رضيت بإهمال الرضي والمرتضى، والفضلاء المتقدمين الذين أفق زمانهم بهم أضأ، وإنما لكل عصر عصارة، ولكل زمان بأفاضل بنيه نضارة وغضارة، ولكل مكان مكين، ولكل معان معين، ولكل أرض روض، ولكل فهم في حوض العلم خوض.

وكنت مدة مقامي في بغداد أتشوق إلى تلقاء الشام، وأود لقاء أهل الفضل الكرام، حتى وصلت إلى دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة فوجدت الشام عادما للعلماء والأعلام، وصادفته قد صدف عنه الفضل، وصدح به الجهل، خاويا على عروشه، خاليا من نقوشه، لا يلفي به آلف، ولا يعرف لذوي المعرفة عارف، فكدت أضيع، وكيف لا وقد اتضع الرفيع، وارتفع الوضيع، فنزلت بحجرة، وأويت من مدرسة في دمشق إلى حجرة، وحصلت مما ذهبت به سرقة موجودي في غمرة، ومنيت بالكربة، في **الغربة**، وانسدت علي طريق الأوبة، للنبوة التي عرت في النوبة، فقصدت ملكها العادل نور الدين أبا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر أنزل الله عليه رحمته، وبل برذاذ رضاه تربته، بقصيدة موسومة على اسمه أولها:

لو حفظت يوم النوى عهودها ... ما مطلت بوصلها وعودها." (١)

"عمران عدلك للبلاد كأنما ... قد عاش في أيامك العمران

خلدت في الآفاق ذكرا باقيا ... أبد الزمان ببذل مال فان

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٥٦٢

وسار إلى مرعش، وفارق دمشق في أطيب فصولها أيام المشمش فكتبت إلى بعض أصدقائي بها:

كتابي فديتك من مرعش ... وخوف نوائبها مرعشي

وما مر في طرقها مبصر ... صحيح النواظر إلا عشي

وما حلض في أرضها آمن ... من الضيم والضر إلا خشي

ترنحني نشوات الغرام ... كأني من كأسه منتش

أبيت ونار الأسى مضجعي ... وأمسي وجمر الغضا مفرشي

وأصبح ولهان وجدا بكم ... كأني مصاب عليه غشي

أسر وأعلن برح الجوى ... فقلبي يسر ودمعي يشي

وليلي من طول من أشتكي ... كليل اللديغ من الحربش

وليس سوى ذكركم مؤنسي ... ولكن بعدكم موحشي

بذلت لكم مهجتي رشوة ... فحاكم حبكم مرتش

وكيف إلى وصلكم أهتدي ... وخطب فراقكم مدهشي

وكيف يلذ الكرى مغرم ... بنار الغرام حشاه حشي

بمرعش أبغي وبلوطها ... مضاهاة جلق والمشمش

فسارت هذه القصيدة؛ بل القطعة، ونمي إليه ثمر حديثها، فاستنشدنيها ونحن سائرون في واد كثير الأشجار أثيثها، فقلت له: إنما قلتها في مدحك شكرا لصحبتك لا شكاية، وأنشدتها مع بيتين بدهت بهما في الحال وهما:

وبالملك العادل استأنست ... نجاحا مني كل مستوحش

ومافي الأنام كريم سواه ... فإن كنت تنكرني فتش

وعرفته أن وحشة **الغربة** بخدمته أنس، وأن الفصحاء عن شكر معاليه خرس.

ولما شرع في ختان ولده الملك الصالح، ووافق ذلك عيد الفطر سنة تسع وستين، وتوفي بعده بعشرة أيام، قلت فيه من قصيدة أولها:

عيدان: فطر وطهر ... فتح قريب، ونصر

ذا موسم للأماني ... بالنجح موف مبر

وذاك موسم نعمى ... أخلافها تستدر

هذا من الصوم فطر ... وذاك للصوم تدر

نجل على الطهر نام ... زكا له منك نجر

وكيف يعمل للطا ... هر المطهر طهر؟

ونطقت فيه بما كان في سر القدر حيث قلت:

هذا الختان ختام ... بمسكه طاب نشر

وذا الطهور ظهور ... على الزمان وأمر

فالولد بكرة الخميس ختن، والوالد ضحوة الخميس الآخر دفن، وبالخير لهذا ابتدي ولذاك ختم، لكن بنيان ملكه هد وهدم.

وكتبت عقيب وفاته إلى أصدقائي ببغداد قصيدة أتشوقهم فيها، وأرثي نور الدين، أولها:

ترى يجتمع الشمل؟ ... ترى يتفق الوصل؟

ترى العيش الذي مر ... مريرا بعدهم يحلو؟

ترى من شاغل الهم ... فؤادي المبتلي يخلو؟

بغيري شغلوا عني ... وعندي بهم شغل

وكانوا لا يملون ... فما بالهم ملوا؟

وراموا سلوة المغر ... م والمغرم لا يسلو

إذا ما كنت لا أسلوا ... فماذا ينفع العذل؟

ألا يا قلب إن العز ... في شرع الهوى ذل

وما دل على ذلك ... إلا ذلك الدل." (١)

"أكررت نفسك أن تسعى مصادفة ... وسمتنيه لقد كلفتني شططا

لا تكذبن فما كنا لنوجب من ... حق وأنت تراه عنك قد سقطا

لو بعتك النفس بيعا كنت تملكها ... به علي لكان العدل مشترطا

فهل سبيل إلى أن لا تواصلني ... ولا تكلف مثلي هذه الخططا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٥٧٥/٢

عسى صحيفة ما بيني وبينك أن ... تطوى وما ضمنت غير الذي فرطا

وله في صدر رسالة:

أتى كتابك عن شحط فآنسني ... بما تضمن أنس العين بالوسن

قرأته فجرت في كل جارحة ... مني معانيه جري الماء في الغصن

فما أقول بعثت الروح فيه إلى ... قلبي، ولكن بعثت الروح في بدني

وله في شدة أصابته:

يا مستجيب دعاء المستجير به ... ويا مفرج ليل الكربة الداجي

قد أرتجت دوننا الأبواب وامتنعت ... وجل بابك عن منع وإرتاج

نخاف عدلك أن يجري القضاء به ... ونرتجيك فكن للخائف الراجي

وله

يا نفس صبرا واحتسابا إنها ... غمرات أيام تمر وتنجلي

في الله هلكك إن هلكت حميدة ... وعليه أجرك ف ا صبري وتوكلي

لا تيأسي من روح ربك واحذري ... أنء تستقري بالقنوط فتخذلي

ولو توجد له في الغزل إلا أبيات يسيرة منها:

وفتوك سحر المقلتين يصول من ... لحظاتهن على القلوب بمرهف

حييت ندماني بوردة خده ... ورشفت من فيه مجاجة قرقف

ونزعت عنه ما تعلق ثوبه ... مني هناك سوى تقى وتعفف

وملام عاذلة قد ابتكرت به ... سحرا إلى سجع الحمام الهتف

يا هذه أسرفت في عذلي وما ... لعزيمتي عن وجهها من مصرف

فخذي إليك اللوم عني إن لي ... نبأ سيعرف بعد هذا الموقف

لأصافحن يد الخطوب برحلة ... تجلو دجنتها بغرة يوسف

ثم طالعت ديوان ابن النضر بمصر فجبيت هذه الدرر من أصدافه، وجنيت هذه الثمر من قطافه، واجتليت هذه الغرر من ألطافه، فمن ذلك قوله من قصيدة:

كتبت عن شمل أنس غير ملتئم ... حتى اللقاء وشعب غير منشعب

وإن للبين كفا غير وانية ... تظل تجمع بي جمعا وتقذف بي

ومنها:

لو أن أنملة المقدار تكتبه ... في صفحة الدهر لم يبلغ مدى أربي

وقوله من أخرى في الزهد:

النفس أكرم موضعا ... من أن تدنس بالذنوب

ما لذة الدنيا لها ... ثمنا وإن مزجت بطيب

فاسبق إلى إعداد زا ... دك هجمة الأجل القريب

والق الإله على التقى ... والخوف مزرور الجيوب

وقوله من أخرى في ذم **الغربة:**

أرى غربة الإنسان أخت وفاته ... ولو نال فيها منتهى طلباته

فلا يشتري الدنيا ببلدته امرؤ ... فليس عزيزا في سوى عرصاته

ومنها في ذم الأناة ومدح بعض الطيش:

ندمت على أني ثبت وربما ... جنى ندما للمرء بعض ثباته

يزين أفعال الفتى بعض طيشه ... ويزري بفعل المرء بعض أناته

وقوله من قصيدة في المدح:

أكرم به بدر تم جاء تكنفه ... شهب الأسنة في سحب من الرهج

تعمي بوارقها الأبصار لامعة ... كما يصم توالي رعدها الهزج

مشمر الذيل يبدي عن نصيحته ... مواشكا يصل الروحات بالدلج." (١)

"قال السمعاني: قرأت بخط شجاع بن فارس الدهري الشهرزوري أبي غالب، أنشدنا أبو الحسن علي بن فضال لنفسه:

كتبت والشوق يملي ... علي ما في الكتاب

والقلب قد طار شوقا ... الى رجوع الحراب

قال: وقرأت بخط شجاع، أنشدنا علي بن فضال لنفسه:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٤٩/٢

لا عذر للصب إذا لم يكن ... يخلع في ذاك العذار العذار

كأنه في خده إذ بدا ... ليل تبدى طالعا من نهار

تخاله جنح ظلام وقد ... صاح به ضوء صباح فحار

قال: وقرأت بخطه، أنشدنا علي بن فضال لنفسه:

كأن بهرام وقد عارضت ... فيه الثريا نظر المبصر

ياقوتة يعرضها بائع ... في كفه والمشتري مشتري

قال: وأنشدنا عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي كتابة: أنشدنا أبو الحسن بن فضال المجاشعي لنفسه:

يا يوسفي الجمال عبدك لم ... تبق له حيلة من الحيل

إن قد فيه القميص من دبر ... قد قد فيك الفؤاد من قبل

قال: وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله بن أبي الحسين النسوي إجازة، قال أنشدنا علي بن فضال لنفسه:

والله إن الله رب العباد ... وخالص النية والاعتقاد

يا أملح الناس بلا مرية ... من غير مستثنى ولا مستعاد

ما زادني صدك إلا هوى ... وسوء أفعالك إلا وداد

وإنني منك لفي لوعة ... أقل ما فيها يذيب الجماد

فكن كما شئت فأنت المنى ... واحكم بما شئت فأنت المراد

وما عسى تبلغه طاقتي ... وإنما بين ضلوعي فؤاد

وقرأت في بعض الكتب للمجاشعي يمدح نظام الملك:

قالوا الوزير ابن عباد حوى شرفا ... فكم وكم لك عبد كابن عباد

ما جاوز الري شبرا رأي صاحبه ... وأنت بالشام شمس الحفل والنادي

ولابن فضال المجاشعي:

إن تلقك الغربة في معشر ... قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

أبو الحكم المغربي

الحكيم الأديب تاج الحكماء أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله المريني المغربي صاحب عمي الصدر الشهيد العزيز أبي نصر أحمد بن حامد بن محمد روح الله روحه وروض ضريحه. كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جملا في المعسكر أين خيم وابن المرخم يحيى بن سعيد الذي صار أقضى القضاة في الأيام المقتفية ببغداد، كان فصادا فيه وطبيبا أيضا وكان أبو الحكم كثير الهزل والمداعبة، دائم اللهو والمطايبة.

سمعت بعض أهل أصحاب عمي يقول: كان يأتي إليه الغلام وما به شيء، فيريه نبضه فيقول له: تصلح لك الهريسة، وما زال يخدم ملازما للعم، الى حين نزول الحادث الملم، فآلى أن لا يقيم بالعراق بعده، وآثر على قربه منها بعده، وركب مطية الغسق، الى دمشق، وأقام بها الى أن أتاه الأجل المحتوم، والقدر المعلوم.." (١)

"شرف سقاه الفضل وسمي العلى ... فتضوع أزهار الثناء الأعطر

ساداتنا سادات كل معاشر ... إن حصلوا ولآنت سيد معشري

فإذا تلاحظت المكارم من فتى ... مضر أشار إليك أهل المحضر

وإذا جروا يوم المكر سبقتهم ... وأتوا لقسمة مغنم، لم تحضر

ومنها:

هو مفخري يوم الجدال ومنصلي ... يوم النزال ورايتي في العسكر

من لم يرد علياه لم يرد العلى ... ما لم يرد بحريمه لم ينصر

ومنها:

أنا ذاك شيمتي الوفاء وإنني ... لا بالملول ولست بالمتغير

وإذا تنكرت الأحبة فالرضى ... مني الجزاء ولست بالمتكبر

إني لأصبر عند كل عظيمة ... وإذا ظلمت مجاهرا لم أصبر

مهما تقسني بالرجال وجدتهم ... مثل الحصا ووجدتني كالجوهر

فإليكها مثل العروس زففتها ... سكرى تجر ذيولها بتبختر

ومنها:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٨٧٥/٢

فابسط بفضلك عذر وافدة العلى ... وابسط لها وجه الكريم الموسر

واسمح لها لا تنتقدها إنها ... مع مفرط الاعجاز قول مقصر

وغني له بشعر يشهد قبول القلوب بحسنه، فعمل على وزنه، والشعر الذي غني به:

خليلي سيرا واربعا بالمناهل ... وردا تحيات الخليط المنازل

فإن سأل الأحباب عني تشوقا ... فقولا تركناه رهين البلابل

فقال:

وإن يتناسوني لعذر فذكرا ... بأمري ولا تدري بذاك عواذلي

لعل الصبا تأتي فتحيي بنفحة ... فؤادي من تلقاء من هو قاتلي

فيا ليت أعناق الرياح تقلني ... وتنزلني ما بين تلك المنازل

وله من قطعة أولها:

خص يا غيث مربع الأحباب ... وتعاهد بالعهد عهد التصابي

ولتسلم على معرس سلمى ... ولتصل بالرباب دار الرباب

هي روضات كل أنس وطيب ... ومغان سكانها أصل ما بي

فكساها العلاء ثوب بهاء ... وسقاها الجمال ماء الشباب

ثم سارت ألبابنا فبقينا ... بين أهل الهوى بلا ألباب

فأصيب بها القلوب فصارت ... لشقائي مآلف الأوصاب

أمرضتني مرضى صحاح ولك ... ن عذابي بين الثنايا العذاب

أقسم الشوق أن يقسم قلبي ... بين قوم لم يسألوا عن مصابي

فرقة آثرت صدودي وأخرى ... أخذت جد سيرها في الذهاب

أي وجد أشكو وقد صار قلبي ... رهن أيدي الصدود **والاغتراب**

بعت حظي من الوفاء متى ما ... لم أمت حسرة على الأحباب

ولئن همت بالجمال فإني ... أبدا عفت موضع الارتياب

ودعتني عن المقابح نفس ... خلقت من محاسن الآداب

وله:

يا بغيتي قلبي لديك رهينة ... فلتحفظيه فربما قد ضاعا

أوقدته وتركته متضرما ... بأوار حبك يستطير شعاعا

لا تسلميه فإنه نزعت به ... تلك الخلال إلى هواك نزاعا

حاشا لمثلك أن تضيع ضراعتي ... ولمثل حبي أن يكون مضاعا

إني لأقنع من وصالك بالمنى ... ومن الحديث بأن يكون سماعا

الوزير الكاتب أبو محمد ابن القاسم

كان والده صاحب شنتبريه، وصفه بالكرم والنفاسة، والشرف والرئاسة، والتدبير والسياسة، والوقار، الذي لا تستخفه كأس العقار، والمآثر التي آثرتها ألسنة الإيثار، بحسن الآثار، وذكر أن الدولة مع فقرها إلى غنائه، وفخرها بمضائه، وإنارة فجرها بأضوائه، ونضارة روضها بنواره وأنواره، تخلت عنه تخلي الحسناء عن حليها، والعقود عن درها، والبروج عن دريها، وذكر أنه قد أنس بوحشة انفراده، ولبس حلة انزوائه عن أنداده، وانقبض عن مخالطة الناس، ورفض مجالسة سائر الأنواع والأجناس، وولى وجهه شطر مسجد التقوى، ولزم بيته ونفسه تتقوت بغذاء العلم وتتقوى.." (١)

"وقال:

ولقد نعمت بليلة جمد الحيا ... بالأرض فيها والسماء تذوب

والكأس كاسية القميص كأنها ... لونا وقدا معصم مخضوب

مشروبة للب شاربة وما ... شيء سواها شارب مشروب

مني إليه ومن يديه الى يدي ... كالشمس تطلع بيننا وتغيب

وقال:

خليل النفس لا تخل الزجاجا ... إذا بحر الدجى في الجو ماجا

وجاهر في المدامة من ترائي ... فما فوق البسيطة من يداجى

أمط عنا الكرى والليل ساج ... ودعنا نلبس الظلماء ساجا

وهات على اهتمام الروح راحا ... تعيد هموم أنفسنا افتراجا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٩٠٦/٢

إذا مريخها اتقد احمرارا ... صببنا المشتري فيها مزاجا

وله:

إن تلقك **الغربة** في معشر ... تظافروا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وله في مثله:

يا ثاويا في معشر ... قد اصطلى بنارهم

فما بقيت جارهم ... وفي هواهم جارهم

وأرضهم في أرضهم ... ودارهم في دارهم." (١)

"أشكو الطوى ومدامعي ... من شحها للشأن تدمي

وبقيت خمسا لا أذو ... ق الزاد من خضم وقضم

وجميع ما قد حزته ... بين الورى من فرط حزمي

فاللؤلؤ المنظوم والمن ... ثور من نثري ونظمي

فاحكم فحكمك في البرا ... يا والقضايا خير حكم

وقوله في أخرى:

بني ... على الأرض لا تثبتن ... وفق كل من جال أرضا وجابا

وخل نديمك في **الاغتراب** ... عكيكيزة ترتضى والجرابا

ورز زمر العلم لا تحتقر ... مشايخه في الورى والشبابا

وأرهف لفهمك سمع النهى ... وقف لمراضي البرايا انتسابا

ولا تدع النصب حتى تحوز ... بفنك من كل مال نصابا

وأنى عثرت بعيب فكن ... لبيبا إذا ما رأى العيب غابا

فذو الحزم أنى رأى زلة ... ولم يمكن الكف عنها تغابى." (٢)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢ العماد الأصبهاني ص/٢٢٨

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٦٩٩

"وقد ذكرنا: أن أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا محرما ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ثم يتزوج بها، ويزعمون مع ذلك أنهم يجدونها بكرا، وقد عانقها في إزار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها، ويحتمل وحشة **الاغتراب**، وانقطاع الأسباب إلا من عشق غالب. ولا يجوز أن تؤاتيه الجارية إلا وبها شبه الذي به. وإن من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد ثم يحتجزان عن الزنا تكرما وتحرجا! وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب.

ومن قول سهيل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبان، والعزبان، والسكران. فقال له أبو عبيد الله الخليع: والمنعظ يا أبو عمرو؟ فقال: والمنعظ. وضحك وأنشد:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحبينا

قال الأصمعي: كان فتى من ثقيف شديد الحياء، كريما أديبا، فبينا هو جالس، إذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي، وأين تريد. وقد كلف بها واشتد عشقه لها، فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فإذا هي امرأته، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، وكتم شأنه، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى." (١)

"لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله.

وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ويتزوجها، ثم يزعمون مع ذلك أنه يجدها بكرا، وقد عانقها في إزار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها، ويحتمل وحشة **الاغتراب**، وانقطاع الأسباب. وإن من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد يحتجران عن ألذ الأمور تكرما. وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب.

قال معاوية، رضي الله عنه: ثلاث خصال من السؤدد، الصلع، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

ولما نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم: أني غيور، وأنا فخور، وأنا أنف، ولكن لا أغار حتى أرى،

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٤٨

ولا أفخر حتى افعل، ولا آنف حتى أضام. فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به إنما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة.

وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه إلى قلة الغيرة وما أرى في قوله وترك الإفراط في الغيرة عيبا لأن الإفراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق.

وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول:." (١)

"ثابت الجنان ... صفوح عن الجاني ... قد حمى عرينه ... بالزرق المسنونه

خل كل مين ... إلى الحق منقادا

من رأى بعين ... في ذا الخلق من سادا١

كأبي الحسين ... ويفديه من جادا٢

كل ذي امتنان ... لا بل كل٣ هتان ... رام أن يكونه ... جودا فأتى دونه

أظهر المقام ... في الغربة حرمانا

فأنا آلام ... إسرارا وإعلانا

قلت والكلام ... يصرح إحيانا

فزت بالأماني ... ما جاد بإحسان ... صاحب المدينة ... أعلى٤ الله تمكينه." (٢)

"قال ابن حمزة يا بني هزلت مجترئا فمه

فانطلق الخادم إلى الرشيد فكان ما ظنه الرشيد، ففعل الغلام ما أمره به، فأطرق المأمون قليلا؛ ثم قال، لولا أنك مأمور لم تنج من يدي.

فرجع الخادم إلى الرشيد فأخبره فقال: نجوت. ثم دعا على بن حمزة الكسائي وقال له: من اين علم عبد الله أن الخادم مأمور؟ فقال الكسائي: علمه من قوله: هزلت مجترئا فمه، إذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك إلا عن أمر.

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٨٥

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات ابن سناء الملك ص/٦٠

قال: ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه، أن الأحول المحرر، شخص مع محمد بن يزداد عند شخوص المأمون إلى دمشق، وأنه شكا يوما إلى أبي هارون خليفة محمد بن يزداد الوحدة **والغربة** وقلة ذات اليد، وسأله في أن يسأل له ابن يزداد أن يكلم المأمون في أمره فيبره بشيء. ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه له وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، إنه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذرة أفسده ذلك، ولكن قد أمرنا له – لشفاعتك – بأربعة آلاف درهم. فدعا ابن يزداد بالأحول؛ فعرفه بما جرى ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال؛ فلما قبضه ابتاع غلاما بمائة دينار، واشترى سيفا ومتاعا، أسرف فيما معه، حتى لم يبق معه شيء. فلما رأى الغلام ذلك أخذ كل ما كان في بيته وهرب، فبقي عريانا بأسوأ حال، فجاء إلى أبي هارون خليفة محمد بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار فكتب في آخره:

فر الغلام فطار قلب الأحول ... وأنا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له: امض إلى محمد بن يزداد، فمضى وأوصله إليه. فلما رآه محمد قال له: ما في كتابك؟ قال: لا أدري، قال: وهذا من حمقك، تحمل كتابا لا تدري ما فيه! ثم فضه فلم ير شيئا، فجعل ينشره وهو يضحك حتى انتهى إلى آخره، فوقف على البيت، فكتب تحته:

لولا تعبث أحول بغلامه ... كان الغلام ربيطة في المنزل

ثم ختمه، وناوله إياه، وأمره أن يرده إلى خليفته. فقال: الله الله في، جعلني الله فداك! ارحمني من الحالة التي قد صرت إليها. فرق له ووعده أن يكلم المأمون، فكلمه وشرح له الحال، ووصف له ضعف عقل الأحول ووهى عقدته، فأمر." (١)

"– ٣٣ المعنى لك مكارم ومناقب سبقت بها العالمين فلم يقدر أحد يدركها ومن يقدر على إدراك أمر فائت ثم يقول لما أقمت بأنطاكية وهى بالقرب جاءتنى ركبان العفاة الذين قصدوك وأنا فى حلب فأتيتك وهو قوله فى البيت الذى بعده

٣٤ – المعنى يقول لما أتيتنى العفاة سرت أقصدك لا أعرج على أحد ولا أقيم عليه فحملنى راحلتاى الفقر والأدب ولقد أحسن فى هذا ولا ترى الفقر إلا مع الأدب خذنا وصاحبا

٣٥ – الغريب الانتحاب رفع الصوت وتردده بالبكاء نحب ينحب بالكسر نحبا والانتحاب مثله ونحب

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/٢٧

البعير ينحب بالكسر نحابا بضم النون إذا أخذه السعال المعنى أنه أذاقه الدهر من الفقر **والغربة** شيئا لو ذاقه الدهر لبكى وانتحب ولم يصبر عليه

٣٦ – الغريب عمر الرجل بالكسر يعمر عمرا بالفتح وعمر بالضم على غير قياس لأن قياس مصدره التحريك أى عاش زمانا طويلا ومنه أطال الله عمرك وعمرك وهما وإن كانا مصدرين بمعنى إلا أنه استعمل المفتوح فى القسم فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء والام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره لعمر الله ما أقسم به أو قسمى وإذا لم تأت باللام نصبته نصب المصادر ولاسمهرار الصلابة والشدة اسمهر الشوك إذا صلب وييس واسمهر الظلام اشتد واسمهر الرجل فى القتال قال رؤية

(ذو صولة ترمى به المدالث ... إذا اسمهر الحلس المغالث)

والسمهرية القناة الصلبة ويقال هى منسوبة إلى رجل اسمه سمهر كان يقوم الرماح ورمح سمهرى ورماح سمهرية المعنى أنه كنى بهذه القرابات عن ملازمة هذه المذكورات يقول إن عشت وطال عمرى لازمت الحرب حتى أدرك مطلوبى." (١)

"المعنى ما أشد حزني حيث إني غبت عن وفاتك فكنت لا أنكب على رأسك مقبلا وعلى صدرك اللذين ملئا حزامة وعقلا والدماغ مأوى العقل والصدر مأوى الرأي

٢١ – الغريب الروح يذكر ويؤنث فالتأنيث يراد به النفس وشيء ذكى وذاك شديد الرائحة المعنى يقول وا أسفي أني لا ألقى روحك الطاهر الذي كأن جسمه المسك الذكي الشديد الرائحة

٢٢ – الغريب الضخم العظيم والجدة تسمى أما وتقوم في الميراث مقام الأم المعنى يقول إذا لم يكن أبوك عظيم القدر فولادتك إياي بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه إذا قيل لك أنت أم أبي الطيب فقام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب

٢٣ – الغريب لذ طاب والشامت الفرح بمصيبة عدوه وشمت بكسر العين يشمت شماتة وبات فلان بليلة الشوامت أي بليلة تشمت الشوامت وقوله بيومها أي بيوم موتها ومنه لا أراني الله يومك المعنى يقول إذا شمتوا بموتها فقد خلفت لهم مني من يرغم أنوفهم أي يجعلها في التراب ذلة وقهرا

٢٤ – المعنى يقول ولدت مني رجلا تغرب أي خرج من بلده إلى **الغربة** وهو لا يستعظم أحدا إلا نفسه فلهذا تغرب وفارق الذين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ولم يقبل حكم أحد إلا حكم الله الذي خلقه

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/١٢٠

وهو من باب التكبر والحمق المعروفين له

٢٥ - المعنى يقول ولا سالكا أي لا أسلك طريقا إلا قلب عجاجة استعار لها قلبا ولا أجد طعما أستلذه إلا طعم المكارم والمعنى لا أجد شيئا لذيذا إلا الحرب والمكارم

٢٦ - الإعراب ما واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أي شيء أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه قال الله تعالى حاكيا عن فرعون قال فرعون وما رب العالمين وما تبتغي أي أي شيء تبتغي وما أبتغي ابتداء أي فقلت الذي أبتغي جليل." (١)

"- الغريب المدام الخمر والمدام المطر الدائم كأنه أديم أي أدامه الله المعنى يقول أنا على هذه الحالة في الغربة عليل الجسم عاجز عنا لقيام سكران من غير خمر بل من ضعف

٢١ - المعنى يكنى عن الحمى التي كانت تأتيه ليلا فيقول كأنها حيية فليست تزور إلا في الليل

٢٢ - الغريب المطارف جمع مطرف وهو الذي في جنبه علمان والحشايا جمع حشية وهو ما حشى من الفرش مما يجلس عليه المعنى يقول هذه الزائرة يعني بها الحمى التي كانت تأخذ في مصر لا تبيت في الفراش وإنما تبيت في عظامي

٢٣ - المعنى يضيق جلدي فلا يسعها ولا يسع أنفاسي الصعداء والحمى تذهب لحمى فتوسع جلدي بما توروده على من أنواع السقام

٢٤ - المعنى قال الواحدي يريد أنه يعرق عند فراقها فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل وإنما خص الحرام للقافية وإلا فالجماع على الحلال كالجماع على الحرام في وجوب الغسل وقال ابن الشجري وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة

٢٥ - الغريب بأربعة سجام أي ذات سجام فحذف وأراد بالأربعة اللحاظين والموقين للعينين فإن الدمع يجري من الموقين فإذا غلب وكثر جرى من اللحاظ أيضا وقال أبو الفتح أراد الغروب وهي مجارى الدمع والغروب لا تنحصر بأربعة المعنى يقول إنها تفارق عند الصبح فكأن الصبح يطردها وأنها إذا فارقته تجري مدامعها من أربعة سجام يريد كثرة الرحضاء وهو عرق الحمى فكأنها تبكي عند فراقه محبة له." (٢)

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٤/١٠٧

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٤/١٤٦

"وأنشدونا له في عدو قينة:

سقي الله أرضا أنبتت عودك الذي ... زكت منه أعراق وطابت مغارس

تغني عليه الطير والعود أخضر ... وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال في مثله:

يا عود من أية الأشجار أنت فلا ... جفا ثراها ولا أغصانها الماء

غني القيان عليها وهي يابسة ... بعد الحمام زمانا وهي خضراء

وقال في اجتماع البعوض والذباب والبراغيث في مجلس، مخاطب لصاحبه يستهزئ به:

لك مجلس كملت بشارتنا به ... للهو لكن تحت ذاك حديث

غني الذباب وظل يزمر حوله ... فيه البعوض ويرقص البرغوث

وأنشدونا أيضا له:

إن تلقك **الغربة** في معشر ... تطابقوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم." (١)

"ومن هذا الباب أيضا قولي، وهو: تركت قوما يسلون الحبيب، ويملون القريب، ولا يرعون من يرعاهم، ولا يدر اللبن على مرعاهم، فنوالهم تحايا، وأعراضهم ضحايا، ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على الظنة، ولا يرتاحون لمنة، فالذرائع لديهم مدفونة، والصنائع غير مسنونة.

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي الطيب «١» المتنبي:

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ... ولا يدر على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل ... وحظ كل محب منكم ضغن

ومن ذلك ما ذكرته على الحث على **الاغتراب**، وهو: لولا التغرب لما ارتقت بنات الأصداف إلى شرف الأعناق، ولا ارتقى تراب الأحجار إلى نور الأحداق.

وكذلك قولي في هذا المعنى، وهو: في الانتقال تنويه لخامل الأقدار، ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الأبدار، والمندل الرطب حطب في أوطانه، والمسك دم في سرر غزلانه، ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الإصابة، ولولا فراق الوشيج منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذؤابة.

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٧٠

وهذا الفصل فصل من القول في معناه، ومما لم ينبش للخواطر ابتناء مبناه؛ فمنه ما هو مأخوذ من الشعر، ومنه ما منح به الخاطر على غير مثال، وهو يشهد لنفسه.

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الأيام، وهو: أيام تعد بأعوام «٢» لقصر أعمارها، وشهور لا يشعر بأنصافها ولا سرارها؛ فالأوقات بها أصائل، والمحاسن فيها." (١)

"ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب، وهو: كل سطر منه روضة غير أنها ليل في صباح، وكل معنى منه دمية غير أن ليس على مصورها من جناح.

وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور «١» .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم، وهو: فأغنى بجوده إغناء المطر، وسما إلى المعالي سمو الشمس وسار في منازلها مسير القمر، ونتج من أبكار فضائله ما إذا ادعاه غيره قيل: للعاهر الحجر.

وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة، فقلت: أفكار الخواطر لا تستولد على انفرادها، وغايتها أن يتناكح في استنتاج أولادها، وأنا أنكح فكري لفكر نكاح الأنساب، ولا أخاف أن أضوي فأميل إلى **الاغتراب**.

وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بنكاح البعيدة النسب فقال: «غربوا لا تضووا» يريد بذلك أن الإنسان إذا نكح المرأة القريبة إليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغي فيجيء الولد ضاويا: أي هزيلا، وهذا معنى غريب لي استخرجته من الحديث النبوي.

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان، جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه مخاصمة، فقلت: وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى، وطلب العدوى، ونزل من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه القصوى، والقاضي لا يحكم لأحد الخصمين حتى يحضر صاحبه، وإن فقئت عين أحدهما فربما فقئت عين الآخر وهشم جانبه، على أنه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلا، وعليه في حال محضره جاهلا، وسباب المؤمن معدود من فسوقه، وإطراقه عن تورد هذا المقام أولى من طروقه، ولولا تغليظ النكير لما." (٢)

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١١٥/١

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١٤٣/١

"الذي أشرت إليه أيضا فيما تقدم، الثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى، لا المعنى تابعا للفظ، الرابعة: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها؛ فهذه أربع شرائط لابد منها.

وسأورد ههنا من كلامي أمثلة تحذي حذوها، فإني لما سلكت هذه الطريق وأتيت بكلامي مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذي تضمنته أختها، ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها، وإذا تأملتها علمت صحة ما قد ذكرته.

فمن ذلك ما كتبته في صدر كتاب عن بعض الملوك إلى دار الخلافة، وهو:

الخادم واقف موقف راج هائب، لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن شخص غائب، موجه وجهه إلى ذلك الجناب الذي تقسم فيه أرزاق العباد، ويتأدب به الزمان تأدب ذوي الاستعباد، وتستمد الملوك من خدمته شرف الجدود كما تستغني بنسبها إليه عن شرف الأجداد، ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره، وأحظاها من النظر إليه ببرد العيش الذي عمرها محسوب من عمره، وهذا القول يقوله وكل ما جد فيه حاسد، وبتأميله راكع ساجد، والديوان العزيز محسود الاقتراب، وهو موطن الرغبات الذي **الاغتراب** إليه ليس **بالاغتراب**، وما ينافس في القرب من أبوابه الكريمة إلا ذوو الهمم الكريمة، وقد ودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة فضلا عن ندماني جذيمة.

ومن ذلك ما كتبته من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس، وهو: الكريم من أوجب لسائله حقا، وجعل كواذب آماله صدقا؛ وكان خرق العطايا منه خلقا، ولم ير بين ذممه وبين رحمه فرقا، وكل ذلك موجود في كرم مولانا أجراه الله من فضله على وتيرة، وجعل هممه على تمام كل نقص قديرة، وأوطأه من كل مجد سريرا كما بؤأه من كل قلب سريرة، ولا زالت يده بالمكارم جديرة، ومن الأيام مجيرة، ولضرائرها من البحار والسحاب معيرة، ولا برحت تستولد عقائم المعاني وتستجد أبنيتها حتى يشهد الناس منها في كل يوم عقيقة أو وكيرة، ومن صفات كرمه أنه." (١)

"تركت أناسا لم يهشوا لمنة ... ولم ينقعوا غل الظماء الخوامس

على القرب فيهم إنني غير طامع ... ومنك على بعد المدى غير آيس

ومن هذا الباب أيضا قولي وهو:

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/ ٢٠٠

"تركت قوما يسلون الحبيب، ويملون القريب، ولا يرعون من يرعاهم، ولا يدر اللبن على مرعاهم، فنوالهم تحايا، وأعراضهم ضحايا، ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على الظنة، ولا يرتاحون لمنة، فالذرائع لديهم مدفونة، والصنائع غير مسنونة".

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي١:

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ... ولا يدر على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل ... وحظ كل محب منكم ضغن

ومن ذلك ما ذكرته على الحث على **الاغتراب**، وهو:

"لولا التغرب لما ارتقت بنات الأصداف إلى شرف الأعناق، ولا ارتقى تراب الأحجار إلى نور الأحداق".

وكذلك قولي في هذا المعنى، وهو:

"في الانتقال تنويه لخامل الأقدار، ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الأبدار، والمندل الرطب حطب في أوطانه، والمسك دم في سرر غزلانه، ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الإصابة، ولولا فراق الوشيج٢ منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذؤابة".

وهذا الفصل فصل من القول في معناه، ومما لم ينبش للخواطر ابتناء مبناه، فمنه ما هو مأخوذ من الشعر، ومنه ما منح به الخاطر على غير مثال، وهو يشهد لنفسه.

---

١ ديوان المتنبي ٤/ ٢٣٦ من قصيدته التي مطلعها:

بم التعلل؟ لا أهل ولا وطن ... ولا نديم ولا كأس ولا سكن

٢ الوشيج: شجر الرماح.." (١)

"ومن ذلك ما كتبته في كتاب إلى بعض الإخوان جوابا عن كتاب ورد:

وكان كتابه تأخر عني زمانا طويلا، فقلت:

"ولما تأملته ضممته إلي والتزمته، ثم استلمته والتثمته، وعلمت أن المعارف وإن قدمت أيامها -أنساب وشيجة، وتأسيت بالخلق النبوي في العجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة".

وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة -رضي الله عنها، وهو أنها قالت: كان رسول الله -صلى الله

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١٢٤/١

عليه وسلم- يذبح الشاة فيعضيها١ أعضاء، ويقسمها في أصدقاء خديجة، وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها راءه، فسألته عن ذلك فقال: $"هذه كانت تأتينا في زمن خديجة، وحسن العهد من الإيمان".

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب، وهو:

"كل سطر منه روضة، غير أنها ليل في صباح، وكل معنى منه دمية، غير أن ليس على مصورها من جناح".

وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور.

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم وهو:

"فأغنى بجوده إغناء المطر، وسما إلى المعالي سمو الشمس، وسار في منازلها مسير القمر، ونتج من أبكار فضائله ما إذا ادعاه غيره قيل: للعاهر الحجر".

وهذا المعنى من قول النبي -صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش وللعاهر الحجر".

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة، فقلت:

"أفكار الخواطر لا تستولد على انفرادها، وغايتها أن يتناكح في استنتاج أولادها، وأنا أنكح فكري لفكر نكاح الأنساب، ولا أخاف أن أضوي فأميل إلى **الاغتراب**".

---

١ عضيت الذبيحة -بالتشديد: جعلتها أعضاء.." [(١)]

"وفلان، فإنك ترى أكثر المسجوع منه كذلك، والأقل منه على ما أشرت إليه.

ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية، على غرام الناس بهما، وإكبابهم عليهما، فوجدت الأكثر من السجع فيهما على الأسلوب الذي أنكرته.

فالكلام المسجوع إذا يحتاج إلى أربع شرائط:

الأولى: اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذي أشرت إليه فيما تقدم.

الثانية: اختيار التركيب على الوجه الذي أشرت إليه أيضا فيما تقدم.

الثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى، لا المعنى تابعا للفظ.

الرابعة: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها.

فهذه أربع شرائط لا بد منها.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/١٥٥

وسأورد ههنا من كلامي أمثلة يحذى حذوها، فإني لما سلكت هذه الطريق، وأتيت بكلامي مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذي تضمنته أختها، ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها، وإذا تأملتها علمت صحة ما قد ذكرته.

فمن ذلك ما كتبته في صدر كتاب عن بعض الملوك إلى دار الخلافة وهو:

الخادم واقف موقف راج هائب، لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن شخص غائب، موجه وجهه إلى ذلك الجناب الذي تقسم فيه أرزاق العباد، ويتأدب به الزمان تأدب ذوي الاستعباد، وتستمد الملوك من خدمته شرف الجدود، كما تستغني بنسبتها إليه عن شرف الأجداد، ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره، وأحظاها من النظر إليه ببرد العيش الذي عمرها محسوب من عمره، وهذا القول يقوله وكل ما جد فيه حاسد، وبتأميله راكع ساجد، والديوان العزيز محسود الاقتراب، وهو موطن الرغبات الذي **الاغتراب** إليه ليس **بالاغتراب**، وما ينافس في القرب من أبوابه." (١)

"النوع الخامس والعشرون: في الأفعال والطبائع (١) :

زحل: له العدمة الطويلة (٢) والفقر الشديد والثروة، مع البخل على نفسه وغيره، والعسر والنكد والشدائد والهموم والحيرة وإيثار العزلة، والاستعباد للناس بالظلم واستعمال الغش (٣) والحيل والبكاء والحزن.

المشتري: له معونة الناس والاصلاح بينهم وبذل النصفة منهم، وإظهار السرور لكل من يقارنه، والتمسك بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الرؤيا، وكثرة الضحك والنكاح والمزاح، وشدة الرغبة في المال والاشتغال والتغرير (٤) بالنفس.

المريخ: له العزلة والأسفار والخصومة والحرب وأعمال الشر (٥) ، وقلة الخير وإفساد الأشياء الصالحة والكذب والنميمة والأيمان الكاذبة، وكثرة الشهوة والنكاح الفاحش، والحرص على القتل، والغصب (٦) والإباق.

الشمس: لها الحرص على الرئاسة، والرغبة في جمع المال، والاهتمام بأمور المعاد، والاقتدار على الأسرار، وقهر ذوي المعاصي، فيضر وينفع، ويخفض ويرفع، ويسيء إلى من عاداه (٧) غاية الإساءة حتى يشقي (٨) ، ويسعد من (٩) يوده، فإذا كانت في شرفها دلت على الملوك، وإذا كانت بالضد فعلى الذين زال عنهم الملك.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢١٥/١

الزهرة: لها البطالة والضحك والاستهزاء والرقص وحب الخمر واللعب بالشطرنج والنرد وكثرة الأيمان والكذب والخلاعة (١٠) ، والتصدي للرجال والتأنيث (١١) ، وكثرة النكاح من وجوه شنيعة في الدبر والسحق وحب الزنا والبغاء (١٢) .

(١) انظر الجدول مقابل ص: ٢٥١.

(٢) التفهيم: **الغربة** البعيدة.

(٣) ص: الفسق.

(٤) التفهيم: والغرور.

(٥) التفهيم: السوء.

(٦) ص: والغضب.

(٧) التفهيم: قاربه.

(٨) التفهيم: يشتفي.

(٩) التفهيم: من بعد عنه.

(١٠) ص: والخداعة.

(١١) هذه العبارة لم ترد في التفهيم.

(١٢) التفهيم: وحب الزينة والعطر وحلي الذهب والفضة والكسى.." [1]

"فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له ... بشق وتحتي شقها لم يحول

وقد أكثر المتأخرون من هذا الباب قاصدين عمله، وما وقع منه لمتقدم فغير مقصود، حتى عمل المعري من ذلك ديوانا كاملا مفردا من ديوان شعره المعروف بسقط الزند، ومنه قوله طويل:

لك الحمد أمواه البلاد بأسرها ... عذاب وخصت بالملوحة زمزم

هو الحظ غير الوحش يستاف أنفه ... خزامى وأنف العود بالعود يخزم

وكقول بعضهم بسيط

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/١٨٧

سلم على قطن إن كنت نازله ... سلام من كان يهوى مرة قطنا

أحبه والذي أرسى قواعده ... حبا إذا ظهرت آياته بطنا

ما من غريب وإن أبدى تجلده ... إلا تذكر عند **الغربة** الوطنا

ومن مليح ما جاء في الالتزام قول أبي نواس كامل:

وأما وزند أبي علي إنه ... زند إذا استوريت سهل قدحكا

إني لتأبى الصنع عالي همتي ... من غيركم وتعاف إلا مدحكا." (١)

"يجلب عليك الضير، وما يفضى بك إلى خير، وما يهلك الإنسان، إلا عثرات اللسان، فلولا لقلقة لسانك، ما غربت عن أوطانك، وأخذت من بين أقرانك، وحبست في ضيق الأقفاص، وسد عليك باب الخلاص، فهل ذلك إلا مما جناه عليك لسانك، وأفصح به بيانك، فلو اهتديت تشيمتي، واقتديت بسيرتي، لبرئت من الملامة، وعلمت أن الصمت رفيق السلامة، ألا تراني كيف ألفت السكوت، ولزمت الصموت، فكان الصمت جمالي، ولزوم الأدب كمالي، اقتنصت من البادية قهرا، وجلبت إلى بلاد **الغربة** جبرا، فلا بالسريرة بحت، ولا على العشيرة نحت، بل أدبت حين غربت، وقربت حين جربت، ومنحت حين امتحنت، وقد قيل فيما تقدم من الزمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان، نظر مؤدبي إلى تخليطى الوقت، فخاف على من المقت، فكمم تصرى بكمامة، ولا تمدن عينيك، وعقد لساني بعقدة، ولا تحرك به لسانك، وقيد قدمى بقيد، ولا تمش في الأرض مرحا، فأنا في وثاقي أتألم، ومما ألاقى لا أتكلم، فلما كممت وعلمت، وأدبت وهذبت، استخلصنى مؤدبى إلى إرسال الصيد، وأزال عني ذلك القيد، فأطلقت وأرسلت هناك بإشارة إنا أرسلناك، فلما رفعت الأكمة عن عينى، وأصلحت ما بينه وبيني، رأيت الملوك خدمى، وأكفهم تحت قدمي، وفي ذلك أقول:." (٢)

"أأحبابى وصلتم أو صددتم ... فعبدكم على حفظ الأمانة

مقيم لا يزحزحه عذول ... ولا يثنى معنفه عنانه

حملت لأجلكم ما ليس تقوى ... جبال أن تحملها وزانه

فحفظ العهد ما وافاه حر ... ولو أودى هواه به وشانه

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٥١٩

(٢) كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار المقدسي، عز الدين ص/٧٧

إشارة الخطاف

فبينا نحن نتذاكر أوصاف الأشراف، وأشراف الأوصاف، إذ نظرت إلى خطاف، وهو بالبيت قد طاف، فقلت له: مالي أراك للبيوت ملازم، وعلى مؤانسة الإنس عازم، فلو كنت في أمرك حازم، لما فارقت أبناء جنسك، ورضيت في البيوت بحبسك، ثم إنك لا تنزل إلا في البيوت العامرة، والمنازل التي هي بأهلها عامرة، فقل لي: يا كثيف الطبع، يا ثقيل السمع، اسمع الآن قصة حالي، وكيف عن الطيور ارتحالي، أنا ما فارقت أمثالي، وعاشرت غير أشكالي، واستوطنت السقوف، دون الشعاب، والكهوف، إلا لفضيلة **الغربة**، ولزوما لأدب الصحبة، صحبت من ليس." (١)

"بنقض ميثاقى، ثم إنى ألفت من البقاع بقعة، تشاكل ما خرجت منه، وطردت بما فعلت عنه، فأتذكر بالبساتين مرابع ربوعى، وأجرى عليه سواكب دموعي، وألوم نفسي التي كانت سببا لوقوعي، وأقول كلما ذكرت تفريق جموعي:

يا دار هل يقضى لنا برجوع ... ويعود لى يا عين طيب هجوعى

يا سادة كاد المشوق بذكره ... يقضى أسا في ساعة التوديع

قلبى ليوم فراقكم متوجع ... وارحمتاه لقلبي الموجوع

فرقتم ما بيت عينى والكرى ... ووصلتم بين الأسى وضلوعى

جسمى معى والقلب بين خيامكم ... ما ضركم لو كان ثم جميعى

وإذا ذكرت لياليا سلفت لنا ... في وصل أحبابى بين ظل ربوعى

فأكاد من حرقى أدوب صبابة ... لولا يجود على فيض دموعى

ووعدتمونى في الحياة بزورة ... فتضاعفت حرقي وزاد ولوعى

إن كان ذنبى صدنى عن وصلكم ... فإليكم فقرى أعز شفيعى

ماضى القطيعة لا يعاد وما جرى ... كاف وحبى ذلتى وخضوعى

---

(١) كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار المقدسي، عز الدين ص/٨٠

فقال: تالله، لقد رثيت لمصابه، وبكيت لأوصابه، لأنه لا شيء أبكى من **الاغتراب**، بعد الاقتراب، ولا أنكى من الحجاب، بعد مشاهدة الأحباب.." (١)

"فارقته النفس جهلا إنما ... يعرف الشيء إذا ما يذهب

ولا يعنى ذلك أن إحساسه **بالغربة** فى مصر كان نتيجة لسوء معاملة أهلها له.

بل العكس صحيح، فقد شعر فيها بالأمن والأمان، وأكرمه حكامها ورجالاتها، وصاحب شعراءها ومفكريها، ووصف استمتاعه بالعيش فيها، ويدل على ذلك الخبر الذى جاء فى النفح عن مطارحته للشعر مع جماعة من أصدقائه من الشعراء المصريين كان من بينهم الشاعر زكى الدين بن أبى الإصبع والشاعر جمال الدين أبو الحسين الجزار ونجم الدين بن اسرائيل «١» كان القرن السابع زاخرا بالعلماء فى كل تخصص، وبالأدباء فى كل فرع.

وكانت هجرة الأندلسيين منهم إلى شمالى أفريقية وإلى المشرق موضع ترحاب فى معظم الأحيان من زملائهم فى تلك المناطق. وقيض الله له بعض الاستقرار فى تونس أيام الأمير أبى زكريا يحيى الحفصى رابع حكام الدولة الحفصية فيها، وفى فترات من حكم الدولة الأيوبية فى مصر والشام مما أتاح الوقت لهؤلاء الحكام كى يشجعوا العلماء والأدباء المقيمين والوافدين على تأليف كتبهم ونظم قصائدهم وموشحاتهم، واتسم العصر كما هو معروف بظهور طبقة من مؤلفى الموسوعات الذين صانوا تراث سابقيهم من الضياع حين قاموا بجمعه وتلخيصه وشرحه والترجمة لمؤلفيه. وكان بعض هؤلاء الملوك والحكام من الأدباء والشعراء، وقد أورد لهم ابن سعيد مقتطفات من شعرهم ونثرهم فى كتبه، ومن بينها كتابه «المقتطف» «٢» فهذا المستنصر بالله بن أبى زكريا الحفصى يفتح قصره للوافدين على أبيه من الأندلس من بين عالم وشاعر وأديب من أمثال حازم القرطاجنى الشاعر الناقد، وابن الأبار القضاعى العالم المؤرخ صاحب «الحلة السيراء» والتيفاشى المؤرخ الأديب، وأبى العباس الغسانى لسان الدولة الحفصية وكاتبها ووزيرها وابن سعيد المغربى، وكذلك كان الأمر فى مصر والشام والعراق قبل سقوط بغداد. فقد ظهر." (٢)

"على الرعية فراجعنى فإن قلبى بيد الله عز وجل المنتصر: لذة العفو أهيب من لذة التشفى، لأن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفى يلحقها ذم الندم.

---

(١) كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار المقدسي، عز الدين ص/٨٦

(٢) المقتطف من أزاهر الطرف ابن سعيد المغربي ص/١٢

الراضي: الذل صعب، وأصعبه ما جرى على الملوك والبخل قبيح وأقبحه ما جرى من الملوك.
المستكفي: من يذل الملوك قتلوه، ومن يظهر الاستغناء عنهم أخملوه، ومن يكذب عندهم حقروه.
القائم: كنت لا أحفل بشكوى الغريب لأنى لا أتوقع ذلك حتى بليت **بالغربة** فصرت لا أرحم إلا الغريب.
المقتدى: طراز الدنيا المال،/ وطراز الأخرى الأعمال، ومن جمع بين الطرازين حاز النعيم المنصرم والنعيم الدائم.
الراشد: أحق الناس بالذم الملوك لأنهم أقدر الناس على اكتساب المكارم واجتناب الرذائل.
المستنجد: عملت حساب لذتى قبل الخلافة، فما وصلت إلى حتى قضيت نهمتى من الأمور التى لا تليق بها.
المستضيء: من تعرض لطلب ما لم يعط، فقد عرض عقله للتهمة ونفسه للتعب.
ومن أولاد الخلفاء العباسيين ابن المعتز: احذر منزلتك من الفساد عند سلطانها بمثل ما اكتسبتها به من الجد والمناصحة، واحذر أن يحطك التهاون عما رقاك إليه التحفظ.." (١)

"قال القسم بن جريال: فلما بث قرن مقامته، وفت الأفئدة بقضب مقالته ومض الجوارح لتقويض رحاله، ورض الجوانح بخسيس ترحاله، لحظ الأمير الغلام، وقال: ذو ذكر والدك علام فقال: أشعر الشجاع الشارخ، والشراع الشامخ، الأهش الشنخوب، الأبش الشؤبوب، الأشسع الشديد، الأخشع الرشيد، الشمري الشكور، الشمرذلي المشكور، شيد مشيد شجاعته، وشرد مشاحنه بجيش شراسته، وشكرت شيم شارق مناشدته، وشهرت أشعة شوارق شدته وشرقت شهب شهامته، وأشرقت شموس شنشنته: شأن الشيخ المنكمش، بالشجى، المحتوش الحشا، الأشهب الشواة، الأشيب لمباشرة الشياة، فشأنه شهد شؤم شقيقي المنشمي مشرفيا لشبل الشميذر العبشمي ليشاهد شحذ شفرته، لانتشار شدة شهرته، بشرب كالشياطيم، شم الخياشيم، فشمر تشذره، وشذر شوذره، وشمر بشذاته شمرة شقت شؤون شواته، وشمرة شهرت حشاه، ونشرت شعر حشد حشاه، فشدي نشوة الشراب، ونشأة الشباب، فشمت شطبا يقشع المشاحن، ويشرع الجواشن، ويشده المشاقق، ويشبه المشارق، بشطر أشهب كالشعاع، وشطر أشكل لمشابكة الشعاع، وشددت شدة شردت شذب حشاشته، وشيدت شدائد شقاوته، وشدقت بمشافهة مناقشته، وشققت شقاشق مشاققته فشب شرر شرهم شبا وشابوا بقشيب الشدو قشبا، وشهى شرب الشرب شغبا فانحشر

(١) المقتطف من أزاهر الطرف ابن سعيد المغربي ص/٥٦

معشرهم للمشيج بالنشيج، ومعشرنا للشجيج، بالوشيج فشرب شرذمة شقاق مشاجراتنا، وشبم شمول شيم مشرفياتنا وفشل شرذمة مستشفعين بالجيش المشروح، بشفتي شيخنا المشهور المشروح، فشيدهم بحشر يشيب الشعور، ويشذب الشعور فشتت شملنا باشتداده، ومشاغبة انحشاده، فاحتوشت إشرافنا الشعوب، وشعبت شعبنا شعوب، وكشط شواتي شهود وشحط أشبالنا مشهود: الطويل.

فارشد شريدا شفه غشم غاشم ... غشوم مشوم باشتهار المشاهد

وشرد بجيشي جاش شد وشدة ... شذى شرهم شبه الشجاع المشاهد

فشعري وشعري شاهدان بشقوتي ... وشيخي كشيخي بالنكاية شاهدي

قال: فحين باهى بشينيته، وضاهى أباه في سينيته، أخرج عضبه وهو من سيول الدما كاب، والذب عن خدور الدمى ناب، ثم أشار بيده إلى رأسه فجعل دمه يتساقط على رئاسه فتشققت لصابهما غلائل الشموع وتدفقت لمصابهما أفواه هموع الدموع، ولما فترت رنة الحي وانكدرت أنة ذلك الشي، قال لهما الأمير: اعلما أن حي جريحكم ومن هلك بدبور ريحكم، نقوى على كفاحه، وإن عظم وميض صفاحه، وأما بنو سعد فلا نصبر على نزالها، ومبارزة أسود عرزالها، ومع ذلك فشقتهم بعيدة، وشوكتهم شديدة، وإنما نمدكما بما يفيض حياض خالكما، ويبيض وجوه حالك، حالكما، ثم قال لوصيفه: اذهب ذهاب الغروب، وآتهما بما تخلف من النضار المضروب، فعاد بمائة مصرورة، في أسرع صيرورة، فركض الشيخ ركض المقاطعين، وقبض نطاقها قبض الضابط تسعة وتسعين، ثم إنه أخلى خباء لمنامهما، بعد إعداد طعامهما، وقال لي: كن الليلة سميرهما، ليذهب بغيض همهما، وينضب بعيض ماء غمهما فذهبت بهما إلى خبائه، وأكرمتهما إكرام أحبائه، وأقبلت على مسامرتهما، لأخبركنه مبادرتهما، والشيخ مشدود لثامه، مسدود انسجامه، لا يقلع عن صماته، ولا يقطع طلع مقاصاته لاستصحاب حصاته من حصاته، فأخذت أسبر الغلام، وأنشر الدمقس والثغام لأرقا بسلم الاستماع، وأربأ بمعرفة ذلك المصاع، فنهد أبوه كالأسد المشبل، وأزبد كالمدد المسبل فعلمت أنها نبيلة من سكره الكرار وذيلة من غدره الغرار، ثم إنه قهقه قهقهة من تزعزع وقد ناره، وترعرع وفد ثاره، وقال: يا بني قم فاغسل الدم الثقوب، المشبة بدم قميص ابن يعقوب، فما يريده القدر محتوم، وليس عن القسم وعاء غرض مختوم، فأيقنت حينئذ أنه المصري سرحان غاب **الاغتراب** وأفعوان رغاب الارتعاب، ثم إني ملت بعد ابتسامه، إلى تقبيل بنامه وبت أقتني نفائس أنفاسه، وأجتني مغارس استيناسه، إلى أن انهزم الليل بجيش النهار المجر، وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر،

ولما رسخت زواخر يمه، وسخرت بابن ذكاء محاسن بهجة أمه، أقبل إليه القوم مهرعين، ولوداعه مسرعين، فكنت له من المودعين، ولما أعقل به من المودعين.
المقامة الخامسة التوأمية." (١)

"له إلى الله وتدبيره ... ثم إلى الدهر وتجريبه

فإنما الأقدار لا بد أن ... تأتي بما خط وتجري به

فليس كما قال فإنما الهمل في الامهال ولا عذر له في الاهمال وعود الصبا أبدا آمنا إن يحتاج إلى الشفيف وطيش الشباب سريع الحراك فلا غناء له عن التوقيف ويحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان له ولد فترك الصلاة يوما ومضى يلعب بالكلاب مع الصبيان فكتب إلى مؤدبه رقعة وأرسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لا كلب يسعى بها ... نحو الفراش مع الغواة الأرجس

فليأتينك غاديا بصحيفة ... كتبت كمثل صحيفة المتلمس

فإذا أتاك معذرا بملامة ... فعظنه موعظة اللبيب الأكيس

وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت به ثلاثا فاحبس

واعلم بأنك ما فعلت فنفسه ... مع ما تجرعني أعز الأنفس

وأما العلم فقدره كبير وفضله كثير ويكفي في شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم قال بعض الحكماء إذا اجتمع العقل والعلم في رجل فقد استطاب المحيا وسما إلى الدرجة العليا وجمع الآخرة والدنيا وقالوا العلم أفضل مكتسب وأكرم منتسب وأشرف ذخيرة تقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل إلى معرفة الحقائق ويتوصل إلى رضا الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاها وأكرم فروعه وأزكاها لا يضيع أبدا صاحبه ولا فتقر كاسبه ولا يخيب طالبه ولا تنحط مراتبه وقال معاذ بن جبل تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو النيس في الوحشة والصاحب في **الغربة** والوزير عند الخلاء." (٢)

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/١٣

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١١٥

"ومما ينال به الخامل أعلى الرتب ... التحلي بأنواع جواهر الأدب

الأدب نوعان نفسي وكسبي فالنفسي بتوفيق الله يهبه الله لمن يريد وهو ما كان من محاسن الأفعال الدالة على كرم الطباع والكسبي ما استفادته الأنفس من أحاسن الأقوال الآخذة بأعنة القلوب او الأسماع وهو الذي ترجمت عليه في هذا الموضع ليقع ذكره في النفوس أحسن موقع لترمقه لأجله العيون بالاجلال وتتجمل النفوس به لميلها إليه بتتابع الأدلال وهو الظرف في اللسان الكائن عن الاشتغال بفنون علوم الآداب الحسان كالنحو واللغة ونظم الشعر وإنشاء النثر وما يتعلق بذلك من علم البديع والمعاني والبيان وما ذكرناه فهو الذي نال به حماد الراوية والأصمعي وإسحق الموصلي العلا من الخلفاء والجوائز من الوزراء وسموا تشريفا لهم بالجلساء والندماء قال أكثم بن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح وقال بزرجمهر الدب شريف لا ينطبع إلا في مثرهـ وقال الأحنف لكل شيء ذؤابة وذؤابة الشرف الأدب وقال أنوشروان عجبت لمن يشهره الأدب كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة وقال بعض الأعراب لولده عليك بالأدب فإنه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في مجالس الملوك وقال عبد الملك لبنيه تأدبوا فإن كنتم ملوكا برزتم وإن كنتم أوساطا فقتم وإن أعوزكم المعاش عشتم استفيدوا من الأدب ولو كلمة واحدة وقال بعض الأعراب تعلموا الأدب فإنه زيادة في الفضل ودليل على العقل وصاحب في الغربة وأنيس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب إلى درك الحاجة وقال المأمون والله لان أموت طالبا للأدب خير من أن أموت قانعا بالجهل ويقال ذك قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب وقال الخليل بن أحمد من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا وقال آخر الأدب أكرم الجواهر طبيعة يرفع الأحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة وينجح القصد والوسيلة فالبسوه حلة وتزينوه حلية فإنه أنفق معاش وأجمل رياش وقال الشعبي الأدب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال

ومما ذكر أن التحلي بالآداب ... يلحق الدنئ بذوي الأحساب

قالوا من قعد به نسبه نهض به حسبه وقالوا من تأدب وليس له حسب الحقه الأدب بأهل الرتب وقد يستغني الأدب عن الحسب كما حكى عن سيبويه." (١)

"والحدأة تبيض بيضتين، وربما باضت ثلاثا، وخرج منها ثلاثة أفراخ وهي تحضن عشرين يوما، ومن ألوانها السود والربد، وقال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان الحدأة لا تصيد، وإنما تخطف، وفي طبعها

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٨٦

أنها تقف في الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر وذكر ابن وحشية: إن العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة، والحدأة عقابا، ويقال: إن الحدأة أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير، ولو ماتت جوعا، ولا تعدو على فرخ ما جاورها ويزعم نقلة الأخبار وحملة الآثار أن الحدأة من جوارح سليمان عليه السلام، وإنما امتنعت أن تملك أو تألف لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، ولو كانت الحدأة مما يصاد بها لما كان في الكواسر أحسن صيدا منها، ولا أجل ثمنا، وفي طبعها أنها لا تخطف إلا من يمنة من تخطف منه دون شماله، حتى أن بعض الناس يقول عسري فلذلك لا يمكنها أن تأخذ من يسار إنسان شيئا، وليس فيها لحم، وإنما هي عظام، وعصب، وجلد، وريش.

القول في طبائع الغراب

وأصناف: الغداف، والزاغ الأكحل، والزاغ الأورق، وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه، حتى هو في ذلك أعجب من الببغاء، والغراب الأبقع المورد، والغراب الأبقع الأغبر، ورأيت غرابا أبيض أهداه متولي الإسكندرية إلى السلطان الملك الظاهر صاحب مصر - رحمه الله -، وقد حكي أن الغربان والعصافير والخطاف يكون في بلاد الشديدة البرد كذلك، وكذلك أوبار ذوات الأربع وشعورها تكون في تلك البلاد بيضا وشعور الناس فيها ضاربة إلى البياض حتى الحواجب والأهداب، وسائر أنواع الغراب من ذوات المناقر لا من ذوات المناسر وهي من الطير القواطع في الشتاء، الرواجع في الصيف، وإنما سميت قواطع لأنها تقطع إلى الأماكن في وقت دون وقت، وفصل دون فصل والطير التي تقيم بأرض شتاء وصيفا فهي الأوابد، والغراب ليس بهيمة لمكان أكله الجيف، وليس بسبع لعجره عن الصيد وفي طبعه عند السفاد، وهو يسفد مواجهة، ولا يعاود الأنثى إذا سفدها أبدا لقلة وفائه، والأنثى تبيض أربع بيضات أو خمسا، وإذا خرجت الفراخ من البيض وقويت أجنحتها طردتها، والفرخ يخرج من البيضة قبيحا جدا يكون حينئذ صغير الجرم عظيم الرأس والمنقار أجرد الجلد أسوده، متفاوت، فأبواه ينكرانه لذلك ويتركانه فيجعل الله قوته من الذباب والبعوض اللذين يكونان في عشه إلى أن ينبت ويقوي ريشه فيعود إليه أبواه، ويربيانه، وعلى الأنثى الحضن، وعلى الذكر أن يأتيها بالطعام، وفي طبعه، أنه لا يتعاطى الصيد، بل أن أصاب جيفة نال منها، وإلا مات هزالا أو يتقسم كما يتقسم بهائم الطير، وضعافها، والغراب الأسود يكون مثله في الزنوج فإنهم شداد البأس وأردى الخلق تركيبا ومزاجا، كمن بردت بلاده فلم تنضجه الأرحام، أو سخنت بلاده فأحرقته الأرحام، والأبقع يكون اختلاف تركيبه دليلا على فساد مزاجه، وهو الأم من الأسود وأضعف، وفي الغراب حذر

شديد وتناصر، والغداف يقاتل البوم، ويخطف بيضها في أنصاف النهار ويأكله لأنها حينئذ لا تبصر شيئا فإذا كان الليل شدت البوم على بيض الغداف فأكلته لأنها أقوى منه حينئذ ومن عجيب ما أودع في الغراب من الإلهام إن الإنسان إذا رام أن يأخذ أفراخه حملت الأنثى والذكر بأرجلهما حجارة، وحلقا في الجو، وطرحا الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه، والعرب تتشاءم بالغراب، ولهذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب، ويرون أن صياحه أكثر أخبارا، وإن الزجر أعم فيه.

قال عنترة يصفه بذلك:

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى بينهم الغراب الأبقع

حرق الجناح ليحمي رأسه ... جلمان بالأخبار هش مولع

ولما كان صافي العين حادها سموه مخافة الزجر والطرة، الأعور، كما كنوا الأعمى بالبصير والغراب من الطير القواطع يأتي من حيث لا يبلغ حمام، وذلك أن الثلج إذا طبق البلاد التي قطعت إليها خرجت منها نحو الصحارى، والجبال، والجزائر، حتى تعود إلى أماكنها من غير تدريب ولا تعليم، فتقيم في الدفء مدة، ثم تعرف وقت انحسار الثلوج عن تلك البلاد فترجع فلا تغادر مساكنها الأولى التي كانت فيها وليس ذلك خفي عن أحد، ويزهو الغراب، وصحة بدنه، وصفاء مقلته، وحدة بصره يضرب المثل الوصف والتشبيه." (١)

"قال: ومنها غراب البين؛ وهو نوعان: أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم. والآحر إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى مواضع بيوتهم يتلمس ويتقمم، فتشاءموا به وتطيروا منه، إذ كان لا يلم بمنازلهم إلا إذا بانوا منها؛ فسموه غراب البين. ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة، وعلموا أنه نافذ البصر صافى العين، فسموه الأعور؛ من أسماء الأضداد.

قال: والغدفان جنس من الغربان؛ وهى لئام جدا. ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب. والعرب يتعايرون بأكل لحوم الغربان. وفى ذلك يقول وعلة الجرمى «١» :

فما بالعار ما عيرتمونا ... شواء الناهضات مع الخبيص «٢»

فما لحم الغراب لنا بزاد ... ولا سرطان «٣» أنهار البريص «٤»

والغربان من الأجناس التى تقتل فى الحل والحرم، وسميت بالفسق.

---

(١) مباهج الفكر ومناهج العبر الوطواط ص/٨٥

قال الجاحظ: وبالبصرة من شأن الغربان ضروب من العجب، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطلسمات؛ وذلك أن الغربان تقطع إلينا فى الخريف فترى النخيل وبعضها مصروم وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان؛." (١)

"فوجد التاسع قد مر به «كركى» طويل السفار، سريع التفار؛ شهى الفراق»

، كثير **الاغتراب** يشتو بمصر ويصيف بالعراق؛ لقوادمه فى الجو هفيف «٢» ، ولأديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف؛ تحن إلى صوته الجوارح، وتعجب من قوته الرياح البوارح؛ له أثر حمرة فى رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت ضماد؛ أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد؛ ذو منقار كسنان، وعنق كعنان «٣» ؛ كأنما ينوس، على عودين من آبنوس «٤» .

إذا بدا فى أفق مقلعا ... والجو كالماء تفاويفه

حسبته فى لجة مركبا ... رجلاه فى الأفق مجاديفه

فصبر له حتى جازه «٥» مجليا، وعطف عليه مصليا؛ فخر مضرجا بدمه، وسقط مشرفا على عدمه. وطالما أفلت لدى الكواسر من أظفار المنون، وأصابه القدر بحبة من حمأ مسنون؛ فكثر «٦» التكبير من أجله، وحمله راميه من على وجه الأرض برجله.

وحاذاه «غرنوق» حكاه فى زيه وقدره، وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره؛ له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى خلفه، معقودتان من أذنيه مكان شنفه.

له من الكركى أوصافه ... سوى سواد الصدر والراس

إن شال رجلا وانبرى قائما ... ألفيته هيئة برجاس." (٢)

"من التجأ إليه ممن نبت به **الغربة** وعاقبة السفر، وحقق باختياره صدق الخبر عنه وتيقن الخبر، لا يقتصر فيه على هذه النبذة التى ذكرناها، واللمعة التى أوردناها؛ بل يتعين بسط القول فيه، وأن يتكلم المؤلف إذا انتهى إليه بملء فيه. وربما اعترض على معترض لم يطالع مجموع ما ألفت، ولا وقف على جملة ما صنفت، فيقول: كيف اقتصر على فتوح مصر على مجرده وهى أصل بلاده، وقاعدة عباده، وبسط القول فى الإسكندرية وهى على الحقيقة من مضافاتها، وولاية من جملة ولاياتها! وقد تجول فيه خيل الاعتراض،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١١/١٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٠/١٠

ويعدل عن الانشراح إلى الانقباض، ويتوهم أن ذلك عن عجز أو قصر، وإن بسط العذر فيقول: عن ملال وضجر. وليس الأمر- ولله الحمد- كذلك؛ لأنا ذكرنا أخبار مصر فى كتابنا هذا فى أربعة مواضع سلفت منه، فذكرنا خصائصها وما فضلت به على غيرها فى الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الأول، وكل ذلك فى السفر الأول من كتابن۱ فى خصائص البلاد، وذكرنا أخبار نيلها فى الباب السابع من القسم الرابع من الفن الأول فى الأنهار، وذكرنا أخبار ما بها من المبانى القديمة والآثار العظيمة، فى الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول.

وذكرنا أخبار من ملكها من ملوك الأمم قبل الطوفان وبعده، وما بنوه بها من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابى وغير ذلك من المبانى، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم، وما أثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة وما شقوه وأنبطوه من الأنهار، وغير ذلك من أخبارها وعجائبها، وذلك فى الباب الثانى." (١)

"ويستبدل به من أهل بيته من هو خير منه طريقة ودينا؟ فأفتى الفقهاء بخلعه وفسخ عهده والاستبدال به غيره، وعرضت الفتيا والمحضر على السلطان فقال: هذا أمر قلدتكم إياه وأنا برىء منه عند الله! ثم خلع وقطعت خطبته من بغداد وسائر البلاد فى ذى القعدة وبويع بعده للمقتفى.

/ وكانت خلافته أحد عشر شهرا وأياما، وكتب السلطان إلى أتابك زنكى فى القبض عليه وإرساله إلى بغداد فمنع من ذلك فارس الإسلام زين الدين على بن بكتكين صاحب إربل رحمه الله وقال: والله لا سلمناه حتى تراق دماؤنا! واعتذر إلى السلطان وقال: أنا أخرجه من ولايى؟

فأرسل أنت عسكرا للقبض عليه من غير جهتنا! وأعد زين الدين جماعة من الأكراد فساروا بين يديه على طريق لا يعرفها كثير من الناس فوصل إلى مراغة أذربيجان ونزل ببرية أبيه وتلقاه أهلها وولوه أمرهم فأقام بها يسيرا ثم ارتحل إلى الرى فلما قرب من بلاد الباطنية جرد عسكره لقتل من وجد منهم فقتل منهم جماعة ثم تنقلت به الحال وكابد **الغربة** ووصل إلى همذان وسار منها يريد إصفهان. فلما كان فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثب عليه نفر من الباطنية- وكانوا فى خدمته على زى الخراسانية-

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٢/١٩

فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان [قد بل] «١» من أثر مرض قد برأ منه ودفن فى شهرستان على فرسخ من إصفهان، وقتل أصحابه الباطنية الذين قتلوه. ولما ورد الخبر بمقتل." (١)

"وزحفت الخطوب إليه زحفا، وصار للوقت دكا دكا. والناس حوله صفا صفا. هذا، ولسان النار يقول: هل من مزيد؟ ومدامع الخلق تهمى وتزيد، فعلت الأصوات عند ذلك بالدعاء، وكاد اللهب يخمد من جريان ماء البكاء، وشهد الناس منه اليوم المشهود. وهبت الأرياح فلم تخمد للأرواح ضراما، وخالفت هذه النار نار الخليل «١» ، فلم تعقب بردا وسلاما! فكل مالك لموضع صار فيه «مالكا «٢» » . وكل ذى حال حسنة حاله حالكا. فمن فائز بنفسه دون نفائسه، ومن راغب فى هربه لشدة رهبه، ومن آبق «٣» بمرده «٤» دون أهله وولده. قد لزم كل منهم ما يعنيه، وعمل بقوله عز وجل: «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» . فإنا لله وانا اليه راجعون، ولأمره طائعون.

لا صادف لمصادف قضائه، ولا صارف لصرف بلائه.

لم يبق هذا المصاب لهولاء القوم جلدا، ولم يؤخر عنه حزنا ولا كمدا.

وكل أحد منهم يقول: أهلكت مالا لبدا «٥» . فكم من كريم كان يجزل الهبات فصار جديرا بأن يتصدق بها عليه. وكم من ممول كان يؤدى الزكاة فصار مستحقا بأن تصرف إليه. كانوا أعزاء فى الغربة بأموالهم، فصاروا." (٢)

"ولما مات الملك الناصر صلاح الدين، وملك الملك العادل دمشق، سار متوجها إلى الشام. وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية، واستأذنه فى الدخول إلى دمشق. ووصفها وصف ما قاسى فى الغربة، ولما فرغ من وصف دمشق وأنهارها وبساتينها ومستنزهاتها، قال فى قصيدته:

فارقتها لا عن رضى، وهجرتها ... لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق فى البلاد مشتت ... ومن العجائب أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحى متقنعا ... وأكف ذيل مطامعى متسترا

جاء منها فى شكوى الغربة، وما قاساه منها:

أشكو إليك نوى، تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٨١/٢٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٠٤/٢٩

لا عيشتى تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفنى يصافحه الكرى

أضحى عن الأخوى المريع محلا «١» ... وأبيت عن ورد النمير «٢» منفرا

ومن العجائب أن تفيأ ظلكم ... كل الورى، ونبذت وحدى بالعرا

فلما وقف العادل على هذه القصيدة، أذن له فى الدخول إلى دمشق، فدخلها.." (١)

"وأصارها إلى الوحشة بعد الأنس، والنفرة بعد الإلف، تتقلقل تقلقل العوادى، وتشرد شرود الضوال، لافظة لها الأقطار ونابية بها المحال؛ إلى أن أعادها الله تعالى بلطفه إلى مغناها المعروف، وربعها المألوف؛ واستقرت بعد الاضطراب، وفاءت بعد **الاغتراب**. وتلك نعمة الله عند سيدنا أمير المؤمنين، لما جدد له من كرامته، واصطفاه له من خلافته، وطوقه إياه من إمامته؛ ورده إليه من تدبير الملك، واعتمد عليه من سياسة الأنام؛ فأحيا به السنن القاصرة، وأزال به الرسوم الجائرة؛ ونهج به سبيل العدل، وأقام به منار الفضل.

وقال طريح بن إسماعيل الثقفى فى المنصور لما أفضت الخلافة إليه:

لما أتى الناس أن ملكهم ... إليك قد صار أمره سجدوا

واستبشروا بالرضا تباشرهم ... بالخلد لو قيل إنهم خلدوا

كنت أرى أن ما وجدت من الفر ... حة لم يلق مثله أحد

حتى رأيت العباد كلهم ... قد وجدوا فيك مثل ما أجد

قد طلب الناس م ا بلغت فما ... نالوا ولا قاربوا ولا جهدوا

يرفعك الله بالتكرم والتق ... وى فتعلو وأنت تقتصد

وقال زيد السندى يهنئ الوزير يعقوب بن كلس بوزارة العزيز بمصر:

إن الوزارة لم تزل بك صبة ... تهواك لم يخطر سواك ببالها

خطبت فلم تعط القياد لطالب ... وأبت على طلابها بوصالها

وقال ابن بشر الصقلى الكاتب يهنئ الحسن بن إبراهيم التسترى بوزارة مصر، وقد وزر للمستنصر فى سنة أربع وخمسين وأربعمائة:

بيومك طارت فى البلاد البشائر ... وطابت بمرجوع الحديث المحاضر

(١) نهاية ا الأرب في فنون الأدب النويري ٢٩/١٩٥

وأصبحت الأمصار أمنا وغبطة ... أسرتها مهتزة والمنابر

وقام خطيب الحمد فى كل موقف ... يعدد ما تملى عليه المآثر." (١)

"أحدهم كلما ازداد عملا نقص من ساعات نصبه [١] وعمله فزادها فى ساعات شهوته وعبثه.

فهذه الصفات، فلنذكر الوصايا.

وأما وصايا أصحاب السلطان- فهى متقاربة من وصايا الوزراء غير متفاوتة. وفيها ما يضطر الوزير إليه، على ما تقف إن شاء الله تعالى عليه.

قالت الحكماء: إذا نزلت من الملك بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر من الدعاء له فى كل كلمة، فإن ذلك يشبه حال الوحشة **والغربة**، إلا أن تكلمه على رءوس الناس فلا تأل عما وقره وعظمه. وإذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشىء من الهوى، فإن الرأى يقبله منك العدو، والهوى يرده عليك الصديق.

وتبصر ما فى الملك من الأخلاق التى يحب ويكره، ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره إلى ما تحب وتكره [٢] ، فإنها رياضة صعبة قد تحمل على التنائى [٣] والقلى.

فقلما تقدر على رد رجل عن المكابرة والمناقضة وإن لم يكن جمع به عز السلطان، فكيف إذا جمح به!

ولكن تعينه على أحسن رأيه وتزينه له وتقويه عليه؛ فإذا قويت المحاسن كانت هى التى تكفيك المساوى.

وإذا استحكمت منه ناحية [٤] من الصواب

---

[١] فى الأصل: «نصيبه» وما وضعناه هو المناسب للسياق. فلعل ما فى الأصل تحريف.

[٢] وردت هذه الجملة فى الأصل هكذا: «وتبصر فان فى الملك من الأخلاق التى يحب ويكره، ثم لا تكاثره بالتحول عما..» وفيها تحريف. وقد أثبتنا ما ترى استنادا الى ما فى الأدب الكبير.

[٣] كذا فى الأدب الكبير، وهو المناسب للسياق، وفى الأصل: « ... على الإباء ... » .

[٤] كذا فى الأدب الكبير، وفى الأصل «واذا استحكمت منه ما أحب من ... » .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٨/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٤٣/٦

"وقال أبو الفتح كشاجم:

واذا نمنمت بنانك خطا ... معربا عن بلاغة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... تجتنى من سواد ذاك المداد

وقال الممشوق «١» الشامى شاعر اليتيمة:

لا يخطر الفكر فى كتابته ... كأن أقلامه لها خاطر

القول والفعل يجريان معا ... لا أول فيهما ولا آخر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الكتاب نعم الذخر والعقدة «٢» ، ونعم الجليس والعمدة، ونعم النشرة «٣» والنزهة، ونعم المستغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، والوزير والنزيل؛ والكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حشى ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا، إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره وعجبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألهتك نوادره، وإن شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله، وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وناطق أخرس، وببارد حار ومن لك بطبيب أعرابى، وبرومى «٤» هندى، وفارسى يونانى، وبقديم مولد، وبميت ممتع، ومن لك بشيء يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والشاهد والغائب." (١)

"تعاطى منالا لا ينال بعزمه ... وكل اعتزام عن مداه طليح

ولكنه يعدل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيه الله للإسلام صدرا، وفى سماء الملة بدرا، وفى ظلمات الحوادث فجرا؛ وأن يجمع الشمل بمجلسه وعراص الآمال مطلوله «١» وسهام القرب على نحور البعد مدلوله، وعقود النوى بيد اللقاء محلوله؛ «وما ذلك على الله بعزيز» .

فقد «٢» يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وما رمت به النوى مراميها، ولا سلكت به الغربة مواميها «٣» ؛ إلا استنجد شوقه من الجفون هاميا، واستدعى من الزفرة ما يعيد مسلكه من الجوانح داميا، وصدر عن منهل الماء العذب النمير ظاميا، وتعلل بالأمانى فى الاجتماع «وآخر «٤» ما يبقى الإياس الأمانيا «٥» » والسلوة أن الطريق بحمد الله أسفرت «٦» عن فضل اجتهاده، وفضيلة جهاده؛ ونصرة الإسلام، وإعلاء الأعلام؛ وخدمة المجلس الفلانى– أعز

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧/٧

الله نصره، وأسعد بها جده، وبلغ بـها قصده، وأمضى فى الكفر حده؛ وأورى بها للإسلام قدحا، وشرفت حديثا وشرحا، وأجهدت الأعداء إثخانا «٧» وجرحا." (١)

"فى كل شهر عشرة دنانير وهى نهاية قدرته، وأعلمه أنها أعود نفعا من ولايته وأقرب عونا من إمرته؛ وعاهد الله ألا يتعرض لجندية أبدا، ولا يمد لطلب ولاية يدا؛ ولا يقف بين يدى الأمراء بعدها، ولا يتجاوز بجلالة أبويه حدها، ولا يهمل شرف نسبته التى لم تصاعر «١» [لها «٢»] الأيام خدها؛ وأخذ عليه عهود الله والمملوك فى الوفاء مهما عهدها؛ وقد توجه الى المشارع الصاحبية التى استعذب وردها والمكارم الشرفية التى ألف حمدها، والصنائع الإحسانية التى وجد فى مرارة الفقر حلوها وفى حرارة الغربة بردها؛ وعاود عش الفضل الذى منه درج، وبيت الكرم الذى اليه دخل ومنه «٣» خرج، وسماء الإحسان التى أطلعت نجم إمامته فعرج عليها وإليها عرج، وبحر المعروف الذى اذا أطنب لسان ثنائه قالت شواهد بيانه: «حدث عن البحر ولا حرج» ؛ ومولانا يضعه تحت كنفه، ويرفعه لله ولسلفه، ويقابله الجناب الشرفى بما عرفه من شرفه؛ ويعينه على جاريه الذى هو مادة رفقه، وأول ما أجراه الله على يد مولانا من رزقه؛ بكتاب يجزل له العزمات وينميها «٤» ، ويسكن روح الحياة فى جسد فاقته ويبقيها؛ فهو ذو ضراء لا تسدها إلا القناعه، وذو فاقة لا ترفعها إلا السعة التى تمد باعه؛ والله يجعل مولانا وقاية لمن لجأ إليه، وإعانة لمن اعتمد عليه؛ إن شاء الله تعالى.." (٢)

"المقصد الثالث فى إفادته للبيان والإيضاح

وهذه أيضا هى فائدة التشبيه الكبرى، فإنه يخرج المبهم إلى الإيضاح والمتلبس إلى البيان، ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه، والبروز بعد استتاره وهذا كقوله تعالى:

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

[البقرة: ١٧] الآية، وقوله تعالى: أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم الآية [البقرة: ١٩- ٢٠] فهاتان الآيتان واردتان مثالا وتشبيها بحال أهل النفاق.

وإيضاحا وبيانا لأمرهم فيما ظهر لهم من النور التام بالرسول صلى الله عليه وسلم، وإعراضهم عنه، فشبه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥/٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٦/٨

حالهم فى ذلك بالمستوقد للنار، وبالصيب الذى فيه الرعد والبرق، كشفا لحالهم فى النفاق، وإظهارا لأمرهم فيه، فنظام هذه الآية وسياقها دال على نهاية الإيضاح بالتشبيه، وإظهار حالهم به، وهكذا إذا قلت زيد يفيض فيض البحر، ويقدم إقداما كالأسد، فإنك بذكر هذا التشبيه قد أوضحت أمره فى الكرم والشجاعة، وكشفت ذلك بالإيضاح كشفا لا غاية له ولا مزيد عليه، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» »

يعنى فى قطع العلائق، وخفة الحال، فإن الغريب لا علقة له فى بلاد **الغربة**، وابن السبيل لا لبث له إلا مقدار العبور وقطع المسافة، فهذا المعنى قد أظهره التشبيه نهاية الظهور وأوضح حاله كما تراه. ومنه قول أمير المؤمنين كرم الله وجهه «كن فى الفتنة كابن الليون، لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» أراد أن الفتن إذا تلبس الإنسان بها ووقع فى غمرتها كان أدعى للهلاك وأقرب إلى تورط النفوس، وإذا كان لا علقة له بها، فربما كان ذلك أدعى للسلامة وأقرب إلى الخلاص عنها، وهذه المعانى قد أشعر بها التشبيه ودل عليها ومن واضح التشبيه قول أبى نواس فى ذم الدنيا وتقبيحها:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

فهذا من التشبيه الواضح المضمر الأداة فلهذا أوردناه ههنا، ومن أعجب ما يورد مثالا فى وضوح التشبيه قول البحترى:." (١)

"(وقد ظلموه حين سموه سيدا ... كما ظلم الناس الغراب بأعورا)

وقال أبو الهيثم إن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره

قلت وقال أرباب طبائع الحيوان هذه المقالة في الهدهد وقول العرب أشأم من غراب البين إنما لزمه ذلك لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين فقالوا أصفى من عين الغراب كما قالوا أصفى من عين الديك وسموه الأعور كناية كما قالوا في الطيرة من الاعمى بصير ومن تشاؤمهم بالغراب اشتقوا منه اسم **الاغتراب** **والغربة** وليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه ويرون أن صياحه أكثر أخبارا وأن الزجر فيه أعم قال عنترة شعر

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ١٤٤/١

(خرق الجناح كأن لحيي رأسه ... جلمان بالأخبار هش مولع)

وقال غيره شعر

(وصاح غراب فوق أعواد بانة ... بأخبار أحبابي فقسمني الفكر)

(فقلت غراب باغتراب وبانة ... ببين النوى تلك العيافة والزجر)." [١]

"قال: ومن ذلك ما ذكرته في الحث على **الاغتراب** وهو: لولا التغرب ما ارتقت بنات الأصداف إلى شرف الأعناق، ولا ارتقى تراب الأحجار إلى نور الأحداق ثم قال: وكذلك قولي في هذا المعنى وهو: في الانتقال تنويه لخامل الأقدار ولولا ذلك لم يكنس الهلال حلة الإبدار، والمندل الرطب حطب في أوطانه، والمسك دم في سرر غزلانه، ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الإصابة، ولولا فراق الوشيج منبته لم يتحل بعز البنان ولا شرف الذؤابة.

وهذا الفصل فصل من القول في معناه، ومما لم يتسن للخواطر ابتناء مبناه. فمنه ما هو مأخوذ من الشعر، ومنه ما سنح به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه.

أقول: قوله ارتقت أولا، وارتقى ثانيا فيه عي لتكراره. ولو قال في أحدهما ما اتصل أو ما سما أو غير ذلك لكان أحسن. وكذا ابتناء مبناه، ومثل هذا يعاب في الكلام. وقد عيب على الصاحب بن عباد قوله:

أشبب لكن بالمعالي أشبب ... وأنسب لكن بالمفاخر أنسب

وبي صبوة لكن إلى حضرة العلا ... وبي ظما لكن من العز أشرب

وسميت القصيدة اللاكنية لكثرة ترداد لكن فيها.

وكل هذه المعاني تداولها الشعراء وأكثروا منها. من ذلك قول ابن صردر:

قلقل ركابك في الفلا ... ودع الغواني للقصور

لولا التغرب ما ارتقى ... در البحور إلى النحور

وقول سبط التعاويذي:

قالوا انتزح وتغرب تكتسب شرفا ... فالدر ما عز حتى فارق الصدفا

وقول ابن قلاقس:

سافر إذا حاولت قدرا ... سار الهلال فصار بدرا

---

(١) الشعور بالعور الصفدي ص/١٠١

والماء يكسب ما جرى ... طيبا ويخبث ما استقرا

وبنقلة الدرر النفي ... سة بدلت بالبحر نحرا

وابن قلاقس وابن الأثير رحمهما الله تعالى من أهل عصر واحد. فإن ابن قلاقس توفي سنة سبع وستين وخمسمائة. وابن الأثير توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولد ابن قلاقس سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ومولد ابن الأثير سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. فعمر ابن الأثير أكثر.

وقول ابن الساعاتي وهو من أهل عصره:

وكن غانيا عن كل أرض بأختها ... وإن حل مغناها كواعب عين

فلولا فراق الدر أصداف بحره ... لأنكره نحر وصد جبين

وقول القائل:

الأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والتبر كالترب ملقى في مواطنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب

وقول أبي العلاء المعري:

والسمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابه

وقلت أنا من هذه المادة:

سافر تنل عزا فما مسك الورى ... إلا دما في سرة الغزلان

والرمح لما فارق الوطن اغتدى ... بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا:

سافر تنل رتب المفاخر والعلا ... كالدر سار فصار في التيجان

وكذا هلال الأفق لو ترك السرى ... ما فارقته معرة النقصان

قال: ومن ذلك ما ذكرته في ذم الدنيا وهو: أنكاد الدنيا مشوبة بالأشياء التي جبلت النفوس على حبها، وكل ما تستلذه الأبدان من مآكلها فإنه يضرها من جهة طبها، ولهذا تذم من منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج. وأعجب من ذلك أنه لا ينتفع الإنسان بشيء من لذتها إلا ضرته من جهة ثوابه، فهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهي محرقة لأثوابه. وقد ضرب لذلك مثل من الأمثال، وقيل إن كل ما ينفع الكبد مضر بالطحال.

أقول: انظر إلى هذه الركة والعامية، ألا تراه أشبه بشيء بكلام العجائز قوابل النساء إذا أخذن يعظن ويضربن

الأمثال، أكذا توصف الدنيا في حالة الذم: أتراه ما سمع بشيء من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا قال له رجل: صف لنا الدنيا فقال: ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب وحرامها عذاب، من استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن ولا بشيء من بعض أقوال الحكماء فيها كقول بعضهم: الدنيا أمل بين يديك، وأجل مطل عليك، وشيطان فتان، وأماني جرارة العنان، تدعوك فتستجيب، وترجوها فتخيب.

أما سمع بزهديات أبي نواس التي منها:

وما الناس إلا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق." (١)

"والقبض والبسطا ... والنهي والأمرا

علي ما أعدى ... سيوف عينيكا

كم أنب الأعدا ... بعذلهم فيكا

والحسن قد أبدى ... عذري بخديكا

بأحرف خطا ... لم تعرف الحبرا

أودعها نقطا ... بالمسك كي تقرا

ضن بإسعادي ... والشمس تحكيه

من بعد ميعاد ... أبدى الرضى فيه

وكان إنشادي ... خوف تجنيه

حبيبي قد أبطا ... من أمسك البدرا

عني قد أخطا ... واشغل السرا

-٤٩-

شاقني هذا العمل، وساقني إلى أن أبلغ منه الأمل، فاقتعدت غارب **الغربة**، وسرت منه في أقفر تربة، وقلت، وبالله التوفيق:

حبي الذي أعطى ... جماله البدرا

وحسنه غطى ... عليه فاستذرى

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٢٣

سين من الدر ... في ميم مرجان

رضابها خمري ... حياة جثماني

أقول من فكري ... في ما سبى العاني

من جعل السمطا ... في حقه خمرا

والريق اسفنطا ... أفنى بها سكرا

ذو منظر أبهج ... من قمر تم

بحاجب أبلج ... كالقوس إذ يصمي

وناظر أدعج ... كم فيه من سهم

رمى فما أخطا ... مقاتدري جهرا

وما أرى أسطى ... منه ولا أضرى

في وجهه تغدو ... للوجد أسباب

وعنده تبدو ... للصب أوصاب

وذلك الخد ... للحسن محراب

والمسك قد خطا ... في جنبه سطرا

وصير النقطا ... شاماته الخضرا

لم أنس إذ أهدى ... بقربه النعمى

وجدد الودا ... وأبعد الهما

وأكمد الضدا ... وزارني لما

شق الدجى مرطا ... وأطلع الفجرا

كاللمة الشمطا ... أو لبة العذرا

شموس أكوابي ... في راحة البدر

وخيل إطرابي=إلى المدى تجري

فقل لأترابي ... في غفلة الدهر

من يقبل الشرطا ... لا يأمن الدهرا

فربما أخطا ... وأخمد الجمرا

وغادة كحلا ... تهيم في أغيد

وحسنه أحلى ... بقده الأملد

قالت وقد ولى ... وعيشها نكد

يا ابني ايش هي ذي السخطا ... دعنا نذوق مرا

عد إنها غلطا ... قد زرت في كرا

-٥٠-

ومن ذلك موشحة لابن سهل الإسرائيلي، وهي:

يا لحظات للفتن ... في كرها أوفى نصيب

ترمي وكلي مقتل ... وكلها سهم مصيب

العذل للاحي مباح ... أما قبوله فلا

علقته وجه صباح ... ريق طلا عيني طلا

كالظبي ثغره أقاح ... مما ارتعاه في الفلا

يا ظبي خذ قلبي وطن ... فأنت في الأنس غريب

وارتع فدمعي سلسل ... ومهجتي مرعى خصيب

بين اللمى والحور ... منه الحياة والأجل

سقت رياض الخفر ... في خده ورد الخجل

غرسته بالنظر ... وأجتنيه بالأمل

في لحظه الساجي وسن ... أسهر أجفان الكئيب

والردف فيه ثقل ... خف له عقل اللبيب

أهدى لنا حر العتاب ... برد اللمى فالوجد قد

فلو لثمته لذاب ... من زفرتي ذاك البرد

ثم لوى جيد كعاب ... ما حليه إلا الغيد

في نزعة الظبي الأغن ... وهزة الغصن الرطيب

يجري لدمعي جدول ... فينثني منها قضيب

أأنت حورا أرسلك ... رضوان صدقا للخبر

قطعت القلوب لك ... وقيل: ما هذا بشر

قلبي جوى مضنى هلك ... بين التنائي والكدر

حبي تزكيه المحن ... أمر الهوى أمر عجيب

كأن عشقي مندل ... زاد بنار الهجر طيب

أغربت في الحسن البديع ... فصار دمعي مغربا

شمل الهوى عندي جميع ... وأدمعي أيدي سبا

فاصغ إلى عبد مطيع ... غنى لتعس الرقبا

هذا الرقيب ما اسواه بظن ... ايش لو أن كان الإنسان مريب

يا سيدي قم نعملو ... ذاك الذي ظن الرقيب

-٥١-

رنحت عطفي بأطرابها، وفعلت بي فعل أترابها، فأحببت أن أجري وراءها، وأجر في التوشيح رداءها، فقلت، وبالله التوفيق:

يا لفتة قد افتتن ... من أجلها الظبي الربيب

وقامة يعتقل ... منها القناة والقضيب

فجيده فات الظبا ... فأصبحت من جنده." (١)

"قلبك يد استمناح، ويطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف موقف الانكسار، فإن كان تجرها آمنا من الخسار، وتقدم بأنس، ويحجم بوحشة **الغربة**، ويحبس لطول الغيبة، وتقول أرحم بعد داري، وضعف اقتداري، وانتزاح أوطاني، وعلق أعطاني، وقلة زادي، وفراغ مزادي، وتقبل وسيلة اعتراف وتغمد صفوة اقترافي، وعجل بالرضا انصراف تحملي لا انصرافي، فكم جبت من بحر زاخر، وقفر بالركاب ساخر، وحاشى لله أن يخيب قاصدك، أو يتخطاي معاضدك، أوتطردني موايدك، أو تضيق عني عوايدك. ثم تمد اليد مقتبضة من يد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك، وأصحبتها يا رسول الله، عرضا من

---

(١) توشيع التوشيح الصفدي ص/٢٠

النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتتحة، تعين الإقامة والأذان، وتسمع الأسماع الضالة والأذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدي المشتركة، واستحق بالقدوم عليك، والإسلام بين يديك السابقة في الأزل والبركة. وما سواه فكانت جبال لا عجز عن نقلها الهندام. فنسخ وجودها الإعدام. وهي يا رسول الله جنى من جنانك، ورطب من أفنانك، وأثر ظهر عليها من مسحة حنانك، هذه هي الحلل والانتحال، والعايق أن تشد الرحال، ويعجل الترحال إلى أن نلقاك في عرصات القيامة شفيعا، ونحل بجاهك إن شاء الله محلا رفيعا، ونقدم في زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك، الناهلة غللهم في سجلك، ونبتهل إلى الله، أطلعك في سماء الهداية سراجا، وأعلى لك في السبع الطباق معراجا، وأم الأنبياء منك بالنبي الخاتم، وقفي على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم، ألا يقطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك، ولا يسد في وجوهها أبوابك، ويوفقها لاتباع هداك ويثبت أقدامها على جهاد عداك. وكيف نعدم ترفيها، أو نخشى بسخا وأنت موفيها، أو يعذبها الله وأنت فيها. وصلاة الله تحيط بفنايك رحال طيبها، وتبذر في ناديك شقايق خطيبها، ما أذكر الصباح." (١)

"وحق الله قد نكث عهده وميثاقه، والعقايد زايفة عن الحق تثليثا وتجسيما، فدعا الخلق على بصيرة ممن خصه بختم الرسالة، ومحا بنور الحق [ظلمة الجهالة] وشمل الخلق بالبركات الهامية المنثالة، وبين المآخذ والمتارك تبيينا أنقذ من العماية والجهالة، وأوضح المذاهب عن الله تحليلا وتحريما، فكان مما ندب إليه النكاح، الذي أخذ بحكمتى الطبع والشرع ، وجمع بينهما [أحسن] الجمع ، وأمره بالاختيار للنسل والزرع ، فتطابقت دلالتا العقل والسمع، منطوقا ومفهوما. ونصلى عليه عدد الحصاد والتراب ونهدي من كريم التحية، ما يغرس بين تلك الروضة الطاهرة والمحراب، ونعفر الخدود في مواطنه الكريمة، بالوهم قبل القدوم على لحده الرفيع الجناب، ونهدي إليه بالنفوس التي أنقذها هديه، وخلصها سعيه على حال **الاغتراب**، ونسلم تسليما ونرضى عن آله وقرابته، وأوليائه وعصابته، وأنصاره الكرام وصحابته، المستوجبين من الله عز وجل، بنصره وإجابته، مزية قوله، ويدخلهم مدخلا كريما، ما ركضت جياد الألسن، في ميادين ثنايهم، ولجأت الآمال الضاحية إلى ظلالهم وأفيائهم، واهتدت السراة بأنوار سمايهم، واقتدت الأمة في

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٧٩/١

آداب الدين والدنيا بمآثر عليائهم، انتفاعا بها وتعليما، ونستوهب من الله سبحانه [لهذا المقام العلي] ، السعيد السلطاني اليوسفي] سعدا تبهر العقول عجايبه، وعزا لا يراع حماه، ولا يذعر." (١)

"بدا لأهلها في مخالفة سلطانهم الذي جددنا عهده، وأبرمنا سلمه، وأكدنا عقده، وأوجبنا لتوفر البواعث نصره. فأهنبلنا للحين غرة، وانتهزناها فرصة، وحللنا إليها عقال الفتك، الذي كان قد قيده الإيمان، وسللنا عليها سيف الله الذي أغمدته الموادعة والآمال، بعد أن استخرنا الله، الولي في **الغربة**، الناصر في الشدة، الذي بيده القدرة والعزة، والحول والقوة، لا إله إلا هو خير الناصرين، ومظهر دينه على كره الكافرين، ونوينا أن نرفع بها هضم الإسكندرية، ونقوم بفرض الكفاية عن الكافة، فأثمرت استخارة الله لدينا، والقوة به، والتوكل عليه، الإستهانة بأسوارها المشيدة، وحماتها البئيسة، وشهرتها الجامحة، فأبرمنا الحزم الذي شحذ التوكل غربه، وسدد الاستبصار سهمه، وأضفى الصبر جنته، وسهلت الثقة بالله حزبه. واستدعينا أهل الجهاد [لتصير الجهاد] ، ونفضنا أطراف البلاد، عن أولى الجلادة على الجلاد، وعينا أمدا أضاف الانحفاز مدته وتحيفت البدار فسحته، وعلى ذلك فاستكثرنا من آلات القتال، ورفعنا المجانيق على أفلاك الأعجال، وأفضنا العطا الذي تجاوز شهور الأستحقاق إلى ما وراءها، مما لم يستهل جنين هلاله، ولا وسمت خيلان الليالي صفحة جماله، وأوصلنا الجيوش إلى المطوعة الغازين والمرتزقة المدونين إلى حقوقها في الغنم المتقدم، والنفل المبارك المتيقن، فتضاعفت الارتياش، وأزيحت العلل، وأخلصت الضماير النصفة، وأطابت القلوب المعدلة، ولما تكاملت الجموع." (٢)

"من خلفها وأمامها صنايع البر وقومه الاعتنا، فهناك تفخر ألسن السنا، وتتطابق أعلام الشكر السامية البنا، وأننا ورد علينا كتابكم الذي سطره البر وأملاه، وكنفه اللحظ وتولاه، ووشحه البيان وحلاه، مهنئا بما منحه الله جل جلاله من رد الحق، وتحقيق الحق، وتعين الجمع ورفع الفرق، وتطويق الأمان وأمان الطوق، وإسعاد السعد، وبلوغ القصد، وقطع دابر، من جحد نعمة الأب والجد، وسل سيف البغي دامي الخد، فالحمد لله حمدا يلهمه ويتيحه، [ونسله أمدادا يسوغه ويسيحه] على أن أحسن العقبى، وأعقب الحسنى، وأرى النعم بين فرادى وشتى، وجمع الشمل وقد تبدد، وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد، وأخذ الظالم، فلم يجد من محيص، وجمع لنا الأجر والفخر، بين تخصيص وتمحيص، وقلد برءوس أولئك الفجرة الغدرة

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٩٤/١

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٦٣/١

شرفات الفرضة التي فرعوها، وأطفأ بمراق دمائهم نار الضلالة التي شرعوها، وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر، والحق الذي لا يجحد ولا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلصان، وتخفى عند ما تنكر الزمان، وسبب الإدالة، وطلوع الأصالة، والجلالة، حتى فرج الله الكربة، وأنس **الغربة**، وأقال العثرة، وتقبل القربة، له الحمد على آلائه وصلة نعمايه ملء أرضه وسمائه، ووصل صحبته الولد مكنوفا بجناح اللطف، ممهدا له ببركتكم مهاد العطف، فبرزنا إلى تلقيه تنويها بهديتكم وإشادة، وإبداء في بركم وإعادة، وأركبنا الجيش الذي آثرنا لحين استقلالنا عرضه، وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه، فبرز إلى الفضاء الأفيح، حسن الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب. ولولا الحنين الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره، والتشوق للقاء الذي لا يجحده منصف." (١)

"الضنانة والغيرة، فإن أنشأ الله ريح الحمية، ونصرت النفوس على الخيالات الوهمية، فإن العزة لله ورسوله والمؤمنين، والله متم على رغم الجاحدين وكره الكافرين. فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، بإذن الله، والله مع الصابرين. واعتقدوا أن الله لم يجعل الظهور مقرونا بعدد كثير، وجراد مزرعة أثارها مثير. إنما هو إخلاص لا ينبغي لغير الله افتقارا، ونفوس توسع ما سوى الحق اختصارا، ووعد يصدق، وبصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحدق. وهذا الدين ظهر مع **الغربة**، [وشطب القربة] ، فلم ترعه الأكاسرة وقيولها، والأقاصرة وفيولها. دين حنيف، وعلم منيف من وجوه شطر المسجد الحرام تولى، وآيات على سعة الأحرف تتلى، وزكاة من الصميم تنتقى، وصوم به إلى المعارج يرتقى، وحج وجهاد، ومواسم وأعياد، ليس إلا تكبير جهير، وأذان شهير، وقوة تعد، وثغور للإسلام تسد، ونبي يقسم، وفجر يرسم، ونصيحة تهدى، وأمانة تبدى، وصدقة تخفى وتبدى، وصدور تشرح وتشفى، وخلق من خلق القرآن تحدى، قبض النبي [صلى الله عليه وسلم] ، وهذا العقد تسجل، والموعد به قد عجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، ولا ينقطع لهذا الفرع عادة وصلة ما دام شبيها بأصله، وإنما هو جلب لكم زبدته المخضوضة، [وخلاصته الممحوضة] والعاقبة للمتقين. ولتعلمن نبأه بعد حين، وحضرتكم اليوم قاعدة الدين، وغاب المجاهدين. وقد اخترعت بها أيامنا هذا وأيام المقدس والدنا الآثار الكبار، والحسنات التي تنوقلت بها الأخبار، وأغفلت إلى زمتكم الحسنة المذخورة، والمنقبة المبرورة. وهي ميارستان يضم منكم المرضى

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٤٨٨/١

المطرحين، والضعفاء المغتربين منهم والمنتزحين في كل حين، فأنتم تطئونهم بالأقدام على مر الأيام، ينظرون إليكم بالعيون." (١)

"لتضاعف أسباب العبودية قبلي، وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي، وتقاصر في ابتغاء مكافأتها وجدى، وإن تطاول أملي. فمقامكم الذي نفس الكربة، وأنس **الغربة**، ورعى الوسيلة والقربة، وأنعش الأرماق، وفك الوثاق، وأدر الأرزاق، وأخذ على الدهر باستقالة العهد والميثاق. وإن لم يباشر العبد اليد الغالية بهذا الهنا، ويمثل بين يدي الخلافة العالية السناء والسنا، ويمد نفسه في البدار إلى تلك السما، فقد باشر به اليد التي يحق مولاي لتذكر تقبيلها، ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبدية وتكميلها، ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي أجال عليها القداح، ووهل في طلب وصالها بالمساء وبالصباح، وكأن فتحه إياها أبا عذر الافتتاح، وقلت يهنيك يا مولاي رد ضالتها المنشودة، وجبر لقطفته المعروفة المشهودة، وود أمتك المودودة، فقد استحقها وارثك الأرضي، وسيفك الأمضى، وقاضي دينك، وقرة عينك، مستنقذ دارك من يد غاصبها، ورد رتبك إلى مناصبها، وعامر المثوى الكريم، وستر الأهل والحريم، مولاي هذه تلمسان قد طاعت، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب قد شاعت، والأمم إلى هنائه قد تداعت، وعدوك وعدوه قد شردته المخافة، وانضاف إلى عرب الصحرا، فخفضته بالإضافة، وعن قريب تتحكم فيه يد احتكامه، وتسلمه السلامة إلى حمامه. فلتطب يا مولاي نفسك، وليستبشر رمسك، فقد نمت سر بركتك وزكا عزمك، نسل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا، ويترادف إليك مددا موصولا، وعدوا آخرته لك خير من الأولى، ويعرفه بركة رضاك عنه ضمنا وحلولا، ويضفي عليه منه سترا مسدولا. ولم يقنع العبد بخدمة النثر حتى أجهد القريحة التي ركضها الدهر." (٢)

"وخاطبت الوزير المذكور على أثر الفتح الذي تكيف له

سيدي الذ أسر بسعادته، وظهور عناية الله به في إبدائه وإعادته، وأعلم كرم مجادته، وأعترف بسيادته الوزير الميمون الطائر، الجاري حديث سعده مجري المثل السائر الكذا ابن الكذا، أبقا الله عزيز الأنصار، جارية بيمن نقيبته حركة الفلك الدوار، معصوما من المكاره بعظمة الواحد القهار، معظم سيادته الرفيعة الجانب،

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٤٧

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٩١

وموقر وزارته الشهيرة المناسب، الداعي إلى الله بطول بقائه في عز واضح المذاهب، وصنع واكف السحائب. فلان. من كذا عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثنا، ويد ممدودة إلى الله بالدعاء، والتماس لما يعد من جزيل النعماء والفتح الذي تفتح له أبواب السماء. وقد اتصل ما سناه الله له من النصر والظهور، والصنع البادي السفور، لما التقى الجمعان، وتهوديت أكواس الطعان، وتبين الشجاع من الجبان، وظهر من كرامة سيدي وبسالته ما تتحدث به ألسنة الركبان، حتى كانت الطائلة لحربه، وظهرت عليه عناية ربه فقلت الحمد لله الذي سعد عمادي متصل الآيات، بعيد الغايات، وصنع الله باهر الآيات، واضح الغرر والشيات، وقد كنت بعثت أهنيه بما تقدم من صنع جميل، وبلوغ تأميل، فقلت اللهم أفد علينا التهاني تتزين، واجعل الكبرى من نعمك الصغرى، واجمع له بين نعيم الدنيا والأخرى. والناس أبقى الله سيدي لهم مع الاستناد إليك جهات، وأمور مشتبهات، إلا المحب المتشيع بجهتك هي التي أنست **الغربة**، وفرجت الكربة، ووعدت بالخير، وضمنت عاقبة الصبر. وأنا أرتقب ورود التعريف المولوى على عبيده، بهذه المدينة، وآمل إن شاء الله إلى مباشرة الهنا، وقرة العين بمشاهدة الالاء. والله يديم سيدي الذي هو كهف موديه، حتى يطفره الله بمن يناويه ويعاديه والسلام.." (١)

"ونحى ليث الخطب من فريستي بعد صدق الوثبة، وانسنى في **الاغتراب** وصحبي إلى منقطع التراب، وكفل أصاغري خير الكفالة، وعاملني من حسن العشرة بما سجل عقد الوكالة. انتزعه الدهر من يدي حيث لا أهل ولا وطن، **والاغتراب** قد ألقى بعطن، وذات اليد يعلم حالها، من يعلم ما ظهر وما بطن، ورأيت من تطارح الأصاغر على شلو الغريب النازح عن النسيب والقريب، ما حملني على أن جعلت البيت له ضريحا، ومدفنا صريحا، لأخدع من يرى أنه لم يزل مقيما لديه، وإن ظل شفقته مسجيا عليه، ناعيا مصابي عند ذلك السرح، وأعظم الظمأ البرح، ونكأ القرح، إذ كان ركنا قد بنته لي يد معرفتك، ومتصفا في البر والرعى لصاغيتي بكريم صفتك فوالهفي عليه من حسام وغر سام، وأيادي جسام، وشهرة بين بني حام وسام، إلى جمال خلق، ووجه للقاصد طلق، وشيم تطمح للمعالي بحق، وأي عضد لك يا سيدي الأعلى لا يهين إذا سطا، ولا يقهر إذا خطا، يوجب لك على تجليه بالتنبيه، ما توجبه النبوة من الهيبة، ويرد ضيفك آمنا من الخيبة، ويسد ثغرك عند الغيبة. وكما قال عليه السلام للأنصار، أنتم الكرس والعيبة. ذهبت إلى الجذع، فرأيت مصابه أكبر، ودعوت بالصبر فولى وأدبر، واستنجدت الدمع فنضب، واستصرخت الرجاء فأنكر ما

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/١٠٤

روى وانتصب. وبأي حزن يلقى فقد عبد العزيز، وقد جل فقده، أو يطفى لاعجه وقد عظم وقده اللهم لو بكى بندى أياديه، أو بغمام عواديه، أبو بعباب واديه. وهي الأيام أي شامخ لم تهده، أوجديد لم تبله، وإن طالت المدة. فرقت بين التيجان والمفارق، والخدود والنمارق، والطلا والقعود، والكاس وابنه العنقود، والتعلل بالفان، وإنما هي إغفاءة أجفان، والتشبث." (١)

"ومن ذلك ما كتبت به للقاضي خالد ابن عيسى بن أبي خالد فيما يظهر منها

وصل الله عزة الفقيه النبيه، العديم النظير والشبيه، وارث العدالة عن عمه وابن عمه وأبيه، في عزة تظلله، وولاية تتوج جاهه وتكلله، ومعرفة تسوغ له ما ضاق فيه سبيل المعاش وتحلله، ولا زال غاصا بمثوب اللطائف حتى من أحواز مكة والطائف منزله. أفاتح ذلك المجلس القاضي بالتحية، الكفيلة بإنشاء الأريحية، تحية الإسلام البرية من الملام، ولولا الالتزام للسنة لمدت إلى تحية كسرى أيدي المنة، وأشاهد بالتخيل جمال تلك العمة، قبل إعمال ذوات الأزمة، وأتنعم على البعد بسماع تلك الألفاظ المشرقية، قبل ذهاب البقية، وألاحظ بعين البصر لطافة الخطة، بعد خطوات كخطوات البطة، ونزعات أودعتها في ثرى الطبع النبيل، مياه النيل، وآداب سرت في القدر الجليل من بركات المقدس والخليل، وأستغفر الله من أيام أقشعت سحابها، وبت استصحابها، ولم تعلم بمكاتبة المجلس القاضوي برودها، ولا حليت بحلى آدابه وودها ولا قضي في موارد فضله ورودها. أما عذري في عدم استنزاله واستسقاء غزاله، فربما تبين، ويسفر منه الجبين، لما استولى على النفس من كسل، وراعها للشيب من نصول أسل، وسامها من شراب النحلى ومغتسل. فمذ ثنيت الأعنة من بعد **الاغتراب**. لم يغرها لمع السراب، ولا موصلة الأتراب، ولا عولت إلا على التراب، وكفى بعبير القاضي عبرة، لا بل خبرة، وهي هدية الطيب." (٢)

"ومن ذلك ما خاطبت به الفاضل أبا عبد الله الفشتالي بما نصه:

(من ذا يعد فضائل الفشتالي ... والدهر كاتب أيها والتالي)

(علم إذا التمسوا الفنون فعلمه ... مرعى الحميم ونجعة المتكال)

(نال التي لا فوقها من رفعة ... ما أملتها حيلة المحتال)

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٠٨/٢

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٢٨/٢

(وقضى قياس تراثه عن جده ... إن المقدم فيه غير التال)

قاضي القضاة بما أثنى على جلالك المرتضاه، أبقديمك الموجب لتقديمك، أم ذا بحديثك الداعي لتجمل حديثك، وكلاهما بعد غاية بعد مرماها، وتحامي التسور حماها، والضالع لا يسام سيفا، والمنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى، وما الظن بأصالة تعترف بها الآثار وتشهد، وأبوة صالحة كانت في غير الحق تزهد، وفي نيل الاتصال به تجهد، ومعارف تقرر قواعد الحقائق وتمهد، وتهزم الشبه إذا تنهد. وقد علم الله أن جوارك، لم يبق على الدهر جورا، ولاحت من غصني ورقا ولا نورا. هذا وقد زأر على أسدا، وحمل ثورا. فقد أصبحت في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها، وأظهر خلوص إبريزه معيارها تحت كنف، وعز مؤتنف، وجوار أبي دلف، وعلى ثقة من الله خلف. وما منع من انتياب ما لديه من الفضائل إلا رحلة لم يبرك بعد جملها، ولا فرغ عملها، وأوحال حال بيني وبين مسور البلد القديم مهملها. ولولا ذاك لاغتبط الرائد، واقتنيت الفوائد. والله يطيل بقاه تتأكد القربة التي تنسى بها **الغربة**، وتعظم الوسيلة التي لا تذكر معها الفضيلة. وأما ما أشار به من تقييد القصيدة التي نفق سوقها استحسانه وأنس باستظرافها إحسانه، فقد أعمل وما أهمل، والقصور." (١)

"أني راكع في سبيل الشكر وساجد، وأنا عاتب وواجد، إذ كان ظني أن البريد إلى بهذا الخبر يعمل، وأن إتحافي به لا يهمل، فانعكست القضية، ورأيت الحال المرضية، وفضلته الأمور الذاتية لا العرضية، والحكم جازم، وأحد الأمرين لازم. أما عدم السوية، ويعارضه اعتنا سببه معار، وعهدة سلم لم تدخلها جزية ولا صغار، أو جهل بمقدار الهبة، ويعارضه علم بمقدار الحقوق، ورضا مناف للعقوق، فوقع الإشكال، وربما لطف عذر كان عليه الاتكال. وإذا لم يبشر مثلى بمنيحة الله قبل تلك الذات السرية، الخليقة بالنعم الحرية، فمن الذي يبشر، أو على من تعرض برها وينشر، وهي التي واصلت التفقد وبهرجت المعاملة وأبت أن تنقد، وأنست **الغربة**، وجرحها غير مندمل، ونفست الكربة، وجنحها على الجوانح مشتمل، فمتى فرض نسيان الحقوق لم يتأن فرض، ولا شهدت به لاعلى سماء ولا أرض. وإن قصر فيما يجب لسيدي عمل، لم يقصر رجاء ولا أمل، ولى في شرح حمده ناقة وجمل، ومنه جل وعلا نسل أن يريه قرة العين في نفسه

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٧٤/٢

وبنيه، ويجعل أكبر عطايا الهيالج اصغر سنيه، ويقلد عوائق الكواكب اليابانية حمائل أمانيه. وإن تشوف سيدي لحال وليه، فحملوه طيبة ورحمة من جناب الله صيبة، وبرق يشام، فيقال حدث ما وراءك يا هشام. ولله در شيخنا إذ يقول:

(لا بارك الله في إن لم ... اصرف النفس في الأهم)

(وكثر الله في همومي إن ... كان غير الخلاص همي)

وإن أنعم سيدي بالإلماع بحاله، وأحوال الولد المبارك، فذلك من غرر إحسانه، ومنزلته في لحظ لحظى بمنزلة أنسانه.." (١)

"إنه ليس من أهلك، وهذا السبيل الذي عفم منه النسل، قيل في الحقيقة، وحايد عن الطريقة العريقة، خلع في السخف الرسن، ولم ينبته الله النبات الحسن، وأدرك بادس الملك وما سكن، فما أطرق بتمره اللسان ولا أطلق بفضله اللسن، أغفل الشكر على المعروف، وعدل عن الأسماء للحروف، ونظر عن الظرف المظروف، واتصف مع الأصل الشريف بصفة المشروف، بعد أن أكتب من مقر العز جواره، وكنفته من معقل الملك أسواره، فما عدم ماء يستدعي نماء وآثاره تحفظ منه ذما، يحيا عند افتتاح الباب وييبا، وينظر عن يمين المحيا، قد رفع علما بباب الشريعة، ومنارا بهضب الروضة المريعة، يهدي الطارق ويصافح البارق، ويشيع الغارب، ويستقبل الشارق، فأخلف ذلك الخلف الوعد، وأثر في الزمن البسط خلقه الجعد. أما عموده فقصير، وإن طال منه العمر، وأما ثمره فمعدوم، وإن جادت التمر، وأما جديده فغير نافع لمن يريده، قد أمكن أهل السبت من ناصيتهـ، وأبلغ مرتادهم إلى قاصيته والسمح للكافر بكفراه، فما أحقه باللوم وأحراه، فاستضافة الكدبة على الغرير، ومالوا إليه عن الغير، فدان بدينهم، واتسم بسمة خدينهم، وظهرت عليه الغلة، وضربت المسكنة والذلة، وحكمهم في مفرقه، يعلونه بالأنامل، إلى أن يبلغوا منه أمل الآمل، وأما من مكائد مستسر، في مظنة بر، إذا أخبر العبور، والتلمود المستور، بعيد إسرائيل تهلل، وإن باكره التكبير، والذكر الجميل، تذلل، وبالصغار في عين الخشوع تجلل. فأقسم بمن حرم الفسوق ووصف الطلع

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ١٧٩/٢

والمبسوق، ونفق منها السوق، إني ليغلب على ظني، وبعض الظن إثم، وفوق كل ذي علم عليم، وعلى أن نواته المجتلبة على النوى، **والغربة**." (١)

"ومن ذلك في وصف أبي القاسم الرعيني

قريع فضل ومجادة، وضارب في هذا الأدب بسهم إجادة، كان أبوه رحمه الله خطيب مالقة، وصدر فضلائها، وواسطة علايها، ونشأ هذا الفاضل رحمه الله، سالكا في العفاف على مسلكه، ومنتقلا في درجات فلكه. تولى القضاء لأول أمره على حداثة سنه، وجدة عمره، ثم دعى للكتابة، فتنقل للحضرة وتحول، وعزم على المقام بها وعول، فأجال يراعته وشهر براعته، ولما غصه **الاغتراب**، وباين وطنه كما باين السيف القراب، شاقه الأهل والأتراب، والماء والتراب، وحن إلى دوحة الذي به تأود، وكبرت عليه الخدمة، وصعب على الإنسان مالم يعود، فرغب في الانصراف إلى بلده، واحتمال أهله وولده، وهو اليوم قاضي جهاتها الغربية، ومنفذ أحكامها الشرعية. وله أدب وخط وبحر من المعرفة ليس له شط. وقد أثبت من شعره ما يشيد بذكره.

في وصف أبي يزيد خالد بن أبي خالد

فايز من الإبداع بكل مطلوب، ومستهل أسماع وقلوب، وفصيح بأدبه، وفي البداوة حسن غير مجلوب، قدح قريحته الوقادة، وراض صعب الكلام فأعطاه المقادة، فتألق بذلك الأفق تألق البرق، وطلع بتلك الجهة الشرقية، ولا ينكر النور على الشرق، فشرف في قومه، وأصبح فيه أمسه منافسا ليومه، إلى بلاغة تتحلى بها صفحات المهارق، وعفاف حتى عن الخيال الطارق. ورحل في هذا العهد القريب، وقد أصبح يحسن ضرايبه عديم الضريب، فاقتحم فرضة، المجاز، إلى مثابة الحجاز، فقضى وطره من تلك المشاهد، وتبرك بلقاء من بها من عالم أو زاهد، وقفل وقد دون رحلته سفره، وزهى بها زهو الجفن بفتحه، والخد بخضره، واجتاز بالبلاد الموحدية فدعته إلى خدمة بابها، وقلدته." (٢)

"ومن ذلك في وصف الشيخ أبي عبد الله الطرطوشي

معدود في الصدور، ومنظوم في الشذور، ومحسوب فيمن أطلعته آفاق هذه الدور، من النجوم المشرقة

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٠٧

(٢) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٣٧٢

والبدور، ينظر في معقول ومنقول، ويستظهر على المشكلات بفرند ذهن مصقول، إلى خط وظرف، وفكاهة كالروض في مرأى وعرف، موقى من البر سناما، ولقي من الدولة النصرية إكراما، إلى أن فسد ما بين مدبرها ابن المحروق وبينه، ونحيت له عنه هنات أوغرت صدره، وأقدت عينه، فغربه بعد ما قربه، وجفاه من بعد ما اصطفاه، فجم في **الاغتراب** حينه، واقتضى في بعض البلاد الإفريقية دينه، وكان لا ينتحل الشعر بضاعة، ولا يعول عليه صناعة، وربما رمى غرضه فأصاب، واستمطر له غمام معارفه فأصاب.

ومن ذلك في وصف الفقية أبي عبد الله بن الحاج من أهل مالقة

شاعر اتخذ النظم بضاعة، وما ترك السعي في مذاهبه ساعة، أجرى في الملا لا في الخلا، وجعل دلوه في الدلا، وركض في حلبة النجباء والنجايب، ورمى بين الخواطر بسهم صائب، فخرج بهرجه ونفق، وارتفد بسببه وارتفق. وهو الان قد سالمته السنون، وكأنما أمن المنون، وهو رجل مكفوف الأذى، حسن الحالة، إلا إذا هذى.

ومن ذلك في وصف الشيخ الوزير أبي علي بن غفرون

شيخ خدم، فأم له الدهر فيها على قدم، وصاحب تعريض ودهاء عريض. أصله من حصن منتفريد حرسه الله، خدم الدولة النصرية عند انتزاء أهله، وكان ممن استنزلهم من حزنه إلى سهله، وحكم الأمر العلى في يافعه وكهله، فاكتسب حظوة أرضته، ووسيلة أرهقته وأمضته، حتى عظم جاهه وماله، وبسقت آماله. ثم دالت الدول، وتنكرت أيامه الأول، وتغلب من يجانسه، وشقي بمن كان ينافسه، فجف عوده، والتأثت سعوده، وهلك والخمول بعله، والدهر يقوته." (١)

"فقال: أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت **الغربة**، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود والهوام. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال: فيتسع له قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر، يقول له القبر: لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٤١٣/٢

إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأصابع يديه هكذا وشبكها. ثم يقيض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب «١« » . قال: وقال «٢» رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» . وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام: أيما الأجلين

«٣» الآية.

أمره لما جن الليل أن يدخل بيتا عينه له، ويأخذ منه عصا من العصي التي فيه دخل موسى البيت، وأخذ العصا التي أخرجها آدم معه من الجنة، وكانت من آس الجنة، فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى صارت إلى شعيب عليه السلام، فأمره أن يلقيها في البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى فدخل وأخرجها، كذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأنا، فلما أصبح قال له سق الأغنام إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير، ففيها تنين كبير يقتل المواشي فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها في الكلأ، ثم ن ام فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك، وقال: كل ما ولدت هذه المواشي ذا لونين في هذه السنة فهو لك. فقدر الله تعالى أن ولدت كلها في تلك السنة ذا لونين. فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة، فأقام عنده ثمانيا وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ثم خرج عنه بأهله.

وأما حكمه

: فعلى ما قال القزويني أكله حرام لكونه من جنس الحيات وعلى أنه سمك يؤذي بنابه فالظاهر التحريم أيضا كالتمساح.

الخواص:

زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ودمه إذا طلي به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة.

التعبير:

التنين في المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشره. والمريض إذا رأى تنينا دل على موته. ومن

الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت في منامها كأنها وضعت تنينا فولدت ولدا زمنا وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى وكذلك الزمن يجر نفسه.." (١)

"الغراب كله الاستتار عند السفاد، وهو يسفد مواجهة، ولا يعود إلى الأنثى بعد ذلك لقلة وفائه.
والأنثى تبيض أربع بيضات وخمسا، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها، لأنها تخرج قبيحة المنظر جدا، إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس والمناقير، جرداء اللون، متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه، فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشه إلى أن يقوى وينبت ريشه، فيعود إليه أبواه.
وعلى الأنثى أن تحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم.
وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد، بل إن وجد جيفة، أكل منها وإلا مات جوعا، ويتقمقم كما يتقمقم ضعاف الطير، وفيه حذر شديد وتنافر. والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكله، ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه، يحمل الذكر والأنثى في أرجلهما حجارة، ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه.
قال الجاحظ: قال صاحب منطق الطير: الغراب من لئام الطير، وليس من كرامها، ولا من أحرارها ومن شأنه أكل الجيف والقمامات، وهو إما حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله في الناس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيبا ومزاجا، كمن بردت بلاده ولم تنضجه الأرحام، أو ثخنت بلاده فأحرقته الأرحام، وإنما صارت عقول أهل بابل فوق العقول، وكمالهم فوق الكمال، لأجل ما فيها من الاعتدال. فالغراب الشديد السواد، ليس له معرفة ولا كمال، والغراب الأبقع كثير المعرفة، وهو الأم من الأسود انتهى. والعرب تتشاءم بالغراب، ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب.
فائدة أجنبية
: اسم الغربة مجموع من أسماء دالة على محصول اسم الغربة فالغين من غدر وغرور وغيبة وغم وغلة، وهي حرارة الحزن، وغرة وغول وهي كل مهلكة، والراء من رزء وردع وردى وهو الهلاك، والباء من بلوى وبؤس وبرح وهو الداهية، وبوار وهو الهلاك، والهاء من هوان وهول وهم وهلك، قاله محمد بن ظفر، في السلوان. وغراب البين الأبقع. قال الجوهري:
هو الذي فيه سواد وبياض. وقال صاحب المجالسة: سمي غراب البين لأنه بان عن نوح، على نبينا وعليه

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢٣٩/١

أفضل الصلاة والسلام، لما وجهه لينظر إلى الماء، فذهب ولم يرجع. ولذلك تشاءموا به. وذكر ابن قتيبة أنه سمي فاسقا، فيما أرى، لتخلفه حين أرسله نوح عليه السلام، ليأتيه بخبر الأرض، فترك أمره ووقع على جيفة. قال عنترة:

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الأبقع

وقال صاحب منطق الطير: الغربان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحل والحرام، من الفواسق، اشتق لها ذلك الاسم من اسم إبليس، لما يتعاطاه من الفساد الذي هو شأن إبليس، واشتق ذلك أيضا لكل شيء اشتد أذاه. وأصل الفسق الخروج عن الشيء، وفي الشرع الخروج عن الطاعة انتهى.

قال الجاحظ: غراب البين نوعان، أحدهما غراب صغير معروف باللؤم والضعف، وأما الآخر فإنه ينزل في دور الناس، ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها، وبانوا منها. قال:

وكل غراب غراب البين، إذا أرادوا به الشؤم لا غراب البين نفسه الذي هو غراب صغير أبقع.." (١)

"والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة، انطلقوا بنا إليها فانطلقنا، فأخرت الناس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح، وإذا هي جالسة، وهذا الولد يدور حولها، وإذا مناد ينادي: أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك. أما والله لو استودعت أمه لوجدتها! فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين. قال أبو يعقوب: فحدثت بهذا الحديث في الكوفة، فقالوا: نعم هذا الرجل كان يقال له خزين القبور.

وقريب من هذا الخبر في غريب اتفاقه، ولطيف مساقه، ما حكاه الحافظ المزني في تهذيبه، في ترجمة عبيد بن واقد الليثي البصري، أنه قال: خرجت أريد الحج، فوقفت على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة، وأكثرهم حركة، فقلت: من هذا؟ ومن يكون؟ قال: ابني.

وسأحدثك عنه. خرجت مرة حاجا، ومعي أم هذا الغلام، وهي حامل به، فلما كنا في بعض الطريق، ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت. وحضر الرحيل، فأخذت الصبي، فـلففته في خرقة، وجعلته في غار، وبنيت عليه أحجارا، وارتحلت وأنا أرى أنه يموت من ساعته. فقضينا الحج، ورجعنا فلما نزلنا ذلك المنزل، بادر بعض أصحابي إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبي يلتقم إبهاميه فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما. فاحتملته معي فهو الذي ترى.

الخواص

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٣٧

: إذا علق منقار الغراب على إنسان حفظ من العين، وكبده تذهب الغشاوة اكتحالا، وإذا علق طحاله على إنسان هيج الشبق، وإذا سقي إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لا يرجع يشربه، وبيضه إذا طرح في النورة نفع مستعمله. ودمه إذا جفف وحشي به البواسير أبرأها. وقلبه ورأسه إذا طرحا في النبيذ وسقي الإنسان منه من يريد محبته، فإن الشارب يحب الساقي محبة عظيمة. ولحم المطوق إذا أكل مشويا، نفع القولنج. ومرارة الغراب إذا طلي بها إنسان مسحور بطل عنه السحر. وإذا غمس الغراب الأسود بريشه في الخل وطلي به الشعر سوده. وزبل الغراب ال أبلق الذي يسمى اليهودي ينفع الخنازير والخوانيق. وإن صرفي خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم، نفعه من السعال المزمن وقطعه. وإذا أكل الغراب الكتلة سقط ولم يقدر على الطيران، لا سيما في زمن الصيف.

التعبير

: الغراب في المنام يدل على رجل مخامر غدار واقف مع حظ نفسه، وربما دل على الحرص في المعاش، وربما كان حفارا. وممن يستحل قتل النفس، وربما دل على الحفر في الأرض ودفن الأموات، لقوله تعالى:

فبعث الله غرابا يبحث في الأرض

«١» الآية. وربما دل الغراب على **الغربة** والتشاؤم بالأخبار، والغموم والأنكاد، وطول السفر، وعلى ما يوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه، أو سلطانه لسوء تدبيره.

وغراب الزرع يدل على ولد الزنا، والرجل الممزوج بالخير والشر، والغراب الأبقع يدل على رجل معجب بنفسه كثير الخلاف، وهو من الممسوخ. فمن صاد غرابا نال مالا حراما في ضيق بمكابدة. ولحم كل طير وريشه وعظمه مال لمن حواه في المنام. وإذا رأى الغراب على زرع أو شجر فإنه شؤم، ومن رأى غرابا في داره فإن فاسقا يخونه في امرأته، ومن رأى غرابا يحدثه فإنه." (١)

"فيثاغورس: قال القاضي صاعد في طبقات الأمم إن فيثاغورس كان بعدى بندقليس بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليها السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ومن كلامه وآدابه وحكمه قال كما أن بدء وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة إلى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبة الله ومن أحب الله سبحانه وتعالى عمل بمحابة ومن عمل بمحابة قرب منه ومن قرب منه نجا وقال الأقوال الكثيرة في الله تعالى علامة تقصير الإنسان عن

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٤٦

معرفته وقال ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن تخطره ببالك وقال الأشكال المزخرفة والأمور المموهة في أقصر الأزمان تتبهرج وقال الأخلق بالإنسان أن يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فإن توليت فأحسن وإن تولوك فألن وكان يقول إن اكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات من عدمها الكلام وتعرض للإنسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره: العجلة واللجاجة والعجب والتواني فثمرة العجلة الندامة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء وثمرة التواني الزلة ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فليحن في كلامه فقال له إما أن تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو تقل الهدو وحضرت امرأته الوفاة في أرض غربة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها في أرض **الغربة** فقال يا معشر الإخوان ليس بين الموت في **الغربة** والوطن فرق وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحدة من جميع النواحي وقيل ما أحلى الأشياء هي الإنسان وقال أنكى لعدوك أن لاتريه أنك تتخذه عدوا. انتهى كلامه.." [١]

"قال الجاحظ الكتاب وعاء ملىء علما وحشي ظرفا وإناء شحن مزاحا وجدا إن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان بن وائل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت أشجتك مواعظه والكتاب نعم الظهر والعدة والكنز والعقدة ونعم الذخر والعمدة ونعم النزهة والنشرة ونعم الشغل والحرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد **الغربة** ونعم القرين في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي سماحته لا تستزيدك وهو يعطيك بالليل طاعته وبالنهار يطلب العطاء ويفيد في السفر كإفادته في الحضر.

ثم قال فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحيا ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبساكت ناطق وحار بارد ومن لك بطيب أعرابي وبرومي هندي.

قال وسمعت حسن اللؤلؤي يقول عمرت أربعين عاما ولا بت ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري وكان يقال إنفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهاب الألباب.

وقرأ أبو الحسن بن طباطبا في بعض الكتب، الكتب حصون العقلاء إليها يلجئون وبساعتهم فيها يتنزهون.

وقال بديع الزمان الهمذاني ما رأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاءة ولا أقل خيانة ولا أزهد في مال ولا أكف عن قتال من كتاب.

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٩١

وقال الزمخشري ما رأيت قرينا أحسن موافاة ولا أعجل مكافأة ولا أخص معرفة ولا أخف مؤنة ولا أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى من كتاب.

وكتب ابن نباتة إلى بعض الأجلاء يستعيد كتابا في عريته ويسأل إرسال الكتاب الذي أشرقت بمولانا حروفه وأينعت في الأوراق قطوفه وأصبح لفظه الباسم، كما قال العباس يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى وقد عزم المملوك على السفر حيث يجلي صدأ الغياهب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من در الكواكب ويستحب ذيل الفجر المجرور ويتلو لسانه على الأفق سورة النور والله تعالى الخليفة على مجد مولانا الغريب وفضله القريب وشخصه الذي لولاه في هذا البلد لم يلف بها غريب.

وكتب لشخص أهدى كتابا في فضائل الأعمال يقبل الباسطة لازلت بادية الأجمال وافية الكرم على ما في الآمال هادية مهدية بما أولته من فضائل الأقوال وفضائل الأعمال وينهى ورود كتابيه اللذين ملآ بأكبر يديه والنور قلبه وعينيه ونعماه نظرا ومسمعا وأرياه القمرين في وقت معا فلله مكاتبته التي جنت نسماتها السحرية وغازلت عيون فضائلها السحرية وتضوعت حتى أرخصت الغوالي بنفحاتها الشجرية تركت والحسن يأخذه ينتعي منه وينتحب ولله كتابه الذي جمع الأعجاز والعجائب وجالس الملوك فكأنه المعنى بقول أبي الطيب: وخير جليس في الأنام كتاب ما أبهج عقوده المتسقة وما أحسن ما تدخل النواظر عذبا من أبوابه المتفرقة وما أجمع فصوله لحسن وإحسان وما أطيب أحاديثه عن جنان الخلد إذا طابت الأحاديث عن جنان قد أضاء حتى حسبه مشارق الأنوار وتأمله فإذا عجائب الحسن من نفسه وطرسه في ليل ونهار وغنى فهو للطرف معنى وتلمح من فنون أفنانه الجنة صورة ومعنى فهذه الأسطر المبدعة أشجارها وهذه الألفاظ المتنوعة أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة أطيارها وهذه الطريق المترقرقة بين السطور أنهارها وما كان المملوك قبله يحسب أن جنة تهدي في أوراق ولا أن حديقة تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لمولانا هذه المنن الباهرة ونفع بهداياه التي تجمع للأولياء بين خيري الدنيا والآخرة.

استعار الصنعاني كتابا "سفينة" من صاحب له فكتب إليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة مشحونة علوما وصاحبها الحبر بحرا وكان من الرأي ردى إليه سفينته فهي بالبحر أحرى.

وعلى ذكر المجموع فما أحسن قول الحكيم موفق الدين المعروف بالورن:

لله أيامنا والشمل منتظم ... نظم به خاطر التفريق ما شعرا

والهف نفسي على عيش ظفرت به ... قطعت مجموعه المختار مختصرا

ابن الوردي في شخص أخذ له كتبا ولم يرده:

إذا لم يرد فلان الكتاب ... ودافعني عنه بالباطل

ندبت له قاضيا فاضلا ... وخلصت حقي بالفاضل

ابن نباتة مع كتاب أهداه:

أرسلته نعم الجليس ... إذا تغيرت البشر

يبقى على سنن الوفا ... أبدا ويتقنع بالنظر." (١)

"وتعذر على السابع مرامه ونبأ به عن بلوغ الإرب مقامه فصعد هو وترب له إلى جبل وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقته قبل فعن له نسر بقوادم شداد ومناسر حداد وخوافي مداد كأنه من نسور لقمن بن عاد تحسبه في السماء ثالث أخويه وتخاله في الفضاء قبته المنسوبة إليه قد حلق كالفقراء رأسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلي إزارا واختار العزلة ولا تجد له إلا في قنن الجبال الشواهق مزار، قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشسب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب:

مليك طيور الأرض شرقا ومغربا ... وفي الفلك الأعلى له أخوان

له خال فتاك وحلية ناسك ... وإسراع أقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع في منقاره فكأنما قد هد منه صخرا توخى أو هدم به بناء مشمخرا ونظر إلى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه وإذا به قد أظلته عقاب كاسر كأنما قد أظلت صيدا قد أفلت من المناسر إن حطت فسحاب انكشف وان أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب إذا أقطعت لجت في علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب:

ترى الطير والوحش في كفها ... ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها ... إذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب إليها الثامن وثبة ليث وثق من حركاتها بنجاحها ورماها بأول بندقبة فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب بأسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر تخادع الجو عن عقابه ويستنزل الأعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض ونزلا إلى الرفقة جزلين بربح الصفقة فوجد التاسع قد مر به كركي طويل السفار سريع النفار شهى العراق كثير

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٣٦

الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه في الجو هفيف ولأديمه لون سماء طرأ محليها غيم خفيف تحن إلى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له شية حمراء في رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق سفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما بنوس على عود من أبنوس:

إذا بدا في أفق مقلعا ... والجو في الماء تفاويفه

حسبته في لجة مركبا ... رجلاه في الأفق محاذيفه

فصبر عليه حتى جازه مخلبا وعطف عليه مصلبا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه ولطالما أفلت لدى الكواسر من أظفار المنون وأصابه القدر بحبة من حماء مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من على وجه الأرض برجله وحاذاه غرنوق حكاه في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى حلقه مفقودتان من أذنه إلى مكان سبقه له من الكراكي أوصافه سوى سواد الصدر والرأس إن شمال رجلا وانبرى قائما ألفيته هيئة برجاس.

فأصغى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كأنه صريع الأشجان أو نزيف بنت الجان فأهوى إلى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطا رضوغ كأنه من النضار مصبوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بدت لفحته:

طويلة رجلاه مسودة ... كأنما منقاره خنجر

مثل عجوز رأسها اشمط ... جاءت وفي رقبتها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووثب ورماه حين حازاه من كشب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق احتسب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به إلى زقاقه واقترن به مرزم له في السماء سمى معروف ذو منقار كصدع معطوف كأن رياشه فلق اتصل بشفق أو ماء صاف علق بأطرافه علق له جسم من الثلج على رجلين من نار إذا أقلع ليلا قلت صبح في الدجى نار.

فانتحاه الثاني عشر ميمما ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له المحلقة في السماء بسببها وليشكر نعمنا التي أقرت النعم لديه وبسطت في الأرض بالتمكين بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير وخولته فيما تقلدناه من الملك عن سليمان حتى تفقد الطير والله تعالى يجدد سعوده في شطور الصدور تقرا وجوده بها يقرى وعهوده في البطش تارة تريش سهما وتارة تجرد! قرا أن شاء الله تعالى.

نظر رجل إلى رام قصير اليد في صنعته فقعد في مواضع الهدف فقال له ما هذا فقال له لم أر منك مكانا سالما ألا هذا.." (١)

"نفع ما فيه جناح؛ فليقض في هذا كله إذا رآه بمقتضى مذهبه، وليهتد في هذه الآراء وسواها بقمر إمامه الطالع أبي حنيفة وشبهه، وليحسن إلى فقهاء أهل مذهبه الذين أدنى إليه أكثرهم **الاغتراب**، وحلق بهم إليه طائر النهار حيث لا يحلق البازي وجناح الليل حيث لا يطير الغراب؛ وقد تركوا وراءهم من البلاد الشاسعة، والأمداد الواسعة، ما يراعى لهم حقه إذا عدت الحقوق، ويجمعه وإياهم به أبوه أبو حنيفة وما مثله من ينسب إلى العقوق.

ويزاد المالكي:

ومذهبه له السيف المصلت على من كفر، والمذهب بدم من طل دمه وحصل به الظفر؛ ومن عدا قدره الوضيع، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول الشنيع، فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذي به تفرد؛ ولم يزل سيف مذهبه لهم بارز الصفحة، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب مالك الذي ما فيه فسحة؛ وفي هذا ما يصرح غدر الدين من القذى، وم، لم تطل دماء هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى) ؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت، [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،] «١» وإنما هو رجل يحيا أو يموت، فليتمهل قبل بت القضاء، وليعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء، حتى لا يعجل تلافا، ولا يعجل بما لا يتلافى؛ فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شد الوثاق عليهم إبراما، فهكذا نوصيه أن لا يصيب بغير حقه دما حراما؛ وكذلك قبول الشهادة على الخط، وإحياء ما مات من الكتب وإدناء ما شط، فهذا مما فيه فسحة للناس، وراحة ما فيها باس؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال، لا لنزع يد ولا إلزام بمجردها بمال؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية، وفيه مصلحة وإلا فما معنى الوصية؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور الشرعية، وسوى هذا مثل إسقاط الريع في وقف استرد وقد بيع، وعطل المشتري من ال تكسب." (٢)

"قدس الله روح واقفها- هي قطب نجومهم السائرة، ومراكز أفلاكهم الدائرة، وإليها تنحط رحال سفارهم، وعليها تحط رحال أسفارهم؛ تضطرب فرقهم في البلاد وإليها مرجعهم، وعليها مجتمعهم، وفيها

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٦٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٩٩/١١

مواضع خلواتهم، ومطالع جلواتهم «١» ، ومكان صلاتهم، وإمكان صلاتهم، ومشرق شموسهم، ومؤنق غروسهم، ومنهاج طريقتهم، ومعراج حقيقتهم «٢» ، مأوى هذه الطائفة الطائفة في شرق البلاد وغربها، وبعدها وقربها، وعجمها وعربها، ومن رفع سجوفها أو هو محجوب بحجبها، والمؤهلة والعراب، وأهل **الاغتراب**؛ هي فسيحهم الرحيب، وصفيحهم القريب، ومثالهم إذا اجتمعوا في الملإ الأعلى زمرا، واخترقوا المهامه وما جازوا بيداء ولا جابوا مقفرا، وبلغوا الغاية وما أزعج ركابهم حاد في ليل سرى، ووصلوا وما فارقوا فرشهم الممهدة إلى ما وراء الورى؛ شرط كل خانقاه أن لا تغلق في وجه من ينزل فيها بابا، ولا تطيل جهاتها الممنعة له حجابا، ولا تعجل مقاماتها المرفعة له قبل...... «٣» ......

وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهي مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس، مما كتب بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف شمس الدين:

الطرة توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، الشيخي، النظامي،." (١)

"صخرا، أو هدم به بناء مشمخرا؛ ونظر إلى رفيقه، مبشرا له بما امتاز به عن فريقه.

وإذا به قد أظلته عقاب كاسر، كأنما أضلت صيدا أفلت من المناسر؛ إن حطت فسحاب انكشف، وإن أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف «١» ، بعيدة ما بين المناكب:

إذا أقلعت لجت علوا كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب «٢»

يرى الطير والوحش في كفها ... ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها ... إذا طلعت ما تسمت غزاله!

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها، ورماها بأول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها؛ فأهوت كعود صرع، أو طود صدع؛ قد ذهب باسها، وتذهب بدمها لباسها؛ وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه، ويستنزل الأعصم من عقابه، فحملها بجناحها المهيض، ورفعها بعد الترفع في أوج جوها من الحضيض، ونزل إلى الرفقة، جذلا بربح الصفقة.

فوجد التاسع قد مر به كركي طويل الشفار، سريع النفار، شهي الفراق، كثير **الاغتراب** يشتو بمصر ويصيف بالعراق؛ لقوادمه في الجو حفيف، ولأديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف؛ تحن إلى صوته الجوارح، وتعجب من قوته الرياح البوارح؛ له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت ضماد،

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١١/٣٦٧

أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد؛ ذو منقار كسنان، وعنق كعنان؛ كأنما ينوس، على عودين من آبنوس:." (١)

"باب الجنان ٤/١٢٢، ١٤٧.

باب الجهاد ٤/١٣٨.

باب جيرون ٤/٩٥، ١٠٠، ٥/١٧.

باب الجيسة ٥/١٨٢.

باب الحديد (بأران) ٣/٢٥٨.

باب الحديد (ببخارا) ٤/٤٣٣.

باب الحديد (بدمشق) ٤/٢٠٢.

باب الحديد ٧/٣٠١، ٣٢٣، ١١/١٣٥.

باب حران (بالرها) ٤/١٤٤.

باب حلب ٤/١٤٧.

باب حمص ٤/١٤٧.

باب الخرق ٣/٣٣٢، ٤١٣.

باب خضرة (ببخارى) ٤/٤٣٣.

باب الخندق (بغرناطة) ٥/٢٠٧.

باب الخوخة ٣/٣٩٩.

باب الخير ٣/٤١٤.

باب الدباغين ٥/٢٠٧.

باب الدفاف ٥/٢٠٧.

باب الديلم ٣/٣٩٥.

باب الذهب ٣/٣٩٤، ٥/٣٥٨.

باب الرخاء (بغرناطة) ٥/٢٠٧.

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤/٣٣٧

باب الفتوح (بعدوة الاندلسيين) ٥/١٨٢.

باب الفتوح (بالقاهرة) ٣/٣٩٧، ٣٩٨، ٤١١، ٥٠٤، ١٣/٢٤٥.

باب الفخارين (بغرناطة) ٥/٢٠٧.

باب الفراديس ٤/٩٦.

باب قصر بشتاك ٣/٣٩٤.

باب قصر الشوك ٣/٣٩٥.

باب القلة ٣/٤٢٤.

باب قنسرين ٤/١٢١.

باب القنطرة ٣/٣٩١، ٣٩٨، ٥٨٩، ٥٩٠.." [١]

"رجل ومعناه بستان داذ؛ ويقال فيها أيضا بغدان بإبدال الدال الأخيرة، نونا؛ ومغدان بإبدال الياء الأولى ميما. وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام. وبغداذ على جانبي دجلة من الشرق والغرب، والجانب الغربي منها يسمى الكرخ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، والجانب الشرقي منها بناه المهدي بن المنصور المقدم ذكره وسكنه بعسكره فسمي عسكر المهدي، ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرصافة فأطلق على الجانب كله الرصافة. ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق، وهو موضع السوق الأعظم منها. وبهذا الجانب محلة تسمى (الحريم) يعني حريم دار الخلافة. قال في «المشترك» : بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم. قال: وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي، وعليه سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إليها أيضا كهيئة الهلال أو كنصف دائرة؛ وله أبواب «١» أولها باب **الغربة**، وهو على دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاهق ولكنه أغلق في خلافة الناصر لدين الله، ثم استمر غلقه، ثم باب البدرية، ثم باب النوبى. وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل، ثم باب العامة، ويقال له أيضا باب عمورية، ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتي سهم.

وبهذا الحريم محال وأسواق ودور كثيرة للرعية وهو كأكبر مدينة تكون، قال: وبين دور الرعية التي داخل

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٥/٤٠٨

هذا السور وبين دجلة سور آخر، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يدخلها شيء من دور العامة. قال في «مسالك الأبصار» :

وبين الجانبين جسران منصوبان على دجلة شرقا بغرب على سفن وزوارق أوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقال، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالحمر والجمال." (١)

"المهملة والكاف وألف في الآخر. وسميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المصطكى.

قال في «تقويم البلدان» : وهي جزيرة بالقرب من فم الخليج القسطنطيني. وقال ابن سعيد: هي داخلة في بحر الروم على مائة وخمسين ميلا من فم الخليج القسطنطيني. قال: وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ستين ميلا. قال: وهي شرقي (جزيرة التغريب) وبينهما نحو ثلاثين ميلا. قال في «تقويم البلدان» : وبها ديورة وقرى، ومنها تجلب المصطكى إلى البلاد، وهي صمغ شجر ينبت بها يشبه شجر الفستق الصغار، يشرط في فصل الربيع بمشاريط فتسيل منها المصطكى، ثم تجمد على الشجر، وربما قطر منه شيء على الأرض، والأول أجود.

الخامسة- (جزيرة التغريب)

بالتاء المثناة فوق المفتوحة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحت وباء موحدة في الآخر. قال في «تقويم البلدان» : وهي من **الغربة**، وموقعها في أواخر الإقليم السادس من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد: وطرفها الشرقي حيث الطول ثمان وأربعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وخمسون دقيقة. وهي جزيرة كبيرة في الغرب عن جزيرة المصطكى المقدم ذكرها، وامتدادها من المغرب إلى المشرق بانحراف إلى الجنوب مائة وخمسون ميلا، وفي العرض من عشرين ميلا إلى نحو ذلك. قال في «تقويم البلدان» : وهي معروفة بخروج الشواني والقطائع منها.

السادسة- (جزيرة لمريا)

. قال في «تقويم البلدان» : بفتح اللام وسكون الميم وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية وألف في

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤/٣٣٣

الآخر. قال: وعن بعض المسافرين أن بعد المثناة هاء. قال ابن سعيد: وتعرف في الكتب بجزيرة بلونس، وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد: ووسطها حيث." (١)

"١ ٥٤- الكامل في التاريخ لابن الأثير (١- ١٣) دار صادر- بيروت ١٩٨٢.

٥٥- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (١- ٢) مكتبة المعارف- بيروت ٥٦- لسان العرب لابن منظور (١- ١٥) دار صادر- بيروت.

٥٧- المثل السائر لابن الأثير (١- ٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- القاهرة ١٩٣٩.

٥٨- مجمع الأمثال للميداني (١- ٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ ٥٩- محيط المحيط لبطرس البستاني مكتبة لبنان- بيروت ١٩٧٧.

٦٠- المختار من رسائل أبي إسحاق بن زهرون الصابي.

نقحه وعلق حواشيه الأمير شكيب ارسلان دار النهضة الحديثة- بيروت- لبنان ٦١- المختصر في أخبار البشر (ويعرف بتاريخ أبي الفداء) للملك المؤيد اسماعيل أبي الفداء صاحب حماة سبعة أجزاء في مجلدين دار الكتاب اللبناني- بيروت.

٦٢- مروج الذهب للمسعودي (١- ٤) شرح وتقديم الدكتور مفيد قميحة دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٦.

٦٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن أحمد العباسي (١- ٤) مصر ١٣٦٧ هـ.

٢ ٦٤- معجم البلدان (١- ٥) لياقوت الحموي دار صادر، دار بيروت ١٩٨٤.

٦٥- معجم الشعراء للمرزباني، ومعه المؤتلف والمختلف للآمدي تصحيح الدكتور ف. كرنكو دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٢.

٦٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الانصاري المصري (١- ٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

القاهرة- مطبعة المدني.

٦٧- مفتاح الأفكار في النثر المختار للشيخ أحمد مفتاح مصر ١٣١٤ هـ.

٦٨- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية دار الثقافة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٥٣/٥

بيروت ١٩٦٧.

٦٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (١- ١٦) دار الكتب المصرية ٧٠- نفاضة الجراب في علالة **الاغتراب** لابن الخطيب تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

٧١- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١- ٨) تحقيق الدكتور احسان عباس دار صادر- بيروت ١٩٦٨.." (١)

"الله تعالى فلي الحظ والتعصيب «١» ، لتضاعف أسباب العبودية قبلي، وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي، وتقاصر في ابتغاء مكافأتها وجدي وإن تطاول أملي؛ فمقامكم المقام الذي نفس الكربة، وآنس **الغربة**، ورعى الوسيلة والقربة، وأنعش الأرماق، وفك الوثاق، [وأدر الأرزاق، وأخذ على الدهر بالاستقالة بالعهد والميثاق] «٢» وإن لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء، ويتمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا والسناء، ويمد بسبب البدار إلى تلك السماء؛ فقد باشر به اليد التي يحن مولاي لتذكر تقبيلها، ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبوية وتكميلها؛ ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي أجال عليها القداح، ووصل في طلب وصالها المساء بالصباح، وكأن فتحه إياها أبا عذرة «٣» الافتتاح؛ وقلت يهنيك يا مولاي رد ضالتك المنشودة، وخبر لقطتك المعرفة المشهودة؛ [ودالتك المودودة] «٤» فقد استحقها وارثك الأرضى، وسيفك الأمضى، وقاضي دينك، وقرة عينك، مستنقذ دارك من يد غاصبها، وراد رتبتك إلى مناصبها، وعامر المثوى الكريم، وستر الأهل والحريم.

مولاي! هذه تلمسان قد أطاعت، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت، والأمم إلى هنائه قد تداعت؛ وعدوك وعدوه قد شردته المخافة، وانضاف إلى عرب الصحراء فخفضته الإضافة؛ وعن قريب تتحكم فيه يد احتكامه، وتسلمه السلامة إلى حمامه؛ فلتطب يا مولاي نفسك، وليستبشر رمسك، فقد نمت بركتك وزكى غرسك. نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما." (٢)

"ولا عدد. وأقبل القوم في لفيف كالجراد المنتشر، وأمواج البحر التي لا تنحصر:

من أجناس مختلفة، وجموع على تباين الأنواع مؤتلفة، وتراءى الجمعان في أفسح مكان، ورأى كل قبيل

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٥٧٥/٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٠٧/٧

الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان، واعتد الفريقان للنزال، واحتفروا خنادق للاحتراس وتبوأنا مقاعد للقتال، ولم يبق إلا المبارزة، والتقاء الصفوف والمناجزة، إذ ورد وارد من جهتهم بطلب الصلح والموادعة، والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة؛ فأجبناهم بالإجابة، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابة؛ وكتبنا إليهم في ضمن الجواب:

لما أتانا منكم قاصد ... يسأل في الصلح وكف القتال

قلنا له نعم الذي قلته ... والصلح خير وأجبنا السؤال

فبينا نحن على ذلك، واقفون من المواعدة على الموادعة على ما هنالك، إذ بلغنا أن طائفة من الخونة الذين ضل سعيهم، وعاد عليهم بالوبال ولله الحمد بغيهم، توجهوا إلى الديار المصرية للاستيلاء على تخت ملكنا الشريف في الغيبة، آملين ما لم يحصلوا منه إلا على الخيبة؛ فلم يسع إلا الإسراع في طلبهم، للقبض عليهم وإيقاع النكال بهم، وجازيناهم بما يجازي به الملوك من رام مرامهم، وظن العدو أن قصدنا الديار المصرية إنما كان لخوف أو فشل، فأخذ في خداع أهل البلد حتى سلموه إليه وفعل فعلته التي فعل، ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

ثم لم نزل ندأب في تحصين البلاد وترويج أعمالها، وترتيب أمورها وتعديل أحوالها، حائطين أقطارها المتسعة بجيوش لا يكل حدها، ولا يعقب بالجزر مدها، ليكونوا للبلاد أسوارا، وللدولة القاهرة إن شاء الله تعالى أعوانا وأنصارا؛ وأعاد الله تعالى المملكة إلى حالها المعروف، وترتيبها المألوف، فاستقرت بعد الاضطراب، وتوطنت بعد **الاغتراب**.

وفي خلال ذلك ترددت الرسل إلينا في عقد الصلح وإمضائه، ودفن ما كان." (١)

" ١ وتقديم الدكتور مفيد قميحة.

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

٥٨- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية.

تحقيق الأساتذة إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي.

دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥.

٥٩- معجم الأدباء لياقوت الحموي (١- ٧) .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٣٩/٧

طبعة مرجليوت، مصر، ١٩٠٧- ١٩٢٥.
٦٠- معجم البلدان لياقوت الحموي (١- ٥) .
دار صادر، دار بيروت، ١٩٨٤.
٦١- معجم الشعراء للمرزباني، ومعه المؤتلف والمختلف للآمدي، تصحيح الدكتور ف. كرنكو.
دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
٦٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١- ١٥) .
مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٩.
٦٣- معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا (١- ٥) .
دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠.
٦٤- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي (١- ٢) .
تحقيق شوقي ضيق.
دار المعارف بمصر، ١٩٥٣- ١٩٥٥.
٦٥- مفتاح الأفكار في النثر المختار للشيخ أحمد مفتاح، مصر، ١٣١٤ هـ.
٦٦- المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار.
تحقيق إبراهيم الأبياري.
دار الكتاب اللبناني، دار الكتب ٢ الإسلامية، الدار الإفريقية العربية، ١٩٨٣.
٦٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥- ١٠) ، حيدرآباد الدكن، ١٣٥٧ هـ.
٦٨- المنجد في اللغة والأعلام.
دار المشرق، بيروت، ١٩٧٨.
٦٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (١- ٣) ، مصر، ١٣٢٥ هـ.
٧٠- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية.
دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.
٧١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغزي بردي (١- ١٦) .
دار الكتب المصرية.

٧٢- نظم دولة سلاطين المماليك للدكتور عبد المنعم ماجد (١- ٢) .

مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧.

٧٣- نفاضة الجراب في علالة **الاغتراب** لابن الخطيب.

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي.

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

٧٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١- ٨) .

تحقيق الدكتور إحسان عباس.

دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

٧٥- نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي، مصر، ١٣٢٩ هـ.

٧٦- الوافي بالوفيات للصفدي (١- ٢٢) ، إستانبول وفيسبادن، ١٩٣١- ١٩٨٣.." (١)

"وينهي بعد؟؟؟ ولا ويحكم على القلوب شافع جماله، وثناء يجر على أكمام الزهر فضل أذياله، أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل سحابها، وأن الماثل بهذه الخدمة، فلان، ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت، وعارفة من عوارفة التي لو استمدت من غررها الليالي لما أظلمت ولا ظلمت، وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقيع شريفة نظرت في حاله، ونشرت حال عياله وأطفاله، وأن ثم من ينازعه في جهته المعتادة، ويقصد نزعه والنزع عن «١» تلك الشهادة المسطرة أخف من نزع الشهادة، ومولانا أولى من رحم منه ضعفا، واشتمل عليه عطفا، ودارك بكرمه هذا السراج قبل أن يطفى، ورعى سيرة مباشرته الحسنة الآثار، واغتنم أدعيته وأدعيته أولاده الذين هم كقطع الشطرنج صغار وكبار، وكف يد التعرض إليه في أيام عدله فإنها أيام لا ضرر فيها ولا ضرار، وعلى الجملة فقد تركته الأيام قطعة لحم، فمباشرة بيت لحم أولى به، ورجاله فرجانية وأخواتها أحق أن يتعلق سببها بأسبابه، والله تعالى ينير بمنن مولانا أحوال المضرورين فإنها ظلام، وينصرهم على حرب الأيام بسيوفه التي هي أقلام، ويمتع بأيام عدله وإحسانه التي تتنافس فيها أعمار الرعايا فإنهم يتبعون أياما بأعوام.

وله إلى شخص اسمه شمس الدين:

وينهي بعد قيام بوظائف ثناء يتمسك بنفحاته [المتوالية] ، وولاء يتمسك بحباله المتينة وما كل شمس

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٠٨/٨

حبالها واهية، أنه يرتاد الأوقات لخطاب مولانا بالأقلام، حيث حبس البعد خطاب الكلام، ويتخير حملة رسائل الشوق، وإن أضعف عطف النسيم رسائل السلام، ولما حضر من مكان كذا، عارض هذه الخدمة فلان، وذكر توجهه إلى حمى حماة المحروسة، وقصد كتابا يكون في وحشة **الاغتراب** أنيسه، فوافق ذلك غرض المملوك، وسلك طريق مراده ولا." (١)

"دار الكتب المصرية، ١٣٤٨- ١٣٧٥ هـ.

٧٤- نفاضة الجراب في علالة **الاغتراب** لابن الخطيب.

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي.

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.

٧٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١- ٨) .

تحقيق الدكتور إحسان عباس.

دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

٧٦- الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (١- ٢٢) ، إستانبول وفيسبادن، ١٩٣١- ١٩٨٣.

٧٧- الوزراء والكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري.

الطبعة الأولى، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر، ١٩٣٨.

٧٨- وفيات الأعيان لابن خلكان (١- ٨) .

تحقيق الدكتور إحسان عباس.

دار صادر، بيروت، ١٩٧٧- ١٩٧٨.

٧٩- الولاة والقضاة لمحمد بن يوسف الكندي، بيروت، ١٩٠٨.

٨٠- يتيمة الدهر للثعالبي (١- ٤) .

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

٨١- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي (١- ٢) ، إستانبول، ١٩٥١- ١٩٥٥.." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤١/٩

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٣٥/٩

"وإذا أحب الله يوما عبده ... ألقى عليه محبة للناس

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل: من يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقال عليه السلام: شر الناس من اتقاه الناس لشره.

وعرض على أبي مسلم فرس جواد، فقال لأصحابه: لماذا يصلح مثل هذا الفرس؟ قالوا: أن يغزى عليه العدو، قال: لا، ولكنه يركبه الرجل، فيهرب منه من الجار السوء.

وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له، واصطناع من لا شكر عنده، والكريم يود الكريم عن لقية واحدة، واللئيم لا يصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة.

وقال صلى الله عليه وسلم: من أوتي حظه من الرفق، فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة.

وقال بعض الحكماء: العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين.

وقيل لبعض الحكماء: علام أسست عبادتك؟ قال: على أربعة أشياء، علمت أن لي رزقا لا يفوتني، فلم أشغل قلبي به، ولم أطلبه، وعلمت أن لي أجلا يبادرني فأنا أبادره، وعلمت أن لي فرضا لا يقيمه غيري، فأنا مشتغل به، وعلمت أني لا أغيب عن نظر ربي، فأنا مستح منه.

وقال بعضهم: عشرة من مكارم الأخلاق، صدق الحديث، وصلة الرحم، وحفظ الجار، وأداء الأمانة، وبذل المعروف، ومكافآت الأيادي، ورعاية ذمام الصاحب، وقرى الضيف، وكتمان السر، ورأسهن الحياء.

وكان يقال: أربعة من كن فيه فقد حيزت له الدنيا والآخرة، صدق الحديث، وأداء الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخلق.

وقال بعض الحكماء: ستة إن أهينوا، فلا يلوموا إلا أنفسهم، المستخف بالسلطان، واللاعب مع الصبيان، ومعترض السكران، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن قعد مقعدا ليس بأهل له، ومن تقدم إلى طعام لم يدع إليه.

وقال بعض الحكماء: من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثه، فقد أخل بنفسه.

وقالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل.

وقال الشعبي: قال لي ابن عباس، قال لي أبي: إني أرى هذا الرجل – يعني عمر بن الخطاب – يستفتيك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني موصيك بخلال أربع، لا تفش له سرا، ولا يجرين عليك كذبا، ولا تطوعنه نصيحة، ولا تغتابن عنده أحدا، قال: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف.

وقال بقراط الحكيم: العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

ومن حكم البخلاء ووصاياهم، قال أبو الأسود الدؤلي: إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك.

وقال: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم.

وقال لهم: لا تجادوا الله؛ فإنه أجود وأكرم، ولو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم، ولا يصلح لهم إلا الغنى، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر.

وقال رجل من تغلب: أتيت رجلا من كندة أسأله، فقال: يا أخا بني تغلب، إني، والله، لو مكنت الناس من داري لنقضوها طوبة طوبة، والله ما بقي بيدي من مالي وعرضي إلا ما منعه من الناس.

وقيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق؛ فإ، مالك عريض؟ فقال: الدهر أعرض منه، فقيل له: كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله، قال: لا، ولكني أخاف ألا أموت في أوله.

وقال الجاحظ: قلت لرجل: أترضى أن يقال لك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم؛ لأنه لا يقال لي: بخيل، إلا وأنا ذو مال، فسلم لي المال، وسمني بأي اسم شئت.

وقال شبيب: اطلبوا الأدب؛ فإن مادة العقل، دليل على المروءة، صاحب في الغربة، مؤنس في الوحشة، صلة في المجلس.

وقال الخليل – رحمه الله –: من لم يكتسب بالأدب مالا، اكتسب به جمالا.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بالأدب؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا.

وقال عبد الملك بن مروان: سمعت بعض الأعراب يقول: الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن.

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله: ثلاثة أحبها لنفسي، ولمن أريد رشده، أحب أن يكون بيني وبين ربي من أفضل عباده، وأكون بيني وبين الخلق من أوسطهم، وأكون بيني وبين نفسي من شرهم.." (١)

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٧٩

"وقيل: ثلاثة ينسين المصائب، مر الليالي، والمرأة الحسناء، ومحادثة الرجل وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ثلاثة تجلو البصر، النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يحب.

ومر ابن الخطاب رضي الله عنه ببنيان يبنى بآجر وحصى، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعامل من عمالك، فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها، وأرسل إليه من يشاطره ماله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعي: إن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك دين فلك كرم.

وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني حمدا ومجدا؛ فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.

وقال حكيم لابنه: يا بني، أوصيك، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك، وذل في قلب غيرك [؟] .

وقال آخر لابنه: أوصيك باثنين، لن تزال بخير ما تمسكت بهما، درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلقان يحبهما الله، وهما السخاء والسماحة، وخلقان يبغضهما الله، وهما البخل وسوء الظن، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إنا – معشر قريش – نعد الحلم والجود سؤودا، ونعد العفاف، وإصلاح المال مروءة.

وقدم وفد على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة؟ فقالوا: العفاف، وإصلاح المعيشة، قال: اسمع يا يزيد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب: من سيدكم؟ فقالوا: فلان على بخل فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: وأي داء أدوى من البخل؟ وقال كسرى: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله.

وقال صلى الله عليه وسلم: اصنع المعروف مع من هو أهله، ومع من ليس من أهله، فإن أصبت أهله فهو من أهله، وإن لم تصب أهله، فأنت من أهله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: القرابة قد تقطع، والمعروف قد يكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

وقال أكثم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودة، والمروءة لا تحتاج إلى قرابة.

وقيل لبعضهم: من أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: ما أحب أخي إلا إذا كان صديقي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله أكثرهم تحببا إلى الناس.

وقال بعض الحكماء: إذا أيسر الرحل ابتلى بثلاثة، صديقه القديم فيجفوه، وامرأته يتزوج عليها، وداره يهدمها ويبنيها.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع، فقال: إذا رأيت من هو أكبر سنا منك، فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير بني، وإذا رأيت من هو أصغر سنا منك، فقل: سبقته إلى الذنوب فهو خير مني.

وقال الشافعي رضي الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه.

وقال أيضا: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال بعض الحكماء: أقل الدنيا يكفي، وأكثرها لا يكفي، أخذه أبو فراس فقال:

ما كل ما فوق البسيطة كافيا ... وإذا قنعت فكل شيء كافي

وقال صلى الله عليه وسلم: سافروا تغنموا، وصوموا تصحوا.

وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تذموا السفر؛ فإني أدركت فيه ما لم يدرك أحد، يريد أن الله تعالى كله.

وقال رجل لمعروف الكرخي: يا أبا محفوظ، أتحرك لطلب الرزق أم أجلس؟ قال: لا، بل تحرك؛ فإنه أصلح لك، فقال له: أتقول هذا؟ فقال: ما أنا قلته، ولكن الله تعالى قاله وأمر به، قال لمريم: (وهزي إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا) ، ولو شاء أن ينزله عليها لأنزله، أخذه الشاعر فقال:

ألم تر أن الله أوحى لمريم ... وهزي إليك النخل تساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته، ولكن كل شيء له سبب

قيل لأعشى بكر: إلى كم ذا **الاغتراب**، أما ترضى بالدعة؟ فقال: لو دامت عليكم الشمس لمللتموها، أخذ

المعنى حبيب فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه، فاغترب تتجدد." (١)

"عيشه اش معه ما تلعق على الجريز تصدق عيشه تعطي متاعه من يمناعه عينين ضراط في حميم عيني واش بكيكم عين إلا يرى قلب إن لا يوجع عنب السبيكة أسود وبارد عنب الغروس أبيض مسوس علش خطبوه قال هم يدروا عزك الرايس وعطاك دويرا فاحشا عجينة مرتين أخذ الجوع أكله عيبك أولا رد علي عش نهار تسمع خبار علة من الحنكة وأخرى من الجري وهذا كقول الشاعر:

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

عريان يجري ورا مجرد عزة الزمار يمشوا ركبان يجوا على ساقيهم عنكبوت يلعب ركض عرضت الجوهر على البصالين قالوا عندنا ما هو أجل وأنتن عود البرقوق أسود معقد عند البطون تذهب العقول عد سبع أضالع وانحر عمد يالفقون من فوق تكون عند الحقيقة تنحل البنيقة عطى للبربري شبر طلب دراع عطيه ذراع طلب مرى فاش يتمتاع وهذا كقول الشاعر:

وهبت على مقدار كفي زماننا ... ونفس على مقدار كفيك تطلب

حرف الغين

غزر الشد حل غزر الذهب يحمق غزر العم يضحك غزر الجفا يقطع أصول المحبة غزر الأيدي تخرق أست النفيسة غزر الجراد يرخص القمح غزر الصحبا تسوان قال حبيب:

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

غالي السوق خير من رخيص الدار

حرف الفاء

في فم خالك ما تقبل وما يبقى لك في ساقي ولا في السباط في كل قرية بلية فأخر عقد يضراط النجار فالدنيا اش يندك في الآخرة نبلغ لك السليم فالأواخر تكبر المفاخر فالوجه مملاسه فالقفا مكناسه فرخ القق واحدو مطيار فرخ الصقر مبروم محروم فرخ أبو جعران لورا لورا فضول فن أكره قال أناجيت باطل فضول في رحا عبدون فدين بشريك ما ياكل من فريك فاران قلوق ما يجي من طوبه فم نحنا أي كنا وكشف العورا زياد فول في قاع مطموره قفا فحر كلب أحسن من فالأموال ولا فالأبدان فارح بأحزان فالإشارة ما يغني عن

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٨٠

السؤال قال الشاعر:

قد كان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

حرف القاف

قم من المكين قد جي من هو أحسن منك قم أجدتي أنت أخف مني قال الشاعر: قيراط البخيل ألف مثقال هو قيراط للسوق وتزول شهوة الدنوق قربوا لي نعجن لكم قبل فم تنسى آخر قرد مهاود خير من غزال ان نفور قيحط لي نجبن لك قسمة حنش النصف لي والنصف بيني وبنيك قشيرة بلوط من الله يعطيك تهيك قرقول من سعا قليل ويدوم خير من كثير وينقطع قفل على مقبض قل قل للحمار سير حتى تجوز الواد قلبي عليك ملى كلفتي وترى قرابة من شوق أهل قلوق ما يطحن فارحا قصب الفول شط خاوى قبر يهودي شط ضيق قنديل الرحى لا يضيء ولا ينطفئ

حرف السين

سود باخفاف من الخلاف سود زنت معز فست سلامة القدر شيء محمود وهذا كقول الشاعر:

ومن تعرض للغربان يزجره ... على سلامته لابد مشئوم

سلامة الفنقع لا تضر ولا تنفع سبع أخوا على شربيل مرتاين وقالوا أراه على **الغربة** سليخة ودم وزيل الهم سوم سوعداوا سارق ويبغض السراق قال أبو الأسود الدولى:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

سعد يزوي حراك يزوى سلام عليك قال يجيك من خديك سفر فالشتا نقيمة الأعداء ساكن حلوى لين قطع سخر العاجز يرجع كاهن سيف ينير يبرق وش يقطع سوه ألم تضرا سراول يجيها الحال صعب وهذا كقول الشاعر:

وما كنتم عودتم الصب جفوة ... وصعب على الإنسان ما لم يعود

حرف الشين

شيخ الخناقين أكبرهم أحمقهم شيوخ بجاية يحن ولاش يرحام شرى الجبن فالمراحل سعيه شرى فقيه طيب ورخيص وموصل للدار شغل العكرك لا يعجبك ولا يسرك شوكة مع عروجة يجي منها بطلان شمس الله أكثر من شقاق القصارين شقفه بلقفه شوارد جيجة شقف وخرابة شرب الخل ولا العطاله شرب الدويب يعكر المي شرارا تحرق بلاد شحم قرد لا يكل ولا يدهن به شجرة ابلش كل من يجي يعلق مزيود

هند غمار يعطي الجزى للرصاص هشوش ما يقضي حلفه." (١)

"الحسن فخدمونا بدلا من القين وأخرجنا من الحمام إلى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والألوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شيء وإذا بغلامين أمردين في ناهية الحسن والزي قد دخلوا إلينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع **الغربة** وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا إلى مجلس في بستان حسن وأخرج إلينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الأنبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة وإذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لأضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية وزامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلي فغنيننا واحتطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أنا نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة إن تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وأن يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج إليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت إليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت." (٢)

"لسجع المطوق١ في الأوراق النباتية مثل سجعها، وأشواقا برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار:

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها نظمت في طويل البحر ومديده، يفتقر إلى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال وينهي وصول المملوك إلى مصر مخيما بكنانتها، وهو بسهم البين مصاب مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان في منازل الأحباب، مكلما٢ من ثغر طرابلس الشام بألسنة الرماح، محمولا على جناح غراب، وقد حكم عليه البين أن لا يبرح سفره على جناح:

وكان في البين ما كفاني ... فكيف بالبين والغراب٣

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٨٩

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢/١٩١

منها: يا مولانا، وأبثك ما لاقيت من أهوال البحر، وأحدث عنه ولا حرج، فكم وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل إلى دوائر تلك اللجج، وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا، ونظرت إلى الجواري الحسان وقد رمت أزر قلوعها٤ وهي بين يديه ر‌قلة رجالها تسبى، فتحققت أن رأى من جاء يسعى في الفلك غير صائب، واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب، وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ في البحر سبيله، وكم قلت، من شدة الظمأ، يا ترى قبل الحفرة أطوي من البحر هذه الشقة الطويلة:

وهل أباكر بحر النيل منشرحا ... وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف، وحملنا على نعش الغراب، وقامت واوات دوائره مقام مع، فنصبنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب، وقارن العبد فيه سوداء، استرقت مواليها وهي جارية، وغشيهم منها في اليم ما غشيهم، فهل أتاك حديث الغاشية، واقعها الريح فحملت بنا، ودخلها الماء فجاءها المخاض، وانشق قلبها لفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض، وتوشحت بالسواد في هذا المأتم، وسارت على البحر وهي مثل وكم، سمع فيها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج

---

١ المطوق: مفردها المطوقة وهي الحمامة.

٢ مكلما: مجرحا.

٣ البين: الاغتراب والسفر.

٤ قلوعها: أشرعتها.." (١)

"جزى الرحمن أفضل ما يجازي ... على الإحسان خيرا من صديق

فقد جربت إخواني جميعا ... فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع ... ورأي حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبي ... أغصتني حرارتها بريقي

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس: يا حبيب أمسك عن هذا المدح فما يسمعه أحد إلا ظنني قواد.

ومن المخالص التي استحسنوها للبحتري قوله:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٥١/١

رباع تردت بالرياض مجودة ... بكل جديد الماء عذب الموارد

إذا راوحتها مزنة بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد١

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت ... عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة، لأبي تمام، قوله من قصيدة:

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت ... نفسي على إلف سواك تحوم

لا والذي هو عالم أن النوى ... مر وأن أبا الحسين كريم٢

هذا المخلص مقدم على مخالص البحتري من وجوه: أحدها، التخلص من النسيب إلى المدح، والثاني حسن الانسجام، والثالث، وهو جل القصد، الوثبة في بيت التخلص من الشطر الأول إلى الشطر الثاني بأسرع اختلاس. وهذا الذي عقد المتأخرون الخناصر عليه. وصار لهم فيه اليد الطولى، ومثله قوله من قصيدة:

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبي الطيب الفائقة، قوله من قصيدة يمدح بها أبا أيوب، أحمد بن عمران بن ماهويه، مطلعها:

سرب محاسنه حرمت ذواتها ... داني الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع في غاية الحسن والغرابة، فإنه يقول هذا سرب حيل بيني وبين كل حسناء منه، وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول، ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة، ولم يزل في غرابة هذا الأسلوب إلى أن قال متحمسا:

---

١ الشآبيب: حمع مفرده شؤبوب وهو الدفعة من المطر الشديد.

٢ النوى: **الغربة**، والبعد.." (١)

"وهفوات الأمجاد. (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى، والرضا بما قسم والقناعة، وذم الحرص والطمع، وما أشبه ذلك وفيه فصول، (الباب الحادي عشر) في المشورة والنصيحة، والتجارب، والنظر في العواقب.

(الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة، والمواعظ المستحسنة، وما أشبه ذلك. (الباب الثالث عشر) في

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ١/٣٣٢

الصمت وصون اللسان، والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة، ومدح العزلة وذم الشهرة، وفيه فصول. (الباب الرابع عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الإسلام، وما يجب للسلطان على الرعية، وما يجب لهم عليه. (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته. (الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم، وما أشبه ذلك. (الباب السابع عشر) في ذكر الحجاب والولاية، وما فيها من الغرور والخطر. (الباب الثامن عشر) فيما جاء في القضاء وذكر القضاة، وقبول الرشوة والهدية على الحكم، وما يتعلق بالديون، وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول، (الباب التاسع عشر) في العدل والإحسان والإنصاف، وغير ذلك. (الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه، وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك. (الباب الحادي والعشرون) في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال، وسيرة السلطان في استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان. (الباب الثاني والعشرون) في اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وقضاء الحوائج للمسلمين، وإدخال السرور عليهم. (الباب الثالث والعشرون) في محاسن الأخلاق ومساويها. (الباب الرابع والعشرون) في حسن المعاشرة، والمودة، والأخوة، والزيارة، وما أشبه ذلك. (الباب الخامس والعشرون) في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم، وفضل الشفاعة وإصلاح ذات البين، وفيه فصلان. (الباب السادس والعشرون) في الحياء والتواضع، ولين الجانب وخفض الجناح، وفيه فصلان: (الباب السابع والعشرون) في العجب والكبر والخيلاء، وما أشبه ذلك. (الباب الثامن والعشرون) في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت. (الباب التاسع والعشرون) في الشرف والسؤدد وعلو الهمة. (الباب الثلاثون) في الخير والصلاح، وذكر السادة الصحابة وذكر الأولياء والصالحين، رضي الله عنهم أجمعين. (الباب الحادي والثلاثون) في مناقب الصالحين وكرامات الأولياء، رضي الله عنهم. (الباب الثاني والثلاثون) في ذكر الأشرار والفجار، وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة. (الباب الثالث والثلاثون) في الجود والسخاء والكرم، ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف، وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد. (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخلاء، وأخبارهم وما جاء عنهم.

(الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف، وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك. (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصفح، وكظم الغيظ، والاعتذار وقبول المعذرة، والعتاب، وما أشبه ذلك. (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم. (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتحصينه، وذم إفشائه. (الباب التاسع والثلاثون) في الغدر والخيانة

والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد، وفيه فصول. (الباب الأربعون) في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد.

وشدة البأس والتحريض على القتال، وفيه فصول. (الباب الحادي والأربعون) في ذكر أسماء الشجعان، ذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم، وذكر الجبناء وأخبارهم، وذم الجبن. (الباب الثاني والأربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة، والمكافأة، وفيه فصول. (الباب الثالث والأربعون) في الهجاء ومقدماته. (الباب الرابع والأربعون) في الصدق والكذب، وفيه فصلان. (الباب الخامس والأربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم، وصلة الرحم والقرابات، وذكر الأنساب، وفيه فصول. (الباب السادس والأربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم، وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والألوان واللباس، وما أشبه ذلك.

(الباب السابع والأربعون) في ذكر الحلي والمصوغ والطيب والتطييب، وما جاء في التختم. (الباب الثامن والأربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين، وما أشبه ذلك، وفيه فصول. (الباب التاسع والأربعون) في الأسماء والكنى والألقاب، وما استحسن منها. (الباب الخمسون) في الأسفار **والاغتراب**، وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان، وحب الوطن والحنين إلى الأوطان. (الباب الحادي والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه.

(الباب الثاني والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه. (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال، وذكر من سئل فجاد. (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا." (١)

"والمواهب واللطائف إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه: دواء القلب خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة، وآثار بفضيلة الإسرار، قال العلماء: إن أراد القارىء بالإسرار بعد الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره، من مصل أو نائم أو غيرهما، والأحاديث في فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة، من أراد الزيادة فلينظر في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الإسلام محيى الدين النووي قدس الله روحه ونور ضريحه، وقد جاء في فضل القرآن أحاديث كثيرة.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٨

وروي في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم والليلة فضل كبير، منها يس، وتبارك الملك، والواقعة، والدخان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له، وفي رواية له، من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفورا له.

وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب، وتبارك الملك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: من قرأ في ليلة إذا زلزلت الأرض

«١» كان له كعدل «٢» نصف القرآن، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون ١

«٣» كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد ١

«٤» كانت له كعدل الثلث، والأحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة، وقد أشرنا إلى المقاصد منها، والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الرابع في العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم

قال الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء

«٥» وقال تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

«٦» وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح» ، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، وبيان سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والمحدث في الخلوة، والجليس في الوحدة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، بالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار في الدرجات العلى، ومجالسة الملوك في الدنيا، ومرافقة الأبرار في الآخرة، والفكر في العلم يعدل الصيام، ومذاكرته تعدل القيام، وبالعلم توصل الأرحام وتفصل الأحكام، وبه يعرف الحلال والحرام، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم يطاع الله ويعبد.

قيل: العلم درك حقائق الأشياء مسموعا ومعقولا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل» ، وعنه عليه

الصلاة والسلام، يوزن مداد العماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر، ولغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة، ولا يخرج أحد في طلب العلم إلا وملك موكل به يبشره بالجنة، ومن مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة.

وقال علي كرم الله وجهه: أقل الناس قيمة أقلهم علما، وقال أيضا رضي الله عنه: العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسيرون.

وقال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي من أحب الناس إليك؟ قال: عالم يطلب علما، وقال بعض السلف." (١)

"فكيه،- ما كحك جلدك مثل ظفرك.- من عتب على الدهر طال عتبه.- معاتبة الإخوان خير من فقدهم.- النفس مولعة بحب العاجل- هذه بتلك، والبادي أظلم.- يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة.- يكسو الناس وإسته عارية.-

يدك منك وإن كانت شلاء

الفصل الثالث في أمثال العامة والمولدين

- التسلط على المماليك دناءة.- اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر «١» ، ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجر «٢» .-

أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.- الحاجة تفتق الحيلة.- الحاوي لا ينجو من الحيات.- الحبة تدور وإلى الرحى ترجع.- المؤذي ردي كلما جلوته صدي.-

الأسواق موائد الله في أرضه.- السلامة إحدى الغنيمتين.-

الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ.- الطير بالطير يصاد.-

اطلع القرد في الكنيف فقال: هذه المرآة لهذا الوجه الظريف.- العادة طبيعة خامسة.- الغائب حجته معه.-

الخضوع عند الحاجة رجولة.- الناس أتباع لمن غلب.-

النكاح يفسد الحب.- النصح بين الملأ تقريع.- الحر حر وإن مسه الضر. والعبد عبد وإن ملك الدر.- الثقيل إذا تخفف صار طاعونا.- أضيع من حلي على زنجية.- العمل للزرنيخ، والإسم للنورة.- أنشط من

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٦

أير دخل نصفه.-

البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل.- بدن وافر، وقلب كافر.

- تزاوروا ولا تجاوروا.- تعاشروا كالإخوان، وتعاملوا كالأجانب.- ثمرة العجلة الندامة،- جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة.- حيثما سقط لقط.- خذ اللص قبل أن يأخذك.- خذ القليل من اللئيم وذمه.- ذل من لا سفيه له.- ريق العدو سم قاتل.- رب ساع لقاعد.- زكاة البدن العلل.- زلق الحمار وكان من سهوة المكاري.- زلة الرجل عظم يجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر.- سلطان غشوم خير من فتنة تدوم.- سواء قوله وبوله.- سفير السوء يفسد ذات البين.- شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه.-

صديق الوالد عم الولد.- ضرب الطبل تحت الكسا.-

طاعة الولاة بقاء العز- طفيلي ويقترح.- عناية القاضي خير من شاهدي عدل.- دلت على أهلها براقش. (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) .

- غش القلوب يظهر في فلتات الألسن وصفحات الوجوه.- غنى المرء في **الغربة** وطن.- فر من الموت وفي الموت وقع.- فم يسبح وقلب يذبح.- فلان كالكعبة يزار ولا يزور.- قيل للزمار: تهيأ للزمر، قال: المزمار في كمي والريح في فمي «٣» .- كل قليلا تعش كثيرا.- كلامه ريح في قفص.- كالإبرة تكسو الناس وهي عريانة.- كلمة حكمة من جوف خرب.- كاد المريب أن يقول:

خذوني.- كنت سندانا فصرت مطرقة.- كل ما فاتك من الدنيا فهو غنيمة.- كلما طار قصوا جناحه.- لو كان المزاح فحلا لم ينتج إلا شرا.- لسان الجاهل مفتاح حتفه.- لكل جديد لذة.- لو ضاعت صفعة ما وجدت إلا في قفاه.- لو كان في البوم خير ما فات الصياد.- من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم.- من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا.

وبالله التوفيق.

الفصل الرابع في الأمثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم

(حرف الألف)

- ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

- إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

- إذا لم يكن فيكن ظل ولا خبا ... فأبعدكن الله من سمرات

- إذا كنت في فكري وقلبي ومقلتي ... فأي مكان من مكانك ألطف
- إذا أراد كريم نفع صاحبه ... فليس يخفى عليه كيف ينفعه
- إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتد
- إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ... على طرف الهجران إن كان يعقل
- إذا لم يكن عندي نوال هجرتني ... وإن كان لي مال فأنت صديقي." (١)

"محمد صلى الله عليه وسلم، وإني أوصيك بخلال ثلاث: لا تفشين له سرا، ولا تجرين عليه كذبا، ولا تغتابن عنده أحدا، قال الشعبي رحمه الله تعالى: قلت لابن عباس كل واحدة منهن «١» خير من ألف، فقال: أي والله، ومن عشرة آلاف.

وقال بعض الحكماء: إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا، وإذا جعلك أخا، فاجعله أبا، وإذا زادك إحسانا، فزده فعل العبد مع سيده، وإذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس، فأخذوا في الثناء عليه، فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة، فإن ذلك تنبيه بالوحشة **والغربة**.

وقال مسلم بن عمر لمن خدم السلطان: لا تغتر بالسلطان إذا أدناك ولا تتغير منه إذا أقصاك.

وروي أن بعض الملوك استصحب حكيما، فقال له:

أصحبك على ثلاث خصال، قال: وما هن؟ قال:

لا تهتك لي سترا، ولا تشتم لي عرضا، ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني، قال: هذا لك. فماذا لي عليك؟

قال: لا أفشي لك سرا، ولا أدخر عنك نصيحة، ولا أوثر عليك أحدا، قال: نعم الصاحب للمستصحب أنت.

وقال بزرجمهر: إذا خدمت ملكا من الملوك، فلا تطعه في معصية خالقك، فإن إحسانه إليك فوق إحسان الملك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه.

وقالوا: إصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لأنهم إنما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وإن طال أنسك بهم تزدد غما.

وقالوا: علم السلطان وكأنك تتعلم منه، وأشر عليه وكأنك تستشيره، وإذا أحلك السلطان من نفسه بحيث

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨

يسمع منك، ويثق بك، فإياك والدخول بينه وبين بطانته «٢» ، فإنك لا تدري متى يتغير منك، فيكونون عونا عليك، وإياك أن تعادي من إذا شاء أن يطرح ثيابه، ويدخل مع الملك في ثيابه فعل.

وفي الأمثال القديمة: احذروا زمارة المخدة «٣» وفيه قيل:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا ... مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد: إذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الأحمق.

وأما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان:

فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان، قال في كتاب كليلة ودمنة: ثلاثة لا يسلم عليها إلا القليل: صحبة السلطان وإئتمان النساء على الأسرار، وشرب السم على التجربة.

وكان يقال: قد خاطر بنفسه من ركب البحر، وأعظم منه خطرا من صحب السلطان.

وكان بعض الحكماء يقول: أحق الأمور بالتثبت فيها أمور السلطان، فإن من صحب السلطان بغير عقل، فقد لبس الشعار «٤» الغرور. وفي حكم الهند: صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر.

وقيل للعتابي: لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الأدب، قال: لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء، ويرمي من السور في غير شيء، ولا أدري أي الرجلين أكون.

وقال معاوية لرجل من قريش: إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي، ويبطش بطش الأسد. وقال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: يا ميمون احفظ عني أربعا: لا تصحبن السلطان، وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر، ولا تخلون بامرأة، وإن أقرأتها القرآن، ولا تصل من قطع رحمه، فإنه لك أقطع، ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا.

وكم رأينا، وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به، فكان كما قيل:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه، مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا، فاعتمد عليه ليقيمه، فخر الحائط عليه فأهلكه.

قال الشاعر:." (١)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٠١

"الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار، وتركني أتحرق وأبكي لما حرمت من ذلك، وأقمت يومي ذلك أبكي إلى الليل، ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم، فقال:

يا عبدي أثقل عليك إن مننت على عبد عاص بالرجوع إلي، إنما ذلك فضلي أوتيه من أشاء من عبادي، وأنا ذو الفضل العظيم.

وحكى أبو إسحاق الصعلوكي قال: خرجت سنة إلى الحج، فبينما أنا في البادية تائه، وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة إذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول: يا أبا إسحاق قد انتظرتك من الغداة، فدنوت منه فإذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت، وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف، فقلت له: من أنت، ومن أين أنت؟ قال: من مدينة شمشاط كنت في عزة ورفعة، فطالبتني نفسي **بالغربة** والعزلة، فخرجت، وقد أشرفت الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو.

فقلت: ألك حاجة؟ قال: نعم لي والدة وأخوة و أخوات، فقلت: هل اشتقت إليهم قط؟ قال: لا. إلا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم، فهممت أريدهم فاحتوشتني السباع «١» والهوام وبكين معي، وحملوا إلي هذه الرياحين التي تراها.

قال أبو إسحاق: فبينما أنا معه يرق له قلبي وإذا بحية عظيمة في فمها باقة نرجس كبيرة، فقالت: دع ولي الله تعالى، فإن الله يغار على أوليائه، قال: فغشي عليه، وغشي علي، فما أفقت إلا وهو قد خرجت روحه رحمه الله، قال: فدخلت مدينة شمشاط بعدما حججت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها، فلما رأتني نادت: يا أبا إسحاق ما شأن الشاب الغريب الذي مات غريبا، فإني منتظرتك منذ كذا «٢» ؟

فذكرت لها القصة إلى أن قلت لها أشم ريحهم، فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم، ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج إليها بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط «٣» ، فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع.

(شعر) :

يا نسيما هب من وادي قبا ... خبريني كيف حال الغربا

كم سألت الدهر أن يجمعنا ... مثل ما كنا عليه فأبى

وحكي أن رجلا كان يعرف بدينار العيار «٤» وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ، فمر في بعض الأيام بمقبرة، فأخذ منها عظما، فتفتت في يده، ففكر في نفسه وقال: ويحك يا دينار كأني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا، فندم على تفريطه وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ألقيت إليك مقاليد أمري فاقبلني وارحمني.

ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب، فقال:

يا أماه ما يصنع بالعبد الآبق «٥» إذا أخذه سيده؟ قالت:

يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه، فقال: أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير، وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما أراد، فكان إذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه: ويحك يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار، ولا يزال كذلك إلى الصباح.

فقالت له أمه: يا بني أرفق بنفسك، فقال: دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا، يا أماه إن لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي إلى ظل ظليل أو إلى شر مقيل، قالت: يا بني خذ لنفسك راحة، قال:

لست للراحة أطلب، كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار مع أهلها، فتركته وما هو عليه.

فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن، فقرأ في بعض الليالي فو ربك لنسئلنهم أجمعين ٩٢ عما كانوا يعملون ٩٣

«٦» . ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه، فجاءت أمه إليه، فنادته، فلم يجبها، فقالت له: يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف يا أماه: إن لم تجديني في عرصات «٧» القيامة، فاسألي مالكا خازن النار عني، ثم شهق شهقة، فمات رحمه الله تعالى.

فغسلته أمه وجهزته، وخرجت تنادي: أيها الناس هلموا." (١)

"وقال آخر في مقبل:

يا من تحجب عن محب صادق ... ما زال عنه كل يوم يسأل

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٥٩

من لي بيوم فيه تسمح باللقا ... ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن:

وأهيف يعلو على عشاقه ... برتبة من الجمال نالها

واسمه وهو العجيب محسن ... وكم دموع في الهوى أسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسين:

حبيبي وافر والشوق مني ... طويل والهوى عندي مديد

وأعجب أنني أهوى حسينا ... وشوق في محبته يزيد

ومما قيل في أسماء النساء:

في فاطمة:

عجبت من فاتنة لم تزل ... لمرتجى الوصل لها فاطمة

تنكر ما ألقاه من وجدها ... وهي بشوقي والجوى عالمة

ابن مكانس في اسم عائشة:

يا دهر خبرني بحقك واشفني ... فسهام فكري في أمورك طائشة «١»

أيحل أني في المحبة ميت ... وحبيبتي من بعد موتي عائشة

شمس الدين البديري في اسم حليمة:

ولما رأتني في هواها متيما ... أكابد من حر الغرام أليمه

فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر ... ومن أين تدري الجور وهي حليمه

ولبعضهم في اسم بركة دو بيت:

لما نصب الهوى لقلبي شركه ... ناديت وقلبي تارك من تركه

يا قلب أفق ولا تمل لشركه ... تغنيك سنين ساعة من بركه

مردوفا أيضا:

لما نصب الهوى لقلبي شركه ... في كل طريق

ناديت وقلبي تارك من تركه ... لو كان يفيق

يا قلب أفق ولا تمل للشركه ... ما الشرك يليق

تغنيك سنين ساعة من بركه ... عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت إلى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا ومحمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الخمسون فيما جاء في الأسفار **والاغتراب** وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين إليه

أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الإقامة بدار الهوان.

فقد قال الله تعالى: هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا

«٢» الآية. وفي الأثر: سافروا تغنموا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر، وهو ميزان الأخلاق، إن الله بالمسافر رحيم» . ويقال:

الحركة ولود والسكون عاقر.

وقال حكيم: السفر يسفر «٣» عن أخلاق الرجال. وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده إشفاقا عليه، فقال يوما:." (١)

"كانت الكلبية تحت معاوية بن أبي سفيان، فقال لامرأته ميسون أم يزيد [١] ، أو بنت قرظة، اذهبي فانظري إليها، فأتتها فنظرت ثم رجعت، فقالت: ما رأيت مثلها، ولقد رأيت خالا تحت سرتها ليوضعن رأس زوجها في حجرها، فطلقها معاوية، فتزوجها حبيب بن مسلمة [٢] ثم طلقها فتزوجها النعمان بن بشير [٣] فلما قتل وضعوا رأسه في حجرها.

وأخرج عن يحيى بن أبي كثير أن عبد الله بن سلام، صك غلاما صكة، فجعل يبكي ويقول: اقتص مني فيقول الغلام: لا أقتص منك يا سيدي، قال ابن سلام:

كل ذنب يغفره الله إلا صكة الوجه. وأخرج عن ثابت بن عبيد قال: بعثني أبي إلى كعب بن عجرة، فأتيت رجلا أقطع، فأتيت أبي فقلت: بعثتني إلى رجل أقطع، فقال: إن يده قد دخلت الجنة، وسيتبعها ما بقي من جسده إن شاء الله.

وأخرج عن أبي الزناد قال: قيل لحكيم بن حزام: ما المال يا أبا خالد؟ قال: قلة العيال. وأخرج عن عمران

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢٨٧

بن عبد الله بن طلحة قال: رأى الحسن بن علي كأن بين عينيه مكتوب: قل هو الله أحد ، فاستبشر/ به وأهل بيته، فقصوه على سعيد بن المسيب [٤] ، فقال: إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله، فما بقي إلا أياما حتى مات.

وأخرج عن محمد بن سيرين قال: لم تكن ترى هذه الحمرة في السماء عند طلوع الشمس وعند غروبها حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما [٥] . وأخرج عن سليم القاص قال: مطرنا دما يوم قتل الحسين.

وأخرج عن نضرة الأزدية قالت: لما قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما، فأصبحت خيامنا وكل شيء منا ملاء دم. وأخرج عن الزهري قال:

سألني عبد الملك بن مروان: ما كان علامة مقتل الحسين؟ قال: لم يكشف يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط [٦] .

---

[١] ميسون بنت بحدل الكلبية: أم يزيد بن معاوية، شاعرة كانت بدوية، ثقلت عليها **الغربة** عن قومها لما تزوجت معاوية بالشام، فسمعها تقول:

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلي من لبس الشفوف

فطلقها وأعادها إلى أهلها، ويقال إن معاوية قال لها: كنت فبنت، فأجابته: ما سررنا إذ كنا، ولا أسفنا إذ بنا، توفيت سنة ٨٠ هـ. (أعلام النساء ص ٥٠، مهذب الروضة الفيحاء ص ٢٠٩.

[٢] حبيب بن مسلمة الفهري: من كبار القادة الفاتحين توفي بأرمينية سنة ٤٢ هـ. (التهذيب ٢/١٩٠) .

[٣] النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري: أمير خطيب من أهل المدينة، كان واليا على الكوفة، وتنسب إليه معرة النعمان، قتله خالد الكلاعي من أهل حمص سنة ٦٥ هـ. (التهذيب ٤٤٧/١ الإصابة ت ٨٧٣٤)

.

[٤] مرت ترجمته.

[٥] كتاب المحن- أبو العرب التميمي ص ١٥٤.

[٦] كتاب المحن ص ١٥٣.." (١)

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٧٩

"السلطنة المملوكية والعثمانية. ومن هنا تأتي أهمية تلك الكتب التي وصلت إلينا من عصري المماليك والعثمانيين، اللذين ظلمهما عدد من الباحثين حين أطلقوا عليهما اسم «عصور الانحطاط» أو «عصور الانحدار» . وهذا الحديث ذو شجون، ولا يتسع المقام هنا للإفاضة وبسط الكلام.

وقد جعل ابن قاسم الأماسي كتاب «روض الأخيار» أشبه بمائدة كبيرة عليها صنوف كثيرة ومتنوعة من الأطعمة والحلويات، أو دوحة ذات ظلال وأشجار ومياه عذبة، وترك للقارىء الحرية في الاختيار والانتقاء من تلك الروضة الفينانة، والحديقة الغناء، وإنك لتجد في رياض «الأماسي» الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والمختارات الشعرية والنثرية الجميلة والحكم، والرسائل والأخبار المشوقة التي تدل على اتساع المخزون الأدبي والثقافي عند مؤلفه.

وقد كسره الأماسي على خمسين روضة، والروضة الواحدة هنا يقصد بها ما يسمى عادة بالباب أو الفصل. ولكل منها عنوان يطول أو يقصر، بحسب ما تشتمل عليه كل روضة من رياضه.

وهذا الكتاب بروضاته الخمسين لا يكاد يترك شيئا من شؤون الدين والدنيا، كالعبادات، والجهاد والقضاء، والصبر والذكر، ومكارم الأخلاق والصناعات، والسماء بما فيها من سحاب ومطر، والأرض بما عليها من ثلج ورياح ونيران وسرج، وكذلك الصحة والمرض، والأجوبة المسكتة، والطعام والنساء والحب، والألحان والغناء والأضاحيك والمداعبات، والبكاء، والحزن، والملابس، فضلا عن اللغة واللحن في الكلام، والحماقة، والمكر والاحتيال، والسفر **والغربة** والفصاحة والبلاغة، وأحوال الجواري، والوصايا ... الخ.." (١)

"ليس ارتحالك في كسب الغنى سفرا ... لكن مقامك في ضر هو السفر

وقيل: من العجز والتواني نتجت الفاقة. أعرابي: العاجز هو الشاب القليل الحلية والملازم للحليلة.

الحريري رحمه الله: لا تستقلن الرحلة ولا تستكرهن النقلة، فإن أعلام شريعتنا وأشياخ عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة، والطراوة سفتجة «١» ، وذروا «٢» على من زعم أن **الغربة** كربة والنقلة مثلة «٣» ، وقالوا: هي تعلة من اقتنع بالرذيلة، ورضي بالحشف «٤» وسوء الكيلة. قيل:

نيل المعالي وحب الأهل والوطن ... ضدان ما اجتمعا للمرء في قرن

يقال: فلان يخدعه الشيطان عن العزم فيمثل له التواني في صورة التوكل ويورثه الهوينى بإحالته على القدر.

أبو بكر رضي الله عنه:

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٩

العجز عن درك الإدراك إدراك ... والبحث عن سر ذات الرب إشراك

محمد الشهرستاني:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك العوالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

أبو علي:

اعتصام الورى بمغفرتك ... عجز الواصفون عن صفتك

تب علينا فإننا بشر ... ما عرفناك حق معرفتك." (١)

"الروضة الرابعة والأربعون في السفر **والغربة** وما ناسب ذلك

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالدلجة «١» فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار» . كعب بن مالك: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في سفر إلا يوم الخميس. وفي الحديث: «نعوذ بالله من شر يوم الأحد، وإياكم والشخوص «٢» في يوم الأحد فإن له حدا كحد السيف» . قيل: من لزم القرار سيم الصغار «٣» . وقيل:

لقد هنت من طول المقام ومن يقم ... طويلا يهن من بعد ما كان مكرما

وطول مقام الماء في مستقره ... يغيره لونا وريحا ومطعما

غيره:

بلاد الله واسعة الفضاء ... ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوان ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

أبو الطيب:

هون عليك صروف الدهر والزمن ... وعش حميدا بلا هم ولا حزن

والعز في غربة خير لذي أدب ... من المقام بدار الذل في الوطن

غيره:

كن للغريب إذا رأيت مساعدا ... فعساك يوما أن تكون غريبا." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٨٦

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠١

"غيره:

سافر تجد عوضا ممن تفارقه ... وانصب فإن اكتساب المجد في النصب

فالأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

بديع الزمان: الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه، وإذا سكن متنه ظهر نتنه، والضعيف يسمج لقاؤه إذا طال ثواؤه، ويثقل ظله إذا انتهى محله.

علي رضي الله عنه: ست من المروءة: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر، فأما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله تعالى، وعمارة مسجد الله، واتخاذ الإخوان في الله. وأما اللاتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله تعالى. يقال: للمترافقين في السفر ثلاثة حقوق:

إن خاف على نفسه أو ماله صانه، وإن استعان في الأمور أعانه، وإن افتقر إلى زاد مانه «١» . وفي الحضر ثلاثة أخرى: مسامحته بصغائر ذنوبه، ومناصحته في ظاهر عيوبه، وتفخيمه في مشهده وغيوبه، فإن ترقيا إلى المصادقة يجب عليه قبول الأعذار، والمكاشفة ب ا لأسرار، والمعاونة بالبدن والمال على جلب المسار ودفع المضار، فإن حصلا الأقوى وجب إباحة المال بلا استثمار، ومحو الذنوب بلا اعتذار، وحصول أنس لا يتخلله نفار، وهذا مقام الخلة. حكيم: السفر ميزان الأخلاق. قيل لرجل: السفر قطعة من العذاب، فقال: بل العذاب قطعة من السفر.

يقال: غم الدنيا أربعة: البنت وإن واحدة، والدين وإن درهما، **والغربة** وإن يوما، والسؤال وإن حبة. يقال: **الغربة** كربة والنقلة مثلة. قيل:." (١)

"وقيل:

وكيف تنسين أرضا قد جررت بها ... ذيل الصبا والعلا والعيشة الرغد

وقيل:

بلاد بها حل الشباب تميمتي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

يقال: رب غريب كالبدر الطالع، والكوكب اللامع، يهتدي بضيائهما السائر ويأنس برؤيتهما السامر. أراد أعرابي سفرا فقال لامرأته:

عدي السنين لغيبتي وتصبري ... وذري الشهور فإنهن قصار

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠٢

فأجابته:

واذكر صبابتنا إليك وشوقنا ... وارحم بناتك إنهن صغار

الشافعي رضي الله عنه:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

فإن قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع فياف واحتمال شدائد

فموت الفتى خير له من قعوده ... بدار هوان بين واش وحاسد

أسعد بن إسحاق:

تحولت عن تلك الديار وأهلها ... وآثرت قول الشاعر المتمثل:

إذا كنت في دار يهينك أهلها ... ولم تك مسجونا بها فتحول

الزبيدي:

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في **الغربة** أوطان." [١]

"٣٣ - (فاني وقيار بها لغريب ...)

قائله ضابئ بن الحارث البرجمي وهو من قصيدة من الطويل قالها وهو محبوس في المدينة المنورة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي

(ومن يك أمسى بالمدينة رحله ... فاني وقيار بها لغريب)

(ورب أمور لا تضيرك ضيرة ... وللقلب من مخشاتهن وجيب)

(وما عاجلات الطير تدني من الفتى ... نجاحا ولا عن ريثهن يخيب)

(ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب)

(وفي الشك تفريط وفي الحزم فترة ... ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب)

(ولست بمستبق صديقا ولا أخا ... إذا لم تعد الشيء وهو مريب) // الطويل //

ومعنى البيت التحسر على **الغربة** والرحل السكن وما يستصحبه من الأثاث وقيار جمل ضابئ أو فرسه والشاهد فيه ترك المسند وهو غريب والمعنى إني لغريب وقيار أيضا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠٤

في الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن

ولا يجوز أن يكون غريب خبرا عنهما بانفراده لامتناع العطف على." (١)

"محل اسم إن قبل مضى الخبر وقيار مرفوع إما عطفا على محل اسم إن أو بالابتداء والمحذوف خبره والسر في تقديم قيار على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على **الاغتراب** كأنه أثر في غير ذوي العقول أيضا إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه في التأثر عن **الغربة** لان ثبوت الحكم أولا أقوى وضابئ بالضاد المعجمة وبعد الألف باء موحدة ثم همزة ابن الحرث البرجمي ينتهي نسبه إلى تميم وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ثم إنه جنى جناية في زمن عثمان رضي الله عنه فحبسه فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضي الله عنه ثم جبن عنه وفي ذلك يقول

(هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله) // الطويل //

ويقول فيها أيضا

(وقائلة لا يبعد الله ضابئا ... ولا تبعدن أخلاقه وشمائله)

إلى أن يقول فيها أيضا." (٢)

"غنيمات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهي تصلي فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفي رواية أخرى قالت جالت روحي وروحك في عالم الملكوت فتعارفنا فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيئا من الدنيا فأبتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة وأنشدت: مات لنا فجئتها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى والغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر وهي تصلي فلما رأتني أوجزت في صلاتها ثم قالت يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد فقلت ومن أين عرفتيني فقالت الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفي رواية أخرى قالت جالت روحي وروحك في عالم الملكوت فتعارفنا

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/١٨٦

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/١٨٧

فقلت لها عظيني فقالت واعجبا من واعظ يوعظ ثم قالت يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيئا من الدنيا فأبتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الأنس الوحشة وأنشدت:

يا واعظا قام لاحتساب ... يزجر قوما عن الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقا ... هذا من المنكر العجيب

لو كنت أصلحت قبل هذا ... غيك أو تبت من قريب

كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب

تنهي عن الغي والتمادي ... وأنت في النهي كالمريب

قال ثم سألتها ما بال الذئاب التي مع الغنم لا تضرها فقالت أصلحت ما بيني وبينه فأصلح ما بين الذئاب والغنم وفي الكتاب المذكور عن ابن المبارك قال بينما أطوف في الجبال إذا أنا بشخص فلما دنا مني إذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فلما دنت سلمت ثم قالت من أين قلت غريب قالت وهل تجد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء فبكيت فقالت ما بكاؤك ما أسرع ما وجدت طعم الدواء قلت هكذا العليل ثم قلت عظيني يرحمك الله فأنشدت:

دنياك غرارة فذرها ... فإنها مركب جموح

دون بلوغ الجهول منها ... منيته نفسه تطوح

لا تركب الشر فاجتنبه ... فإنه فاحش قبيح

والخير فاقدم عليه جهرا ... فإنه واسع فسيح

فقلت زيديني قالت سبحان الله أو ما في هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد قلت لا غنى لي عنه فقالت أحبب ربك شوقا إلى لقائه فإن له يوما يتجلى فيه لأوليائه.

وفيه عن أبي الفيض ذي النون المصري رضي الله عنه قال بينما أنا في السياحة إذا لقيتني امرأة فقالت من أين قلت غريب فقالت كما قيل لابن المبارك إلا أنها زادت حيث نهت عن البكاء بأن قالت البكاء راحة القلب فما كتم شيء أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استرحت وهذا ضعف عند العقلاء فتعجبت من ذلك وقال وصف لي رجل فقصدته فأقمت على بابه أربعين يوما فلما رآني بعدها هرب مني فقلت له سألتك بالله إلا ما وقفت فقال ما تريد فقلت تعرفني بما عرفته فقال إن لي حبيبا إذا قربت منه قربني وأدناني

وإذا بعدت صوب بي وناداني وإذا قمت باليسير رغبني ومناني وإذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني وإذا عملت بالمعصية صبر علي وتأناني فهل رأيت مثله انصرف عني ولا تشغلني ثم ولى يقول:

حسب المحبين في الدنيا بأن لهم ... من ربهم سببا يدني إلى سبب

قوم جسومهم في الأرض سائرة ... وإن أرواحهم تختال في الحجب

لهفي على خلوة منه تسددني ... إذا تضرعت بالاشفاق والرغب

يا رب يا رب أنت الله معتمدي ... متى أراك جهارا غير محتجب." (١)

"أكفكف جفن العين والدمع سافح ... كشبه غدير فوق خدي جاريا

فيا ليت شعري ذا البكاء إلى متى ... وحتى متى ذا الحزن والجسم باليا

ثم غيض دمعه، وقال يا أخا العرب كانت لي ابنة عم لا أملك الصبر عنها فتزوجت بها فكانت بي أبر من أمي، وأقمنا مدة لم آل جهدا في الاتفاق عليها، فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال. فلما أملقت أنفقت مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها ماذا تريدين؟ قالت أو فاعل أنت ما أقول؟ قلت نعم، قالت تطلقني فخامرني حبها فقلت قد فعلت. فاعتزلتني وعاودني القلق فألمت طويلا وجئت وشكوت إليها ذلك وذكرتها العود والمواثيق، فطيبت نفسي وحلفت أنها لا تتزوج ولا تتزين لغيري.

فقمت وجئتها يوما فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب، فسألت فقيل لي تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التي عندي إلا كلبة وفعلت فأنا الآن أمثلها بتذيين هذه الكلبة وأذكر غدرها فأسلبها وأعاقبها كما رأيت.

قلت فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط. قال نعم قد كلفها الذي تزوج بها شططا وسلمها نقصا، فندمت فراسلتني فلم أجب مع أنه لم يكن على البسيطة أعز علي منها ولكنها الغيرة تمنعني.

قال الأصمعي فلم أر أغرب منها.

وأخرج في النزهة عن الرياشي، قال اتجر صديق لنا فحمل الصندل إلى شهرزور وقد بلغه أنه نافق. فلما حل بها صادف كسادا، فمكث مغموما فبينا هو كذلك إذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله، فشكى إليها ما يجد من **الغربة** والوحدة وكساد متجره.

فقالت أما الكساد فسيزول ولم تزل الناس على هذا، وأما وحدتك وغربتك فلا أرى لما دواء إلا أن تتزوج

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٨

بمن تحفظك إذا غبت، وتؤنسك إلى حضرت وتفرج عنك إذا حزنت.
قلت ومن أين لي بما ذكرت؟ قالت أنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى، فشكرت صنيعها وأمرتها أن تفعل. فما مضت عني إلا وقد جاءت الدلالون فاشترُوا البضاعة بأحسن ربح إلى أجل فتوسمت فيها الخير، وجاء فقالت قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها.
فمضينا إلى دار لطيفة وقد فرش لي قطيفة بزة، فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين إلا أن عليها آثار الحزن وشعار الفرقة، فسلمت بحشمة وجلست فقالت العجوز ها هي فتراضينا ودخلت بها ودمت أسبوعا في أنعم حال غير أني أجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الأشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس، فلم أسألها عن ذلك.
فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس، انتبهت مرعوبة ترتعد، ثم ذهبت إلى المشرف وعادت ومزقت أثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله إلا بهذه الأبيات:
أيا عين نوحي بالدموع السواجم ... على طامس بالشرق خافي المعالم
وسحى دما إن سح دمعك واسعفي ... حليف الهوى من قبل حمل التمائم
إذ ناحت الورقا على فقدانها ... ولم تك ذا عقل فما حال عالم
حرام علي النوم إذ فاتني به ... زمان البكا والنوح قبل الحمائم
فضاق صدري لحالها، وراجعت نفسي في سؤالها، ثم غلب علي عدم التصبر بعد أيام وهي تجالسني كالمشغولة وتقوم بما أحتاجه حتى إذا نمت مكثت جالسة حتى يسفر الفجر فتروح إلى المكان الذي يشرف على الشجر كعادتها. فقلت يا سيدتي قد ضاق صدري لحالك. وأنا أعزم عليك إلا ما أخبرتني بما أنت فيه.
فقالت أو لا بد، قلت أي والله. قالت قد كان أبي ذا ثروة وعزة، وكان لي ابن عم قد كفله أبي صغيرا فنشأت وإياه ليس عند أحدنا أعز من الآخر فزوجني منه، فأقمنا لا نستطيع صبرا.
وكان في هذا البستان زوج حمام يبيت فيه ويصبح ويغرد بأنواع التغريد فإذا اختفت واحدة في شجرة دارت الأخرى عليها حتى تكاد أن تموت، فإذا التقينا تعانقا وغردا.

فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت إحداهما إليه ومضت فلم ترجع فأقامت الأخرى تغرد كل صباح إلى ارتفاع الشمس، ثم تلقي نفسها كالميتة حتى ذهبت نضارتها وذوى ريشها.." [1]

"النظام

توهمه طرفي فآلم خده ... فصار مكان الوهم من خده أثر

فصافحه كفي فآلم كفه ... فمن صفح كفي في أنامله عقر

ومن بفكري خاطرا فجرحته ... ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

يقال: إن هذه الأبيات لما بلغت الجاحظ، قال: مثل هذا ينبغي أن لا يكون إلا من الوهم.

عير سقراط الحكيم رجل بخمول نسبه، وتاه عليه بشرفه ورياسته، فقال له: سقراط: إليك انتهى شرف قومك، ومني ابتدأ شرف قومي، فأنا فخر قومي وأنت عار قومك.

من بعض التواريخ: سخط كسرى على بوذرجمهر فحبسه في بيت مظلم، وأمر أن يصفد بالحديد فبقي أياما على تلك الحال، فأرسل إليه من يسأله عن حاله، فإذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس، فقالوا له: أنت في هذه الحالة من الضيق، ونراك ناعم البال، فقال: اصطنعت ستة أخلاط، وعجنتها واستعملتها فهي التي أبقتني على ما ترون قالوا: صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى، فقال: نعم أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل، وأما الثاني فكل مقدر كائن، وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن، وأما الرابع فإذا لم أصبر فماذا أصنع، ولا أعين على نفسي بالجزع، وأما الخامس فقد يكون أشد مما أنا فيه، وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج، فبلغ ما قاله كسرى، فأطلقه وأعزه.

قال الفضيل بن عياض: ألا ترون كيف يزوي الله سبحانه الدنيا عمن يحب؟ ويمررها عليهم مرة بالجوع، ومرة بالعري، ومرة بالحاجة، كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تقمطه بالصبر مرة، وبالحضض مرة، وإنما تريد صلاحه.

لقي المنصور سفيان الثوري فقال له: ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله؟ فقال: إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول: " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " ودخل عليه يوما وقد أرسل إليه، فقال له: سل حاجتك، قال أو تقضيها؟ ، قال: نعم، قال: حاجتي أن لا ترسل إلي حتى آتيك، ولا تعطيني شيئا حتى أسألك. ثم خرج فقال المنصور: القينا الحب إلى العلماء فلقطوه، إلا ما كان من سفيان الثوري.

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٢٥

قال: أرسطو الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة، أخذه الشاعر فقال:

الفقر في أوطانه غربة ... والمال في الغربة أوطان

وكان أبو الشمقمق أبو الرقعمق الشاعر الظريف المشهور قد لزم بيته لاطمار رثة كان يستحي أن." (١)

"أشدهم إلحاحا في ذلك، ولهذا نزل المقري عند رغبته، ووعده ((بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية)) ، وبعد أن قطع في العمل شوطا بدا له أن هناك صعوبات لا يستطيع التغلب عليها، فخامره التردد من جديد، وعاود ابن شاهين الإلحاح وكان اطلع على بعض ما جمعه المقري، فأحس بخيبة أمله لأن المقري لم يدرج في فاتحة الكتاب المجموع ما دار بينها من محاوره، مما اضطر المقري إلى معاودة العمل على نسق جديد، وتخصيص قسم من المقدمة ومن الكتاب لذكر دمشق وأصحابه فيها، وكان في البداية يزمع أن يسميه ((عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب)) فلما رأى أن المادة التي اجتمعت لديه قد استفاضت بحيث شملت تاريخ الأندلس وأدبها غير اسم الكتاب وجعله ((نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب)) . وعلى هذا النحو أصبح الكتاب قسمين: قسم خاص بالأندلس عامة وقسم خاص بلسان الدين وما يتعلق به من شئون. وفي كل قسم من هذين القسمين ثمانية فصول. وقد فرغ من كتابته ((عشية يوم الأحد المسفر صباحها عن ٢٧ رمضان سنة ١٠٣٨ بالقاهرة)) ثم ألحق فيه كثيرا في السنة التالية بعدها فيكون جميعه في آخر ذي الحجة الحرام تتمة سنة ١٠٣٩.

والحق أن زيارة المقري لدمشق كانت ارتباطا ((بوعد)) ساعد المقري على إنجاز الكتاب، ولكني أرجح أن فكرة الكتاب كانت تجول في ذهنه، قبل ذلك؛ لأسباب منها:

١ - أن إعجابه بلسان الدين ابن الخطيب، بحيث يقلده في طريقته الإنشائية ويحفظ الكثير من رسائله وشعره، كان قمينا بدفعه إلى كتابه مؤلف عنه، وخاصة لإحساسه بالغربة والوحشة اللتين أحس بهما ((مثله الأعلى)) حينما لجأ إلى المغرب.." (٢)

"فلربما نثر الجمان تعمدا ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها، وأطلب ممن أجال النفوس في سيول الكربة أن يخلصها:

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٨٢/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١١/١

فنلتقي وعوادي الدهر غافلة عما نروم وعقد البين محلول

والدار آنسة، والشمل مجتمع، والطير صادحة، والروض مطلول

وأضرع إليه – سبحانه – في تيسير العود إلى أوطاني، ومعهدي الذي مطايا العز أوطاني، وأن يلحقني بذلك الأفق الذي خيره موفور، وحق من فيه معروف لا منكر ولا مكفور:

إذا ظفرت من الدنيا بقربهم فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأني بعاتب يقول: ما هذا التطويل؟ فأقول له: جوابي قول ابن أبي الإصبع الذي عليه التعويل:

أكثرت عذلي كأني كنت أول من بكى على مسكن أو حن للسكن

لا تلح إن من الإيمان عند ذوي ال إيمان منا حنين النفس للوطن

على أنني أقول: اللهم يسر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب، بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر والأسود والأعاجم والأعارب، عليه أفضل صلاة وأزكى سلام، وعلى آله وأصحابه الأعلام، والتابعين لهم بإحسان ما ذر شارق وتعاقب طالع وغارب.." (١)

"بالخطا منها أثيرا وصفيحا، وفلينا الفجاج، وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج، وقلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج، وربما عميت على المجتهد الأدلة التي يحصل بها على المذهب الاحتجاج، فترى الأنفاس تعثر في زفرة الأشواق، والأجسام قد زرت عليها من التعب الأطواق، هذا والليل بصفحة البدر مرتاب، وقد شدت رحال وأقتاب، وزمت ركاب ورفعت أحداج، وفريت من الدعة بمدية النصب أوداج، وتساوي في السير نهار مشرق وليل مقمر أو داج، وأديم التأويب والإسآد، وحمل الغربة قد أثقل وآد، ثم وصلنا بعد خوض بحار، يدهش فيها الكفار ويحار، وجوب فياف مجاهل، يضل فيها القطا عن المناهل، إلى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الأوجاع، وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها القوافي والأسجاع، وتمثلنا في بدائعها التي لا نستوفيها، بقول ابن ناهض فيها:

شاطئ مصر جنة ما مثلها في بلد

لا سيما مذ زخرفت بنيلها المطرد

وللرياح فوقه سوابغ من زرد

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٣٢/١

مسرودة ما مسها داودها بمبرد

سائلة وهو بها يرعد عاري الجسد

والفلك كالأفلاك بي؟ ن حادر ومصعد." (١)

"عليها الخناصر بل الخمس، كيما يكون ذلك لهذه الأغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من أغراضه البديعة ومنازعه وشيعا.

[اعتذار المؤلف عن تلبيته للمطلب]

فأجبته أسمى الله قدره الكبير، وأدام عرف فضائله المزري بالعنبر والعبير، بأن هذا الغرض غير سهل، ولست علم الله له بأهل، من جهات عديدة، أولها قصوري عن تحمل تلك الأعباء الشديدة، إذ لا يوفي بهذا الغرض إلا الماهر بطرق المعارف السديدة، وثانها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لأني خلفتها بالمغرب، وأكثرها في المشرق كعنقاء مغرب، وثالثها شغل الخاطر باشجان **الغربة**، الجالبة للفكر غالب الكربة، وتقسم البال، بين شغل عائق وبلبال، وأني يطيق، سلوك هذا المضيق، من اكتحلت جفونه بالسهاد، ونبت جنوبه عن المهاد، وسدد نحوه الأسف سهمه، وشغل باله ووهمه، وبث في قلبه تبريحا، وعناء لم يجد منه إلا أن يلطف الله تسريحا، فما شام بارقة أمل إلا في النادر، ولا ورود منهل صفاء إلا وكدره مكر غادر، وقد كثر الجفاء، وبرح بلا شك الخفاء، واستوخمت الموارد والمصادر، والقلب مكلوم، واللب غير ملوم، إذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر، ولا مؤنس إلا شاكي دهر بلسان صريح، أو باكي قاصمة ظهر بجفن قريح، أو مناضل في معترك العجز طريح، أو فاضل دفن من الخمول في ضريح، إذ رمته سهام الأوهام الصوائب، وعضت منه إبهام." (٢)

"والدهر دهر الجاهل؟ ن وأمر أهل العلم فاتر

لا سوق أكسد فيه من سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم في هذا الزمن زمن، وهو بأن ينشد قول الأول قمن:

لأي وميض بارقة أشيم ومرعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعري علام يحسد من أبدل **الاغتراب** شارته، وأضعف الاضطراب إشارته، وأهل بالدموع أنواءه،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٥/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧١/١

وقلل أضواءه، وقلل أضواءه، وكثر علله وادواءه، وغير عند التأمل رواءه، وثنى عن المأمول عنانه، وأرهف بالخمول سنانه، حتى قدح سنانه، حتى قدح الذكر حنانه، وملأ الفكر جأشه وجنانه، فهو في ميدان النزوح مستبق، ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق:

له أنه المشتاق في كل ساعة تمر وما للثاكلات من الحزن

ومن مرسلات الدمع واقعة الأسى ومن عاديات البين قارعة السن

تثير الذكرى منه كوامن الشجون، وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والحجون:

وتحت ضلوع المستهام كآبه يخاف على الأحشاء منها التفطرا

ولو أن أحشاء تبوح بما حوت لتمتئن الأرض كتبا وأسطرا

وشتان ما بين الاقتراب **والاغتراب**، والسكون في الركون والنبو عنها والاضطراب، فذاك تسهل غالبا فيه الأغراض والمآرب، وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب:." (١)

"وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز ولكن أرى تحصيلها بالدنية

وإن طاوعتني رقة الحال مرة أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت، عندما صرت إلى **الاغتراب** وألت:

تركت رسوم عزي في بلادي وصرت بمصر منسبي الرسوم

ورضت النفس بالتجريد زهدا وقلت لها عن العلياء صومي

مخافة أن أرى بالحرص ممن يكون زمانه أحد الخصوم

وكما قال بعض الأكابر، من أهل الزمان الغابر:

لا عار إن عطلت يداي من الغنى كم سابق في الخيل غير محجل

صان اللئيم، وصنت وجههي، ماله دوني، فلم يبذل ولم أتبذل

أبكي لهم ضافني متأوبا إن الدموع قرى الهموم النزل

لا تنكرو شيبا ألم بمفرقي عجلا كأن سناه سلة منصل

فلقد دفعت إلى الهموم تنوبني منها ثلاث شدائد جمعن لي

أسف على ماضي الزمان، وحيرة في الحال منه، ووحشة المستقبل

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧٣/١

ما إن وصلت إلى زمان آخر إلا بكيت على الزمان الأول

لله عهد بالحمى لم أنسه أيام أعصي في الصبابة عذلي

ويرحم الله ابن الإسكندري، إذ قال في معنى التمني المصدري:." (١)

"وقد كنت أولا سميته ب؟ ((عرف الطيب، في التعريف بالوزير ابن الخطيب)) ، ثم وسمته حين ألحقت أخبار الأندلس به ب؟ ((نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب)) .

وله بالشام تعلق من وجوه عديدة، هادية متأملها إلى الطرق السديدة:

أولها: أن الداعي لتأليفه أهل الشام - أبقى الله مآثرهم وجعلها على مر الزمان مديدة.

ثانيها: أن الفاتحين للأندلس هم أهل الشام ذوو الشوكة الحديدة.

ثالثها: أن غالب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالأندلس وطنا مستأنفا وحضرة جديدة.

ورابعها: أن غرناطة نزل بها أهل دمشق، وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر، والدوح والزهر، والغوطة الفيحاء، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة.

[خاتمة المقدمة]

هذا، وإني أسأل ممن وقف عليه، أن ينظر بعين الإغضاء إليه، كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه، والداعي إلى تأليفه وترصيفه، استنادا لركن الثقة، واعتمادا على الود والمقة، أن يصفح عما فيه من قصور ويسمح، ويلاحظه بعين الرضى الكليلة ويلمح، إذ ركبت شكل منطقه والأشجان غالبة، وقضية **الغربة**، موجبة للكربة، ولبعض الآمال سالبه، وهو - وإن لم يوف." (٢)

"وسألناه في تيسيره وتسهيله، سواء لدينا في ذلك ما عاد، بإعانة عامة وإمداد، وساهم في قصد جهاد، وما لم يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما بإعانة ولا إرفاد، إنما علينا أن نجلب الخير الباقي والأجر الراقي إلى بابكم، وندل عليه كريم جنابكم، بمقتضى وداد، صبحه باد، وجميل ظن في دينكم المتين واعتقاد، وسلم مجمله ومفصله من انتقاد، وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الأوحد سلالة الصالحين، وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين، ويا لها من مزية دنيا ودين، أبا عبد الله ابن

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧٤/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١١٧/١

مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرة حاله، وسنى من مقامكم السني آماله، جرى عليه من المحن، وتباريح (١) الإحن، ما يعلم كل ذي مروءة وعقل، واجتهاد ونقل (٢) ، أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب، وإلى معقاته منسوب، ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا، لاستدعت إلى تعمدها عفوا كبيرا، رعيا لذلك الإمام الصالح الذي كبر خلفه وأحرم، وتشهد وسلم، وأمن عقب دعائه، ونصب كفه

لمواهب الله تعالى وآلائه، وأنصت لخطبته ووعظه، وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه، فأحبط ذلك من أحبط الأعمال الصالحة، وعطل المتاجر الرابحة، وأسف الملك المذكور بدم ولده، وإحراق خزائنه وعدده، وتغيير رسومه وحدوده، وإسخاطه وإسخاط الله معبوده، إلى أن طهر سيفكم الملك من عاره، وأخذ منه بثاره، وتقرب إلى الله وغلى السلف الكريم بمحو آثاره، والحمد لله تعلى ما خصه من إيثاره، وتدارك الإسلام بإقالة عثاره، وإنه خاطبنا الآن من حضرة تونس يقرر من حاله ما يفت الفؤاد، ويوجب الامتعاض له والاجتهاد، يطلب منا الإعانة بين يديكم والإنجاد، ويشكو العيلة والأولاد، **والغربة** التي أحلته الأقطار النازحة والبلاد، والحوادث التي سلبته الطارف

---

(١) ق ط ج: ونتائج.

(٢) ق ج: وفضل.." [١]

"يا عمرو ناد عبد زهراء ... يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي وقال رضي الله تعالى عنه، في قول سمنون المحب:

وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني الأولى أن يقول: فكيفما شئت فاعف عني إذ طلب العفو أولى من طلب (١) الاختبار. وقال رضي الله تعالى عنه: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا. وقال رضي الله تعالى عنه: العارف لا دنيا له، لن دنياه لآخرته، وآخرته لربه. وقال: الزاهد غريب في الدنيا، لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة.

قال بعض العارفين: معنى **الغربة** في كلام الشيخ، رضي الله تعالى عنه أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريبا في الدنيا، إذ ليست وطنا لقلبه، عاين الآخرة فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها، وفيما شهد من عقوبتها ونكالها، فتغرب في هذه الدار. و أما العارف فإنه

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٢٧/٢

غريب في الآخرة إذ كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك، فصار غريبا في الآخرة، لأن سره مع الله تعالى، بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون، وفيها يسكنون، فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق، أو أرض الخصوص، فبالإذن والتمكين، والرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الخصوص لشهوة، ولم يصعدوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين، وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين، رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بهم آمين.

---

(١) في بعض النسخ: لأن طلب.." (١)

"قال: وكنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط، فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدري اللون، ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة، وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها، وهو من أعظم السلاطين في البناء، وأبصرت بهذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عيني مثاله، ولا يقدر ما أنفق عليه، وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الأفكار، ويستوقف الأبصار، ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها حاضر (١) حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان، وبعدها مروج تنقطع فيها مياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر، قال: وقد تفرجت كثيرا في طرف (٢) هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات، لم تزل لأحزان **الغربة** مذهبات، وإذا زاد النيل فصل برها عن بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة، ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب، انتهى.

وأورد الصفدي في تذكرته لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة:

انظر إلى سور الجزيرة في الدجى ... والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا

تتضاحك الأنوار في جنباته ... فتريك فوق النيل أمرا معجبا

بينا تراه مفضضا في جانب ... أبصرت منه في سواه مذهبا

لله مرأى ما رآه ناظري ... إلا خلعت له المقام تطربا [وصف القاهرة]

وقال في " المغرب " نقلا عن بعضهم ما صورته (٣) : وأما مدينة القاهرة، فهي الحالية الباهرة، التي تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها، واتخذوها

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٣/٢

(١) ق: حاظر.

(٢) ق: طرق.

(٣) الخطط ٢: ١٨٦ - ١٩٠ والنقل عن البيهقي.." [١]

"شافعا في موصلها إليه، واثقا بالفرع لعلم الأصل، مؤملا للإفضال بتحقق الفضل، إن لم تقض باجتماع بيننا الأيام، فلا تجزئ من المشافهة بيننا ألسن الأقلام، ويوحي بعضنا إلى بعض يسور الوداد، والحمد لله الذي أطلعك في ذلك الأفق بدرا، وأدناك من هذه الدار فصرنا لقرب من يرد عنك لا نعدم لك ذكرا، فكل يثني بالذي علمت سعد، ويصف من خلالك ما يقضي ذلك المجد، ولما كان إحسانك يبشر به الصادر والوارد، ويحرض عليه الغائب والشاهد، مد أمله نحوك موصل هذه المفاتحة، وليس له وسيلة ولا بضاعة إلا الأدب وهي عند بيتك الكريم رابحة، وهو من شتتت خطوب هذا الزمان شمله، وأبانت نوائبه صبره وفضله، وما طمح ببصره إلا إلى أفقك، ولا وجه رجاءه إلا نحو طرقك، والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه، وأعنقت من الحمد ركائبه، دمت غرة في الزمن البهيم، مخصوصا بأفضل التحية والتسليم، انتهى.

وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر في العلوم، وله كتاب في أنساب بني سعيد أصحاب هذه الترجمة، ومن شعره:

أهواك يا بدر وأهوى الذي ... يعذلني فيك وأهوى الرقيب

والجار والدار ومن حلها ... وكل من مر بها من قريب

وكل مبد شبها منكم ... وكل من يلفظ باسم الحبيب [وصية ابن سعيد الأب لابنه علي]

رجع:

قال ابنه علي: لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة أول وصولي إلى الإسكندرية، رأى أن يكتب لي وصية أجعلها إماما في **الغربة**." [٢]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٤٤/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٥٢/٢

"فبقي فيها أياما إلى أن كتبتها عنه، وهي هذه، وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم:

أودعك الرحمن في غربتك ... مرتقبا رحماه في أوبتك

وما اختياري كان طوع النوى ... لكنني أجري على بغيتك

فلا تطل حبل النوى إنني ... والله أشتاق إلى طلعتك

من كان مفتونا بأبنائه ... فإنني أمعنت في خبرتك

فاختصر التوديع أخذا، فما ... لي ناظر يقوى على فرقتك

واجعل وصاتي نصب عين ولا ... تبرح مدى الأيام من فكرتك

خلاصة العمر التي حنكت ... في ساعة زفت إلى فطنتك

فللتجاريب أمور إذا ... طالعتها تشحذ من غفلتك

فلا تنم عن وعيها ساعة ... فإنها عون إلى يقظتك

وكل ما كابدته في النوى ... إياك أن يكسر من همتك

فليس يدرى أصل ذي غربة ... وإنما تعرف من شيمتك

وكل ما يفضي لعذر فلا ... تجعله في **الغربة** من إربتك

ولا تجالس من فشا جهله ... واقصد لمن يرغب في صنعتك

ولا تجادل أبدا حاسدا ... فإنه أدعى إلى هيبتك

وامش الهوينا مظهرا عفة ... وابغ رضى الأعين عن هيئتك

أفش التحيات إلى أهلها ... ونبه الناس على رتبتك

وانطق بحيث العي مستقبح ... واصمت بحيث الخير في سكتتك

ولا تزل مجتمعا طالبا ... من دهرك الفرصة في وثبتك

وكلما أبصرتها أمكنت ... ثب واثقا بالله في مكنتك

ولج على رزقك من بابه ... واقصد له ما عشت في بكرتك." (١)

"قول الأول:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن حسن الأدب

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/٣٥٣

وثانية حسن أخلاقه ... وثالثة إجتناب الريب وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ولزمتها في **الغربة** رأيتها جامعة نافعة، لا يلحقك إن شاء الله تعالى مع استعمالها ندم، ولا يفارقك بر ولا كرم، ولله در القائل:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن في قومه بحسيب

إذا حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب وما قصر القائل حيث قال:

واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من دارى

واتخذ الناس كلهم سكنا ... ومثل الأرض كلها دارا وأصغ يا بني إلى البيت الذي هو يتيمة الدهر، وسلم الكرم والصبر:

ولو أن أوطان الديار نبت بكم ... لسكنتم الأخلاق والآدابا إذ حسن الخلق أكرم نزيل، والأدب أرحب منزل، ولتكن كما قال أحدهم في أديب متغرب: وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد، وإليه قصد، غير مستريب بدهره، ولا منكر شيئا من أمره، و إذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما، وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم، وحل بطرفه محل الوسن (١) ، وانزل بقلبه نزول المسرة، حتى يتمكن لك وداده، ويخلص فيك اعتقاده، وطهر من الوقوع فيه لسانك، وأغلق سمعك، ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه، يريد إبعادك عنه، لمنفعته،

---

(١) ج: على الوسن.." (١)

"وكتب لهم من بخارى:

إذا هبت رياح الغرب طارت ... إليها مهجتي نحو التلاقي

وأحسب من تركت به يلاقي ... إذا هبت صباها ما ألاقي

فيا ليت التفرق كان عدلا ... فحمل ما يطيق من اشتياقي

وليت العمر لم يبرح وصالا ... ولم يختم (١) علينا بالفراق إذا كان الشوق فوق كل صفة، فكيف تعبر عن الشفة، لكن العنوان دلالة على بعض ما في الصحيفة، والحاجب قد ينوب في بعض الأمور مناب الخليفة، وما ظنكم بمشوق طريح، في يد الأشواق طليح، يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلب الأفياء، ويتلون الحرباء، حتى كأنه يخبر مساحات الأرض، ذات الطول والعرض، ويجوب أهوية الأقاليم السبع، خارجا بما أدخله

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/٣٥٥

فيه اللجاج عن الشرع، فكان خليفة الإسكندر، لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكري قائمة مقام الجيش والعسكر؛ جزت إلى بر العدوة من الغرب الأقصى، فطمحت نفسي إلى مشاهدة الغرب الأوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة من المشاق ما لا يحصر (٢) ، ثم تشوقت إلى إفريقية درب بلاد الشرق، فاستشعرت من هنالك ما بينها وبين بلادي من الفرق، واختطفت من عيني تلك الطلاوة، وانتزعت من قلبي تلك الحلاوة:

فلله عين لم تر العين مثلها ... ولا تلتقي إلا بجنات رضوان ثم نازعتني النفس التواقة إلى الديار المصرية، فكابدت في البحر ما لا يفي بوصفه إلا المشافهة إلى أن أبصرت منار الإسكندرية، فيا لك من استئناف عمر جديد، بعد اليأس من الحياة بما لقينا من الهول والتنكيد، ثم صعدت إلى القاهرة

---

(١) المغرب: يحكم.

(٢) ج: يحصى.." (١)

"المونقة، فصادف أبا بكر ابن القوطية المذكور صادرا عنها، وكانت له أيضا هناك ضيعة، قال: فلما رآني عرج علي، واستبشر بلقائي، فقلت مداعبا له:

من أين أقبلت يا من لا شبيه له ... ومن هو الشمس والدنيا له فلك قال: فتبسم وأجاب بسرعة:

من منزل تعجب النساك خلوته ... وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا فما تمالكت أن قبلت يده، إذ كان شيخي ودعوت له، انتهى.

وهو صاحب كتاب " الأفعال " الذي فتح به هذا الباب، فتلاه ابن القطاع، وله كتاب " المقصور والممدود " جمع فيه مالا يحد ولا يعد، وأعجز من بعده به، وفاق من تقدمه، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

وممن أخذ عن أبي علي القالي بالأندلس أبو بكر محمد الزبيدي صاحب كتاب " مختصر العين " وغيره، وكان الزبيدي كثيرا ما ينشد:

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في الغربة أوطان

والأرض شيء كلها واحد ... والناس إخوان وجيران وترجمه الزبيدي واسعة (١) ، وكان مؤدب المؤيد هشام، ووصفه بأنه كان في صباه في غاية الحذق والذكاء، رحمه الله تعالى.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/٣٧١

وكان القالي قد بحث على ابن درستويه كتاب سيبويه، ودقق النظر، وانتصر للبصرين، وأملى شيئا من حفظه ككتاب " النوادر والأمالي "، و " المقصور والممدود "، و " الإبل والخيل "، و " البارع في اللغة " نحو خمسة آلاف

---

(١) انظر ترجمة الزبيدي في الجذوة: ٤٣ وابن الفرضي ٢: ٩٢ والمغرب ١: ٢٥٠ واليتيمة ٢: ٧١ وابن خلكان ٤: ٧ وإنباه الرواة ٣: ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٨: ١٨٠ والوافي ٢: ٢٥١ وبغية الوعاة: ٣٤ وانظر كتاب الحركة اللغوية في الأندلس ففيه دراسة لأهم مؤلفاته.." [١]

"بها سيد الوجود، صلى الله عليه وسلم، وتخلص إلى مدح مولانا السلطان المنصور بالله أبي العباس أحمد الحسني أمير المؤمنين صاحب المغرب رحمه الله تعالى، وهو:

أولئك فخري إن فخرت على الورى ... ونافس بيتي في الولا بيت سلمان وأراد –كما أخبرني – بيت سلمان القبيلة التي منها لسان الملة والدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى، أشار إلى ولاء الكتابة للخلافة، كما كان لسان الدين السلماني رحمه الله تعالى كذلك، وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه.

وقد رأيت أن أسرد هنا هذه القصيدة الفريدة، لبلاغتها التي بذت شعراء " اليتيمة " و " الخريدة "، ولأن شجون الحديث الذي جر إليها، شوقني إلى معاهدي المغربية التي أكثر البكاء عليها، بحضرة المنصور بالله الإمام، سقى الله تعالى عهادها صوب الغمام، حيث الشباب غض يانع، والمؤمل لم يحجبه مانع، والسلطان عارف بالحقوق، والزمان وهو أبو الورى لم يشب بره بالعقوق، والليالي مسالمة غير رامية من البين بنبال، **والغربة** الجالية للكربة لم تخطر ببال، ورؤساء الدولة الحسنية السنية ساعون فيما يوافق الغرض ويلائم، والأيام ثغورها بواسم، وأوقاتها أعياد ومواسم، وأفراح وولائم، فلله فيها عيش ما نسيناه، وعز طالما اقتبسنا نور الهدى من طورسيناه:

مضى ما مضى من حلو عيش ومره ... كأن لم يكن إلا كأضغاث أحلام وهذا نص القصيدة (١) :

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني ... وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني

وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى ... فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧٤/٣

(١) انظر هذه القصيدة في روضة الآس: ١٢٠.." [1]

"ولو نشر الأملاك دهرك أصبحت ... عيالا على علياك أبناء مروان

وشايعك السفاح يقتاد طائعا ... برايته السوداء أهل خراسان

فما المجد إلا ما رفعت سماكه ... على عمدي سمر الطوال ومران

وهاتيك أبكار القوافي جلبتها (١) ... تغار لهن الحور في دار رضوان

أتتك أمير المؤمنين كأنها ... لطائم مسك أو خمائل بستان (٢)

تعاظمن حسنا أن يقال شبيهها ... فرائد در أو قلائد عقيان

فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها ... وللدين تحميه بملك سليمان

ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا ... تقاد لك الأملاك في زي عبدان [نونية أبي الفتح التونسي]

انتهت القصيدة في تغزلها شرح الحال، وإعراب عما في ضمير **الغربة** والارتحال، ولنعززها بأختها في البحر والروي، قصيدة القاضي الشهير الذكر، الأديب الذي سلبت النهى كواعب شعره إذ أبرزها من خدود الفكر، الشيخ الإمام سيدي أبو الفتح محمد بن عبد السلام، المغربي التونسي نزيل دمشق الشام، صب الله على ضريحه سجال الرحمة والإنعام، فإنها نفث مصدور غريب، وبث معذور أريب، فارق مثلي أوطانه وما سلاها، وقرأ آيات الشجو وتلاها، وتمنى أن يجود له الدهر برؤية مجتلاها، وهي قوله رحمه الله وأنشأها بدمشق عام واحد وخمسين وتسعمائة:

سلوا البارق النجدي عن سحب أجفاني ... وعما بقلبي من لواعج نيران

ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي ... وشدة أشواقي إليكم وأشجاني

فما لي سواها من رسول إليكم ... سريع السرى في سيره ليس بالواني

---

(١) روضة الآس: جلوتها.

(٢) بعد هذا البيت في روضة الآس: ومنها ختاما.." [2]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٣/٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٩/٥

"فما أنا في عودي إليكم بآيس ... فما اليأس إلا من علامة كفران

عليكم سلام الله في كل ساعة ... تحية صب لا يدين بسلوان

مدى الدهر ما ناحت مطوقة وما ... تعاقب بين الخافقين الجديدان [نونية ابن الخطيب]

ولصاحب الترجمة لسان الدين ابن الخطيب قصيدة طنانة بهذا الوزن والقافية، مدح بها السلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان، وقد رأيت إيرادها في هذا الباب، لما اشتمل عليه آخرها من شرح أمر **الاغتراب**، الذي حير الألباب، وللمناسبة أسباب، لا تخفى على من له فكر مصيب، وكل غريب للغريب نسيب، وهي (١) :

أطاع لساني في مديحك إحساني ... وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان

فأطلعتها تفتر عن شنب المنى ... وتسفر عن وجه من السعد حياني (٢)

كما ابتسم النوار عن أدمع الحيا ... وجف بخد الورد عارض نيسان

كما صفقت ريح الشمال شمولها ... فبان ارتياح السكر في غصن البان

تهنيك بالفتح الذي معجزاته ... خوارق لم تذخر سواك لإنسان

خففت إليها والجفون ثقيلة ... كما خف شثن الكف من أسد خفان

وقدت إلى الأعداء فيها مبادرا ... ليوث رجال في مناكب عقبان

تمد بنود النصر منهم ظلالها ... على كل مطعام العشيات مطعان

جحاجحة (٣) غر الوجوه كأنما ... عمائمهم غيها معاقد تيجان

أمدك فيها الله بالملإ العلا ... فجيشك، مهما حقق الأمر، جيشان

---

(١) مطلعها وبعض أسطر من الرسالة التالية في أزهار الرياض ١: ٢٨٦.

(٢) ق ص: حنان.

(٣) الجحاجحة: السادة.." (١)

"والتعصيب، لتضاعف أسباب العبودية قبلي، وترادف النعم التي عجز عنها قولي وعملي، وتقاصر في ابتغاء مكافأتها وجدي وإن تطاول أملي، فمقامكم المقام الذي نفس الكربة، وآنس **الغربة**، ورعى الوسيلة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٢/٥

والقربة، وأنعش الأرماق، وفك الوثاق، وأدر الأرزاق، وأخذ على الدهر بالاستقالة العهد والميثاق.
وإن لم يباشر العبد اليد العالية بهذا الهناء، ويمثل بين يدي الخلافة العظيمة السنا والسناء، ويمد بسبب اليد إلى تلك السماء، فقد باشر به اليد التي يحن مولاي لتذكر تقبيلها، ويكمل فروض المجد بتوفية حقوقها الأبوية وتكميلها، ووقفت بين يدي ملك الملوك الذي أجال عليها القداح، ووصل في طلب وصالها بالمساء الصباح، وكان فتحه إياها أبا عذرة الافتتاح، وقلت: يهنيك يا مولاي رد ضالتك المنشودة، وجبر لقطعتك المعرفة المشهودة، ورد أمتك المودودة، فقد استحقها وارثك الأرضى، وسيفك الأمضى، وقاضي دينك، وقرة عينك، مستنقذ دارك من يد غاصبها، وراد رتبتك إلى مناصبها، وعامر المثوى الكريم، وساتر الأهل والحريم. مولاي: هذه تلمسان قد طاعت، وأخبار الفتح على ولدك الحبيب إليك قد شاعت، والأمم إلى هنائه قد تداعت، وعدوك وعدوه قد شردته المخافة، وانضاف إلى عرب الصحراء فخفضته الإضافة، وعن قريب تتحكم فيه يد احتكامه، وتسلمه السلامة إلى حمامه، فلتطب يا مولاي نفسك، وليستبشر رمسك، فقد نمت بركتك وزكا غرسك، نسأل الله أن يورد على ضريحك من أنباء نصره ما تفتح له أبواب السماء قبولا، ويترادف إليك مددا موصولا، وعددا آخرته خير لك من الأولى، ويعرفه بركة رضاك ظعنا وحلولا، ويضفي عليك منه سترا مسدولا.
ولم يقنع العبد بخدمة النثر، حتى أجهد القريحة التي ركضها الدهر فأنضاها، واستشفها الحادث الجلل فتقضاها، فلفق من خدمة المنظوم ما يتغمد حلمكم تقصيره، ويكون إغضاؤكم إذا لقي معرة العتب وليه ونصيره، وإحالة مولاي." (١)

"هو الموت عم فما للعدا ... يسرون بي حين ذقت الردى

ومن فاته اليوم يأتي غدا ... سيبلى الجديد إذا ما المدى تتابع آحاده والسبوت ...

أخي توخ طريق النجاة ... وقدم لنفسك قبل الممات

وشمر بجد لما هو آت ... ولا تغترر بسراب الحياة فإنك عما قريب تموت ... وقد ذكرني قوله رحمه الله تعالى " فمن كان يفرح منهم له – إلى آخره " قول بعض العلماء الشاميين:

يا ضاحكا بمن استقل غباره ... سيثور عن قدميك ذاك العثير

لا فارس بجنودها منعت حمى ... كسرى، ولا للروم خلد قيصر

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٣٩

جدد مضت عاد عليه وجرهم ... وتلاه كهلان وعقب حمير

وسطا بغسان الملوك وكندة ... فلها دماء عنده لا تثأر

لعبت بهم فكأنهم لم يخلقوا ... ونسوا بها فكأنهم لم يذكروا [فصل في الاعتبار لابن دحية]

وما أحسن قول أبي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته (١) : وأخذت من طريق خوزستان إلى طريق حلوان، وقاسيت من الغربة أصناف الألوان، ومررت على مدائن كسرى أنوشروان، وزرت بها قبر صاحب النبي، صلى الله عليه وسلم، الزاهد العابد المعمر سلمان، وأعملت بها السير والإغذاذ، إلى مدينة بغذاذ، فنظرت إليها معالم وربوعا، وأقمت بها مرة عاما ومرة أسبوعا وأسبوعا، وأنا ابدي في ندائهم وأعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، وأسأل عن الخلفاء الماضين وأنشد، ولسان الحال يجاوبني وينشد:

---

(١) انظر كتاب النبراس: ١٦٨.." (١)

"وقال:

كل خل يعد ما أنت تخطي ... لا تعول على صفاء وداده

إنما الخل من تناسى خطايا ... ك ويبقى له جميل اعتقاده وقال:

من عامل الناس بالإنصاف شاركهم ... في مالهم وأحبوه بلا سبب

إنصافك الناس عدل لا تزال به ... تعلو إلى أن ترى في أرفع الرتب وقال:

قل جميلا إن تكلمت ولا ... تقل الشر فعقبى الشر شر

من يقل خيرا ينل خيرا، ومن ... يقل الشر إذا يخشى الضرر وقال:

إذا التأمت أمورك بعض شيء ... بأرضك فاستقم فيها ولازم

فما في غربة الإنسان خير ... وما بالغربة الدنيا تلايم وقال:

إلى متى تسرح مرخى العنان ... قل يا أخي حتى متى ذا الحران

ارجع إلى الله وخل الهوى ... فما الهوى يا صاح إلا هوان

قد انذر الشيب فهل سامع ... أنت فمصغ للذي قد أبان وقال:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١١٥/٥

من يكفر النعمة لا بد أن ... يسلبها من حيث لا يشعر

ومن يكن يشكرها معلنا ... دامت له نامية تكثر." (١)

"وقال:

لا تحقرن عدوا ... ولو يكون كذره

واحذره ما اسطعت واجهد ... أن لا تحرك شره

إن البعوضة تؤذي ال ... ملوك فوق الأسره وقال:

ما أهنأ الإنسان في عيشه ... ما بين أهليه وفي منزله

الذل في **الغربة** يا كربها ... وكرب من قوض عن معقله

وفي اقتلوا أو اخرجوا شاهد ... ساوى خروج المرء مع مقتله وقال:

المال يستر عيب النرء فاقتنه ... واحفظه تبق موقى مدة الزمن

من ضيع المال أبدى عيبه وجنى ... تمهينه أبدا من كل ممتهن وقال:

سريرة المرء تبديها شمائله ... حتى يرى الناس ما يخفيه إعلانا

فاجعل سريرتك التقوى ترى أملا ... في كل ما أنت تبغيه وبرهانا وقال:

ما تمت الدنيا لشخص ولا ... أمل ذا فيها سوى من فتن

عادتها الفتك بمن رامها ... وكل من أعرض عنها أمن

فلا تغرنك بلذاتها ... فإن من غر بها قد غبن وقال:

لا يكن عندك الخديم نديما ... إن قدر الخديم دون النديم." (٢)

"كذاك تركته (١) ملقى بأرض ... له فيها التعلل بالرياح

إذا هبت إليه صبا إليها ... وإن جاءته من كل النواحي

تساعده الجمائم حين يبكي ... فما ينفك موصول النواح (٢)

يخاطبهن مهما طرن شوقا ... أما فيكن واهبة الجناح ولولا تعلله بالأماني، وتحدث نفسه بزمان التداني، لكان قد قضى نحبه، ولم أبلغكم إلا نعيه أوندبه، لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول، ويتطارح باقتراحاته

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عب اس المقري التلمساني ٥/٥٧١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥/٥٩٥

على الزمن المجهول، ويحدث نفسه وقد قنعت من بروق الآمال بالخلب، ووثقت بمواعيد الدهر القلب، يناجيها بوحي ضميره، وإيماء تصويره: كيف أجدك يوم الالتقاء بالأحباب، والتخلص من ربقة **الاغتراب**، أبائنه الحضور أم بادية الاضطراب، كأني بك وقد استفزك وله السرور، فصرفك عن مشاهدة الحضور، وعاتك غشاوة الاستعبار للاستبشار، عن اجتلاء محيا ذلك النهار:

يوم يداوي زماناتي من أزماني ... أزال تنغيص أحياني فأحياني

جعلت لله نذرا صومه أبدا ... أفي به وأوفي شرط إيماني

إذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعت ... أشطان دهر قد التفت بأشطاني

أعده خير أعياد الزمان إذا ... أوطاني السعد فيه ترب أوطاني أرأيت كيف ارتياحي إلى التذكار، وانقيادي إلى معللات توهمات الافكار كأن البعد باستغراقها قد طويت شقته، وذهبت عني مشقته، وكأني بالتخيل بين تلك الخمائل أتنسم صباها، وأتسم رباها، وأجتني أزهارها، وأجتلي أنوارها، وأجول في خمائلها، وأتنعم ببكرها وأصائلها، وأطوف بمعالمها، وأنتشق

---

(١) الكتيبة: غريب بعدكم.

(٢) الكتيبة: التياح.." (١)

"لفراقه خفق، وإن تلألأ برق فعن حر حشاي ائتلق، وإن سحت السحب فمساعدة لجفني، وإن طال بكاؤها فغني، حياها الله تعالى منازل، لم تزل بمنظوم الشمل أواهل، وحين انتثرت نثرت أزهارها أسفا، ولم تثن الريح من أغصانها معطفا، أعاد الله تعالى الشمل فيها إلى محكم نظامه، وجعل الدهر الذي فرقه يتأنق في إحكامه، وهوسبحانه يجبر الصدع، ويعجل الجمع، إنه بالإجابة جدير، وعلى ما يشاء قدير.

إنه بني كيف حال من استودعتهم أمانتك، وألزمتهم صونك وصيانتك، وألبستهم نسبك، ومهدت لهم حسبك، الله في حفظهم فهواللائق لفعالك، المناسب لشرف خلالك، أرع لهم **الاغتراب** لديك، والانقطاع إليك، فهم أمانة الله تعالى في يديك، وهوسبحانه يحفظك بحفظهم، ويوالي بلحظك أساب حظهم، وإن ذهبتم إلى معرفة الأحوال، فنعم الله تعالى ممتدة الظلاك، وخيراته وارفة السربال، لولا الشوق الملازم، والوجد الذي سكن الحيازم.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦/٢٣٣

٤٩ - وقال في الإكليل في ترجمة أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الله ابن مقاتل المالقي (١) ، ما نصه: نابغة مالقية، وخلف وبقية، ومغربي الوطن أخلاقه مشرقيه، أزمع الرحيل إلى المشرق، مع اخضرار العود وسواد المفرق، فلما توسطت السفينة اللجج، وقارعت الثبج، هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام، وأولدها قبل التمام، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها، وانضم على نوره سوادها، من جملة الطلبة والأدباء، وأبناء السراة الحسباء، أصبح كل منهم مطيعا، لداعي الردى وسميعا، وأحيوا فرادى وماتوا جميعا، فاجروا الدموع حزنا، وأرسلوا العبرات عليهم مزنا، وكأن البحر لما كمس سبيل خلاصهم وسدها، وأهال هضبة سفينتهم وهدها، غار على نفوسهم النفيسة فاستردها، والفقيه أبوبكر مع إكثاره، وانقياد نظامه ونثاره، لم أظفر من أدبه

(١) ترمته في الدرر ٤: ٣١٣ (ط. القاهرة) .." [1]

"ميدانه، وعقدت بناني ببنانه، وتركت شاني وإن رغم الشاني لشانه، وقلت معتذرا عن التهويم في بعض أحيانه:

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا ... تفديك نفسي غائبا أوشاهدا

يا من على طيف الخيال أحالني ... أتظن جفني مثل جفنك راقدا

ما نمت، لكن الخيال يلم بي ... فيجله طرفي فيطرق ساجدا ومن العصمة أن لا تجد، هلا قبل المشيب، ومع الزمن القشيب، وقبل أن تمخض القربة، وتبنى الخانقاه والتربة، وتؤنس باله الغربة، وعلى ذلك فقد أثر، وباء قلبي المعثر، اللهم لا أكثر:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرا متمنع أركانه

فبدا لينظر كيف لاح، فلم يطق ... نظرا إليه ورددت أشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سمحت به أجفانه وجعلت الإملاء على حمل مؤازرته أيده الله تعالى علاوة، وبعد الفراغ من ألوان ذلك الخوان حلاوة، وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصبابة بما يعتمده جانب إنصافه، ويغطي على نقص إن وقع فيه كمال أوصافه:

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٣٦/٦

يا من أدار من الصبابة بيننا ... قدحا ينم المسك من رياه
وأتى بريحان الحديث فكلما ... سمح النديم براحه حياه
أنا لأهيم بذكر من قتل الهوى ... لكن أهيم بذكر من أحياه وعن لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي إلى البقاء، الموصل إلى ذروة السعادة في معارج الارتقاء، الذي غايته نعيم لا نيقضي أمده، ولا ينفذ مدده، ولا يفصل وصله، ولا يفارق الفرع أصله، حب الله المبلغ إلى قربه، المستدعي لرضاه." (١)

"وبلوغ القصد، وقطع دابر من جحد نعمة الأب والجد، وسل سيف البغي دامي الحد، والحمد لله تعالى حمدا يلهمه ويتيحه، ونسأله إمدادا يسوغه ويبيحه، على أن أحسن العقبى وأعقب الحسنى، وأرى النعم بين فرادى ومثنى، وجمع الشمل الذي قد تبدد، وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد، واخذ الظالم فلم يجد من محيص، وجمع لنا الأجر والفخر بين تخصيص وتمحيص، وقلد برؤوس الفجرة الغدرة الفرضة التي فرعوها، وأطفأ بمراق دمائهم نار الضلالة التي شرعوها، وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر، والحق الذي لا يجحد ولا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلصان، وتحفى عندما تنكر الزمان، وسبب الإدالة وطاوع الأصالة والجلالة، حتى فرج الله تعالى الكرب، وآنس **الغربة**، وأقال العثرة وتقبل القربة، له الحمد على آلائه، وصلة نعمائه، ملء أرضه وسمائه.

ووصل صحبته الولد مكنوفا بجناح الطف، ممهدا له ببركتكم مهاد العطف، فبرزنا إلى تلقيه تنويها لهديتكم وإشادة، وإبداء في بركم وإعادة، وأركبنا الجيش الذي آثرنا لحين استقلالنا عرضه، وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه، فبرز إلى الفضاء الأفيح حسن الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب، ولولا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره، والشوق إلى اللقاء الذي لا يجحده منصف ولا ينكره، لما شق علينا طول مقامه في حجركم، ولا ثواؤه لصق أريكة أمركم، فجواركم محل لاستفادة رسوم الإمارة، وتعلم السياسة والإدارة، حتى يرد علينا يقدم كتيبة جهادكم، ويقود إلينا طليعة نصركم إيانا وغمدادكم، فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها، وزين المجد آفاقها، وقدرها فأحكم طباقها، ونقرر لديكم أن حظنا من ودادكم، ومحلنا من جميل اعتقادكم، حظ بان رجحانه وفضله، ولم يتأت بين من سلف من السلف مثله، من الصحبة في المنزل الخشن وهي الوسيلة، وفي رعيها." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٨٣/٦

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٤٢/٦

"القطر المرتدي بجاهك الذي لا يذل من ادرعه، ولا يضل من اهتدى بالسبيل الذي شرعه، إلى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها، ورفع التماثيل ببيوت الله تعالى ونصبها، فانجاب عنها بنورك الحلك، ودار بإدالتها إلى دعوتك الفلك، وعاد إلى مكاتبها القرآن الذي نزل به على قلبك الملك، فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الأمة المكفولة في حجرك، المفضلة بإدارة تجرك، المهتدية بأنوار فجرك، وهل هوإلا ثمرات سعيك، ونتائج رعيك، وبركة حبك، ورضاك الكفيل برضى ربك، وغمام رعدك، وإنجاز وعدك، وشعاع من نور سعدك، وبذر يجنى ريعه من بعدك، ونصر رايتك، وبرهان آيتك، وأثر حمايتك ورعايتك.

واستنبت هذه الرسالة مائحة بحر الندى الممنوح، ومفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح، وفارعة المظاهر والصروح، وملقية الرجل بمنتزل الملائكة والروح، لمد إلى قبولك يد استمناح، وتطير إليك من الشوق الحثيث بجناح، ثم تقف موقف الانكسار، وإن كان تجرها آمنا من الخسار، وتقدم بأنس القربة، وتحجم بوحشة **الغربة**، وتتأخر بالهيبة، وتجهش لطول الغيبة، وتقول: ارحم بعد داري، وضعف اقتداري، وانتزاح أوطاني، وخلوأعطاني، وقلة زادي، وغراق مزادي، وتقبل وسيلة اعتراقي، وتغمد هفوة افتراقي، وعجل بالرضى انصراف متحملي لانصرافي، فكم جبت من بحر زاخر، وقفر بالركاب ساخر، وحاش لله تعالى أن يخيب قاصدك، أوتتخطاني مقاصدك، أوتطردني موائدك، أوتضيق عني عوائدك، ثم تمد مقتيضة مزيد رحمتك، مستدعية دعاء من حضر من أمتك، وأصحبتها يا رسول الله عرضا من النواقيس التي كانت بهذه البلاد المفتتحة تعيق الإقامة والأذان، وتسمع الأسماع الضالة والآذان، مما قبل الحركة، وسالم المعركة، ومكن من نقله الأيدي المشتركة، واستحق بالقدوم عليك والإسلام بين يديك، السابقة في الأزل البركة، وما سواها فكانت جبالا عجز عن نقلها الهندام، فنسخ وجودها الإعدام، وهي يا." (١)

"معظم سيادته الرفيعة الجانب، وموقر وزارته الشهيرة المناسب، الداعي إلى الله تعالى بطول بقائه في عز واضح المذاهب، وصنع واكف السحائب، ابن الخطيب، عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء، ويدممدودة إلى الله تعالى بالدعاء، والتماس لما يعد من جزيل النعماء، والفتح الذي تفتح له أبواب السماء، وقد اتصل ما سناه الله تعالى له من النصر والظهور، والصنع البادي السفور، لما التقى الجمعان، وتهوديت اكواس الطعان، وتبين الشجاع من الجبان، وظهر من كرات سيدي وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٧٨/٦

حتى كانت الطائلة لحزبه، وظهرت عليه عناية ربه، فقلت: الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات، واضح الغرر والشيات. وقد كنت بعثت أهنئه بما قدم من صنع جميل، وبلوغ تأميل، فقلت: اللهم أفد علينا التهاني تترى، واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى، واجمع له بين نعم الدنيا والأخرى، والناس - أبقى الله تعالى سيدي - لهم مع الاستناد إليك جهات، وأمور مشتبهات، إلا المحب المتشيع فجهتك هي التي آنست **الغربة**، وفرجت الكربة، ووعدت بالخير، وضمنت عاقبة الضير، وأنا أرتقب ورود التعريف المولوي على عبيده بهذه المدينة واصل إن شاء الله تعالى لمباشرة الهناء، وقرة العين بمشاهدة الآلاء؛ والله عز وجل يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه، ويرادف قبلة وآلاءه، بفضله انتهى.

١٠٢ - وقال: ومما خاطبت به المذكور وأنا ساكن بسلا:

أيا عمر العدل الذي مطل المدى ... يوعد الهدى حتى وفيت بدينه

ويا صارم الملك الذي يستعده ... لدفع عداه أولمجلس زينه

هنت عينك اليقظى من الله عصمة ... كفت وجه دين الله موقع شينه

وهل أنت إلا الملك والدين والدنا ... ولا يلبس الحق المبين بمينه

إذا نال منك العين ضر فإنما ... أصيب به الإسلام في عين عينه." (١)

"البين، ومجاري العيون الجارية بدمع العين، لفقد أنيس سهل علي مضض النكبة، ونحى ليث الخطب عن فريستي بعد صدق الوثبة، وآنسني في **الاغتراب**، وصحبني إلى منقطع التراب، وكفل أصاغري خير الكفالة، وعاملني من حسن العشرة بما سجل عقد الوكالة، انتزعه الدهر من يدي حيث لا أهل ولا وطن، **والاغتراب** قد ألقى بعطن، وذات اليد يعلم حالها من يعلم ما ظهر وما بطن، ورأيت من تطارح الأصاغر على شلوالغريب، النازح عن النسيب والقريب، ما حملني على أ، جعلت البيت له ضريحا، ومدفنا صريحا، لاخدع من يرى أنه لم يزل مقيما لديه، وأن ظل شفقته منسحب عليه، فأعيا مصابي عند ذلك القرح، وأعظم الظمأ البرح، ونكأ القرح القرح، إذ كان ركنا قد بنته لي يد معرفتك، ومتصفا في البر بي والرعي لصاغيتي بكريم صفتك، فوالهفا عليه من حسام، وعز سام، وأياد جسام، وشهرة بين بني حام وسام، أي جمال خلق، ووجه للقاصد طلق، وشيم تطمح للمعالي بحق، وأي عضد لك يا سيدي الأعلى لا يهن إذا سطا، ولا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري ال تلمساني ٤١٢/٦

يقهقر إذا خطا، يوجب لك على تحليه بالشيبة، ما توجبه البنوة من الهيبة، ويرد ضيفك آمنا من الخيبة، ويسد ثغرك عند الغيبة، ذهبت إلى الجزع فرأيت مصابه أكبر، ودعوت بالصبر فولى وأدبر، واستنجدت الدمع فنضب، واستصرخت الرجاء فأنكر ما روى واقتضب، وبأي حزن يلقى عبد العزيز وقد جل فقده، اويطفأ لاعجه وقد عظم وقده، اللهم لوبكى بندى أياديه، أوبغمائم غواديه، أوبعباب واديه، وهي الأيام أي شامخ لم تهده، أوجديد لم تبله وإن طالت المدة فرقت بين التيجان والمفارق، والخدود والنمارق، والطلى والعقود، والكأس وابنة العنقود، فما التعلل بالفان، وإنما هي إغفاءة أجفان، والتشبث بالحبائل، وغنما هوظل زائل والصبر على المصائب، ووقوع سهمها الصائب، أولى ما اعتمد طلابا، ورجع إليه طوعا أوغلابا، فأنا يا سيدي أقيم رسم التعزية، وإن بؤت بمضاعف المرزية، ولا عتب على القدر، في الورد من الأمر والصدر، ولولا أن هذا الواقع مما لا." (١)

"عشر: أولها شجرة السلطان، ثم شجرة الوزارة، ثم شجرة الكتابة، ثم شجرة القضاء والصلاة، ثم شجرة الشرطة والحسبة، ثم شجرة العمل، ثم شجرة الجهاد، وهي فرعان: أسطول، وخيول، ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء والمنجمين والبيازرة والبياطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين، ثم شجرة الرعايا، وتقسيم هذا كله غريب يرجع إلى شعب، وأصول، وجراثيم، وعمد، وقشر، ولحاء، وغصون، وأوراق، وزهرات مثمرة، وغير مثمرة، مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء بالصبغ اسم الفن المراد به، وبرنامجه صورة بستان، كمل منه نحو من ثلاثين سفرا، ثم قطع عنه الحادث على الدولة، وديوان شعري في سفرين سميته الصيب والجهام والماضي والكهام، والنثر في غرض السلطانيات كثير، والكتاب المسمى باليوسفي في صناعة الطب في سفرين كبيرين، كتاب ممتع، وعائد الصلة وصلت به صلة الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، في سفرين. وكتاب الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة كتاب كبير في أسفار تسعة، هذا متصل بآخرها، وتخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الدبيات الثلاثة، وجيش التوشيح في سفرين، ومن بعد الانتقال من الأندلس وما وقع من كياد الدولة نفاضة الجراب في علالة **الاغتراب** موضوع جليل في أربعة أسفار، وكتاب عمل من طب لمن حب ومنزلته في الصناعة الطبية بمنزلة كتاب أبي عمرو ابن الحاجب المختصر في الطريقة الفهقية، لا نظير له، ومن الأراجيز المسماة رقم الحلل في نظم الدول والأرجوزة المسماة بالحلل المرقومة في اللمع المنظومة ألفية من ألف بيت في أصول الفقه (١) ، والأرجوزة

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٦/٤١٥

المسماة بالمعلومة معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة في العلاج من الرأس إلى القدم

---

(١) ق: اللغة.." [1]

"فليراجع: إما تكميل لما أغفله أبوه، وإما إخبار عما شاهده هو، أو رواية له عن المترجم به، أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه.

[نماذج في تعليقاته من ترجمة ابن جابر]

ولنذكر شيئا منها غير ما تقدم بعد إيراد نص " الإحاطة " فنقول:

قال في الإحاطة في حرف الميم في ترجمة شمس الدين الهواري (١) الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية الشهيرة بالأعمى والبصير، ما صورته: محمد بن أحمد بن علي الهواري، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر، من أهل المرية.

حاله - رجل كفيف البصر، مدل على الشعر، عظيم الكفاية والمنة على زمانته، رحل إلى المشرق، وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري، صارا روحين في جسد، ووقع الشعر منهما بين لحيي أسد، وشمر للعلم وطلبه، فكان وظيفة الكفيف النظم، ووظيفة البصير الكتب، وانقطع الآن خبرهما؛ انتهى.

فكتب المذكور على أول الترجمة ما صورته: نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر أحسن الله تعالى إليهما، فلقد أحسنا الصحبة، في **الغربة**، وانفردا بالنزاهة والفضل وعلو الهمة، إلا أن المصنف قصر فيهما بعض قصور، ومنهما يطلب الإغضاء والصفح، فالرجل مات، وذكر الأموات بالخير مشروع، وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علما وعملا، أمتع الله تعالى بهما، قاله ولد المؤلف علي بن الخطيب القاهرة؛ انتهى.

---

(١) قد ترجم المقري لابن جابر الضرير ورفيقه أبي جعفر الإلبيري (المجلد ٢: ٦٦٤ - ٦٨٧) وهاهو يعود إلى الإسهاب في ذكر الرجلين في هذا الجزء.." [2]

"بحر يعب عبابه، ودار بكم سور بيد عدوكم بابه، ولا يدرى متى ينتهي السلم، وينشعب الكلم، فإن لم تكونوا بناء مرصوصا، وتستشعروا الصبر عموما وخصوصا، أصبح الجناح مقصوصا، والرأي قد سلبته

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٩٨/٧

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٠٢/٧

الحيرة، والمال والحريم قد سلبت فيه الضنانة والغيرة، وإن شاء الله تهب ريح الحمية، ونصرة النفوس على الخيالات الوهمية، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والله متم نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين " وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " البقرة: ٢٤٩.

واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل الظهور مقرونا بعدد كثير، ولو مثل جراد مزرعة أثارها مثير، بل بإخلاص لا يبقي لغير الله افتقارا، ونفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا، ووعد يصدق، وبصائر أبصارها إلى مثابة الجزاء تحدق، وهذا الدين ظهر مع **الغربة**، وشظف التربة، فلم ترعه الأكاسرة وفيولها، والقياصرة وخيولها، دين حنيف، وعلم منيف، من وجه شطر المسجد الحرام تولى، وآيات على سبعة أحرف تتلى، وزكاة من الصميم تنتقى، ومعارج ترتقى، وحج وجهاد، ومواسم وأعياد، ليس إلا تكبير شهير، وأذان جهير، وقوة تعد، وثغور تسد، وفيء يقسم، وفخر يرسم، ونصيحة تهدىة، وأمانة تؤدى، وصدقة تخفى وتبدى، وصدور تشرح وتشفى، وخلق على خلق القرآن تحذى وتقفى، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا العقلد قد سجل، والوعد به قد عجل " اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي؛ ورضيت لكم الإسلام دينا " المائدة: ٣ ولا ينقطع لهذا الفرع عادة وصله، ما دام شبيها بأصله، وإنما هو حلب لكم زبدته الممخوضة، وخلاصته الممحوضة، والعاقبة للمتقين " ولتعلمن نبأة بعد حين " ص: ٨٨.

وحضرتكم اليوم قاعدة الدين، وغاب المجاهدين، وقد اخترعت بنا أيامنا هذه وأيام والدنا المقدس الآثار الكبار، والحسنات التي تنوقلت بها الأخبار." (١)

"الحسين بديع الزمان الهمذاني، فإنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط فيحفظها كلها ويؤديها من أو لها إلى آخرها لا يخرم حرفا، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لا يعرفه ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا، ويسردها سردا

ويطلعك على حقيقته ذلك ما جرى بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي من المناظرة يوم اجتماعها في دار السيد أبي القاسم المستوفي، بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس.

قال البديع: وأول القصة أنا وطئنا خراسان، فما اخترنا إلا نيسابور دارا، وإلا جوار السادة جوارا، وقديما كنا نسمع بهذا الفاضل، ونقدر أنا إذا وردنا بلدة يخرج لنا في العشرة عن القشرة؛ فقد كانت لحمة الأدب

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٨٢/٧

جمعتنا، وكلمة الغربة نظمتنا، وقد قال الشاعر:

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فاخلف ذلك الظن كل الإخلاف، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف، وقد كان اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق، لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها، وفضة فضوها وذهب ذهبوا به؛ ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة؛ وزي أوحش من طلعة المعلم، فما حللنا إلا قصبة جواره. ولا وطئنا إلا عتبة داره بعد ما كتبنا له: إنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاه "كما طرب النشوان مالت به الخمر ".

ومن الارتياح للقائه "كما انتفض العصفور بلله القطر " ومن الامتزاج بولائه "كما التقت الصهباء والبارد العذب " ومن الابتهاج بمزاره "كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب " فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي الجبلونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف:

رث الشمائل منهج الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

وهو أيده، الله ولى إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقري لأفضى إليه بما عندي.

قال البديع: فلما أخذتنا عينه سقانا الدردي من أول دنة. وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه. من طرف نظر بشطره، وقيام دفع في صدره، وصديق استهان بقدره، وضيف استخف بأمره، فقاربناه إذ جانب، وواصلناه إذ جاذب، وشربناه على كدورته، ولبسناه على خشونته، ورددنا الأمر في ذلك إلى زي استغثه، ولباس استرثه، وكاتبناه نستمد وداده، ونستميل فؤاده، بقولنا: الأستاذ أزرى بضيفه إذ وجده يضرب آباط القلة في أطمار الذلة. فأعمل في تربيته أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة؛ من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ الكلام، وتكلف لرد السلام، وقد قبلت تربيته صعرا، واحتملته وزرا، واحتضنته نكرا وتأبطته شرا. ولم آله عذرا؛ فإن المرء بالمال، وثياب الجمال، ولست مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقزز صف النعال.

فلو صدقته العتاب، وناقشته الحساب لقلت إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وناسا يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف:

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طرحت بأبي بكر إليهم طوارح الغربة، لوجد منال البشر قريبا، ومحط الرحل رحيبا، ووجه لمضيف خصيبا، ورأى الأستاذ أبي بكر في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد، موفق

إن شاء الله.

فأجاب: وصلت رقعة سيدي ومولاي، ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج، وعرفت ما تضمنته من حسن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر. ونبابه دهر. أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه في القيام، فقد وفيته حقه على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه. فأما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف. ولقد جاورتهم فأحمدت المراد، ونلت المراد.

فإن أك قد فارقت نجدا وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للناس كافة، ولسيدي خاصة، فإن أعانني على ما في نفسي. بلغت إليه ما في النية، وجاوزت مسافة القدرة، وإن قطع على طريق عشرتي بالمعارضة، وسوء المؤاخذة، صرفت عناتي عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار:

فما النفس إلا نطفة بقرارة ... إذا لم تكدر كان صفوا معينها

وبعد فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتبا، واقترفنا ذنبا، فأما أن يسلفنا العربدة، فنحن نصونه عن ذلك، ونصون أنفسنا عن احتماله.

قال البديع: فلما ورد الجواب عمدنا لذكره فسحوناه عن صحيفتنا، ومحونا، وصرنا إلى اسمه فأخذناه، ونبذناه، وتركنا خطته، وتجنبنا خلطته، ومضى على ذلك الأسبوع، ودبت الأيام، ودرجت الليالي، وتطاولت المدة، وتصرم الشهر، وصرنا لا نعير السماع ذكره، ولا نودع الصدر حديثه، وجعل يستزيد ويستعيد بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه وتردها إلي، وكلمات تحفظها الألسنة من فمه وتعيدها على. فكاتبناه: أنا أرد من الأستاذ شرعة وده وإن لم تصف، وألبس خلعة بره وإن لم تضف. وقصاراي أن أكيله صاعا عن مد، وإن كنت في الأدب دعى النسب، ضعيف السبب، ضيق المضطرب، سيئ المنقلب.

سيدي ناقشني في الحساب القبول أولا، وصار فني في الإقبال ثانيا؛ فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه، وبعد فكلفة الفضل بينة، وفروض الود متعينة، وأرض العشرة لينة، فلم اختار قعود التعالي مركبا، وصعود التغالي مذهبا، وشوقي قد كد الفؤاد برحا إلى برح، ونكأة قرحا على قرح، ولكنها مرة مرة. ونفس حرة، وليس إلا غصص الشوق نتجزعها وحلل الصبر نتدرعها، وأنا لو أعرت جناح طائر لما طرت إلا إليه، ولا وقعت إلا عليه.

قال البديع: وبقينا نقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب، وعقاربه تدب، وأفضت الحال إلى أن

قال: لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم يجمع بيني وبينه؟، واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيننا، فدعاني فأجبت، ثم عرض على حضوره فطلبت، فلما جاءنا تركناه على غلوائه حتى إذا نفض ما في رأسه وفرغ جعبة وسواسه، عطفنا عليه، وقلنا: فلتهدأ ضلوعك، وليفرخ روعك ولتسكن سورتك. ولتلن فورتك، ولا ترقص لغير طرب. ولا تحم لغير سبب، وقديما كنت أسمع بحديثك؛ فيعجبني الالتقاء بك، والاجتماع معك، والآن إذ سهل الله ذلك، فهلم إلى الأدب ننفق يومنا عليه، وإلى الجدل نتجاذب طرفيه، ولنبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك، وأخذت منه مكانك، وطار به اسمك بعد وقوعه، وارتفع له ذكرك عقب خضوعه. . .

فقال: وما هو؟ قلت الحفظ إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فأحجم عن الحفظ رأسا، ولم يجل في النثر قدحا، وقال أبادهك، واقترح علينا أن نقول على وزن قافية أبي الطيب: أرق على أرق ومثلي يأرق وابتدر أبو بكر إلى الإجازة، ولم يزل إلى الغايات سباقا فقال:

وإذا ابتدهت بديهة يا سيدي ... فأراك عند بديهتي تتغلق

وإذا قرضت الشعر في ميدانه ... لا شك أنك يا أخي تشقق

إني إذا قلت البديهة قلتها ... عجلا وطبعك عند طبعي يرفق

مالي أراك ورست مثلي عندها ... متموها بالترهات تمخرق

إني أجيز على البديهة مثل ما ... تريانه وإذا نطقت أصدق

لو كنت من صخر أصم لهاله ... مني البديهة واغتدى يتلفق

أو كنت ليثا في البديهة خادرا ... لرئيت يا مسكين مني تفرق

وبديهة قد قلتها متنفسا ... فقل الذي قد قلت يا ذا الأخرق

ثم وقف يعتذر، ويقول: هذا كما يجيء لا كما يجب، فقلت قبل الله عذرك فخذ الآن جزاء عن قرضك، وأداء لفرضك. وقلت:

مهلا أبا بكر فزندك أضيق ... فأخرس فإن أخاك حي يرزق

دعني أعرك إذا سكت سلامة ... فالقول ينجد في ذويك ويعرق

ولفاتك فتكات بيض سيوفكم ... فدع الستور وراءها لا تخرق

وأنظر لأشنع ما أقول وأدعى ... أله إلى أعراضكم متسلق

يا أحمقا، وكفاك ذلك خزية ... جربت نار معرتي هل تحرق؟

فلما أصابه حر الكلام، ومسه لفح هذا النظام، قال: يا أحمقا لا يجوز، فإنه لا ينصرف، وقطع علينا؛ فقلنا: يا هذا لا تقطع، فإن شعرك إن لم يكن عيبة عيب، فليس بظرف ظرف، وأما أحمق فلا يزال يصفعك وتصفعه، حتى ينصرف وتنصرف معه، وعرفناه أن للشاعر أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف، كما أن له رأيه في القصر والحذف.

وقلنا: أخبرنا عن بيتك الأول، أمدحت أم قدحت؟ وذكيت أم جرحت؟ ففيه شيئان متفاوتان، ومعنيان متباينان، بدأت فخاطبت بيا سيدي، وعطفت فقلت تتغلق. وهما لا يركضان في حلبة، ولا يخطان في خطة؛ ثم قلت له: خذ وزنا من الشعر حتى أسكت عليك، فتستوفي من القول حظك، وأسكت علينا حتى نستوفي حظنا، ثم إني أحفظ عليك أنفاسك، وأوافقك عليها، واحفظ على أنفاسي ووافقني عليها؛ فإن عجزت حفظتها لك. وأخذنا بيت المتنبي: أهلا بدار سباك أغيدها.

فقلت: يا نعمة لا تزال تجحدها، ومنة لا تزال تكندها فقال: ما معنى تكندها؟ فقلت: كند النعمة كفرها، فرفع رأسه وقال: معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد، فتلونا:) إن الإنسان لربه لكنود (. وقلت له: أليس الشرط أملك، والعهد بيني وبينك أن تكست ونسكت، كي تتم ونتم، فنبذ الأدب وراء ظهره، وصار إلى السخف يكلينا بصاعه ومده، فقلت: يا هذا إن الأدب غير سوء الأدب. ولو كان في باب الاستخفاف شيء أعظم من الاحتقار، وإنكار أبلغ من ترك الإنكار، لبلغته منك. فأخذ يمضي على غلوائه، ويمعن في هرائه وهذائه وقلت: أستغفر الله من مقالتك، وسكت حتى عرف الناس أني أملك من نفسي ما لا يملكه، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه، ثم عطفت عليه فقلت: يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا من حلمي بأضعاف ما أعجبوا من علمي. وتعجبوا من عقلي أكثر مما تعجبوا من فضلي وبقى الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عي وأن تكلفي للسفه أشد استمرارا من طبعك، وغربي في السخف أمتن عودا من نبعك، فقال: أنا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته، فما الذي أفدت أنت بعقلك مع غزراته؟ فقلت: هذا الذي به تتمدح من أنك شحذت فأخذت، فهذا عندنا صفة ذم، وقد صدقت. أنت بهذه الحلبة أسبق، وفي هذه الحرفة أعرق، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة، حديث الورد لهذه الشرعة، وما أضيع وقتا قطعته بذكرك، ولسانا دنسته باسمك، وملت إلى القوال. فقلت: أسمعنا خيرا، فغنى أبياتا منها:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال أبو بكر: أحسن ما في الأمر أني أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها. فقلت: إن أنشدتكها ساءك مسموعها، ولم يسرك مصنوعها، فقال: أنشد، فقلت: روايتي تخالف هذه الرواية، وأنشدت:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوشم في الخد الصفيق

فأتته السكتة، وأضجرته النكتة، وانطفأت تلك الوقدة، وانحلت تلك العقدة، ودفع القوال فبدأ بأبيات، ولحسن بأصوات، وجعل النعاس يثني الرءوس، ويمنع الجلوس، فقمنا إلى ما وطئ من مضجع، ومهد من مهجع، ولم يكن النوم ملأ العيون، ولا شغل الجفون، حتى أقبل وفد الصباح، وحيعل المؤذن بالفلاح، وندب إلى النهوض بالمفروض، فلما قضينا الفرض، فارقنا الأرض، وظني أن هذا الفاضل يأكل يده ندما، ويبكي على ما جرى دمعا ودما، وأنه إذا نام هاله منا طيف، وإذا انتبه راعه منا سيف، وسعوا بيننا بالصلح، وعرفنا له فضل السن، فقصدناه معتذرين إليه، فأومأ إيماءة مهيضة، واهتز اهتزازة مغيضة، وأشار إشارة مريضة، بكف سحبها على الهواء سحبا، وبسطها في الجو بسطا، وعلمنا أن للمقهور أن يستخف ويستهين، وللقاهر أن يحتمل ويلين، فقلنا: إن بعد الكدر صفوا، كما أن عقب المطر صحوا، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم، فاعتللنا بالصوم، فلم يقبل العذر وألح، فقلت: أنا وذاك، فطعمنا عنده، وخرجنا والنية على الجميل موفورة، وبقعة الود معمورة، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه، ولا نتنقل إلا بذكره، ولا نعتد إلا بوده، لا. بل ملأنا البلد شكرا، والأسماع نشرا، وبينا نحن من الحال في أعذبها شرعة، ومن المقة في أطيبها ﺟرعة، ومن المودة في أعزها بقعة، وأوسعها رقعة، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته، ومؤديان رسالته، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار، وتظاهرت الآثار، في أنك قهرت، وأني قهرت، ولا شك أن ذلك التواتر عنك صدرت أوائله، والخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل، ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء، فتناظر بمشهد الخاصة والعامة، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي، أو تقر بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدي. ومنال يدي، فقلت: هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر، مع ذلك التساتر، فإن ساءك فأحر أن يسوءك عند مجتمع الناس، ومحتفل أولى الفضل، ولأن تترك الأمر مختلفا فيه خير لك من أن يتفق عليه، وإن أحببت أن تطير هذا الواقع، وتهيج هذا الساكن، فرأيك موفق.

ثم مضت على ذلك أيام، ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل، وينظر بيننا بالعدل، فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس في دار أبي القاسم الوزير، واستدعيت، فسرحت الطرف من ذلك السيد في عالم أفرغ في عالم، أو ملك في درع ملك، ونطق فودت الأعضاء لو أنها أسماع مصغية، واستمع فودت

الجوارح لو أنها ألسنة ناطقة، وكنت أول من حضر، وطلع الإمام أبو الطيب وهو بنفسه أمة، ووحده عالم. ثم حضر السيد أبو الحسين، وهو أبن الرسالة والإمامة، وعامر أرض الوحي، والمحتبي بفناء النبوة، وحضر بعد ذلك أبو عمر البسطامي، وناهيك به من حاكم يفصل، وناظر يعدل، ثم حضر القاضي أبو نصر، والأدب أدنى فضائله، وأيسر فواضله، وحضر الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك، وهو الرجل الذي تحميه لألاؤه، ولوذعيته من أن يذال بمن؟ أو ممن الرجل؟ وحضر أبو القاسم بن حبيب، والفقيه أبو الهيثم، ورائد الفضل يقدمهما، وقائد العقل يخدمهما، وحضر الشيخ أبو نصر المرزبان، والفضل منه بدأ وإليه يعود، وحضر بعده أصحاب الإمام أبي الطيب وأصحاب الأستاذ أبي الحسن الماسرجسي، وأصحاب الأستاذ أبي عمر البسطامي، وهم في الفضل كأسنان المشط، ومنه بأعلى مناط العقد، وحضر الشيخ أبو سعيد الهمذاني، وله في الفضل قدحه المعلى، وفي الأدب حظه الأعلى، ثم حضر أصحاب الأسبلة المسبلة، والأسوكة المرسلة، رجال يلعن بعضهم بعضا، فقلت: من هؤلاء؟ فقالوا: أصحاب الخوارزمي.

فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضر، وانتظر أبو بكر فتأخر، اقترحوا على قوافي أثبتوها، واقتراحات كانوا بيتوها، فما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار: من لفظ إلى المعنى نسقته، وبيت إلى القافية سقته. على ريق لم أبلعه، ونفس لم أقطعه. وقال الإمام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي، ونعين المعاني، وننص على بحر، فإن قلت على الروي الذي أسومه، وذكرت المعنى الذي أرومه، فأنت حي القلب كما عهدناك، شجاع الطبع كما وجدناك، فلما خرجت من عهدة هذا التكليف، حتى ارتفعت الأصوات بالهيللة من جانب، والحوقلةمن آخر. وتعجبوا إذ أرتهم الأيام ما لم ترهم الأحلام، وجادهم العيان بما بخل به السماع، وأنجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم، ثم التفت فوجدت الأعناق تلتفت وما شعرت إلا بهذا الفاضل، وقد طلع في شملته، وهب بجملته، ومشى إلى فوق أعناق الناس يريد الصدر، فقلت: يا أبا بكر تزحزح عن الصدر، فقال لست برب الدار، فتأمر على الزوار، فقلت: حضرت لتناظري، والمناظرة اشتقت إما من النظر، وإما من النظير، ومن حسن النظر أن يكون مقعدنا واحدا، حتى يتبين الفاضل من المفضول، ثم يتطاول السابق، ويتقاصر المسبوق، فقضت الجماعة بما قضيت.

ثم قلت: في أي علم تريد أن نتناظر؟ فأشار إلى النحو، فقلت: إن شئت أن أناظرك فيه فسلم ما كنت تدعيه، من سرعة في البديهة، وجودة في الروية، وقدرة على الحفظ، ونفاذ في الترسل، فقال: لا أسلم ذلك، ولا أناظر في غير هذا، وارتفعت المضاجة، واستمرت الملاجة، حتى قال له الأستاذ أبو عمر: أنت أديب

خراسان، وبهذه الأبواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق، وتثاقلك عن مجاراته فيها مما يوهم، واضطره إلى منازلة أو نزول عنها. فقال: سلمت الحفظ، فقلت: خفف الله عنك كما خففت عنا في الحفظ، فلو سلمت البديهة مع الترسل، حتى نفرغ للنحو والأمثال واللغة والعروض والأشعار فقال: ما كنت لأسلم الترسل، ولا سلمت الحفظ، فقلت: الراجع في فيئه كالراجع في قيئه؛ لكنا نقيلك عن ذلك السماح.

أنشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين، حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلي عشرين مرة، فعلم أن من دون ذلك خرط القتاد، فسلمه ثانيا، كما سلمه باديا، وصرنا إلى البديهة، فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبي الشيص في قوله:

أبقى الزمان به ندوب عضاض ... ورمى سواد قرونه ببياض

فبدأ أبو بكر مقدارا أنا نغفل عن أنفاسه، أو نوليه جانب وسواسه، ولم يعلم أنا نحفظ عليه الكلم، فقال:

يا قاضيا ما مثله من قاض ... أنا بالذي تقضي علينا راض

فلقد لبست ضفية ملمومة ... من نسج ذاك البارق الفضفاض

لا تغضبن إذا نظمت تنفسا ... إن الغضى في مثل ذاك تغاض

فلقد بليت بشاعر متقادر ... ولقد بليت بناب ذيب غاض

ولقد قرضت الشعر فأسمع وأستمع ... لنشيد شعر طائعا وقراض

فلأغلبن بديهة ببديهتي ... ولأرمين سواده ببياض

فقلت ما معنى ضيفة ملمومة؟ وما الذي أردت بالبارق الفضفاض؟ فأنكر أن يكون قاله قافية، فقالوا له: قد قلت. ثم قلت ما معنى قولك ذيب غاض؟ فقال هو الذي يأكل الغضى قلت: استنوق الجمل، وصار الذئب جملا يأكل الغضى. فما معنى أن الغضى في مثل ذاك تغاض، فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء فقال لم أقل الغضى، وأنكر البيت جملة فقلت: ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك، وتتبرأ منه وهو يلحق بك. فما معنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر. ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر، والشيخ أبو زكريا الحيري، وطبقة من الأفاضل وأخذ الرئيس مكانه من الصدر، وقال: قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعوني من البديهة على النفس واكتبوا ما تقولون فقلت:

برز الربيع لنا برونق مائة ... فانظر لروعة أرضه وسمائه

فالترب بين ممسك ومعنبر ... من نوره بل مائة وروائه
والماء بين مصندل ومكفر ... في حسن كدرته ولون صفائه
والطير مثل المحصنات صوادح ... مثل المغنى شاديا بغنائه
والورد ليس بممسك رياه بل ... يهدي لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر ... وجلوت للرائين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس إذا بدا ... في خلقه وصفاته وعطائه
ما البحر في تزخاره والغيث في ... إمطاره والجو في أنوائه
بأجل منه رغائبا ومواهبا ... لا زال هذا المجد حلف قبائه
والسادة الباقون سادة عصرهم ... متمدحون بمدحه وثنائه

وقال أبو بكر تسعة أبيات رددتها عليه، وقلت لمن حضر أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق لا ينشد شعرا قط وأنشد هذه الأبيات فقط، هل تطلق امرأته؟ فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق. ثم قلت: أنقد علي كما نقدت، وأحكم عليه كما حكمت. فأنتقد ما انتقد، وكفتني الجماعة جوابه، وقالوا: قد علمنا أي الرجلين أشعر؟ وأي الخصمين أقدر.

ثم ملنا إلى الترسل فقلت: اقترح على غاية ما في طوقك، ونهاية ما في وسعك، حتى أقترح عليك أربع مائة صنف في الترسل، فإن سرت فيها برجلين، ولم أطر بجناحين، فلك يد السبق، ومثال ذلك أن أقول لك: اكتب كتابا يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب؟ أو أقول لك أكتب كتابا في المعنى الذي أقول، وأنص عليه، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل، ولا تغافل حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله، هل كنت تفوق لهذا الغرض سهما، أو تجيل قدحا، أو تصيب نجحا؟ أو قلت لك أكتب كتابا إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتابا؛ وإذا عكست سطوره مخالفة كان جوابا، أو قلت لك! كتب كتابا في المعنى الذي يقترح لا يوجد فيه حرف منفصل، من راء تتقدم الكلمة بديهة، هل كنت تفعل؟ أو قلت لك أكتب كتابا خاليا من الألف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفا محمودا؟ أو قلت لك أكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل، هل كنت تحظى منه بطائل؟ أو تبل لهاتك بناطل؟ أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم، على المعنى الذي يقترح هل كنت تغلو في قوسه غلوة؟ أو تخطو في أرضه خطوة؟ أو قلت لك: اكتب كتابا إذا قرئ معرجا وسرد معوجا كان

شعرا هل كنت تقطع في ذلك شعرا؟ بلى والله تصيب ولكن من بدنك. وتقطع ولكن من ذقنك. أو أقوال لك: اكتب كتابا إذا فسر على وجه كان مدحا، وإذا فسر على وجه كان مدحا، وإذا فسر على وجه آخر كان قدحا، هل كنت تخرج عن هذه العهدة؟ أو أقوال لك: اكتب كتابا تكون حفظته من قبل أن لحظته، هل كنت تثق من نفسك به إلى ما أطاولك بعد؟ لا. بل) أست البائن أعلم.. (.

فقال أبو بكر هذه الأبواب شعبذة. فقلت: وهذا القول طرمذة. فما الذي تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها، وأكاثرك بمخزونها، وأشبر قلمك، وأسبر فيها لسانك وفمك؟ فقال الكتابة التي يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس. فقلت: أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذجة. وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم، المتناول بكل لسان وفم، ولا تحسن هذه الشعبذة؟ فقال: نعم. فقلت: هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل. وأناضلك بهذا النبل، ثم تقاس ألفاظي بألفاظك، ويعارض إنشائي بإنشائك. واقترح كتاب يكتب في النقود وفسادها، والتجارات ووقوفها، والبضاعات وانقطاعها. والأسعار وغلائها. فكتب أبو بكر: الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة، بهما يتوصل إلى جنات النعيم ويخلد في نار الجحيم، قال الله تبارك وتعالى:) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم (. وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشد الإكبار. وأنكرناه أعظم الإنكار؛ لما نراه من الصلاح للعباد ونتويه من الخير للبلاد. وتعرفنا في ذلك ما يربح للناس في الزرع والضرع. ويعود إليه أمر الضر والنفع. . . إلى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت: إن الإكبار والإنكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد ثبتت في المعد، ولم تزل في اليد. وقد كتبت وكتبت. ولا أطالبك بمثل ما أنشأت، وناولته الرقعة فتبقى وبقيت الجماعة، وبهت وبهتت الكافة، وقالوا لي أقراه فجعلت أقرؤه واسرده معكوسا. وكان ما أنشأناه: الله شاء إن المحاضر صدور بها، وتملأ المنابر ظهور لها، وتفرع الدفاتر وجوه بها، وتمشق المحابر بطون لها ترشق آثارا كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه في تأييده الله أدام الأمير جرى فإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين أهل عن الكل هذا يحط أن في إليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة، والنقود صيارفة؛ أجمع الناس صار فقد كريما نظرا لينظر شيمه مصاب وانتجعا كرمه بارقة وشمنا هممه على آمالنا رقاب، وعلقنا أحوالنا وجوه له، وكشفنا آمالنا وفود إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماه تأييده وأدام بقاه الله أطال الجليل الأمير رأى إن.

وصلى الله على محمد وآله الأخيار.

فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخصمين، فملنا إلى اللغة، فقلت: خذ غريب المصنف إن شئت وإصلاح المنطق إن أردت، وألفاظ ابن السكيت إن نشطت، ومجمل اللغة إن اخترت، وأدب الكتاب إن أردت، واقترح على أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده سردا، فقال اقرأ من غريب المصنف فقرأت الباب الذي أراده ولم أتردد فيه، وأتيت على الباب الذي يليه. ثم قلت اقترح غيره، فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من فصيح الكلام. فوقف حماره، وخمدت ناره. وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا، فهاتوا غيره. فقلت يا أبا بكر هات العروض؛ فهو أحد أبواب الأدب، وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت: هات الآن فاسرده كما سردت. وضجر الناس وتقوض المجلس.

هذا ملخص ما جرى بينهما.

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي: قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذر وله وفرة إلى شحمتي إذنيه فأكرمته وعظمته لما رأيته من فصاحته وحسن سمته. فلما تمكن الأنس بيني وبينه، وخلوت معه في المنزل اغتناما لمشاهدته، واقتباسا من أدبه، قلت: والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير.

فقال: ويحك أتدري ما تقول؟ أنا نبي مرسل! فظننت." (١)

"والمنخل بفتح الخاء المعجمة المشددة: اسم شاعر كان النعمان بن المنذر اتهمه مع امرأته فدفنه حيا فلم يعرف خبره إلى الآن. والعرب تضرب المثل به لغائب لا طمع في رجوعه.

وبعده:

(فيضحى قريبا غير ذاهب غربة ... وأرسل أيماني فلا أتحلل)

الغربة بفتح الغين المعجمة والموحدة: البعد أي: يصير البعير الذي أطلقوه

قريبا منهم ولا يذهب ذهاب بعد ومع ذلك أنا أذهل وأقول لهم ذلك القول فأرسل أيماني ولا أقيدها باستثناء ولا أتحلل بقول إن شاء الله.

وهذا البيت من أبيات المغني ولم يشرحه شراحه ولهذا شرحته إجمالا.

والنمر بن تولب صحابي عاش دهرا طويلا. وقد ترجمناه فيما مضى. وأما قوله: تنفك تسمع ما حييت ...

---

(١) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي يوسف البديعي ١/ ٢٥

... ... البيت فقد تقدم شرحه في الشاهد الرابع والثلاثين بعد السبعمائة.

وأنشد بعده: فلا وأبي دهماء زالت عزيزة." (١)

"المبتدأ نحو: لقائم زيد.

وقوله: ويقال لغريب خبر عن الاسمين جميعا هذا إنما يتصور على رواية نصب قيار لا على رواية رفعه. وفي بقية كلامه ما لا يخفى على المتأمل.

وهذا البيت أورده صاحب تلخيص المفتاح في أول باب المسند على أنه قد يحذف المسند لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث في الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر ومحافظة الوزن.

وهذه النكتة تجري فيه على رواية نصب قيار ورفعه فلا ينبغي قصرها على رواية الرفع كما صنع السعد في المطول وتبعه العباسي في معاهد التنصيص وكأنه لم تبلغهما رواية النصب.

_

ولفظ البيت خبر ومعناه التحسر على **الغربة** والتوجع من الكربة. وقيار بفتح القاف وتشديد المثناة التحتية قال أبو زيد في نوادره: هو اسم جملة. ونقل عن الخليل أنه اسم فرس له غبراء وإليه ذهب أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب وقال: هو الفرس الذي أوطأه ضابئ بعض صبيان أهل المدينة حين أخذه عثمان وحبسه. وقيل: اسم رجل.

قاله العيني.

والسر في تقديمه على الأولين قصد التسوية بينهما في التحسر على **الاغتراب** كأنه أثر في غير ذوي العقول أيضا. ولو قال: إني غريب وقيار لجاز أن يتوهم أن له مزية على قيار في التأثر عن **الغربة** لأن ثبوت الحكم أولا أقوى فقدمه لذلك. قاله السعد.." (٢)

"بالمضاف وعند سيبويه ما تقدم ذكره قبل هذا.

قال ابن خلف تبعا للنحاس: وقوله أعبدا أجاز س أن يكون منادى منكورا وأن يكون منصوبا على الحال كأنه قال: أتفخر في حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبودية.

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام وعبدا وجملة حل وغريبا أحوال من ضمير

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/١٠٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٠/٣١٩

تفخر وعلى الأول فجملة حل صفة للمنادى وغريبا حال من ضمير حل وقيل صفة أخرى للمنادى.

وقد نقل ابن السيد في شرح أبيات الجمل الوجهين: النداء والاستفهام عن سيبويه.

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن لؤما واغترابا منصوبان بفعل محذوف على طريق الانكار التوبيخي كأنه قال: أتلؤم لؤما وتغترب اغترابا ويجوز أن يكون التقدير: أتجمع لؤما واغترابا فتنصبهما بفعل واحد مضمر. وهذا أحسن لأن المنكر إنما هو جمع اللؤم **والغربة** واللؤم بالهمز: ضد الكرم وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة وفعله من باب كرم.

وقوله: لا أبا لك جملة معترضة وهذا يكون للمدح: بأن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ويكون للذم: بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا. وقال السيوطي في شرح شواهد المغني: هي كلمة تستعمل عند." (١)

"وأنشد بعده وهو

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة وهو من شواهد س: وما حل سعدي غريبا ببلدة على انه يجوز تنكير صاحب الحال إذا سبقه نفي: فإن غريبا حال من سعدي وهو نكرة.

وجاز لأنه قد تخصص بالنفي. وببلدة متعلق بقوله جل أي: نزل وأقام.

وهذا صدر وعجزه: فينسب إلا الزبرقان له أب قال أبو علي الفارسي في التذكرة القصرية: قيل: نصب الشاعر غريبا على الحال في قوله فينسب كأن قال: وما حل سعدي ببلدة فينسب إلى **الغربة**. وهذا لا يجوز: أعني نصب غريبا بينسب لتقدمه عليه لأن تقديم الصلة على الموصول لا يجوز والفرار مما لا يجوز إلى ما لا يجوز مرفوض. ولكنه حال من النكرة. فاعلم ذلك. اه.

وروي أيضا: وما حل سعدي غريب بالرفع فعلى هذا هو وصف لسعدي. استشهد به سيبويه على نصب ينسب بعد الفاء عبى الجواب مع دخول

إلا بعده للإيجاب لأنها عرضت بعد اتصال الجواب بالنفي ونصبه على ما يجب له. . ويجوز الرفع أيضا.." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٨٤/٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٠٦/٣

"السيرافي في شرح شواهد إصلاح المنطق: يقال نعب الغراب: إذا صاح. وهم يتشاءمون بصوت الغراب.

وإنما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن غراب كما يقال فلان مشؤوم الطائر ويقال طائر الله لا طائرك. انتهى.

وقال ابن خلف: وقولهم: أشأم من غراب البين فإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار لنجعة وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله فتشاءموا به وتطيروا منه إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين.

ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة فعلموا أنه نافذ البصر صافي العين حتى قالوا: أصفي من عين الغراب كما قالوا: أصفى من عين الديك فسموه الأعور كناية كما كنوا عن الأعمى فسموه أبا بصير وكما سموا الملدوغ سليما والفيافي مفاوز. وهذا كثير.

ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه **الغربة** **والاغتراب** والغريب. وليس في الأرض شيء مما يتشاءمون به إلا الغراب عندهم أنكد منه.

وذكر بعض أصحاب المعاني أن نعيب الغراب يتطير منه ونغيقه يتفاؤل به وأنشد قول جرير الكامل

(إن الغراب بما كرهت مولع ... بنوى الأحبة دائم التشحاج)

(ليت الغراب غداة ينعب دائبا ... كان الغراب مقطع الأوداج))

ثم أنشد في النغيق: الوافر

(تركت الطير عاكفة عليه ... وللغربان من شبع نغيق)

قال: ويقال نغق الغراب إذا قال: غيق غيق. فيقال نغق بخير. ونعب نعيبا. إذا قال غاق غاق.

فيقال عندها نعب ببين. قال: ومنهم من يقول نغق ببين وأنشد في ذلك:." (١)

"ويجوز أن يريد بها المنار المنصوبة على الطريق ليستدل بها من يسلك الطريق. يريد: أنها سألته عن المكان الذي صارت فيه وهي لا تعرفه لما انكرته)

استخبرته عن اسمه. واستعيرت: بكت من وحشة **الغربة** ولبعدها من أراضي أهلها. والعرب تقول: لله در فلان إذا دعوا له وقيل: إنهم يريدون لله عمله أي: جعل الله عنله في الأشياء الحسنة اليت يرضاها.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٦٢/٤

وإنما دعا للائمها بالخير نكاية بها لأنها فارقت أهلها بحسن اختيارها فيكون هذا تسفيها لها وقال الأعلم: وصف امرأة نظرت إلى ساتيدما وهو جبل بعيد من ديارها فتذكرت بلادها فاستعبرت شرقا إليها ثم قال: لله در من لامها اليوم على استعبارها وشوقها إنكارا على لائمها لأنها استعبرت بحق فلا ينبغي أن تلام. هذا كلامه. وليس هذا معنى الشعر فتأمل.

وذكلك لم يصب بعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل في قوله: قد سألتني هذه المرأة عن الأرضين التي كان بها أهلها إذ أنكرت جبالها أو أعلامها المنصوبة فيها ولم تعرفها لتقادم العهد بها أو لتغيرها لما رأت هذا الجبل بكت لأنه كان منزل أهلها. ثم قال: لله در من لامها على البكاء وقبحه عندها لتمتنع عنه. انتهى كلامه. وهذا كلام من لم يصل إلى العنقود.

وقوله: تذكرت أرضا بها أهلها قد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضا على أن قوله: أخوالها فيها وأعمامها منصوب بفعل مضمر وهو." (١)

"لست أدري أيد الله مولاي ما هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس. وإنما حضر هذا الفتى وله حق **الغربة** وأعظم به حقا ثم حق الأدب وأكرم به فخرا وقد خدمني طفلا والآن كهلا وهاجر إلي فتظاهرت حرماته لدي. وهذه التسمية أيضا لها ذمام يرعى وذمار لا ينسى وسألني أن أخاطب مولاي في بابه وأسيمه في مرعى جنابه وتصور لي الأنس بمطاولة مولاي وحسبتني أناجيه عن قرب كما أنا مكاتبه عن بعد فلج الطبع والقلم وحضرت هذه الأبيات والعبر ومولاي ولي ما يوليه ويختصه بالجميل فيه فقد كان أبو عيسى النوشجاني عبد المسيح أنشد والدي:

(وإن ائتلاف النفس أدنى قرابة ... لمن يدعي القربى إذا كان ظالما)

انتهى. وقوله: وقد قال الآخر: يزيد الخير أن يزيد قومي ... ... البيت هذا سهو منه في زعمه أنه لغير ربيعة والصواب أنه له كما نقلناه. وقوله: بمسعاته سعي البحور الخضارم المسعاة: مصدر ميمي وهو السعي. والخضارم بالفتح: جمع خضرم بكسر الخاء وسكون الضاد المعجمتين وكسر الراء: الواسع الكثير.." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٠٨/٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٠٠/٦

"(دارت بأرزاق العفاة مغالق ... بيدي من قمع العشار الجلة)

(وصفحت عن ذي جهلها ورفدتها ... نضحي ولم تصب العشيرة زلتي)

(وكفيت مولاي الأحم جريرتي ... وحبست سائمتي على ذي الخلة)

وقد روى هذه القصيدة القالي في أماليه وأبو الحسن الأخفش في شرح نوادر أبي زيد كما نقلناها.

قوله: حلت تماضر غربة إلخ قال الإمام المرزوقي: تماضر: امرأته وكانت فارقته عاتبة عليه في استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب فلحقت بقومها فأخذ هو يتلهف عليها ويتحسر في أثرها وأثر أولاده منها. فيقول: نزلت هذه المرأة بعيدة منك فاحتلت فلجا وأهلك نازلون بين الموضعين. وهذا الكلام توجع.

وفلج: على طريق البصرة. والحلة: موضع من الحزن ببلاد ضبة. واللوى: رمل متصل به رقيق.

وبين المواضع التي ذكرها تباعد.

فإن قيل: لم قال حلت ثم قال: احتلت قلت: نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه وبالثاني الاستقرار فكأنه قال: نزلت في **الغربة** فاستوطنت فلجا. وفلج بفتح اللام: بلد وفلج بسكون اللام: ماء. انتهى.." (١)

"وقال الأسود أبو محمد الأعرابي في شرح الحماسة: هذه المرأة فارقته إما بطلاق وإما مغاضبة فأسف عليها.

والحلة بفتح المهملة وكسرها: موضع حزن وصخور ببلاد ضبة. واللوى هنا: موضع بعينه.)

والغربة بفتح الغين المعجمة: الأرض البعيدة. وفلج بالفتح والسكون: واد بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازل للحاج وبينه وبين فلج زعموا مسيرة عشر. انتهى.

وقال التبريزي: قوله غربة أي: دار بعيدة. والحلة: موضع في بلاد بني ضبة. وقالوا: هي حزن ببلاد ضبة. انتهى.

وتماضر من أسماء النساء. قال ابن جني في إعراب الحماسة: التاء في تماضر عندنا فاء وإنما لم يصرف عندنا هذا الاسم لما فيه من التعريف والتأنيث لا لأنه بوزن تفاعل فتماضر إذا كقراقر وعذافر. وكذا القياس في تاء جمل ترامز. انتهى.

والظاهر أن تماضر تفاعل والتاء زائدة لا أصل إذ هو من مضر. وإليه ذهب أبو العلاء المعري في شرح ديوان

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٧/٨

البحتري قال: تماضر بضم التاء وكسر الضاد وهو منقول من فعل مضارع كما سميت المرأة تكتم وتكنى. وكان في النسخة أي من ديوان البحتري قال:." [1]

"ما: نافية وبالأرض: خبر مقدم. وضيق: مبتدأ مؤخر والجملة جواب القسم.

وجملة: سرى إلخ صفة لامرىء. وراغبا: حال من ضمير سرى وجملة: وهو يعقل حال ثانية.

يعني: أن من فارق أهله وسافر رغبة في أمر يطلبه أو خوفا من شيء يجتنبه يرى سعة في حاله إن كان ممن يعقل فإنه يدبر نفسه بعقله ولا يضيع في **الغربة**.

وقوله: ولي دونكم أهلون إلخ التفات من الغيبة إلى الخطاب خاطب به أهله.)

وأهلون: مبتدأ ودونكم: ظرف كان في الأصل صفة لأهلون فلما قدم عليه صار حالا منه.

ودون هنا: بمعنى غير ولي: خبر مقدم لأهلون.

وقوله: سيد عملس خبر لمبتدأ محذوف أي: هم سيد وأرقط وعرفاء. يقول: اتخذت هذه الوحوش أهلا بدلا منكم لأنها تحميني من الأعداء ولا تخذلني في حالة الضيق.

وهذا تعريض بعشيرته في أنهم لا حماية لهم كهذه الحيوانات ولا غيرة لهم على من جاورهم فضلا عن الحميم القريب مثل هذه الوحوش.

والسيد بكسر السين المهملة: مشترك بين الأسد والذئب ومراده الثاني ولهذا عينه بالوصف.

وكذلك فعل بأرقط وعرفاء.

والعملس بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة القوي على السير السريع.

وأرقط: ما فيه نقط بياض وسواد مشترك بين حيوانات منها النمر والحية. وأراد الأول ولهذا وصفه بزهلول بضم الزاي وهو الأملس وقيل: الخفيف وهو من أوصاف النمر.

والعرفاء: مؤنث الأعراف. قال صاحب العباب: يقال للضبع عرفاء لكثرة شعر رقبتها. وأنشد هذا البيت.

وقال الخطيب التبريزي في شرح القصيدة: العرفاء: الضبع التي." [2]

"ذلك وقال لها: أنت في ملك عظيم وما تدرين قدره وكنت قبل اليوم في العباءة: فقالت هذه الأبيات فلما سمعها قال لها: ما رضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عليفا فالحقي بأهلك.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/٣٨

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/٥٦

فطلقها وألحقها بأهلها وقال لها: كنت فبنت فقالت: لا والله ما سررنا إذ كنا ولا أسفنا إذ بنا ويقال: أنها كانت حاملا بيزيد فوضعته في البرية فمن ثم كان فصيحا.

وقال الشريف في حماسته: وروى الكلبي عن عوانة قال: لما زفت ميسون بنت بحدل من بادية كلب إلى معاوية وهو بريف الشام ثقل عليها **الغربة** والبعد عن قومها فسمعها ذات ليلة تقول هذه الأبيات فقال: أنا والله العلج: وازداد بها عجبا وإليها ميلا.

قال ابن الكلبي في الجمهرة: كان معاوية بن أبي سفيان بعث رسولا إلى بهدلة بن حسان بن عدي بن جبلة بن سلامة بن عبد الله بن عليم بن جناب يخطب إليه ابنته فأخطأ الرسول فذهب إلى بحدل بن أنيف من بني حارثة بن جناب فزوجه ابنته ميسون بنت بحدل فولدت له يزيد.

انتهى.

ذكره في جمهرة قضاعة وهي من قبائل اليمن.)

وميسون: فيعول من مسنه بالسوط إذا ضربه أو فعلون من ماس يميس إذا تبختر ولا نظير له إلا زيتون استدل به بعض النحويين على زيادة النون بالزيت المعصور.

وحكي أرض زتنة إذا كان فيها الزيتون. وبحدل بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة.." (١)

"ألم تر أن الله أوحى لمريم ... فهزي إليك الجذع تساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال المأمون: لا شيء ألذ من السفر في كفاية، لأنك تحل يوم محلة لم تحللها، وتعاشر قوما لم تعاشرهم. وقالوا: ربما أسفر السفر، عن الظفر. وقالوا: إن من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، ومحاسن الآثار، وأمثال يزيد علما بقدرة الله، ويدعو إلى شكر نعمته. وقالوا: السفر يشد الأبدان، وينشط الكسلان، ويسلي الثكلان، ويشهي الطعام، إذ ليس بينك وبين بلد نسب، فخير البلاد ما حمل. وكتب أبن رشيق إلى بعض إخوانه: مثل الرجل القاعد، أعزك الله! كمثل الماء الراكد، وإن ترك تغير، وإن حرك تكدر؛ ومثل المسافر كالسحاب الماطر، هؤلاء يدعونه نقمة، وهؤلاء يدعونه نعمة. فإذا اتصلت أيامه، ثقل مقامة، وكثر لوامه. فاجمع لنفسك فرجة الغيبة، وفرحة الأوبة! وقالوا: المسافر يسمع العجائب، ويكشف التجارب، ويحلب المكاسب. أوحش أهلك إذا كان انسك في إيحاشهم، واهجر وطنك إذا نبت عنك

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨/٥٠٦

نفسك! وقيل لأعشى بكر: إلى كم ذا **الاغتراب؟** أما ترضى بالدعة؟ فقال: لو دامت الشمس يوما عليكم لمللتموها. وأخذ أبو تمام فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجته فأغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء: لا تنال الراحة إلا بالتعب، ولا تدرك الدعة إلا بالنصب. وقال أبو تمام:

ولكني لم أحو وفرا مجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام يوما مسكنا ... ألذ به إلا بنوم مشرد

وقال لنابغة الجعدي في هذا المعنى الذي نحن فيه:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا الديار أو تموت فتعذرا

وقال أبن صارة:." (١)

"جفاني الأمير والمغيرة بعده ... وأمسى يزيد لي قد ازور جانبيه

كلهم قد نال شبعا لبطنه ... وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

وتقدم هذا الشعر وقصته قبل.

وقال بعض بني أسد:

وما أنا بالنكس الدني ولا الذي ... إذا صدعني ذو المودة احرب

ولكنني إن دام دمت وإن يكن ... له مذنب عني فلي عنه مذنب

إلا إن خير الود ود تطوعت ... به النفس لا ود آتى وهو متعب

ومعنى احرب اغضب ومعنى إن دمت دام أي إن دمت فقد دام إذ لو لم يدم ما دمت بديل ما بعده وإن شئت جعلته في القلب. وتقدم هذا المعنى مستوفى.

وقال خالد بن نضلة الأسدي:

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب

من الأبعد النائي وإن كان ذاغني ... جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢١٤/١

إذا كنت في قوم عدى لست منهم ... فكل ما علفت من خبيث وطيب

وإن حدثتك النفس انك قادر ... على ما حوت أيدي الرجال فكذب

وتقدم في **الاغتراب** ولزوم الأوطان من الشعر ما لا بد منه.

وقال عبد الله بن الدمينة:

وإني لأستحيك حتى كأنما ... علي بظهر الغيب منك رقيب

وقال قيس بن ذريح:

وكل مصيبات الزمان وجدتها ... سمى فرقة الأحبة هينة الخطب

وقال اياس بن الارت:

إذا ما تراخت ساعة فاجعلنها ... بخير فإن الدهر أعصل ذو شغب

فإن يك خير أو يكن بعض راحة ... فانك لاق من غموم ومن كرب." (١)

"ونحو الأول قول الإسعري في مجونه الهجوية:

أنت بين اثنين يا نجل يعقوب ... وكلتاهما مقر السيادة

لست تنفك راغبا عرد عبد ... مستبطرا أو حاملا خف عادة

أي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل البغا وذل القيادة

والمذالة في هذا المثل أرادوا بها الأمة لأنها تذال أي تمتهن بالخدمة ويرها وهي أكثر خلق الله اختيالا وتبخترا وعجبا وذلك من ضعف عقلها وسقاطة نفسها ونقصان همتها فإن الهموم بقدر الهمم.

ومما يلتحق بهذا الباب قولهم:

أخرجت له حريشتي

أي ملك يدي. وقولك مثلا:

أخشن من ليفة.

والخشونة ضد اللين والليف بالكسر ليف النخل وهو معروف والواحدة ليفة بالهاء وهذا المعنى مطرد كما

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١/٢٤٢

مر في نظائره.

ومن هذا الباب قولهم:

خفة الظهر أحد اليسارين.

جعلوا خفة الظهر كنية عن عدم أو قلة الحقوق اللازمة والنفقات الواجبة فإنها للزومها كالشيء المحمول على الظهر يخف ويثقل. ولا فرق في إن الأحمال المحسوسة يحملها البدن المحسوس والحقوق تحملها اللطيفة الروحانية من البدن وهي القلب وهذه أقل صبرا على الثقل للطافتها. واليسار: الغنى. وثنى بحسب حقيقته ومجازه لا تفاق اللفظ. وقد قالوا من هذا النحو: **الغربة** أحد السباءين واللبن أحد اللحمين وتعجيل اليأس أحد اليسرين والشعر أحد الوجهين أي النظر إلى الشعر كالنظر إلى الوجه والحمية إحدى الموتتين أي امتناع الطعام والقلم أحد اللسانين والخال أحد الأبوين والراوية أحد الهاجيين." (١)

"أشأم من عطر منشم.

العطر بالكسر معروف وتقدم في حرف الباء؛ ومنشم على مثل مجلس امرأة كانت بمكة عطارة وهي بنت المجية. وكانت خزاعة وجرهم إذا اقتتلوا تطيبوا من عطرها. فكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فقالوا:

أشأم من عطر منشم.

وقال زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

والمنشم أيضا بكسر الشين وفتحها عطر صعب القرآن وقيل هو قرون السنبل سم ساعة وحمل عليه بيت زهير المذكور.

أشأم من غراب البين.

غراب البين قيل هو الحمر النقار والرجلين وقيل الأبقع منها وهو الذي في صدره بياض. قال عنترة:

ضعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى بينهم الغراب الأبقع

وإنما قال ذلك لأنه سمع نعيبه قبل رحيلهم فتشاءم به والعرب تتشاءم به. وسموه غراب بين لأنه بان عن

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٢١٣

نوح عليه السلام لما وجهه لتنظر إلى الماء فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به. وقيل لأنه ينعب في منازلهم إذا بانو عنها وينزل في مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا منها. فلما كان يوجد عند بينونتهم اشتقوا له اسما من البينونه وتشاءموا به لإنذاره بالبين وإعلامه بالفراق من كلام عنترة. وعلى هذا كل غراب فهو غراب البين. وقد قيل إنما اشتقت **الغربة** **والاغتراب** والغريب من الغراب وأهل الزجر يلمحون ذلك ويتطيرون به كما قال قائلهم:

وصاح غراب فوق أعواد بانة ... بأخبار أحبابي فقسمني الفكر

فقلت: غراب لاغتراب وبانة ... ببين النوى تلك العيافة والزجر

وهبت جنوب باجتنابي منهم ... وهاجت صبا قلت: الصبابة والهجر!

وقال الإمام المقدسي في وصف غراب البين: هو غراب أسود ينوح نوح الحزين." (١)

"يصف السحاب وفعله وانتفاع الأرض به على طريق التمثيل، فقوله: أغر أي سحاب فيه برق " أو " أبيض، وقوله: بكر أي لم يمطر قبل ذلك، وقوله: توسن بالخميلة عونا أي طرقها ليلا وقت الوسن أي النعاس، والخميلة رملة لينة ذات شجر، والعون جمع عوان، وهي في النساء التي كان لها زوج، وهنا هي الأرض التي أصابها المطر قبل، على التشبيه، وقوله: متسنم سنماتها أي طالع على الأكام والتلال، وأصله في الجمل يتسنم الناقة أي يعلو عليها، وهي سنمة أي عظيمة السنام، مرتفعته، قوله: متبجس أي متكبر، بالهدر أي رعده يملأ أنفسا وعيونا عجبا به أو رعبا منه، قوله: لقح العجاف أي الأرضون المجدبة حملت به الماء فأنبتت العشب، وذلك بعد تحلؤ أي امتناع من السقي لعدم المطر، فهذا كله تمثيل، وقول الآخر:

حلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم ... والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئاب قد اخضرت براثنها ... والناس كلهم بكر إذا شبعوا

أراد بالناقة الحمراء الدهناء، وبالجمل الأصهب الصمان، كأنه يقول: ارتحلوا عن السهل وألجئوا إلى الجبال مخافة الغارات، والقائل كان أسيرا فكتب إلى قومه ينذرهم، وكانت بكر لهم عدوا فهو يقول: الناس كلهم إذا شبعوا أعداء لكم كبكر حذروهم، وهذا المعنى مذكور في قصة أخرى: يحكى أن رجلا من بني العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل، فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا له: لا ترسل إلا بحضرتنا، وكانوا أزمعوا غزو قومه، فتخوفوا أن ينذرهم، وذلك هو ما أراد هو أيضا، فأتوه بعبد أسود فقال له: أبلغ قومي التحية وقل لهم:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣/٢١٠

ليكرموا فلان، يعني أسيرا من بكر كان عندهم، فإن قومه لي مكرمون، وقل لهم إن العرفج قد أدبي، وقد شكت النساء. وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حيسا، واسألوا الحارث عن خبري، فلما أبلغهم العبد الرسالة قالوا: جن الأعور، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فحدثوه بالحديث فقال: قد أنذركم، أما قوله: العرفج قد أدبى فكناية عن الرجال وأنهم استلأموا أي لبسوا الدروع للغزو، وقوله: شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر، وهي جمع شكوة، معروفة، والحيس أراد به الأخلاط من الناس المجتمعون للغزو، لأن الحيس يجمع الأقط والسمن والتمر.

لله الأمر من قبل ومن بعد

فضل العلم

كنت في أعوام الستين وألف مرتحلا في طلب العلم، فدخلت قرية في أرض دكالة، فرأيت فيها رجلا مسنا قد لازم المسجد منقطعا عن الناس، فجلست إليه مستحسنا لحاله، وفي الحديث " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فادنوا منه، فإنه يلقن الحكمة ".

فلما دنوت منه إذا هو يعظم العلم وأهله تعظيما بالغا، فازددت به عجبا، فكنت أجلس بين يديه ويحدثني ويصبرني على الغربة، ويحضني على العلم رحمة الله عليه، وأنشدني في شأن الغربة ملحونا:

أنا الغريب المتوح ... صابر على كل هانا

إلى نتجرح ما نقل اح ... في قلب من قطعت أنا

وفي نحو هذا يقول الشاعر:

إذا كنت في قوم عدا لست منهم ... فكل ما علفت من خبيث وطيب

وإن حدثتك النفس أنك قادر ... على ما حوت أيدي الرجال فكذب

وقال الآخر:

لا يعدم المرء كنا يستقر به ... وبلغة بين أهليه وأحبابه

ومن نأى عنهم قلت مهابته ... كالليث يحقر لما غاب عن غابه

وقال الحريري:

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

وأنشدني في مدح العلم ملحونا:

العلم شمعا منيرا ... يتناوله الأكياس

ما فوق منو ذخيرا ... يزول عن القلب الإحساس

وفضل العلم وشرفه أمهر أشهر من أن يذكر، وأوضح من أن ينكر، ويكفي في ذلك النظر.." (١)

"ومن كلام بزرجمهر الفارسي: نصحني النصحاء، ووعظني الوعاظ، فلم يعظني أحد مثل شيمتي، ولا نصحني مثل فكري، واستضأت بنور الشمس وضوء النهار، فلم أستضيء بشيء أضوأ من نور قلبي، وكنت عبد الأحرار والعبيد، فلم يملكني أحد ولا قهرني مثل هواي، وعاداني العداء فلم أر أعدى إلي من نفسي، وزاحمتني المضايق، فلم يزاحمني مثل الخلق السوء، ووقعت في المضار العظيمة، فلم أقع في أضر من لساني، ومشيت على الجمر ووطئت على الرمضاء، فلم أر نارا أحر من غضبي إذا تمكن مني، وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل إساءتي، وفكرت في الداء القاتل ومن أين يأتيني فوجدته من معصية ربي، والتمست الراحة لنفسي فلم أجد شيئا أروح لها من ترك ما لا يعنيها، وركبت البحر، وعاينت الأهوال، فلم أر هولا أعظم من الوقوف بين يدي سلطان جائر، وتوحشت في البراري والجبال، فلم أر أوحش من قرين السوء، وعالجت السباع فغلبتها، وغلبني صاحب الخلق السوء، وأكلت الطيب، وشربت المسكر، وعانقت الحسان، وركبت الجياد، فلم أجد شيئا ألذ من العافية والأمن، وأكلت الصبر وشربت المر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، وشاهدت الزحوف، وعاينت الحتوف، وضارعت الأقران، فلم أر أغلب من المرأة السوء، وعالجت الأثقال، ونقلت الصخر، فلم أر حملا أثقل من الدين، ونظرت فيما يذل العزيز، ويسكر القوي، ويضع الشريف، فلم أر أذل من ذي فاقة وذي حاجة، ورشقت بالنشاب وشددت في الوثاق، وضربت بعمد الحديد، فلم يهدمني مثل ما هدمني الهم والحزن، واصطنعت الأخدان وانتخبت الأقوام للعدة والشدة والنائبة، فلم أر شيئا خيرا من التكرم عندهم، وطلبت الغنى من وجوهه، فلم أر غنى أغنى من القناعة، وتصدقت بالذخائر، فلم أر أنفع من رد ضال إلى الهدى، ورأيت الذل في الغربة والوحدة، فلم أر أذل من مقاساة جار السوء، وشيدت البنيان لأعتز به وأذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف، ولبست الملابس الفاخرة، فلم ألبس مثل الصلاح، وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئا أحسن من حسن الخلق، وسررت بعطايا الملوك وجوائزهم، فلم أسر بشيء أعظم من الخلاص منهم.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٢٨

ولما قتله كسرى أنوشروان لرغبته عن دين المجوسية وانتقاله إلى دين عيسى عليه السلام وجدوا في منطقته رقعة فيها ثلاث كلمات وهي: إذا كان القدر حقا فالحرص باطل، وإذا كان الغدر في الناس طبيعة فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموت بكل الناس نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

ويقال: إن المهلب لما توسم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن يختبره، فقال له: يا بني ما أشد البلاء؟ قال: يا أبت معاداة العقلاء، ثم قال: اقلني قال: قد أقلتك فقل: فقال: أشد البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء. ثم قال: أقلني قال: قد أقلتك فقل: فقال: أشد البلاء معاداة العقلاء ومسألة البخلاء وتأمر اللؤماء على الكرماء، فقال المهلب: والله يا بني ما يسرني بقولك مقول لقمان، ولا يعدل عندي بقاءك ملك سليمان.

وكان زياد وهو من ذوي السياسة يقول: أوصيكم بثلاثة: العالم والشيخ والشريف، فوالله لا أوتي بوضيع سب شريفا، أو شاب وثب بشيخ، أو جاهل امتهن عالما، إلا عاقبت وبالغت.

وفي الأجوبة: أمر عليه الصلاة والسلام أن تضرب عنق عقبة بن أبي معيط فقال: من للصبية يا محمد؟ قال: النار.

وقال الصديق رضي الله عنه لرجل قال له: لأشتمنك شتما يدخل معك في قبرك: معك والله يدخل لا معي.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعامر بن عبد القيس العنبري ورآه أعرابيا: يا أعرابي أين ربك؟ قال: بالمرصاد.

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال علي: أين سؤال عن المكان وكان الله ولا مكان.

وكان الأعمش يقول: احذروا الجواب، فإن عمروا بن العاصي قال لعدي بن حاتم: متى فقئت عينك يا أبا طريف؟ فقال: يوم طعنت في أستك وأنت مول يعني يوم صفين.

ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال: كبر سنك يا معن فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك مع ذلك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

وقال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم، وقد كف بصره: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.." (١)

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/١١٠

"حذرت عليها آجل البعد والنوى ... فعاجلني من فادح البين عاجله

إلى الله يا أسماء نفسا تقطعت ... عليك غراما لا أزال أزاوله

وخطب بعاد كلما قلت هذه ... أواخره كرت علي أوائله

وقولي من قصيدة وهي من أوائل نظمي:

من لصب شفه جور النوى ... كلما أوجعه التذكار أنا

وإذا هبت صبا نجد صبا ... قلبه شوقا إلى نجد وحنا

وقول أبي تمام: ما مات من كرم الزمان فإنه=يحيا لدى يحيى بن عبد الله وقول محمد بن عبد الله بن يحيى كناسة الأسدي الكوفي وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى.

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

وقول ابن فضالة المجاشعي القيرواني وقيل ابن شرف:

إن تلقك **الغربة** في معشر ... قد أجمعوا فيك على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقول سيدنا العلامة السيد ماجد بن هاشم البحراني المتوفى سنة ثمان وعشرين وألف رحمه الله تعالى.

وأحوى أطار القلب مني وما انطوى ... عليه جناحا مضرحي ولا نسر

عقنا العلا إن سامنا دلج السرى=إليه إلى أحقاف قاف ولا نسر وقوله أيضا:

وذي هيف ما الورد يوما ببالغ ... مدى وجنتيه في احمرار ولا نشر

برئنا من الإسلام أن سيم وصله ... علينا بما فوق النفوس ولا نشر

وقوله أيضا:

يعز جناب الظبي أن قسته به ... وما هو منه في سكون ولا نفر

فرتنا ظبا الأعداء إن قال قائل ... فرواكل جيب في هواه ولا نفر

وقلت أنا معارضا له في ذلك:

وأهيف قد قد القلب بقده ... وما هو عند حدي سنان ولا نصل

صلتنا لظى الهيجاء إن سامنا هوى ... على حبه صلي النفوس ولا نصل

وقلت أيضا:

ومزر بضوء الشمس لم نر وجهه ... ولا ماثلته في علو ولا نبل

بلينا جوى إن رام منا تذللا ... بلاء نفوس في هواه ولا نبل

ومنه قول أبي سهل سعد بن عبد الله التكملي:

ألا قالت إمامة إذا رأتني ... وماء الوجه بالجادي شيبا

تعرتك الهموم فقلت حقا=هموم ـتجعل الولدان شيبا وقول أبي سهل النيلي:

من وجهه يطلع نجم المشتري ... ياقوته يثمر شهدا فاشتر

يا من له باللحظ سيف الأشتر ... إذا وجدت الحر عبدا فاشتر

وقول أبي منصور اللخيمي:

ودعت إلفي وفي يدي يده ... مثل غريق به تمسكت

فرحت عنه وراحتي عطرت ... كأنني بعده تمسكت

ونظم الصفي الحلي هذا الجناس أحسن من هذا فقال:

غيري بحبل هواكم يتمسك ... وأنا الذي بترابكم يتمسك

وقال آخر: وأعظم الناس ظلما من كلفت به=لأنه زاهد في راغب فيه

السحر في عينيه والروح في يده ... والورد في خده والند في فيه

وما ألطف قول القائل:

أقول لطبي مر بي وهو راتع ... أأنت أخو ليلى فقال يقال

فقلت يقال المستقيل من الهوى ... إذا مسه ضر فقال يقال

وذكر الثعالبي في اليتيمة: إن البيت الأول للمجنون والثاني لأبي الحسن بن أحمد بن رامين مجيزا به بيت المجنون والله أعلم.

وللمطوعي في أبي منصور الثعالبي:

كلام أبي منصور فيه عذوبة ... ينوب عن الماء الزلال بمن يظمأ

فنزوى متى نروي بدائع نظمه ... ونظما إذا لم نرو يوما له نظما

وقال آخر وأجاد:

إذا ما نازعتك الحرص نفس ... فأمسكها عن الشهوات أمسك

ولا تحرص ليوم أنت فيه=وعد فرزق يومك رزق أمسك وقول أبي العلاء المعري:

وأقتال حرب يفقد السلم عندهم ... على غيرهم أمضي القضاء وأقتال

وقول الأديب الماموني:

لي على الناس فضل نظم ونثر ... من أباه هجرته وأباه

وإذا ما أتى صفقت قفاه ... وقفا من أعانه وقفاء

رحم الله من أراد محالا ... فنهاه عن المحال نهاء

وقول الشيخ حسين بن شهاب الدين الطبيب:

فوا خجلتا إن كان في الدمع قلة ... إذا جمع العشاق موعدنا غدا

أفاق الألي علاطيتهم خمرة الصبا ... وراح فؤادي مغرما مثلما غدا

وقول الآخر:

مضى عصر الشباب كلمح برق ... وعصر الشيب بالأكدار شيبا." (١)

"وقوله: كتاب اشتمل على بدائع المعاني وباهرها، وزخرت بحار الفضل إلا أنني ما تعبت في استخراج جواهرها، بل سبحت حتى تناولتها وجنحت إلى ما حاولتها، فيا لله من بدائع وروائع، ولطلائف وطرائف؛ فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وما يقرط الأسماع ويقرط الألسن.

وقوله: فلو رأيت أطناب الخيم في أعناق الأسارى يساقون بها مقرنين، لحمدت الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، ولقد شابت بخضاب العجاج ما أرسلته رايات الأبرجة من ذوائب مفرقها، وأسلمت وجهها لله وقطعت زنار خندقها.

وقوله: وما عهدته أدام الله سعادته إلا وقد استراحت عواذله، وعرى به أفراس الصبا ورواحله، إلا أن يكون قد عاد إلى ذلك الجج، ومرض قلبه وما على المريض من حرج. وأيما كان، ففي فؤادي إليه سريرة شوق لا أذيعها ولا أضيعها، ونفسي أسيرة غلة لا أطيقها بل أطيعها، وإني لمشتاق إليك؛ وعاتب عليك، ولكن عتبة لا أذيعها.

وقوله: ورد كتاب لا يجد الشكر عنه محيدا، وآنست القلب الذي كان به وحيدا، وعددت يوم وصوله

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٢٦

السعيد عيدا، ووردت منه بئرا غير معطلة وقصرا مشيدا (ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وتلك الغاية ليست في وسعي ولا تعلم نفس إلا ما طرق سمعها؛ وتلك المحاسن ما طرق مثلها سمعي، وهذه الأوابد إلا باعد ما طال لها ذراعي ولا استقل بها ذرعي.

وقوله: (لا يجليها لوقتها إلا هو) فسبحانه جلت قدرته جلاها وقد بلغت القلوب الحناجر، وفرجها وقد بلغت الدموع المحاجر ومن بالسلطان على الخلق، وإقامة ليتم به إنشاء الله دين الحق.

وقوله: – في جواب كتاب بعثه العماد إليه في ورق أحمر، فقطعت العرب الطريق على حامله، وأخذوه ثم أعادوه–: ووصل منها كتاب تأخر جوابه لأن العرب قطعوا طريقه، وعقوا عقيقه، ثم أعادوه وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره؛ ولا ألبابهم أن تسيغ خمره، فقطف ورده من شوك أيديهم وحيا حياه الذي جل عن واديهم، وحضر منهم حاضر الفضل الذي ما كان الله ليعذبه **بالغربة** وأنت في بواديهم، وتشرف منه بعقلية الإنس التي ما كان الله ليمتحنها بقتل واديهم ومسألته بأي ذنب قتلت، وأي شفاعة فيك قبلت، فقال: عرفت الأعراب بضاعتها من الفصاحة، وتناجدت أهل نجد فكل صاح وإصباحه، وقالوا: هذه حقائقنا السحرية، وهذه حقائبنا السحرية؛ وهذه عتائدنا السرية محمولة؛ وهذه مواريث قيثنا وقسنا المأمولة، فقيل لهم: إن الفصاحة تنتقل عن الأنساب، وإن العلم يناله فرسان من فارس ولو كان في السحاب، فدعوا عنكم ثمرا علق بشجراته؛ واتركوا نهبا صيح في حجراته (وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ثم لمته على الشعث؛ وأحللت به بعد الإحرام؛ فاستباح الطيب؛ وحاشاه من الرفث.

ومن ذلك قول العماد الأصبهاني: صدرت هذه البشرى ودماء الفرنج على الأرض وقيل لها: ابلعي، وعجاجها في السماء وقيل لها: أقلعي، وفاض ماء النصال، وغاض ماء الضلال، وهي بشارة اشترك فيها أولياء النعمة؛ ونبئهم أن الماء بينهم قسمة.

وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة– في حضيرة القدس–: وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا، وغمض عن الرفاق تغميضا في الخلد بينا، فقال مولانا الصاحب: ما تقول في جنة الخلد، وشكا قوم عشرة هذا الرجل؛ فكتبت على ورقتهم: اصبروا على ما تثقلون (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعلمون) .

وقوله في منقل نحاس وهو من غريب الاقتباس: طالما حمدت معاشرته وطابت في الليالي مسامرته؛ واطلع من أفقه نجوما سعيدة القران؛ وتلا على الثلج والريح (يرسل عليكما شواظا من نار ونحاس فلا تنتصران) .

وقول القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير: ولم يزل القتال ينوبهم وسهام المنون تصيبهم، وسحابها يصيبهم،

والسيوف تغمد في الطلى؛ والرماح تركز في الكلى؛ والمجانيق تذلل سورتهم؛ وتسكن فورتهم، وتقذفهم من كل جانب دحورا، وتعيد كلا منهم مذموما مدحورا، وتشير إليهم أصابعها بالتسليم لا بالتسليم، وتنتابهم فما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم.

وقول كمال الدين بن العطار في منازلة قلعة: ونقبت النقوب نظام أساساتها فانحلت، وألقيت النار في أحشائها فألقت ما فيها وتخلت. هذا والمناجيق منا ومنهم تارة وتارة، وكفها يرمي من النفط أصابعها بشرر كالقصر وقودها الناس والحجارة.." (١)

"وقال بعضهم: الشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ويمدون المقصور، ويقدمون ويؤخرون، ويشيرون، ويختلسون، ويعيرون ويستعيرون. فأما لحن في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج الصواب فليس لهم ذلك.

وعن الشريد قال: استنشدني النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: هيه هيه، حتى أنشدته مائة قافية.

وقال بعضهم:

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به ... والشعر أفخر ما ينبي عن الكلم

لولا مقال زهير في قصائده ... ما كنت تعرف جودا كان في هرم

فائدة – أعلم أن الشعر من خواص لغة العرب، ولم يكن في غيرها من اللغات، وما يذكر أنه كان لليونانيين شعر فليس المراد به هذا الشعر وإنما كانوا يؤلفون الألفاظ المشتملة على المعاني التي تورث النفس انفعالا من قبض أو بسط، ولا يراعون وزنا ولا قافية. وأما ما هو المشهور الآن من الشعر الذي للفرس والترك ونحوهم فهو أمر حادث أخذوا طريقته من العرب، وتتبعوا أقوالهم وأوزانهم، واستخرجوا بأفكارهم بحورا زائدة. وقد يكون لغير العرب إلى الآن أيضا ألفاظ يتغنون بها، ويتصرفون فيها بحسب ما يريدون من الألحان من دون رجوع إلى وزن أو قافية والله أعلم. وقد أمليت كتابا لطيفا، وديوانا طريفا في مقاصد الشعر، ترجمته ب (محك القريض) أوردت فيه من مدح الشعر والشعراء ما فيه مقنع لمن كان منه بمرأى ومسمع والله الموفق

ذم الشعر والشعراء – كان يقال: الشعر رقية الشيطان.

ولذلك قال جرير وهو يمدح عمر بن عبد العزيز ويصف ترفعه عن استماع الشعر:

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٣٣

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال آخر: لا خير في شيء أحسنه أكذبه.

وكان أبو مسلم يقول: إياك والشاعر فأنه لا يهجو إلا جليسه، ويطلب إلى الكذب مثوبة.

وقال آخر: لا تجالس الشاعر فأنه إذا غضب عليك هجاك، وإذا رضي عنك كذب عليك. وقد وصفهم الله سبحانه ومتبعهم من ورائهم بالصفة الخاصة بهم فقال "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ملا يفعلون".

وقرنهم بشر صنف من مستحلي الأباطيل وهم الكهنة فقال "وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون".

ومن أحسن وأصدق ما ذم به الشاعر قول عبد الصمد بن المعذل لأبي تمام وقد قصد البصرة وشارفها:

أنت بين اثنتين تبرز للنا ... س وكلتاهما بوجه مذال.

لست تنفك طالبا لوصال ... من حبيب أو راغبا في نوال.

أي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل الهوى وذل السؤال.

فلما بلغت الأبيات أبا تمام قال: صدق والله أحسن. وثنى عنانه عن البصرة وأقسم أن لا يدخلها أبدا.

وقال أبو سعيد المخزومي:

الكلب والشاعر في حالة ... يا ليت أني لم أكن شاعرا.

أما تراه باسطا كفه ... يستطعم الوارد والصادرا.

وقال أبو سعيد الرستمي الأصبهاني:

تركت الشعر للشعراء إني ... رأيت الشعر من سقط المتاع.

مدح الكتب- قال الجاحظ: الكتاب وعاء مليء علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا. إن شئت كان أعيى من باقل، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائبه، وإن شئت ألهتك نوادره، وإن شئت أشجتك مواعظه.

والكتاب نعم الظهر والعمدة، ونعم الكنز والعقدة، ونعم الذخر والعدة ونعم النزهة والسلوة؛ ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد **الغربة**، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب هو الجليس الذي لا يغويك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يستزيدك، وهو

الذي يعطيك بالليل طاعته بالنهار ويفيدك في السفر إفادته في الحضر.

ثم قال: وبعد فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة يقلب في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء. ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وبساكت ناطق. ومن لك بطيب أعرابي، وبرومي هندي، وبفارسي يوناني، وبقديم مولد، وبميت حي.." (١)

"وقوله في جواب كتاب بعثه العماد في ورق أحمر، فقطعت العرب الطريق على حامله وأخذوه: ووصل منها كتاب تأخر جوابه، لان العرب قطعوا طريقه، وعقوا عقيقه، ثم أعادوه وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره، ولا ألبابهم أن تسيغ خمره، فقطف ورده من شوك أيديهم، وحيا حياة الذي جل عن واديهم، وحضر منه حاضر الفضل الذي ما كان الله ليعذبه **بالغربة** وأنت فيهم في بواديهم، وتشرف منه بعقيلة الأنس التي ما كان الله ليمتحنها بقتل واديهم، وسألته بأي ذنب قتلت، وأي شفاعة فيك قبلت، فقال عرفت الأعراب بضاعتها من الفصاحة، وتناجدت أهل نجد فكل صاح وإصباحه، وقالوا: هذه حقائقنا السحرية، وهذه حقائبنا السحرية، وهذه عتايدنا السرية محمولة، وهذه مواريث قيسنا وقسنا المأمولة. فقيل لهم: أن الفصاحة تنتقل عن الأنساب، وان العلم يناله فرسان فارس ولو كان في السحاب، فدعوا عنكم ثمرا علق بشجراته، اتركوا نهبا صيح في حجراته (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وقوله يذكر كتابا جاء في ورق أخضر: ولما في الحلة الخضراء، مخضرا بسريرته السراء، قلت: الله أكبر من كان خاطره غيثا روض، وفاض فأعشب فذهب وفضض، وما شككت أني دخلت الجنة لما فاض من أنهارها، وأفيض من سندسها، أو طلعت إلى سماء الدنيا لما ملأ سمعي وعيني من شهبها وحرسها، ولا أنني قد جاءني رسالة الروض الأرج لما فغمني من نفيس نفسها، فقلت لصحيفته ما هذه اللبسة الغريبة والحلة العجيبة؟ والورقة التي هزت عطفي ورق الشبيبة؟ والريحانة التي لا يدعيها عذار حبيبه؟ فقالت: شققنا مرائر قوم به فنحن نسميه شق المرارة) .

وقوله أيضا: ومن مستهل ذي الحجة ما أستهل من يده كتاب، ولا استقل من تلقاء جهته سحاب، ولعل قلمه في الميقات قد أحرم فلم يمس الطيب من أنفاسه، ومسح المداد عنه لتمام الإحرام بكشف رأسه، والآن فقد انقضت الأيام المعلومة، فهل قضى عنا الأيام التي تمادت فيها شقوة العيون المحرومة.

وقوله أيضا في القلم: وقد أثمر هذا القلم أكرم الثمر وهو يابس، وأبر جودا على أخضر المغارس، وأتى أكله

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/١٦٦

كل حين ووقت، وطال وان كان القصير فقصر عنه كل نعت.
قلت: وعلى ذكر القلم فقد عن لي أن أورد هنا رسالة القلم لخاتمة المحققين، مولانا جلال الدين الدواني، لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة، والأسجاع التي لا يعتري السامع في حسنها ريبة، وهي: (آن القلم وما يسطرون) أن هذه تذكرة لقوم يعقلون. يا من فاق من البراعة، سألتني عن وصف اليراعة، فاستمع لما يتلى عليك (ذلك من أنباء الغيث نوحيه إليك) (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا) انه فتى من أصحاب الكهف والرقيم نشر له ربه من رحمته وهيأ له مرفقا ورفع له بخط مستقيم. نبي بعث من سرة البطحاء، وأيد بفصاحة أبكمت مصاقع البلغاء. كليم خص بالطور، والكتاب المسطور، والرق المنشور، وسفير بليغ نذير، وقد جاءنا بالبينات والزبر والكتاب المنير. قد بلغ من ذروة الشرف منتهاه، ومن سنام المعالي أعلاه، ينمي في شجرة النسب إلى أول ما خلق الله. (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله ألا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين) يقول إذا برز من بطن النون وشرع في الزبور (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور. ألف يقارن نونا، وألف يؤلف به درا مكنونا، إذا شددت به أن، وان لنت به اطمأن. عالم من أهل الكتاب علا كعبه في الأحبار، مر على سائر الكتب السماوية من الصحف والأسفار. ذو القرنين يسير المغرب والمشرق في أقصر ساعة، استولى على الأقاليم كلها ومد فيها باعه. فصيح جزل الكلام، لكن لا ينفك كلامه عن الإلهام، وإشراقي في طرق التعلم والتعليم من المشائين بنميم.." (١)

"يقول مخاطبا لمؤنث: فإن تريني مثل البقرة أو الظبية في حال كوني بارزا للشمس، وفي حال كوني امشي بغير نعل، مع رقة في قدمي يؤلمني المشي بسببها، ولا أتكلف مع ذلك لبس النعال.
وجواب الشرط في قوله:
فإني لمولى الصبر أجتاب بزه ... على مثل قلب السمع والحزم أفعل.
مولى الصبر: وليه وحليفه. واجتياب البز-أي السلاح هنا-: لبسه، كاجتياب القميص. والسمع-بالكسر والعين المدملة-ولد الذئب من الضبع، وهو أخبث حيوان يضرب به المثل في سدة العدو، وفي شدة السمع فبقولون: "أسمع من سنع" و "من السمع الأزل". من الأول قول الشنفرة هذا في مرثية خاله تأبط شرا:

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٩٧

مسبل في الحي أحوى رفل ... وإذا يغزو فسمع أزل. ﴿الرمل﴾

والحزم: الضبط والأخذ في الأمور بالأحوط، وهو منصوب مفعول مقدم "بأفعل" مضارع "فعلت".

والمعنى: إن تريني كما ذكر فإني لحليف الصبر، أي ملازمه، في حال كوني ألبس سلاحه على قلب مماثل لقلب ولد الذئب الذي أمه ضبع، وناهيك بقوته وجرأته، وافعل الحزم في الأمور، وأحتاط فيها، فلا تفريط عندي ولا إضاعة.

وأعدم أحيانا وأغنى وإنما ... ينال الغنى ذو البعدة المتبدل.

الإعدام: الافتقار. وأغنى-بالفتح-مضارع "غني" بالكسر بمعنى: استغنى والبعدة -بالضم كالرحلة-: السفرة. والمتبذل: الذي يتكلف ابتذال نفسه: أي امتهانها.

يقول: أفعل الجزم، وافتقر أزمنة الدهر، واستغني كذلك، وما يدرك الغنى إلا صاحب السفر الذي يتكلف امتهان نفسه **بالاغتراب** عن الأهل، وقطع المفاوز والقفاز. وفي هذا الحث على استعمال الأسفار والتحذير من ملازمة الفرار، فإنه عين الافتقار.

فلا جزع من خلة متكشف ... ولا مرح تحت الغنى أتخيل.

الجزع-بنزة الفرح- الذي جزع بالكسر: أي ذهب صبره، والمصدر "الجزع" بالتحريك. والخلة-بفتح الخاء المعجمة-الحاجة والفقر والمتكشف: المظهر لحاجته. والمتخيل: المظهر الخيلاء.

قوله: "جزع" خبر مبتدأ محذوف، أي: "فلا أنا فاق الصبر من أجل احتياج عرض لي، مظهر لاحتياجي، ولا أنا مرح، أي ذو مرح-بالتحريك-أي بطر. وهو الخروج عما تقتضيه النعم من الشكر عليها لعدم احتمال النفس لذلك.

فقوله: "تحت الغنى أتخيل" منصوب على الحال من "مرح" وهذه من الأحوال الأزمة للمدح.

والمعنى: ولست بمرح في حال كوني مختالا تحت الغنى، أي لأجله، وهذا معنى مطروق جدا.

وحاصله أن الدهر يومان، يوم له ، ويوم عليه، فإن كان عليه لم يضجر، وإن كان له لم يبطر، لاعتياده بكل من نعيمه وبؤسه، وسعته وضيقه، وشدته ورخائه، مهذب مجرب كالجذيل المحكك، والعذيق المرجب.

ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أرى ... سؤولا بأعقاب الأقاويل أنمل.

الحلم: الأناة وازدهاؤه: استخفافه. والأجهال: جمع جهل، و "أرى": مبني لما يسم فاعله، أي: لا أوجد وألف. والسؤول: الذي يكثر السؤال، والأقاويل: جمع أقوال، جمع قول. "وأنمل" -بالضم- مضارع "نمل" بالفتح.

ثم يقول: لا تستخف الأجهال علي حلمي، ولا تحرك سكوني، ولا يلفيني أحد مكثرا لسؤال الناس في حال كوني أنم بأعقاب الأقاويل: أي أواخرها. أي أنفلها إلى الغير على وجهة الإفساد بينه وبين من نسبة له. وسميت هذه الأقاويل أعقابا لتأخرها عن الاعتبار، والاعتداد بها عن ذوي الهمم والله أعلم. أو لأن الذي يحفظ وينقل هو أخر ما يقال في الغالب. فباء "بأعقاب" متعلقة ب "أنمل" على ما قررنا.

وليلة نحس يصطلي القوس ربها ... وأقطعه اللاتي بها يتنبل.

النحس هنا: الشؤم والشدة. والاصطلاء: التسخن بالنار. واصطلاء القوس: اصطلاء النار التي أوقدت بالقوس. والأقطع: جمع قطع -بالكسر- وهو هنا السهم والتنبل: تكلف الرمي بالنبل، ولا واحد للنبل من لفظه وقيل: واحده نبلة.

والتقدير: ورب ليلة شؤم، وشدة برد، موصوفة بما ذكر من الاصطلاء بالنار الموقدة بأعواد القوس التي لا غنى لصاحبها عنها، لعدم ما يوقد به النار سواها وسوى سهامها التي يتكلف الرمي بها نبالا.

ويصح-وهو الأولى إن شاء الله-أن يكون معنى "يتنبل" يصير نبيلا، صاحب نبل-بالضم-أي ذكاء وحذقا. ولا شك أن إجادة الرمي بالقوس من أمثل ما يدخل به الإنسان في زمرة النبلاء كالفروسة والسباحة.." (١)

"فضلا عن المطية. فخرجنا بالخيل والمال والزاد، ونحن نذم المبدأ ونحمد المعاد.

المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالهزلية

حكى سهيل بن عباد قال: كان لي زوجة صناع اليدين، كريمة النبعتين. فحسدتني عليها المنون، وخانني فيها الدهر الخؤون. فلبثت بعدها طويلا، أردد زفرة وعويلا، وأنوح بكرة وأصيلا. حتى حال عليها الحول. وآلت الفريضة إلى العول. فناجتني الحوباء، أن أستبدل ما طالب لي من النساء. ولما لم أجد في الحي، من تروق بعيني. أزمعت **الاغتراب**، وبكرت بكور الغراب.." (٢)

---

(١) تفريج الكرب في معرفة لامية العرب ابن زاكور ص/١٣

(٢) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/١٠١

"النقاب، قد تعلقت بفتى كالعقاب. وقالت: حي الله الأمير وأحياه، وأصلح دينه ودنياه. إن هذا الفتى قد أخذ أبي احتيالا وفتك به اغتيالا. وتركني وحيدة في دار **الغربة**، أكابد عرق القربة، وأتكبد شظف الكربة. وقد رفعت إليك القصة، وعليك مساغ الغصة. فأكبر الأمير شكواها، وسألها البينة لدعواها. فانطلقت كزفير اللهب، ثم عادت عن كثب ومعها شيخنا الميمون وغلامه رجب. فأديها الشهادة على وجهها في وجه الفتى، وانصرف كلاهما من حيث أتى. فأمر الأمير باعتقاله، وجعل في أذنيه وقرا عن تنصله وسؤاله. ثم قال: يا أمة الله إن المنايا على الحوايا. وإن ما عند الله خير وأبقى، فإن شئت قبول دية فذلك أبر وأتقى. قالت: لا جرم أن أبي كان غرة الأبين، وعزة البنين وعقال المئين. وما كنت لأعدل." (١)

"أن الفارياق حين كان مرتقبا بربقة الحب قبل الزواج كان قد أستدعى به أحد الخرجيين في الجزيرة البخر أي في الجزيرة التي يتكلم أهلها بلغة منتنة. ليكون عنده بمنزلة معبر للأحلام بأجرة أكثر مما كان له عند الخرجي بمصر. فمن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة. فقالت لا بأس فإن للرجل حقا على امرأته أن يستصحبها حيث شاء. وأن كل بقعة من الأرض تكون لها في صحبته مغنى ووطنا. ثم أخبر أمها بذلك فرضيت. فلما وقع بالزواج وأحكمت عقدته قال الفارياق لزوجته ينبغي لنا الآن أن نتأهب للسفر. لأن أحلام الخرجي قد تكاثرت في رأسه ويخشى أن يفوته تعبيرها. فقالت أو ذلك من جد؟ هل جرت عادة النساء بأن يسافرون عقب الزواج ويعرضن أنفسهن للعقم والخطر؟ أليس في مصر مندوحة عن **الغربة** والسفر؟ كيف أفارق أخواني وأهلي وأذهب إلى بلاد مالي بها من صديق ولا خدين!؟ قال ما غررت بك ولا قلت لك شيئا غير ما قلته من قبل. قالت ما كنت لا علم من الزواج ما أعلمه الآن. فقد شبهه الناس بالسعوط الذي يعطيه الطبيب اللنائم أو السكران حتى يفيق. قد علمت الآن أن المرأة لم تخلق للسفر وإنما خلق السفر لها. قال: أني وعدت الرجل بأن أسافر إليه فلا بد من إنجاز الوعد: فقد يقال في المثل أن الرجل يربط بلسانه لا بقرنه. ومع ذلك فإن خرجينا هذا مسافر معنا بامرأته فأنت مثلها. قالت ما أنا كزوجة الخرجي فإني الآن حديثة الصبغ وفي برزخ البكر والمتزوجة. ولم أسأم بعد من الأرض حتى أدخل إلى البحر. فلما علمت أمها بذلك الحت عليها في السفر. فقالت دعوني إذا أستشير طبيبا لا علم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة حديثا أولا. فجيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال. إنكم يا نصارى الشرق تنذرون للكنائس رجاء أن يمن عليكم صاحب الكنيسة بالحبل أو الشفاء من بعض الأمراض

---

(١) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/٢٨٨

وأما نحن فنذر للبحر. فإن النساء عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي ويلتمسن بركته. فمنهن من ترجع حبلي بفذ ومنهن من تضع توأمين. ولا سيما إذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنساء يطعمهن ما يشتهين. فقال الفارياق في نفسه اللهم أجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا شكسا فظا عسرا. فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت إلى السفر. فمن ثم أخذوا له الأهبة وسافروا إلى الإسكندرية.
أما السفر من بولاق في القنج فأنه من أعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر فإن النيل لا يكون إلا ساجيا. ورئيس القنجة يقف قبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج والفاكهة الطريئة واللبن والبيض وغير ذلك. وناهيك بماء النيل عذوبة ومصحة. فالراكب في إحدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه نضرة الريف وخصب القرى. حتى يود أن تطول مدة سفره فيه وأن كان في قضاء أمر مهم. فأغتنم الفارياق ح هذه الفرصة وأمعن في قضاء الأعذبين ونسي مصر ولذاتها. ونعيمه، وحمايتها. ورمدها وآفاتها. والكتب ومشايخها. والأخراج وتخاتخها. والمكاتب وبرابخها. والطنبور وأوتاره. والحمار وفراره. والطبيب وقنزعيته. وصاحب المعجزة وهجرعيته والسرى ورائحته. والوباء وجائحته. وما زال على هذه الحالة حتى وصل إلى الإسكندرية شبعان ريان. وقد تزود ما يقوم بحاجة البطالة في البحر الملح. وفاز ونجح أي فوز وأي نجح.

سفر وتصحيح غلظ أشتهر." (١)

"وكان للحاكم عادة أن جميع المعروفين في خدمته إلى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنساء بحضرته. وكان من جملة المدعوين الفارياق وزوجته. فلما رأيت الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنساء قالت لزوجها. هل هؤلاء النساء أزواج هؤلاء الرجال قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك. قالت وكيف يخاصرونهن إذا. قال هذه عادة القوم منا وفي سائر بلاد الإفرنج. قالت وبعد المخاصرة ما يكون منهم. قال لا أدري ولكن بعد انفضاض الناس يذهب كل إلى منزله. قالت أشهد بالله أنه ما خصر رجل امرأة إلا وباطنها. قال لا تسيئي الظن إنها عادة قد مشوا عليها. قالت نعم هي عادة ونعمت العادة. ولكن كيف يكون إحساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها. قال فقلت لا أدري إنما أنا رجل لا امرأة. قالت ولكن أنا أدري أن الخصر إنما جعله الله في الوسط مركزا للإحساس الفوقي والتحتي. ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرص

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٥٩

في أي موضع كان من أجسامهن يبدين الحركة من الخصر ثم تنفست الصعداء وقالت يا ليت أهلي علموني الرقص. فما أرى فيه لأنثى نقص. فقلت لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا مطلقا. فقالت يا للفضيحة بين الأنام. أتقول هذا الكلام في مثل هذا المقام. قلت هيت إلى البيت. فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رأيت. قالت لا بد من أن أرى ختام الرقص. قال فلبثنا إلى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهي سائرة نساء مع رجال راقصات. رجال مع نساء راقصون. راقصات راقصون راقصات. فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات. قالت الرجال والنساء والبنون والبنات. كيف- متى- أين.

ثم وبعد أيام ورد على الفارياق حلم مشكل في وحش ذي قرون وأذناب كثيرة وشيات وبقع شتى في جلده. وأراد صاحب المعبر أن يعرف تأويل كل قرن وسر كل بقعة. إيشاؤه فذهب إلى منزله مبتئسا متسخطا. فقالت له زوجته ما بك قال هم ونكد. قالت ما سببه قال كلما تخلصت من ورطة وحلت في أخرى شر منها. قد كنت من قبل مداحا للسري بما لم أرد ثم صرت عشير المجانين. ثم معبر الأحلام. ثم مصلح البخر. وكل ذلك على غير ما أورم فما أنكد هذه المعيشة وأضيق هذه الدنيا علي. أليس في الأرض مندوحة عن هذا. قالت خفف عليك يا سيدي أن كل إنسان في الدنيا له نصيب من الحزن والهم. حتى المرأة أيضا لا تخلو من الهم فدأبها كل يوم أن تزجج حاجبيها. وتكحل عينيها. وتورد خديها. وتخفف خطو قدميها. وتنظر في المرآة مائة مرة كيلا شعرة قد انفردت عن سائر شعرها. ثم تخاطب نفسها في المرآة وتضحك وتتبسم وتهلس وتغمز وتلوي جيدها وعطفها وتتنفس الصعداء وغير ذلك لتعلم كيف تبدو منها هذه الأفعال في عيون الناس. قال فقلت أهذا وقت الجد أم الهزل أنا أقول لك أن للوحش أذنابا وقرونا وشيات لا تحتمل التأويل وأنت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل. قالت ليس في كل يوم يأتيك وحش مثل هذا وإنما هم النساء في كل صباح ومساء ضربة لازب. وحسبنا بالغربة هما وحزنا.." (١)

"دخل السجان على الفتي عشية ليلة في محبسه فاقترب منه ومد يده إلى سلسلته المثبتة في الجدار فانتزعها من مكانها فلم يقل شيئا ولم يسائل نفسه هل هي ساعة نجاته أوس اعة حمامه ثم قاده إلى خارج المحبس حتى وصل به إلى صخرة جاثمة على مقربة من مجتمع القبيلة فشد سلسلته إليها وتركه مكانه ومضى ففتح عينيه فرأى مكانا غير مكانه ومنظرا غير منظره وسماه وأرضا غير سمائه وأرضه فبدأ شعوره يعود إليه شيئا فشيئا حتى استفاق فتذمر ما كان فيه وزاى ما صار إليه.

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٧٧

هنا تذكر السعادة والشقاء والغربة والوطن والسجن وظلمته والقيد ووطأته ثم طار بخياله إلى ما وراء البحار فذكر أمه وشقاءها من بعده وحنينها ويأسها من لقائه فذرفت عينيه دمعة كانت هي أول دمعة أرسلها من جفنيه من تاريخ شقائه وما زال يرسل العبرة إثر العبرة لا يهدأ ولا يستفيق حتى مضى شطر من الليل وهدأ الناس جميعا في مضاجعهم فأسلم رأسه إلى ركبتيه وذهب بخياله إلى حيث شاء أن يذهب.

فإنه لكذلك وقد رنقت في عينيه سنة من النوم إذ شعر بيد تلمس كتفيه فرفع رأسه فإذا شبح أبيض قائم فوق رأسه فخيل إليه أن ملكا نورانيا نزل إليه عن علياء السماء لينقذه من شقائه فتبينه فإذا فتاة جميلة بيضاء ما التفت الأزر على مثلها حسنا وبهاء تتمشى في بياضها سمرة رقيقة كسمرة السحاب الزهو الذي يخالط وجه الشمس في ضحوة النهار فسألها من أنت قالت أنا فتاة من فتيات هذا الحي وقد ألممت بشيء من أمرك." (١)

"لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم. وأصلهم من آلوس أجدى قرى الفرات ثم انتقلوا إلى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال. ولما كانت أواسط القرن التاسع عشر برز بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبد الله الآلوسي. وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم أفاويق الأدب وذهبوا في فنونه كل مذهب.

وأولهم أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي المعروف بالشهاب الآلوسي. ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢م) وهناك توفي في ٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كلف بالعلوم منذ حداثة سنه وبذل النفس والنفيس في إحراز جواهرها حتى أن رغبته في طلب المعارف شغلته عن حطام الدنيا وأنسته هناء العيش وملاذ الحياة وبرز بالعلوم الدينية فصار إماما في التفسير والإفتاء وكان مع ذلك كاتبا بليغا وخطيبا مصقعا وفي ١٢٦٢ (١٨٤٥م) سافر برفقة عبدي باشا المشير إلى الوصل ثم إلى ماردين فديار بكر فأرزووم فسيواس فالأستانة العلية واجتمع حيث دخل بإعلام العلماء وأئمة الأدباء وكانوا يتهاتفون إليه ليقتبسوا من أنواره ويغرقوا من بحاره. ثم عاد إلى وطنه معززا ممدحا بكل لسان مشمولا بألطاف الحضرة العلية السلطانية. وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحه الوسام المرصع العالي الشأن. فلما عاد إلى وطنه سنة ١٢٦٩ انقطع إلى التأليف. وفصل أخبار رحلته في عدة مصنفات منها كتابة رحلة الشمول في الذهاب إلى اسلامبول طبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعه بكتاب نشوة المدام في العود إلى بلاد السلام ثم كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والإقامة والإياب ويدعى أيضا بنزهة الألباب ضمه تراجم الرجال والأبحاث

---

(١) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/٢٩

العلمية التي جرت بينه وبين حضرة السيد أحمد عارف حكمت بك شيخ الإسلام. وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحده في قوة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل أنه كان لا يقصر تأليفه في اليوم والليلة عن أقل من ورقتين كبيرتين. وقد ألف كتبا عديدة في التفسير والفقه والمنطق والأدب واللغة كشرح السلم في المنطق. وكتاب كشف الطرة عن الغرة وهو شرح على درة الغواص للحريري. ومن تآليفه رسالة في الانسان. وله حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمره لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعه في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل إيران وكتب أخرى غيرها. وكان له شعر قليل إلا أنه غاية." (١)

"لقد كان لي منها عرين وكان من ... مقامي لي سحب سكوب زبابها

ولم تشب لي إن ينب يوما بأهله ... مكان ولم ينعق علي غرابها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) . وكان الأحق بنا أن نذكره في الأبواب السابقة فأثبتنا أخباره هنا بقية أفاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما.

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) أصله من النجد فسكن البصرة وكان يتردد كثيرا إلى بغداد وأشتغل بفنون لسان العرب وكان له في اللغة باع طويل وألف عدة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد أرخ فيه ما وقع في زمانه من الوقائع وسماها مطالع السعود في بطيب أخبار الوالي داود وقد طبع مختصره في بمبي سنة ١٣٠٤. ومن تآليفه منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الأعراب والأزهرية ومغني اللبيب. وله رسائل أدبية كفاكهة المسامر وقوة الناظر. ونسمات السحر وروضة الفكر. وكانت له شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يقبل كلامه جميع أهاليها. توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) .

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي أفندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسني زاده. ذكره في كتابه نزهة الألباب في غرائب **الاغتراب** وأثنى على آثاره الأدبية لكنه ذم أخلاقه وضيق صدره وجهله بمداراة الناس قال:

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراة الورى أمر مهم

وروى له شعرا حسنا منه:

لئن لم تشاهدني أخافش أعين ... فلي من عيون الفضل شاهد رؤية

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ١/٩٠

وإن أنكرتني الحاسدون تجاهلا ... كفاني عرفاني بقدري وقيمتي

فأين لشمس الاستواء من السها ... وأين زلال من سراب بقيعة

وليس الذي في الناس كالحي ميت ... لفضل وإفضال فحي كميت

وقوله:

وزمان عدت على لياله ... وقصتني قوادمي وجناحي

ودعتني صروفه في شتات ... وعناء وخيبة ونزاح

لا لذئب أتيته غير أن ال ... فضل لم نلقه قرين نجاح

وإذا ما الصلاح فيكم فساد ... ففسادي الذي لديكم صلاحي." (١)

"عليه الميثاق أن لا يكتمه. وقال أيضا: ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا (للشريشي) ٢٩ قيل لأفلاطون: ما هو الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقا. قال: مدح الإنسان نفسه (للابشيهي) ٣٠ قال ابن قرة: راحة الجسم في قلة الطعام. وراحة النفس في قلة الآثام. وراحة القلب في قلة الاهتمام. وراحة اللسان في قلة الكلام (من لطائف الوزراء) ٣١ قال أفلاطون الحكيم: لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده. فإن الناس لا يسألون في كم فرغ. وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودة صنعته (أمثال العرب) ٣٢ مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل أعمى بيده سراج يستضئ به غيره وهو لا يراه (أمثال العرب) ٣٣ قال عامر بن عبد القيس إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب. وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان ٣٤ قال الأصمعي: سمعت بعض العرب يقول: الفقر في الوطن غربة. والغنى في **الغربة** وطن. وقال آخر: اختر وطنا ما أرضاك. فإن الحر يضيع في بلده ولا يعرف قدره (للشريشي) ٣٥ قيل: عشرة تقبح في عشرة. ضيق الصدر في الملوك. والعذر في الأشراف. والكذب في القضاة. والخديعة في العلماء.." (٢)

"الأدب

٢٠٣ قال شبيب بن شبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل ودليل على المروءة. وصاحب في **الغربة**. ومؤنس في الوحشة. وصلة في المجلس. قال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٩٤/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٥/١

إليه كان لكم مالا. وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا. وقال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك. فإن الكرامة تزول بزوالهما. ليعجبك إذا كرموك لدين أو أدب قال الشافعي:

علمي معي حيثما يممت ينفعني ... قلبي وعاء له لا بطن صندوقي

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

٢٠٤ قال بزرجمهر: الجهل هو الموت الأكبر. والعلم هو الحياة الشريفة. من أكثر أدبه شرف وإن كان وضيعا. وساد إن كان غريبا. وارتفع صيته وإن كان خاملا. وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا. (للسيوطي) قال بعضهم:

ألسبع سبع ولو كلت مخالبه ... والكلب كلب ولو بين السباع ربي

وهكذا الذهب الإبريز خالطه ... صفر النحاس فكان الفضل للذهب." (١)

"تعالى لا جنس له) وإن قلت كم هو. فهو واحد في ذاته. متفرد بصفاته. وإن قلت: متى كان فقد سبق الوقت كونه وإن قلت: كيف هو. فمن كيف الكيفية لا يقال له كيف. ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه التغيير وإن قلت هو. فالهاء والواو خلقه. فما تصور في الأوهام. فهو بخلافه. ولا تمثله العيون. ولا تخالطه الظنون. ولا تتصوره الأوهام. ولا يحيط به الأفهام. ولا تقدر قدرة الأيام. ولا يحويه مكان. ولا يقارنه زمان. ولا يحصره أمد. ولا يجمعه عدد. قربه كرامته. وبعده إهانته. علوه من غير توقل. ومجيئه من غير تنقل. هو الأول والآخر. والظاهر والباطن. القريب البعيد. الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأشهد له بالربوبية وبما شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى. (سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دعا أعرابي فقال: يا عماد من لا عماد له. ويا ركن من لا ركن له. ويا مجير الضعفى يا منقذ الهلكى. ويا عظيم الرجاء أنت الذي سبح لك سواد الليل وبياض النهار. وضوء القمر وشعاع الشمس. وحفيف الشجر ودوي الماء. يا محسن يا مجمل. اللهم إنك آنس المؤنسين للمتكلين عليك أنت شاهدهم وغائبهم والمطلع على ضمائرهم وسري لك مكشوف. وأنا إليك ملهوف. إذا أوحشتني **الغربة**." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٣/٢

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٣

"ضلالة إلى هدى. ورأيت الوحدة **والغربة** والمذلة فمل أر أذل من مقاساة الجار السوء. وشيدت البنيان لأعز به وأذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف. ولبست الكسى الفاخرة فلم ألبس شيئا مثل الصلاح. وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أر شيئا أحسن من حسن الخلق.

٦٢ (فصل) من حكم شاتاق الهندي من كتابه الذي سماه منتحل الجواهر للملك ابن قمابص الهندي: يا أيها الوالي اتق عثرات الزمان واخش تسلط الأيام ولؤم غلبة الدهر. واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب وللأيام غدرات فكن على حذر والزمان متقلب متول فاحذر تقلبه. لئيم الكرة فخف سطوته. سريع الغيرة فلا تأمن دولته. والعم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء له فيها. ومن أذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير نفسه بأن فضله وظهر نبله. ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس. وإذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم. فكانت عامة الرعية في نواحي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط. فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو أحق من أن يبدأه بالقهر من نفسه. ثم يشرع في قهر حواسه الخمس. لأن قوة الواحدة منهن دون صويحباتها قد تأتي على النفس." (١)

"كم يرفع العلم أشخاصا إلى رتب ... ويخفض الجهل أشرافا بلا أدب

العلم كنز لا تفنى ذخائره ... والمرء ما زاد علما زاد بالرتب

فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره ... كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب

قال آخر:

ما حوى العلم جميعا أحد ... لا ولو مارسه ألف سنه

إنما العلم بعيد غوره ... فخذوا من كل شيء أحسنه

قال بعضهم:

تعلم ما استطعت بحيث تسعى ... فإن العلم زين للرجال

لأن العلم في الدنيا جمال ... وفي العقبى تنال به المعالي

قال آخر:

العلم زين فكن للعلم مكتسبا ... وكن له طالبا ما عشت مقتبسا

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥٢/٣

اركن إليه وثق بالله واغن به ... وكن حليما رزين العقل محترسا

وكن فتى ماسكا محض التقى ورعا ... للدين مغنما في العلم منغمسا

فمن تخلق بالآداب ظل بها ... رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

وصف الكتاب

١٤٥ الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة. ونعم المعرفة في دار **الغربة**. ونعم القرين والدخيل. ونعم الزائر والنزيل. وعاء مليء علما وظرفا. وإناء مليء مزحا وجدا. وحبذا بستان يحمل في خرج وروض يقلب في حجر. هل سمعت بشجرة تؤتي أكلها كل حين." (١)

"الباب السابع عشر

في الأسفار

مدح السفر

٣٣٦ قال أبو قاسم الصاحب: ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك. السفر يسفر عن أخلاق الرجال فأوحش أهلك إذا كان في أبحاثهم أنسك. وأهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك. ربما أسفر السفر عن الظفر. وتعذر في الوطن قضاء الوطر (اليواقيت للثعالبي) أنشد شكر العلوي:

قوض خيامك عن أرض تهان بها ... وجانب الذل إن الذل يجتنب

واحل إذا كان في الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب

قال آخر:

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ... ولا تكن بفراق الأهل في حرق

من ذل بين أهاليه ببلدته **فالاغتراب** له من أحسن الخلق

ألكحل نوع من الحجار منطرحا ... في أرضه كالثرى يبدو على الطرق

لما تغرب نال العز أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدث

قال غبره:

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٨/٣

إذا ما ضاق صدرك من بلاد ... ترحل طالبا أرصا سواها

عجبت لمن يقيم بدار ذل ... وأرض الله متسع فضاها." (١)

"السكوت. فكان الصمت جمالي. ولزوم الأدب كمالي. أقتنصت من البرية جبرا. وجلبت إلى بلاد الغربة قهرا. فلا بالسريرة بحت. ولا على الأطلال نحت. بل دأبت حين غربت. وقربت حين جربت. وامتنحت حين امتحنت. وعند الامتحان. يكرم المرء أو يهان. فلما رأى مؤدبي تخليط الوقت. خاف علي من المقت. فكم بصري بكمة: لا تمدن عينيك. وعقد لساني بعقدة: لا تحرك به لسانك. وقيدني بقيد: لا تمش في الأرض مرحا. فأنا في وثاقي لا أتألم. ومما ألاقي لا أتكلم. فلما كممت وأدبت. وجربت وهذبت. استصلحني مؤدبي لإرسالي إلى الصيد. وزال عني ذلك القيد. فأطلقت وأرسلت. فما رفعت الكمة عن عيني. حتى أصلحت ما بينه وبيني فوجدت الملوك خدامي. وأكفهم تحت أقدامي:

أمسكت عن فضل الكلام لساني ... وكففت عن نظر الدنا لساني

ما ذاك إلا أن قرب منيتي ... لزخارف اللذات قد أنساني

أدبت آداب الملوك وعلمت ... روحي هناك ضنائع الإحسان

أرسلت من كف الملوك مجردا ... وجعلت ما أبغيه نصب عياني

حتى ظفرت ونلت ما أملته ... ثم استجبت إليه حين دعاني

هذا لعمري رسم كل مكلف ... بوظائف التسليم للإيمان

إشارة الحمام

(قال) : فبينما أنا مستغرق في لذة كلامه. معتبر بحكمه." (٢)

"وحفظ العهد وفاه حر ... وطوقه فتى إلا وزانه

إشارة الخطاف

(قال) : فبينما نحن نتذاكر أوصاف الأشراف. وأشراف الأوصاف. إذ نظرت إلى خطاف. وهو بالبيت قد طاف. فقلت: ما لي أراك للبيت لازما. وعلى مؤانسة الإنس عازما. فلو كنت في أمرك حازما. لما فارقت

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٤٢/٣

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٢٨/٤

أبناء جنسك. ورضيت في البيوت بحبسك. ثم إنك لا تنزل إلا في المنازل العامرة. والمساكن التي هي بأهلها عامرة. فقال: يا كثيف الطبع. يا ثقيل السمع. إسمع ترجمة حالي. وكيف عن الطير ارتحالي. إنما فارقت أمثالي. وعاشرت غير أشكالي. واستوطنت السقوف. دون الشعاب والكهوف. لفضيلة **الغربة**. ولزوما لآداب الصحبة. صحبت من ليس مني لأكون غريبا. وجاورت خيرا مني لأحرز بينهم نصيبا. فأعيش عيش الغرباء. وأفوز بحصبة الأدباء. والغريب مرحوم في غربته. ملطوف به في صحبته. فقصدت المنازل غير مضر بالنازل. أبتني بيتي من حافات الأنهار. وأكتسب قوتي من ساحات القفار. فلست للجار كمن جار. ولا لأهل الدار كالغدار. بل أحسن جواري مع جاري. وليس منهم رسم جاري. أكثر سوادهم. ولا أستطعم زادهم. فزهدي فيما في أيديهم. هو الذي حببني إليهم. فلو شاركتهم في قوتهم لما بقيت معهم في بيوتهم. فأنا شريكهم في أنديتهم. لا في أغذيتهم. مزاحمهم." (١)

"شرور كل نائبة. قيدوا ألسنتكم من الخوض في الباطل. واقطعوا عن النطق بغيبة كل غافل. ألا وإن عثرة الرجل سريع اندمالها. وعثرة اللسان فظيع وبالها. ومن أبصر عيوب نفسه عمي عمن سواه. ومن هتك عرض أخيه كان خصمه الله. قد عمتكم رحمكم الله من الصوم النعمة السابغة. ولزمتكم من الله الحجة البالغة. ألا وإنه صوم جعله الله مصباح العام. وواسطة النظام. وأشرف قواعد النصرانية بنور الصيام. فتأهبوا رحمكم الله لهذه الأيام الشريفة المباركة ولاغتنام وردها. فكم طليق فيها من وثاق الذنوب. وحقيق بنيل كل مطلوب. ينزل الله لكم فيها الأرزاق. ويجعل ببركتها فكاك الأعناق. فاهربوا إلى الله يا عباد الله فيها من سوء الاجتراح. واطلبوا منه حوائجكم تظفروا بالنجاح. فلا دعاء فيه إلا مسموع. ولا عمل فيه إلا مرفوع. ولا خير إلا مجموع. ولا ضر إلا مدفوع. يا أيها العاقل هذا أوان ازديادك واستماعك. ويا أيها الغافل هذا وقت تيقظك واقتلاعك. ما سأل الله فيها سائل إلا أعطاه. ولا استجار به مستجير إلا أعزه وكفاه. فرحم الله امرأ تيقظ قلبه من سنة هواه. واختار لنفسه ما يحمده من سواه. قبل أن تترامى به الأقدار. ويحل به الحذار. وتوحش منه الديار. ولا يسمع منه الاعتذار. ولا يفصح بخطاب. ولا يسمع بجواب. مختطفا من الأحباب مرتهنا بالاكتساب. وحيدا في منزل **الاغتراب**. موجها يوم الحساب. أذي الأهل وأقرب." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٠/٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤٤/٥

"وتبر. لا حيث تؤخذ برجلك وتجر * أجمع من نمله * أجوع من ذئب * أجهل من فراش * يجري بليق ويذم * جدح جوين من سويق غيره * أسمع جعجعة ولا أرى طحنا * مال سرجه * فلان لا تندى صفاته * أحد حماريك فاز جري * أحرص من الذرة * أحسن من بيضة في روضة * أحسن من الدهم الموقفة * أحسن من زمن البرامكة * أحسن من شنف الأنضر * إحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء * أحكم من لقمان * أحكى من قرد * أحل من لبن الأم * أحلب حلبا لك شطره * أحلى من حياة معادة * أحلى من نيل المنى * أحمض من صفع الذل في بلد الغربة * أحمق بلغ * أحمق من الممتخط بكوعه * أحمل من الأرض * أحير من." (١)

"وجهه لشدة الهجمة. وفرط الزحمة. فإذا هو قراد يرقص قرده. ويضحك من عنده. فرقصت رقص المحرج. وسرت سير الأعرج. فوق رقاب الناس يلفظني عاتق هذا لسرة ذاك. حتى افترشت لحية رجلين. وقعدت بعد الأين. وقد أشرقني الخجل بريقه. وأرهقني المكان بضيقه. ولما فرغ القراد من شغله. وانتفض المجلس عن أهله. قمت وقد كساني الدهش حلته. لأرى صورته. فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندري. فقلت: ما هذه الدناءة ويحك. فأنشأ يقول:

ألذنب للأيام لا لي ... فاعتب على صرف الليالي

بالحمق أدركت المنى ... ورفلت في حلل الجمال

المقامة العلمية

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت قي بعض مطارح الغربة مجتازا فإذا أنا برجل يقول لآخر: بم أدركت العلم وهو يجيبه. قال: طلبته فوجدته بعيد المرام. لا يصطاد بالسهام. ولا يقسم بالأزلام. ولا يرى في المنام. ولا يضبط باللجام. ولا يورث عن الأعمام. ولا يستعار من الكرام. فتوسلت إليه بافتراش المدر. واستناد الحجر. ورد الضجر. وركوب الخطر وإدمان السهر. واصطحاب السفر وكثرة النظر. وإعمال الفكر. فوجدته شيئا لا يصلح إلا للغرس. ولا يغرس إلا في النفس. وصيدا لا يقع إلا في الندر. ولا ينشب إلا في الصدر. وطائرا لا يخدعه إلا قنص اللفظ.." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥٦/٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٨٦/٥

"لو كان فيها راحة ... ما فارقتها أهلها

فلما تم الوالي نظامه. ابتدرت ملامه. وقلت: إذا رغبت عن أنطاكية وأهليها. فما وجه مقامك فيها. فقال: ألزمني أن أقيم. مرسموك كريم. ممن غمرني بالعطا. وإذا خولف سطا. فكيف الخلاص. ولات حين مناص. من مدينة بيت الماء أرفع منها بكثير. ولعظم السمكة فيها قدر كبير:

فقلت وقد أنكرت منه مقاله ... وغرت لها ويلاه من سوء حالها

ألا طالما كانت أسرة ملكها ... مكللة بالدر قبل زوالها

وكم خفقت فيها البنود وكم حوت ... ملوكها ترى الجوزاء تحت نعالها

معظمة في الملتين بحسنها ... مكرمة في الدولتين بمالها

ألم تحترم فيها حبيبا نزيلها ... وما أنت لو أنصفتني من رجالها

وسافرت منها ذلك الوقت منشدا ... وعيناي كل أسعدت بسجالها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... لقد هزلت حتى بدا من هزالها

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجي

من مقامتي الغربة والمغربية

حدث الربيع بن الريان. عن شقيق بن النعمان. قال: لما هزتني أريحية الشباب. إلى اقتعاد سنام الأرض على غارب الاغتراب. وقد أجدبت الأرض من كل ماجد. يجتني جنى المجد لثمار المحامد. وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل. وتسير في ظلال." (١)

"وطريده. وغريب نضوه طليح. وعيشه تبريح. ومن دون فريخه مهامه فيح. وضيف ظله خفيف. وضالته رغيف. فهل منكم مضيف. فتبادرنا إلى فتح الباب وأنخنا راحلته. وجمعنا رحلته. وقلنا: دارك أتيت. وأهلك وافيت. وهلم البيت. وضحكنا إليه ورحبنا به ورأيناه ضالته وساعدناه حتى شبع. وحادثناه حتى أنس. وقلنا: من الطالع بمشرقه. الفاتن بمنطقه. فقال: لا يعرف العود كالعاجم. وأنا المعروف بالناجم. عاشرت الدهر لأخبره. فعصرت أعصره. وحلبت أشطره. وجربت الناس لأعرفهم فعرفت منهم غثهم وسمينهم. والغربة لأذوقها فما لمحنتي أرض إلا فقأت عينها. ولا انتظمت رفقه إلا ولجت بينها. فأنا في الشرق أذكر. وفي

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٦/١٠٩

الغرب لا أنكر. فما ملك إلا وطئت بساطه. ولا خطب إلا خرقت سماطه. وما سكنت حرب إلا وكنت فيها سفيرا. قد جربني الدهر في زمني رضائه وبوسه. ولقيني بوجهي بشره وعبوسه. فما بحت لبوسه إلا بلبوسه:

وإن كان صرف الدهر قدما أضربي ... وحملني من ريبه ما يحمل

فقد جاء بالإحسان حيث أحلني ... محلة صدق ليس عنها محول

قلنا: لا فض فوك. ولله أنت وأبوك. ما يخرم السكوت إلا عليك ولا يحل النطق إلا لك. فمن أين طلعت وأين تغربت. وما الذي يحدو أملك أمامك. ويسوق غرضك قدامك. قال: أما الوطن. فاليمن. وأما لوطر. فالمطر. وأما السائق فالضر. والعيش." (١)

"الرسول. في استدعاء الخلالة والغسول. فلما عدت بالملتمس. في أقرب من رجع النفس. وجدت الجو قد خلا. والشيخ والشيخة قد أجفلا. فاستشطت من مكره غضبا. وأوغلت في إثره طلبا. فكان كم قمس في الماء. أو عرج به إلى عنان السماء.

المقامة الإسكندرية

قال الحارث بن هما: طحا بي مرح الشباب. وهوى الاكتساب. إلى أن جبت ما بين فرغانة. وغانة. أخوض الغمار. لأجني المثا. واقتحم الأخطار. لكي أدرك الأوطار. وكنت لفقت من أفواه العلماء. وثقفت من وصايا الحكماء. أنه يلزم الأديب الأريب. إذا دخل البلد الغريب. أن يستميل قاضيه. ويستخلص مراضيه. ليشتد ظهره عند الخصام. ويأمن في **الغربة** جور الحكام. فاتخذت هذا الأدب إماما. وجعلته لمصالحي زماما. فما دخلت مدينة. ولا ولجت عرينة. إلا وامتزجت بحكامها امتزاج الماء بالراح. وتقويت بعناية تقوي الأجساء بالأرواح. فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية. في عيشة عرية. وقد أحضر مال الصدقات. ليفضه على ذوي الفاقات. إذ دخل شيخ عفرية. تعتله امرأة مصيبة. فقالت: أيد الله القاضي. وأدام به التراضي. إني امرأة من أكرم جرثومة. وأطهر أرومة. وأشرف خؤولة وعمومة. ميسمي الصون. وشيمتي الهون. وخلقي نعم العون. وبيني وبين جاراتي بون. وكان أبي إذا خطبني بناة المجد.." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١١٧/٦

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٢٣/٦

"فكنت أنقب عن أخباره. وخزانة أسراره. فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس. وجذوة المقتبس. شددت يدي بغرزه. واستنزلت منه زكاة كنزه. على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب. ووضع الهناء مواضع النقب. إلا أنه كان أسير من المثل. وأسرع من القمر في النقل. وكنت لهوى ملاقاته. واستحسان مقاماته. أرغب في **الاغتراب**. وأستعذب السفر الذي هو قطعة من العذاب. فلما تطوحت إلى مرو. ولا غرو. بشرني بلمقاه زجر الطير. والفأل الذي هو بريد الخير. فلم أزل أنشده في المحافل. وعند تلقي القوافل. فلا أجد عنه مخبرا. ولا أرى له أثرا ولا عثيرا. حتى غلب اليأس الطمع. وانزوى التأميل وانقمع. فإني لذات يوم بحضرة والي مرو. وكان ممن جمع الفضل والسرو. إذ طلع أبو زيد في خلق مملاق. وخلق ملاق فحيا الوالي تحية المحتاج. إذا لقي رب التاج. ثم قال له: اعلم وقيت الذم وكفيت الهم. أن من عذقت به الأعمال. أعلقت به الآمال. ومن رفعت له الدرجات. رفعت إليه الحاجات. وأن السعيد من إذا قدر. وواتاه القدر. أدى زكاة النعم. كما يؤدي زكاة النعم. والتزم لأهل الحرم. ما يلتزم للأهل والحرم. وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك. وعماد عصرك. تزجى الركائب إلى حرمك. وترجى الرغائب من كرمك. وتنزل المطالب بساحتك. وتستنزل الراحة من راحتك. وكان فضل الله عليك عظيما.." (١)

"الجزء العلوي يسحب سكان:١

فالمقابلة بين هذه الضمائر كافية في الدلالة على أن العربية مجانسة لأختيها وأنها أعذب منهما وأخف، والسبب في ذلك أنها صرفت على وجوه كثيرة؛ لأنها كانت غير مدونة، بخلاف العبرانية مثلا، فإنها مدونة من أقدم أزمانها، والكتابة نص على النص، فبقيت ثابتة كما هي؛ فضلا عما لقي العبرانيون من طول **الاغتراب** والتقلب بين أظهر الأمم المختلفة، وما ابتلوا به من الجوائح السياسية في متعاقب أزمانهم؛ وكل ذلك قد خلا منه العرب، وهم ليسوا من أهل المهن، ولا أورثتهم الطبيعة أسباب التبليد والغرة والذل.

وبعد؛ فإن الكلام في مجانسة العربية لأخواتها من اللغات السامية طويل الذيل عند علماء اللغات، وقد فصلوه تفصيلا وجاءوا فيه بأشياء كثيرة من الحبشية والحميرية والعبرانية والسريانية والفروع الأخرى التي أومأنا إليها فيما سبق، مما لا محل لبسطه وتقريره؛ لأننا إنما نشير إلى التاريخ وقد يكون المثال الطبيعي برهانا فيه.

على أنه يخلص من جملة أبحاثهم أن المشابهة بين العربية وباقي اللغات السامية أمر لا ريب فيه؛ وعلى

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٣٩/٦

ذلك فهي إما أن تكون فرعا من الأصل الذي انفصلن عنه جميعا، ويكون أصل الوضع مستصحبا في جميعها على السواء؛ وإما أن تكون مشتقة من بعض تلك الفروع ثم كملت بما تناولته من غيرها إلى أن استقلت طريقتها المقومة لها بعد ذلك. وكلا الرأيين قريب بعضه من بعضه في النسبة؛ غير أنهم يرجحون الرأي الأول كما سلف بيانه.

ومما يحسن ذكره في هذا الموضع، أن العدنانية يعدون أنفسهم متميزين عن القحطانية، ويقولون إن حميرا تنمي إلى العرب وليست منهم، وكذلك يرون أن اليهود مع طول معاشرتهم إياهم واختلاطهم بهم ليسوا إلا حلفاءهم، فلا يبالون بأنسابهم ولا بلغتهم، وكأنهم لا يرون أنهم أخذوا من العبرانية أو الحميرية شيئا وإنما ذلك شعور طبيعتهم السامية.

---

١ ينطق الحرف الذي نضع تحته هذه الكسرة بالإمالة.." (١)

"طبعه وتنضب مادته بعد ممدوحه الذي اختص به، كأبي الحسن السلامي توفي سنة ٣٩٤هـ شاعر عضد الدولة؛ وكان عضد الدولة يقول: إذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت أن عطارد نزل من الفلك إلي ووقف بين يدي! فلما توفي تراجع طبعه ورقت حاله ولم ينتفع بنفسه "ص١٦٣ ج٢: يتيمة الدهر" ومثله كثيرون.

ويحسب الناس أن من نقائص شعراء المتأخرين أنهم ينقلون المديح من رجل إلى رجل؛ فيلقون بالقصيدة الواحدة جماعة من الناس، ولكن ابن رشيق يقول إن ذلك كان دأب البحتري؛ وفعله أبو تمام في قصائد معدودة؛ منها:

قدك اتئد أربيت في الغلواء

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان "ص١١٤ ج٢: العمدة" وإن كان وجه ذلك في المتأخرين العجز عن الشعر فلا نرى له وجها في المتقدمين إلا أن يكون إخلاف الأمل في المثوبة والإجازة بالحرمان؛ فيقول قائلهم: هي بنياتي أنكحهن من أشاء!

شعر الكدية أو الشعر الساساني:

الكدية حرفة السائل الملح؛ وهي أيضا شدة الدهر؛ وكان من شعراء العرب صعاليك وشطار ومتلصصون؛

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٥٦/١

وأشهرهم عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك، وتأبط شرا، وسعد بن ناشب؛ ولكن لم يكن فيهم مكدون؛ والفرق بين الحالتين أن الشطارة تبسط اليد قوية عزيزة؛ والكدية بسطها بالسؤال ضارعة ذليلة؛ فلما استفحل التمدن الإسلامي وامتزج العرب بالفرس؛ أخذ خبثاؤهم فيما أخذوه منهم تلك الحرفة؛ ولذلك يسمون بني ساسان كما أخذوا عن الهنود مذهب الخناقين واستعدوا له استعدادا عجيبا؛ فانتحله جماعة من أصحاب المنصورية والغالية وغيرهما؛ وقد ذكر الجاحظ من ذلك طرفا صالحا "ص٩٧ و٩٨ ج٢: الحيوان" وأورد شعرا لحماد الراوية يذكر فيه القبائل المشهورة بالخنق لعهده؛ أي: في منتصف القرن الثاني؛ وهي عجل وكندة وبجيلة، فراجعه هناك، ثم نسب هذا الشعر في موضع آخر لأعشى همدان "ص١٩ب ج٦: الحيوان".

أما الكدية فهي عند أهلها كل ما يحتال به على الشر والأذى في سبيل العيش من الشعوذة والمخرفة وما إليهما، ولهم فيها رموز لا يفهمها غيرهم، وأصحابها أهل بأس وشدة وفساد كبير، ولكن من الشعراء من كان يقبل على هذه الحرفة لا يبغي بها بدلا من عرض الحياة ووفرة الغنى وإقبال الأمراء، ومنهم من كان يحفظ رموزها تطرفا وتملحا، ونظن أنهم لم يظهروا بها إلا في القرن الرابع، وأشهرهم في ذلك الأحنف العكبري، وكان فرد بني ساسان بمدينة السلام، وهو من جماعة الصاحب بن عباد "ص٢٨٥ ج٢: يتيمة الدهر". وكان من شعرائه فيها أيضا أبو دلف الخزرجي الينبوعي، قال الثعالبي فيه: شاعر كثير الملح والظرف، مشحوذ المدية في الكدية، خنق التسعين في الأطراب **والاغتراب**، وركوب الأسفار الصعاب، وضرب صفحة المحراب بالحراب.... قال: وكان الصاحب يحفظ مناكاة بني ساسان حفظا عجيبا، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها، وكانا يتجاذبان أهدابها، ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما، وربما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية." (١)

"وكأنما هربت ثم أدركها، وكأنما فرت ثم أمسكها. وبين القبلة والقبلة هجران وصلح، وبين اللفتة واللفتة غضب ورضى.

وهذا ضرب من الحب يكون في بعض الطبائع الشاذة المسرفة، التي أفرطت عليها الحياة إفراطها فيلف الحيوانية بالإنسانية، ويجعل الرجل والمرأة كبعض الأحماض الكيماوية مع بعضها؛ لا تلتقي إلا لتتمازج، ولا تتمازج إلا لتتحد ولا تتحد إلا ليبتلع وجود هذا وجود ذاك.

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٦٧/٣

وضرب الدهر من ضرباته في أحداث وأحداث؛ فأبغضته وأبغضها، وفسدت ذات بينهما، وأدبر منها ما كان مقبلا؛ فوثب كلاهما من وجود الآخر وثبة فزع على وجهه، أما هو فسخطها لعيوب نفسها، وأما هي ... وأما هي فتكرهته لمحاسن غيره!

وانسربت أيام ذلك الحب في مساريها تحت الزمن العميق الذي طوى ولا يزال يطوي ولا يبرح بعد ذلك يطوي؛ كما يغور الماء في طباق الأرض. فأصبح الرجل المسكين وقد نزلت تلك الأيام من نفسه منزلة أقارب وأصدقاء وأحباء ماتوا بعضهم وراء بعض، وتركوه ولكنهم لم يبرحوا فكره، فكانوا له مادة حسرة ولهفة. أما هي ... أما هي فانشق الزمن في فكرها برجة زلزلة، وابتلع تلك الأيام ثم التأم!

فحدثنا "الدكتور محمد"* رئيس جماعة الطلبة المصريين في مدينة ... بفرنسا، قال: "وانتهى إلي أن صاحبنا هذا جاء إلى المدينة وأنه قادم من مصر، فتخالجني الشوق إليه، ونزعت إلى لقائه نفسي، وما بيننا إلا معرفتي أنه مصري قدم من مصر؛ وخيل إلي في تلك الساعة مما اهتاجني من الحنين إلى بلادي العزيزة، أن ليس بيني وبين مصر إلا شارعان أقطعهما في دقائق؛ فخففت إليه من أقرب الطرق إلى مثواه، كما يصنع الطير إذا ترامى إلى عشه فابتدره من قطر الجو.

قال: وأصبته واجما يعلوه الحزن، فتعرفت إليه، فما أسرع ما ملأ من نفسي وما ملأت من نفسه. وكما يمحي الزمان بين الحبيبين إذا التقيا بعد فرقة، يتلاشى المكان بين أهل الوطن الواحد إذا تلاقوا في **الغربة**. فذابت المدينة الكبيرة التي

---

* هو ولده الدكتور محمد الرافعي، وكان يدرس وقتئذ في جامعة ليون، وقد أنشأ من أجله هذه القصة لتكون رسالة إليه برأيه في موضوع بخصوصه.." (١)

"قال ا. ش: لقد قلتها مرتين كلتاهما بمعنى واحد، فما معناك في هذه الثالثة؟

قال: هذا الغر يزعم أني لا أعرف كيف أصلي، ويستدل لذلك بأني صليت بالشعر وأني شتمته وأنا راكع؛ ولو كان عاقلا لعلم أن شتمي إياه وأنا راكع ثواب له ... ولو كان نابغة لعلم أن الشعر كان في مدح دولة النحاس باشا وأولي النهى.

قلنا: ولكن الشعر على كل حال لا تجوز به الصلاة ولو في مدح دولة النحاس باشا.

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢٢٣/١

قال: لم أصل به، ولكن خطر لي وأنا أصلي أني نسيت القصيدة فأردت أن أتحقق أني لم أنسها ... فإذا أنا نابغة القرن العشرين في الحفظ، وهي ستة أبيات. لا كهذا المعتوه الذي صبر على المتن صبر الغريب على **الغربة** الطويلة، ومع ذلك لم يحفظه.

قال ا. ش: فأمل علينا هذا الشعر. فأملى عليه١:

يا حليف السهد قل لي ... أين من في الدهر خال

إن تكن تهوى غزالا ... أكحل العينين مال

أنا أهواها ولكن ... لا سبيل إلى الوصال

منذ ولت قلت مهلا ... منذ غابت في خيال

أنا مجنون بليلى ... ليل يا ليلى تعال

قلنا: ولكن ليس هذا مدحا، فضحك وقال: أردت أن تعرفوا أني أقول في الغزل، أما المديح فهو:

شغف الورى بمناصب وأماني ... وشغفت يا نحاس بالأوطان

حسبوا الحياة تفاخرا وتنعما ... وحسبتها لله والأوطان

ثم أرتج عليه فسكت. قال المجنون الآخر: إنها ستة أبيات، وقد نسيت أربعة، ولست أريد أن أذكرك.

فقال "النابغة": أظنه قد حان وقت الصلاة وأريد أن أصلي ... ونظر إلى اللاشيء في الفضاء، ثم قال.

والبيت الآخير:

لا أبتغي في المدح غير أولي النهى ... أو صادق٢ أو شوقي أو مطران

---

١ هذا شعره بحروفه كما أملاه.

٢ فسر "صادق" بأنه أستاذ نابغة القرن العشرين.." (١)

""وصف الكتاب"

الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة ونعم المعرفة في دار **الغربة** ونعم القرين والدخيل ونعم الزائر والنزيل وعاء مليء علما وظرفا وإناء ملئ مزحا وجدا وحبذا بستان يحمل في خرج وروض يقلب في حجر هل

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢/٢٩٠

سمعت بشجرة: (تؤتي أكلها كل حين) [إبراهيم: ٢٥] بألوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تؤذى وزهر لا يتوى وثمر لا يفنى ومنة لك بجليس." (١)

"أدبية ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة ووقائع شتى تعزى إلى أحد الأدباء والمقصود منها غالبا جمع درر الألفاظ وغرر البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلا عن ذكر الفرائد البديعة والرقائق الأدبية كالرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية ولنذكر لك منتخبات من مقامات مختلفة فنقول.

"قال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرنية"

أخبر الحارث بن همام قال طحابي مرح الشباب وهوى الاكتساب إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانه أخوض الغمار اجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب الأريب إذ دخل البلد الغريب أن يستميل قاضية ويستخلص مراضيه ليشد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماما وجعلته لمصالحي زماما." (٢)

"أما الفقير إذا تكلم صادقا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا

إن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها ... فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا ... في بلدة تدع العزيز ذليلا

تنقل فلذات الهوى في التنقل ... ورد كل صاف ولا تقف عند منهل

ففي الأرض أحباب وفيها مناهل ... فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٤٣/١

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٨٩/١

وإن قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي واكتساب الشدائد

فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

ارحل بنفسك من أرض تضام بها ... ولا تكن لفراق الأهل في حرق

من ذل بين أهاليه ببلدته ... **فالاغتراب** له من أحسن الخلق

الكحل نوع من الأحجار منطرحا ... في أرضه كالثرى ير أي على الطرق

لما تغرب نال العز أجمعه ... وصار يحتمل بين الجفن والحدق

وقال الإمام الشافعي

ما في المقام الذي عقل وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب

سافر تجد عوضا عمن تصاحبه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف المال يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

الأسد لولا فراق الغاب ما قنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب

والبدر لولا أفول منه ما نظرت ... إليه في كل حين عين مرتقب

والتبر كالترب ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب." (١)

"شعر

أبي تمام

قال أبو الفرج: هو حبيب بن أوس الطائي ومنشؤه منبج بقرية منها يقال لها: جاسم. شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق لمعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره والسليم من شعره لا يتعلق به أحد. ومن الناس من يتعصب له ويفضله على جميع الشعراء من سالف وخالف، وقوم يعتمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه. وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن في الكثير مسقطة إحسان، والتوسط في كل شيء أجمل والحق أحق أن يتبع وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره، ولا يدكون وإن وجدوا آثاره. وروي أن محمد بن الزيات كان يقول: أشعر الناس

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٤٩٠

طرا الذي قول يعني أبا تمام:

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي

وسئل إبراهيم بن العباس من أشعر أهل زماننا؟ فقال: الذي يقول يعني أبا تمام:

مطر أبوك أبو أهلة وائل ... ملأ البسيطة عدة وعديدا

نسب كأن ليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

قال أبو الفرج: قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس إليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار فقال بعضهم ها هنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طرا فقال: أنشدوني من قوله فأنشدوه:

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الإشفاق دمعا موردا ... من الدم يجري فوق خد مورد

هي البدر يكفيها تودد وجهها ... إلى كل من لاقت وإن لم تودد

ثم قطع الإنشاد فقال عمارة زدنا من هذا فوصل إنشاده فقال:

ولكنني لم أحو وفرا مجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام نوما مسكنا ... ألذ به إلا بنوم مشرد

فقال عمارة لله دره لقد تقدم في هذا من سبقه إليه على كثرة القول فيه حتى حبب **الاغتراب** هيه فأنشده:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا أشعر الناس. وكان علي بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله فقال له رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا فقال إن لم يكن أخا بالنسب فإنه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... تغدو ونسري في إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

وكان محمد بن حازم يفضل أبا تمام ويقدمه ويقول لو لم يقل إلا مرثيته التي أولها:

أصمد بك الناعي وإن كان أسمعا ... وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقوله:

لو يقدرون مشوا على وجناتهم ... وجباههم فضلا عن الأقدام

لكفاه، وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ك١ن عمارة بن عقيل عندنا يوما فسمع مؤدبا كان لولد أخي يرويهم قصيدة أبي تمام:

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

فلما بلغ قوله:

سود اللباس كأنما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعا من قار

بكروا وأسروا في متون ضوامر ... قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الإسفار

فقال عمارة لله دره ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه. قال إبراهيم بن العباس ما تكلمت في مكاتبتي إلا على ما جاش به صدري إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

إذا مارق بالغدر حاول غدرة ... فذاك حري أن تئيم حلائله

فإن باشر الإصحار فالبيض، والقنا ... قراه وأحواض المنايا مناهله

وإن يبن حيطانا عليه فإنما ... أولئك عقالاته لا معاقله

وإلا فاعلمه بأنك ساخط ... ودعه فإن الخوف لا شك قاتله." (١)

"بلى الله حساد الأمير بحلمه ... وأجلسه منهم مكان العمائم

فإن لهم في سرعة الموت راحة ... وإن لهم منهم في العيش حز الغلاصم

كأنك ما جاودت من بان جوده ... عليك ولا قاتلت من لم تقاوم

وقال يرثى أبا شجاع فاتك الأخشيدي الملقب بالمجنون:

الحزن يقلق والتجميل يردع ... والدمع بينهما عصي طيع

يتنازعان دموع عين مسهد ... هذا يجيء بها وهذا يرجع

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١

النوم بعد أبي شجاع نافر ... والليل معي والكواكب ظلع
إني لأجبن من فراق أحبتي ... وتحس نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة ... ويلم بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بينانه ... ما قومه ما يومه ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع
لم يرض قلب أبي شجاع مبلغ ... قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة ... ذهبا فمات وكل دار بلقع
وإذا المكارم والصوارم والقنا ... وبنات أعوج كل شيء يجمع
المجد أخسر والمكارم صفقة ... من أن يعيش لها الكريم الأروع
والناس أنزل في زمانك منزلا ... من أن تقايسهم وقدرك أرفع
برد حشاي إن استطعت بلفظة ... فلقد تضر إذا تشاء وتنفع
ما كان منك إلى خليل قبلها ... ما يستراب به ولا ما يوجع
ولقد أراك وما تلم ملمة ... إلا نفاها عنك قلب أصمع
ويد يبدل كل يوم حلة ... أني رضيت بحلة لا تنزع
ما زلت تخلعها على من شاءها ... حتى لبست اليوم ما لا تخلع
ما زلت تدفع كل أمر فادح ... حتى أتى الأمر الذي لا يدفع
فظللت تنظر لارماحك شرع ... فيما عراك ولا سيوفك قطع
بأبي الوحيد وجيشه متكاثف ... يبكي ومن شر السلاح الأدمع
وإذا حصلت من السلاح على البكا ... فحشاك رعت به وخدك تقرع
وصلت إليك يد ساء عندها ال ... بازي الأشهيب والغراب الأبقع
من المحافل و الجحافل والقرى؟ ... فقدت بفقدك نيرا لا يطلع
ومن اتخذت على الضيوف خليفة ... ضاعوا ومثلك لايكاد يضيع

قبحا لوجهك يا زمان فإنه ... وجه له من كل قبح برقع

أيموت مثل ابي شجاع فاتك ... ويعيش حاسده الخصي الأوكع؟

أيد مقطعة حوالي رأسه ... وقفا يصيح بها ألا من يصفح؟

أبقيت أكذب كاذب أبقيته ... وأخذت أصدق من يقول ويسمع

وتركت أنتن ريحة مذمومة ... وسلبت أطيب ريحة تتضوع

فاليوم قر لكل وحش نافر ... دمه وكان كأنه يتطلع

وتصالحت ثمر السياط وخيله ... وأوت إليها سوقها والأذرع

وعفا الطراد فلا سنان راعف ... فوق القناة ولا حسام يلمع

ولى وكل مخالم ومنادم ... بعد اللزوم مشيع ومودع

قد كان فيه لكل قوم ملجأ ... ولسيفه في كل قوم مرتع

أن حل في روم ففيها قيصر ... أو حل في عرب ففيها تبع

قد كان أسرع فارس في طعنة ... فرسا ولكن المنية أسرع

لا قلبت أيدي الفوارس بعده ... رمحا ولا حملت جوادا أربع

أبيات متفرقة

أبيات أدبية ألحقتها بعد تمام هذا المجلد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان لما ذكر (جبل أروند) المطل على مدينة همذان، قال: وأهل همذان كثيرا ما يذكرونه في أحاديثهم وأسجاعهم وأشعارهم ويعدونه من أجل مفاخر بلدهم، وكثيرا ما يتشوقون إليه في **الغربة** وعلى سائر البلاد يفضلونه وفيه يقول عين القضاة عبد الله بن محمد الميانجي في رسالة كتبها إلى أهل همذان وهو محبوس:

ألا ليت شعري هل ترى العين مرة ... ذرى قلتي أروند من همذان

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأرضعت من عقانها بلبان

وقال ياقوت: العقان بقية اللبن في الضرع. وقال شاعر من أهل همذان:

تذكرت من أروند طيب نسيمه ... فقلت لقلب بالفراق سليم

سقى الله أروندا وروض شعابه ... ومن حله من ظاعن ومقيم." (١)

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٤٢

"قال فيه صاحب "كتاب السلافة": له شعر يفعل في الألباب فعل السحر، أثبت منه ما هو أحلى من جنى النحل، وأجدى من القطر في البلد المحل، وكتبت إليه قصيدة ضمنتها التبرم من **الاغتراب** والبعاد أقول فيها: "ابن المعصوم"

هل يعلم الصحب أني بعد فرقتم ... أبيت أرعى نجوم الليل سهرانا

أقضي الزمان ولا أقضي به وطرا ... وأقطع الدهر أشواقا وأشجانا

ولا قريب إذا أصبحت ذا حزن ... إن الغريب حزين حيثما كانا

أرى فؤادي وإن ضاقت مسالكه ... بمدح نجل رسول الله جزلانا

عماد أبنية المجد الذي رفعت ... آباؤه الغر من ناديه أركانا

السيد الماجد الندب الشريف ومن ... قد بذ بالفضل أكفاء وأقرانا

سما به النسب الوضاح فاجتمعت ... فيه المحامد أشكالا وألوانا

يا واسع الخلق إفضالا ومكرمة ... وموسع الخلق إنعاما وإحسانا

فقت الكرام ما أوليت من كرم ... لله درك مفضالا ومعوانا

ما قلت في المجد قولا يوم مفتخر ... إلا أقمت عليه منك برهانا

لا زلت في الدهر مرضي العلى أبدا ... ونائلا من إله الحق رضوانا

عليك مني سلام الله ما صدحت ... ورق الحمام وهز الريح أغصانا

فأجابني يقوله:

يا من تذكر خلانا وجيرانا ... وصار يمسي سمير النجم سهرانا

صاد إلى مورد قد كان يألفه ... عذب به يشتفي من كان ولهانا

له به مرتع طابت موارده ... واليوم بالهند يا لله ما حانا

يا ماجدا حاز سبقا في القريض وفي ... نهج البلاغة حتى فاق أقرانا

أحسنت لازلت في أمن وفي دعة ... جزاك ربك بالإحسان إحسانا

وحق جدك إن العين في غرق ... والقلب في حرق وجدا لما آنا

عليك بالصبر يا مولاي معتصما ... إن النفيس غريب حيثما كان

كذا الليالي عهدناها مبدلة ... بالقرب بعدا وبعد الوصل هجرانا

فلا رأيت مدى الأيام حادثة ... من الزمان ولا هما وأحزنا
قد ضاق صدري لما أبديت من كمد ... من لاعج البين ليت البين لا كانا
لكن لي أمل في الله خالقنا ... وحسن ظني متى ندعوه أولانا
أن يجمع الشمل في تلك البقاع وأن ... يروي غليل صد ما زال حرانا
بفضل من عمت الأكوان قدرته ... رب البرية ذي الإحسان مولانا
ما حرمت نسمات الريح مورقة ... من النبات وهزت منه أفنانا
ومن شعرة مخاطبا لوالد المصنف أحمد الحسني:
زرت خلا صبيحة فحباني ... بسؤال أشفى وأرغم شاني
قال لما نظرت نور محياه ... ونلت المنى وكل الأماني
كيف أصبحت كيف أمسيت مما ... يلبت الحب في قلوب الغواني؟
فتحرجت أن أفوه بما قد ... كان مني طبعا مدى الأزمان
يا أخا المجد والمكارم والفضل ... ومن لا أرى له اليوم ثاني
أدرك ادرك متيما في هواكم ... وأكففن عنه صولة الحدثان
وابق واسلم منعما في سرور ... ما تغنت ورق على غصن بان
فراجعه الوالد بقصيدة أولها:
ليت شعري متى يكون التداني ... لبلاد بها الحسان الغواني
وبها الكرم مثمرا والأقاحي ... ضحكت من ثغور زهر لجان
والبساتين فائحات بعطر ... يخجل العنبر الزكي اليماني
وطيور بها تجاوبن صبحا ... وعشيا كنغمة العيدان
وبألحان تذيب ذوي اللب ... وتحيي ميتا من الهجران
وتمشي بها الظباء الحوالي ... مائسات كناعم الأغصان
كل خود تسطو بلحظ حسام ... وتثنى كما قنا المران
وجهها الصبح إنما الفرع منها ... ليل صب من لوعة الحب فان
غادة كالنجوم عقد طلاها ... ما اللآلي ما حلى العقيان

إن ياقوت خدها أرض الياقوت ... سعرا وعائب المرجان

كل يوم يقضى بقرب لديها ... فهو يوم النيروز والمهرجان

تلك من فاتت الظباء افتتانا ... فلذا وصفها أتى بافتنان

مالصب أصيب من أسهم اللحظ ... نجاة من طارق الحدثان

أذكرتني أيام تلك وأغرت ... أعيني بالبكاء والهملان

ومنها قوله:

نفثات كالسحر يصدعن في قلب ... معنى من الملامة عاني." (١)

"إنما حلي للمحبين البكا ... أي فضل لسحاب لا يسح

ما نداماي وأيام الصبا ... هل لنا رجع وهل للعمر فسح

بصحتك المزن يا دار اللوى ... كان لي فيها خلاعات وشطح

حيث لي شغل بأجفان الظبا ... ولقلبي مرهم منها وجرح

كل عيش ينقضي ما لم يكن ... مع مليح ما لذاك العيش ملح

وبذات الطلح لي من عالج ... وقفة أذكرها ما اخضل طلح

حيث منا الركب بالركب التقى ... وقضى حاجاته الشوق الملح

لا أذم العيس للعيس يد ... في تلاقينا وللأسفار نجح

قربت منا فما نحو فم ... فاعتنقنا والتقى كشح وكشح

تزودت شذا من مرشف ... بفمي منه إلى ذا اليوم نفح

وتعاهدنا على كأس اللمى ... وإنني ما دمت حيا لست أصحو

يا ترى هل عند من قد رحلوا ... أن عيشي بعدهم كد وكدح

كم أداوي القلب قلت حيلتي ... كلما داويت جرحا سال جرح

وكم أدعو ومالي سامع ... فكأني كلما أدعو أبح

حسنوا القول وقالوا غربة ... إنما **الغربة** للأحرار ذبح

أشتكي برح الجوا إن لم يرى ... كابن فروخ لم يشك برح

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٧٧

أين من كان لعاب سيفه ... ما له إلا بأعلى القرن مسح
فاذا قيل ابن الفروخ أتى ... سقطوا لو أن ذاك القول مزح
كل من أسره من رعيه ... نومه اليوم بظل السيف سدح
بأبي أفدي أميري إنه ... صادق القول نقي العرض سمح
كل ما قد قيل في ترجيحه ... في الندى أو في الوغى فهو الأصح
كم طروس بالقنا يكتبها ... وسطور بلسان السيف يمحو
يا عروس السيف والخيل له ... من قراع الخيل والأبطال صدح
يا رجال الخيل والحرب لها ... في حياض الموت بالأبطال سبح
خط سيف الجود في حظي الذي ... هو كالدهر يمني ويشح
أنقذني واتخذني بلبلا ... صدح بين يدي علياك مدح
طالع الأدبار مالي وله ... إن يكن من كوكب الإقبال لمح
كل بيت في العلا أنحته ... من نضيد الدر والياقوت صرح
ناطق عني بالفضل الذي ... إن تبارى فله في الفوز قدح
بقواف كسقيط الطل أو ... إنها من وجنات الغيد رشح
خلقت طوع يدي كيما ترى ... إنها كمن يتبعها وهي تشح
وله أيضا:
رأى اللوم من كل الجهات فراعه ... فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
ولا تسألوه عن فؤادي فإنني ... علمت يقينا أنه قد أضاعه
له الله ظبيا كل شييء يروعه ... فيا ليت لي شيئا يزيل ارتياعه
ويا ليته لو كان من أول الهوى ... أطاع عزولي واكتفينا نزاعه
فما راشنا بالسوء إلا لسانه ... وما خرب الدنيا سوى ما أشاعه
أشاع الذي أغرى بنا ألسن العدى ... وطير عن وجه التغالي قناعه
وأصبح من أهوى على فيه قفلة ... يكتم خوف الشامتين انفجاعه
وآلى على أن لا أقيم بأرضه ... وأحرمني يوم الفراق وداعه

فرحت وسيري خطوة والتفاتة ... إلى فائت منه أرجي ارتجاعه
ذرعت الفلا شرقا وغربا لأجله ... وصيرت أخفاف المطي ذراعه
فلم يبق أرض ما وطئت بساطها ... ولم يبق بحر ما رفعت شراعه
كأني ضمير كنت في خاطر النوي ... أحاط به واشي السرى فأذاعه
أخلاي من دار الهوى ز ا رها الحيا ... ومد إليها صالح الغيث باعه
بعيشكم عوجوا على من أضاعني ... وحيوه عني ثم حيوا رباعه
وقولوا فلان أوحشتنا نكاته ... وما كان أحلى شعره وابتداعه
فتى كان كالبنيان حولك واقفا ... فليتك بالحسنى طلبت اندفاعه
أبحت العدى سمعا فلا كانت العدى ... متى وجدوا خرقا أحبوا اتساعه
فكنت كذى عبد هو الرجل والعصى ... تجنى بلا ذنب عليه فباعه
لكل هوى واش وإن ضعضع الهوى ... فلا تلم الواشي ولم من أضاعه
إذ كنت تسقى الشهد ممن تحبه ... فدع كل ذي عذل يبيع فقاعه
وقولوا رأينا من حمدت افتراقه ... ولم ترنا من لم تذم اجتماعه
وإني الذي كالسيف حدا وجوهرا ... لمن رام يبلو ضره وانتفاعه
وما كنتما إلا يراع وكاتبا ... فملا وألقى في التراب يراعه." (١)

"وقد وافقت على أبيات رائقة في مداح مطالعة في كتب العلم والأدب، فأحببت إثباتها هنا. فمنها قول بعضهم وهي من املح ما أنشد في هذا المعنى.

إذا ما خلوت من المؤنسين ... جعلت المؤانس لي دفتيري.
فلما أخل من الشعر محسن ... ومن عالم صالح منذر.
ومن حكم بين أثائها ... فؤاد للناظر المفكر.
وإن ضاق صدري بأسراره ... وأودعته السر لم يظهر.
وإن صرح الشعر باسم الحبيب ... لم أحتشمه ولم أحصر.

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٩١

وإن عدت من ضجر بالهجا ... وسب الخليفة لم أحذر.
ونادمت غيه كريم المغيب ... لندمانه طيب المحضر.
فلست أرى مؤنسا ما حييت ... عليه نديما إلى المحشر.
أبيات رائقة.
ولبعضهم في المعنى:
وإذا ما خلا الناس في دورهم ... بخمر سلاف وخود كعاب.
وآنسهم في ظلام الليالي ... لغير الندامى وروه السحاب.
خلوت وصحبي كتبت العلوم ... وبيت العروس ببيت الكتاب.
ودرس العلوم شراب العقول ... فدوروا علي بذاك الشراب.
وما يجمع المرء في دهره ... سوى العلم يجمعه للتراب.
ولعلي بن الجهم في المعنى:
سمير إذا جالسته كان مسليا ... فؤادك فما فيه من ألم الوجد.
يفيدك علما أو يزيدك حكمة ... وغير حسود أو مصر على حقد.
ويحفظ ما استودعته غير غافل ... ولا خائن عهد على قدم عهد.
زمان ربيع في الزمان بأسره ... يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد.
ينور أحيانا بورد بدائع ... أخص وأولي بالنفوس من الورد.
ولبعضهم أيضا في المعنى ذكرها ياقوت الحموي في رسالته:
إذا الليل ما بيتني بجيش ... طليعته اغتنام واغتراب.
شننت عليه من جهتي كمينا ... أميره الزبالة والكتاب.
وبت أنص من شيم الليالي ... عجائب من حقائقها ارتياب.
بها أجلوا همومي مستريحا ... إذا جلى همومهم الشراب.
ولبعضهم في المعنى وأحسن:
لنا جلساء لا نمل حديثهم ... ألباء محمودون غيب ومشهد.
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... ورأيا وآدبا وعقلا مسددا.

فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا.

فإن قلت: أموات فما أنت كاذب ... وإن قلت: أحياء فلست منفدا.

ولقد أحسن شاعر نجد وأديبها في هذا العصر، وهو محمد ابن عبد الله عثيمين حفظه الله بقوله في المعنى: وهي من جملة قصيدة أذكرها إن شاء الله في هذا الجلد في اختيار من شعره:

جعلت سميري حين عز مسامري ... دفاتر أملتها القرون السوالف.

فطورا أناجي كل حبر موفق ... إذا ما دعا لبت نداه المعارف.

وطورا كأني مع زهير وجرول ... وطورا تناجيني ملوك غطارف.

قال الطرطوشي في (سراج الملوك) : وإن كان الناطقون قد وصفوا فجودوا وقالوا فابلغوا، فقلد قصروا، كيف لا والكتاب نعم الجليس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة في بلاد **الغربة**، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، وعاء مليء علما، وظرف حشا ظرفا، وحبذا بستان يحمل في ردن وروضة تتقلب في حجرة، هل سمعت بشجر تؤتي أكلها كل ساعة بألوان مختلفة وطعوم متباينة؟ وهل سمعت بشجرة لا تذوى وزهر لا يتوى، وثمر لا يفنى؟ ومن جليس يفيدك الشيء وخلافه، والجنس ضده، ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء وأكتم من الأرض، وأنم من الريح وألهى من الهوى، وأخدع من المنى، وأمتع من الضحى، وأنطق من سبحان وائل، وأعيا من باقل، يزيدك ولا يستزيدك، إن جد فيسر، وإن مزح فنزهه، قيد العلوم، وينبوع الحكمة، وسلوى الكرام ومؤنس لا ينام، يفيدك علم الأولين، ويخبرك عن الكثير من أنباء الآخرين، لا يرزاك شيئا من دنياك، نعم العون والعدة، جليس لا يضرك، ورفيق لا يملك، يطيعك بالليل طاعته بالنهار، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر، إن أدمت النظر إليه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك وفخم ألفاظك، إن ألفته خلد على الأيام ذكراك، وأن درسته رفع في الخلق قدرك، وإن حملته نوع عندهم باسمك، يقعد العبيد مقاعد السادة، ويجلس السوقة مجالس الملوك، فأكرم به من صاحب وأعزز بع من مرافق.

وأنشد أبن حزم لبعض الأدباء:." (١)

"تخلق الناس بالأدناس واعتمدوا ... من الصفات الدها والمكر والحسدا

كرهت منظرهم من سوء مخبرهم ... فقد تعاميت حتى لا أرى أحدا

وللمتنبي:

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٣٨

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا ... لمن بات في نعمائه يتقلب

وغيره:

اصبرعلى كيدالحسود ... فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

وغيره:

دع الحسود وما يلقاه من كمد ... يكفيك منه لهيب النار في كبده

إن لمت ذا حسد نفست كربته ... وإن سكت فقد عذبته بيده

وغيره:

أيا حاسدا لي على نعمة ... أتدري على نمن اسأت الأدب

نقمت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض ي ما وهب

وغيره:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة ... رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق

خلص فؤادك من غل ومن حسد ... فالغلفي القلب مثل الغل في العنق

وغيره:

إن شئت قتل الحاسدين تعمدا ... من غير مادية عليك ولا قود

وبغير سم قاتل وصوارم ... وعقاب رب ليس يغفل عن أحد

عظم تجاه عيونهم محسودهم ... فتراهم موتى النفوس مع الجسد

ذوب المعادن باللظى لكنما ... ذوب الحسود بحر نيران الحسد

لم يبلغ الحساد أجالا لهم ... إذ أنهم سماهم موت الكمد

حد الزناة من الشريعة مدة ... وترى الحود بدائه أبدا يحد

غيره:

كفى الحسود عقابا عن جريمه ... ما في جوارحه من جذوة الحسد

لا غر أن ذاب منه جسمه حسدا ... فإن ذا الداء يوهي صحة الجسد

مدح الحلم والتأني

قال بعضهم:

ألا أن حلم المرء أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليم

فيارب هب لي منك حلما فإنني ... أرى الحلم لم يندم عليه كريم

وغيره:

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعاب

واصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجل تهيبوه ... ومن حقر الرجل فلن يهابا

وغيره:

لا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدر

ولا خير في الجهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

وغيره:

إن كنت محتاجا إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني معوج

وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا ... ولكنني أرضى به حين أحرج

غيره:

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئا ... وخيرت إن شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصف من ليس منصفا ... ولم يرضى منك النصف فالجهل أمثل

إذا جاءني من يطلب الجهل عامدا ... فإني سأعطيه الذي جاء يسأل

ولم أعطيه إياه إلا لأنه ... وإن كان مكروها من الذل أجمل

مدح التغرب وذم القيام في الوطن على الذل

إذا البلاد تغيرت عن حالها ... فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا ... في بلد تدع العزيز ذليلا

غيره:

تنقل فلذات الهوى في التنقل ... ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ولا تسمع قول امرء القيس إنه ... مضل ومن ذا يهتدي بمضل

ففي الأرض أحباب وفيها مناهل ... فلا تبكي ذكرى حبيب ومنزل

غيره:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

وإن قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واشي وحاسد

ولبعضهم:

أرحل بنفسك عن الأرض تضام بها ... ولا تكن لفراق الأهل في حرق

من ذل بين أهاليه ببلدته ... **فالاغتراب** له من أحسن الخلق

الكحل نوعا من الأحجار منطرحا ... في أرضه كالثرى يرمي على الطرق

لما تغرب نال العز أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحقد

وللإمام الشافعي رحمه الله:

ما في المقام لذي علم وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب." (١)

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٤٥